المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة



التناقضات العقدية بين الطوائف النصرانية وآثارها

رســــــالة مقدمة لنيل درجة الماجــــــستير

إعداد الطالبة

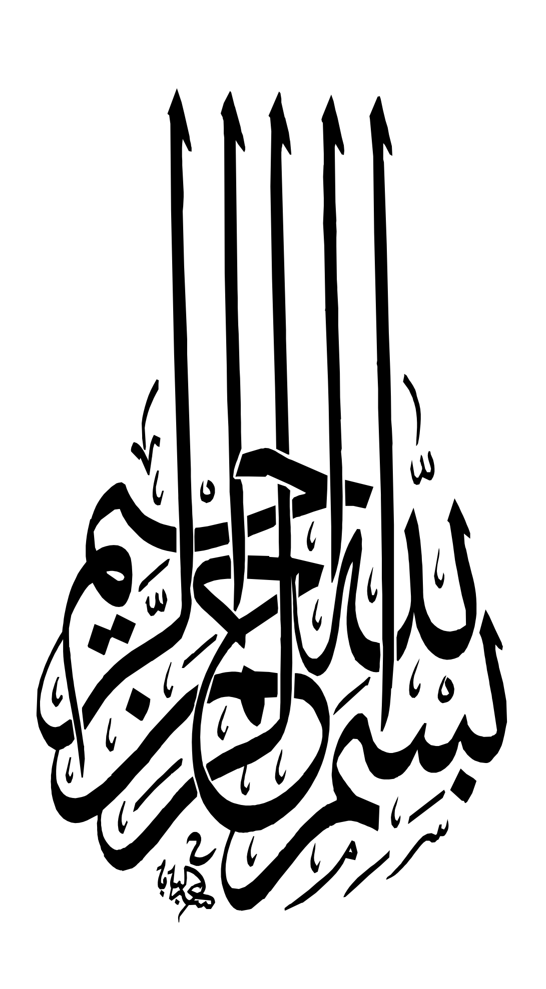
سلوى بنت أحمد بن يحيى المحـــــزري

الرقم الجامعي: ٤٣٠٨٠٠١٩

إشراف الأستاذ الدكتور

يحيى بن محمد بن علي ربيـــــــــع

١٤٣٤ -١٤٣٥هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ
فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ
يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤
يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا
مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ
جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ
مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ
إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦ ﴾

[المائدة: ١٤ – ١٦]

ملخص البحث

تنحصر فصول هذا البحث في إبراز التناقضات بين طوائف النصارى الكبرى: (الأرثوذكس والكاثوليك، والبروتستانت) في العقائد التالية:

- طبيعة المسيح عليه السلام.
- انبثاق الروح القدس.
- الملك الألفي.
- المطْهَر.
- صكوك الغفران.
- عصمة البابا عن الخطأ.
- الخلاص.
- العذراء مريم عليها السلام.

وذلك بتعريف تلك العقيدة المختلف عليها، والمجامع التي حكمت بها، مع ذكر براهين كل طائفة في منازعتهم فيما يعتقدون أنها حجة لهم، ومن ثم ذكر اعتراضات كل طائفة وردود بعضهم على بعض ليكون ذلك لباطلهم أقطع، وبيان موقف الإسلام ما أمكن، كما تعرضت في الفصل الأخير بصورة موجزة لإبراز الخلاف حول:

الأسرار الكنسية، مكتفية بالإشارة إلى مواطن الخلاف بينهم في تعريفها، وعددها، وأهميتها وفاعليتها، وممارستها، ومن ثَمَّ الخاتمة التي اشتملت على أهم النتائج، والتي من أبرزها:

- إن تحريف الإنجيل الذي أنزل على المسيح عليه السلام يعد أهم عامل مؤثر في انحراف النصرانية.
- إن النصرانية المحرفة قائمة في جميع عقائدها وطقوسها على مخالفة صريحة للعقول الصحيحة والفِطَر السليمة، فضلاً عن معارضتها الصارخة للوحي الإلهي.
- إن اختلاف النصارى وتناقضهم في دينهم يعود إلى التناقض في كتابهم المقدس المنقطع السند، وقرارات مجامعهم المتعددة.

Research Summary

The chapters of this research have been enclosed to highlight the biggest christian denominations contradictions (Orthodox ، Catholics and Protestants) in the following beliefs:

1-The nature of the Christ ،peace been upon him.
2-Procession of the Holy spirit.
3- The Millennial kingdom.
4- The purgatory.
5- Indulgences.
6_The immaculacy of the Pope.
7-The doctrine of salvation.
8- The Virgin Mary peace been upon her.
That's by identifying the doctrine they are disputing about and the synagogues which ruled it out ،
mentioning the evidence of each denominations in their dispute of what they believe the argument for their benifits and then stated objections of every sect and responses to each other to cut out their falsehood and state the position of Islam as much as possible ،And in the last chapter a highlight to the key contradiction between them about Sacraments ،I only indicated to the points of contradiction ، including their contradiction in the definition ،numbers ،their importance ،effectiveness and practices.

Hence the conclusion that included the most important results which are:

- **the distortion of the Gospel that was revealed to the Christ ، peace been upon him ،is the most important influence on Christian deviation.**
- **The deviated Christianity's beliefs and rites are based on violation of the right brains and common sense as well as its clear opposition to divine revelation.**
- **The contradictions of Christians and their religion dates back to the contradiction in their holy book unbroken bond ،and their synagogues multiple resolutions.**

الإهداء

إلى كل باحث عن الحقيقة

إلى كل نصراني معتز بعقله، متحرر من التقليد

إلى كل من أراد معرفة الحق لاتباعه، والباطل لردِّه

إلى كل مسلم اتخذ فهم السلف عقيدة ومنهجاً، وجعل الدعوة إلى دين الله هدفاً

امتثالاً لقول النبيﷺ:

«لأنْ يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمُر النَّعم»[1].

إلى كل هؤلاء أهدي هذا البحث.

سائلةً المولى ﷻ أنْ يُرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور النبي ﷺ وسننه وأيامه: محمد بن اسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى: كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة: (١٠٧٧/٣ح٢٧٨٣).

كلمة الشكر

أَحمدُ الله جلَّ في علاه أولاً وآخراً، على ما منَّ به عليَّ مِنْ نعم لا تُعد ولا تُحصى، ومنها ما هيأه لي لإتمام هذا البحث من أسبابٍ، ويسر من صعابٍ، أشكره شكر لائذٍ بحماه، منقطع لِمَنِّه ورضاه، معترف بعجز نفسه، وكَلَلِ قلمه، وافتقار همته لخالقه ومولاه، ، ،

وبعد حمد الله وشكره أتوجه إلى أهل الفضل والإحسان، وكل مَنْ كان لي عوناً في إنجاز هذا البحث:

فإلى والديَّ الحبيبين أتقدم بخالص الشكر والتقدير على رعايتهما التي أضاءتني بالطموح، وصافحتني بالتشجيع وحب النجاح، فبارك اللهم فيهما وأحسن إليهما، واغفر لهما وارحمهما كما ربياني صغيرة.

ثم أجزل شكري وامتناني لواحة العلم وراعيته "جامعة أم القرى" ممثلة في كلية الدعوة وأصول الدين على إتاحة الفرصة لمواصلة الدراسات العليا، وتهيئة الوسائل المعينة على البحث، جزى الله العاملين فيها خير الجزاء، وأجزل لهم في العاقبة والعطاء.

وأخص بالشكر والتقدير مشرفي الفاضل الأستاذ الدكتور: يحيى ربيع، الذي شملني برعاية أبوية ولم يألُ جهداً في توجيهي وتشجيعي، فأعانني على تخطي صعوبات كثيرة في سبيل إنجاز البحث، أسأل الله جل في علاه أن يكافئ عرفانه، وأن يُثَقِّل بالحسنات ميزانه.

وأتقدم بباقةٍ شذيةٍ من الشكر الخالص للدكتور: فهد القرشي رئيس قسم العقيدة، الذي سهل لي كثيراً من العقبات، أسأل الله أن يسهل طريقه إلى الفردوس الأعلى من الجنة.

كما أتقدم بوافر الشكر والتقدير للأستاذ الدكتور: إبراهيم خليفة، الذي أثرى البحث بملاحظاته المباركة، أسأل الله أن يبارك في علمه وعمله، وأن يوفقه لما يحبه ويرضاه.

وأتوجه بالشكر والعرفان إلى اللجنة الموصى بها لمناقشة البحث، لما بذلته من جهد ووقت لتقويم هذا البحث وتسديده.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى جميع أفراد عائلتي، بما لمست من وافر اهتمامهم ودائم سؤالهم وحضورهم، فاللهم بارك لهم في أعمارهم وأعمالهم واجزهم عني خير الجزاء.

والشكر موصول لكل من أفاد بجواب، أو أمدَّ بكتاب، أو ساهم بتصحيح، أو بكلمة تشجيع، أو بدعوة في ظهر الغيب، لكل هؤلاء مني فيض شكرٍ وتقدير وامتنان.

وختاماً أحمد الله تعالى حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه الذي هدانا للإسلام ووفقنا إليه.

المقدمة

الحمد لله ما عمَّ نَظَرٌ في المصالح فأنعم، وما قَطَرَ غمامٌ على ديارٍ فأفعم، والصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله ذي الخلق العظيم، والفضل الذي أوتيه من لدن حكيم عليم، وعلى آله الطاهرين وصحبه الطيبين، صلاة تَشَرَّفَ بحفظها كلُ جمعٍ، وتَشَنَّفَ بلؤلؤ لفظها كل سمعٍ، وبعد:

فقد أرسل الله نبيه محمداً ﷺ على فترة من الرسل، وأنزل معه الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وكان الناس إزاء دعوته على فرق ثلاثة:

فريق اهتدى بفضل الله ورحمته إلى الصراط المستقيم، فطريقهم نور على نور، إلى أن يبلغوا مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر.

وفريق أوصدَ أبواب الهداية بعد أن عاينها، فتأرجح بين طلب الهدى والنور ومخادعة الله والرسول ﷺ.

وفريق أعرض عن دعوته وصدَّ، وكابر بشقوته ولدَّ، فَهُمْ في ضلالهم على سُبُلٍ متشعبة، يجمعهم الكفر ويفرقهم المنهج والطريقة:

فمنهم الملحد الذي تعامى عن نداء الحق، وتخبط في دنياه على غير هدى من وحي إلهي.

ومنهم الوثني الذي غوى، وعبد ما لا يضره ولا ينفعه، حتى عبد ما نحت، وهو يعلم أنها لا تسمع ولا تبصر.

ومنهم اليهودي الذي رأى سبيل الرُّشد فلم يتخذه سبيلا، فأضله الله على علم، وختم على قلبه وسمعه.

ومنهم النصراني، دينه التثليث، ومعبوده الصليب، وغافر ذنبه القسيس، وربه عيسى المسيح عليه السلام، الذي زُعم بأنَّ اليهود قتلوه مصلوباً، وأدركوه مطلوباً، وقهروه مغلوباً.

وبذلك ضلَّ النصارى عن سواء السبيل، وعاشوا في انقسام وشقاق، حتى تعددت طوائفهم، وتشعبت فرقهم، وظهر العداء جلياً بينهم، كما أكَّدَ ذلك الباري جل جلاله بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ

إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَـٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَـٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾ [سورة المائدة ١٤].

فاختلفوا اختلافاً أضاع دينهم وأبعدهم عن حقيقته، وأذهلهم عن صحيح طريقته، وقد أخذت هذه الاختلافات تتجذر وتتعمق إلى درجة كبيرة، تفجَّرت في صورِ حروبٍ طاحنة، وتمثلت في أحداثِ مذابحَ يندى لها الجبين، ومنها:

١. ما حدث بين عامي (٣٧٢-٤٤٤م) حيث قامت حملة ضخمة للقضاء على بدعة المانوية، وهي جماعة دينية سرية نصرانية، استخدمت وسائل لتحديد النسل مما اعتبر مناقضاً للإيمان الكاثوليكي، وبلغ عدد ضحايا هذه الحملة بالآلاف.

٢. ما حدث في عام (١٢٠٩م) حيث قامت أول حملة صليبية تهدف إلى ذبح مسيحيي البيجتريانس أو الكاتار الذين يعدون أنفسهم مسيحيين حقيقيين، ولكنهم لم يقبلوا حكم الكاثوليك، فبدأت حملة العنف ضدهم بقيادة البابا أنوسنت الثالث الذي دمر مدينة بيزيرس بفرنسا، وذبح كل سكانها، حيث بلغ عدد الضحايا من (٢٠) إلى (٧٠) ألفاً.

٣. في عام (١٥٧٢م) تم قتل مايقارب (٢٠) ألف بروتستانتي في فرنسا حتى القرن السابع عشر بأمر من البابا بيوس الخامس عشر.

٤. في القرن السابع عشر: اقتحم الكاثوليك مدينة ماجدبرج الألمانية وقتلوا (٣٠) ألف بروتستانتي تقريباً، وذُكر بأنه عثر في كنيسة واحدة على (٥٠) امرأة مفصولة الرأس، بينما أطفالهن مازالوا يرضعون منهن.

٥. حرب الثلاثين عاماً: وهي سلسلة صراعات دموية مزقت أوربا بين عامي (١٦١٨-١٦٤٨م)، وقعت بين البروتستانت والكاثوليك وكلفت أوربا الملايين من الضحايا، بخاصة ألمانيا التي فقدت ما يقارب (٤٠%) من سكانها[١].

---

(١) انظر: الرد على دعاوى بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر التي وردت في محاضرته الشهيرة، كتبه: د. فهد بن محمد القرشي، بحث مقدم لسعادة الدكتور: عبدالله القرني، في السنة المنهجية للدكتوراه: (١٤٢٧-١٤٢٨هـ)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة: (ص٢٧-٢٨).

وقد أظهرت هذه الحروب بوضوح ما يكنُّه النصارى بعضهم لبعض من عداوة وبغضاء وصلت لحد التطهير الطائفي، فانطبق عليهم قول الباري ﷻ: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الحشر ١٤].

أسباب اختيار الموضوع:

في ضوء ما تقرر ولأهمية هذا الموضوع يمكنني القول بأن الذي دفعني إلى اختيار هذا الموضوع والعمل على بحثه عدة أسباب، أُجملها فيما يلي:

- رغبتي في اختيار موضوع يستفيد منه الناس، فلعل الله يهدي به من يطلع عليه من النصارى حيث صح عن النبي ﷺ قوله لعلي بن أبي طالب ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»(١).
- إبراز الخلاف والتناقض بين طوائف النصارى في تصور المعتقد يُعَدُّ هدماً للعقيدة ذاتها وتعرية للباطل الذي هُم عليه(٢).
- إبراز استحالة الوحدة بين طوائف النصارى كما صرح بذلك قساوستهم، فالأمر الوحيد المشترك بينهم هو الحوار فقط، لأن لكل طائفة منهم أفكارًا لاهوتية خاصة وتفسيرًا مختلفًا للكتاب المقدس، مما يبطل زعمهم في قولهم: "نحن واحد في يسوع، وكلنا واحد"(٣).
- إبراز الخلاف بين طوائف النصارى يُمَكِّنْ المسلم من دعوتهم إلى الله على بينة وبصيرة من جهة معرفة معتقد كل طائفة، وهدم هذه العقائد بأفواه النصارى من الفرق المخالفة فيصل المسلم إلى أفضل السبل في دعوتهم.
- نُدْرَةُ الدراسات الإسلامية التي تناولت هذا الموضوع المهم.

---

(١) سبق تخريجه (٦).

(٢) باعتبار المآل.

(٣) وهو قول بالإتحاد والحلول؛ مما جاء في كتبهم: "كما أن المسيح واحد، وروح الله في الكنيسة واحد، هكذا الكنيسة في جوهرها واحدة" تاريخ انشقاق الكنائس، جراسيموس مسرة، طبع بالمطبعة الإبراهيمية بالإسكندرية سنة: ١٨٩١م، (ص١٩)، و"ليكونوا واحداً، كما أننا نحن واحد" (يو١٧: ٢٢).

- ثَراء مادة الموضوع بكثيرٍ من المسائل التي تحتاج إلى دراسة تفصيلية، بل لا أبالغ إنْ قُلتُ: إنَّ كُل فصلٍ من هذا البحث جدير بأطروحة علمية، تُبرز تناقض النصارى في تلك العقائد والطقوس وتُخضعها لنقد علميٍ موضوعي.

حدود البحث:

ينحصر هذا البحث في إبراز الخلافات والتناقضات بين طوائف النصارى الكبرى: الأرثوذكس والكاثوليك، والبروتستانت.

الدراسات السابقة:

اعتنى العلماء قديمًا وحديثًا بإبراز عقائد النصارى والردِّ عليهم، إلا أنني لم أقف -بعد البحث وسؤال أهل العلم- على دراسة إسلامية تَخُصُ هذا الموضوع، كما أَكَّدَ ذلك مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

إلا أَني وجدت بعض المؤلفات لدى النصارى، والخاصة بكل طائفة، تُبرز خلافاتها مع الطوائف الأخرى، وتقوم بالردِّ على مخالفيها، ومن أهم هذه المؤلفات:

- الدليل إلى طاعة الإنجيل، للمعلم ميخائيل مشاقة، وهو كتاب بروتستانتي للرد على الكاثوليك، طبع سنة ١٨٤٩م.

- أجوبة الإنجيليين على أباطيل التقليديين، للمعلم ميخائيل مشاقة للرد على كل من الكاثوليك والأرثوذكس، طبع سنة ١٨٥٢م.

- البراهين الإنجيلية ضد الأباطيل البابوية، للمعلم ميخائيل مشاقة، للرد على الكاثوليك، طبع سنة ١٨٦٤م.

- الحجة الأرثوذكسية ضد اللهجة الرومانية لمؤلفه الإيغومانس فيلوثاؤس وهو كتاب أرثوذكسي للرد على الكاثوليك طبع سنة ١٨٩٥م.

- تنوير الأذهان بالبرهان إلى ما في العقائد الكنيسة الغربية من الزيغان، للأنبا ايسوذورس وهو كتاب أرثوذكسي للرد على الكاثوليك طبع سنة: ١٩٣٥م.

- الأم الإله لا تزال تُعبد، لجمعية برج المراقبة، وهو مقال (لشهود يهوه)[١] يردون فيه على كل من الكاثوليك والأرثوذكس في معتقدهم في مريم العذراء، طبع سنة: ١٩٩١م.

منهج الدراسة:

تقوم هذه الدراسة على مجموعة من المناهج البحثية بحسب النقاط التي تتعرض لها منها: المنهج الوصفي، والتحليلي، والاستدلالي، والنقدي.

طريقة البحث:

١- أجمع مادة البحث من المصادر الأصلية ما أمكن، أما إذا كان هناك نقل بواسطة فأشير إليه بعد ذكر المصدر الأصلي بقولي: نقلاً عن كذا.

٢- أعزو الآيات القرآنية بالإشارة إلى اسم السورة ورقم الآية، وأنقلها بالرسم العثماني.

٣- أميزُ كلام الرسول ﷺ، بوضعه بين قوسين«»، وأقوم بتخريج الأحاديث والآثار من كتب السنة المعتمدة، وأنقل أقوال أهل العلم في صحتها أو ضعفها ما استطعتُ إلى ذلك سبيلا، إلا ما كان في صحيح البخاري ومسلم أو أحدهما، مع إيضاح وجه الاستدلال من الأدلة النقلية إن دعت الحاجة إلى ذلك.

٤- أعتمد في توثيق نصوص الكتاب المقدس المستشهد بها عند الطائفة الكاثوليكية على النسخة اليسوعية الصادرة من دار المشرق بلبنان، أما الطائفة الأرثوذكسية والبروتستانتية فأعتمد على النسخة الصادرة من دار الكتاب المقدس بمصر.

٥- أستخدم علامة النقطتين الرأسيتين (:) للفصل بين رقم الإصحاح ورقم الفقرة من الكتاب المقدس، وعلامة الشرطة (-) أي من كذا إلى كذا.

٦- أذكر بيانات كل مرجع عند أول وروده، ثم أقتصر على ذكر اسم الكتاب فقط، وربما بنوع من الاختصار؛ كأن أقول: "كنز النفائس" (اختصاراً لكنز النفائس في اتحاد الكنائس)، "اللاهوت

---

(١) شهود يَهْوَه: منظمة عالمية دينية وسياسية، تقوم على سرية التنظيم، أسسها الراهب تشارلز راسل سنة (١٨٦٢م)، يؤمنون بالكتاب المقدس ويفسرونه حسب مصالحهم، يستغلون اسم الدين للوصول إلى هدفهم وهو إقامة دولة دينية دنيوية للسيطرة على العالم، لاتعترف بالطوائف النصرانية، وفي المقابل لايعترف النصارى بها، ويعتبرونها منكرة لأغلب تعاليم النصرانية وأصولها. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب: (٢/٦٤٨). مجلة الراصد العدد: ٥١ (ص٧).

النظامي" (اختصاراً لعلم اللاهوت النظامي)، "الفروق العقدية "(اختصاراً للفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية) وهكذا.

٧- أعرض ما اختلفوا فيه، مع ذكر براهين كل طائفة في منازعتهم فيما يعتقدون أنها حجتهم في مذهبهم، وردود بعضهم على بعض؛ كما أحاول جمع أكبر عدد من الاعتراضات والردود في مسائل العقيدة، مع بيان نقضها بألسنة سادتهم وكبرائهم، وبيان الموقف الإسلامي ما أمكن، اتباعاً لقوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [سورة الأنبياء ١٨].

٨- أستخدم لفظ النصرانية في ثنايا البحث لكونه المصطلح الصحيح، باستثناء ما كان في النص المستشهد به فأستخدم لفظ المسيحية حفاظاً على مطابقته للمصدر.

٩- أهمِّش للمعلومات بعزوها إلى مصادرها، وما كان نصاً أضعه بين قوسين " " فأذكر اسم المرجع بعد رقم الهامش مباشرة، وأما إذا كان النقل بالمعنى أو اختصاراً فأذكر عبارة: "انظر"، بعد رقم الهامش مباشرة ثم اسم المرجع.

١٠- أترجم لآباء الكنيسة الواردين في البحث ممن تمكنت من تمييزهم، ولم ألتزم بالترجمة للجميع لأنه قد يحدث هناك لبس عند ورود بعضهم فلا يُدرى من المقصود.

١١- أُعرف بما يحتاج إلى تعريف من مفردات غامضة وفرق، نقلاً عن الكتب المختصة ما أمكن.

١٢- أضع الفهارس العامة المتعارف عليها في البحث، كفهرس الآيات القرآنية وفهرس الأحاديث، وفهرس الأعلام وفهرس المراجع، وفهرس الموضوعات.

١٣- بما أنَّ موضوع الدراسة "التناقضات العقدية بين الطوائف النصرانية وآثارها" فسأقدمُ ذكر اختصارات أسماء أسفار الكتاب المقدس، حتى إذا ذُكر النَّصُ في موضعٍ يكون القارئ على عِلم بهذا النص؛ و بالرمز الذي يُشير إليه، وسأعتمدُ في هذه الاختصارات على ما ورد في قاموس الكتاب المقدس، وهي على النحو التالي:

اختصارات أسفار الكتاب المقدس

العهد القديم	الاختصار	العهد القديم	الاختصار
سفر التكوين	تك	سفر الجامعة	جا
سفر الخروج	خر	سفر نشيد الإنشاد	نش
سفر اللاويين	لا	سفر إشعياء	إش
سفر العدد	عد	سفر إرمياء	إر
سفر التثنية	تث	سفر مراثي إرميا	مرا
سفر يشوع	يش	سفر حزقيال	حز
سفر قضاة	قض	سفر دانيال	دا
سفر راعوث	را	سفر هوشع	هو
سفر صموئيل الأول	١ صم	سفر يوئيل	يؤ
سفر صموئيل الثاني	٢ صم	سفر عاموس	عا
سفر ملوك الأول	١ مل	سفر عوبديا	عو
سفر ملوك الثاني	٢ مل	سفر يونان	يون
سفر أخبار الأيام الأول	١ أخ	سفر ميخا	مي
سفر أخبار الأيام الثاني	٢ أخ	سفر ناحوم	نا
سفر عزرا	عز	سفر حبقوق	حب
سفر نحميا	نح	سفر صفنيا	صف
سفر أستير	أس	سفر حجي	حج
سفر أيوب	أي	سفر زكريا	زك
سفر المزامير	مز	سفر ملاخي	ملا
سفر الأمثال	أم		

اختصارات أسفار الكتاب المقدس

العهد الجديد	الاختصار	العهد الجديد	الاختصار
إنجيل متى	مت	الرسالة الأولى إلى أهل تيموثاوس	١ تي
إنجيل مرقس	مر	الرسالة الثانية إلى أهل تيموثاوس	٢ تي
إنجيل لوقا	لو	الرسالة إلى تيطس	تي
إنجيل يوحنا	يو	الرسالة إلى فليمون	فل
أعمال الرسل	أع	الرسالة إلى العبرانيين	عب
الرسالة إلى أهل رومية	رو	رسالة يعقوب	يع
الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس	١كو	رسالة بطرس الأولى	١ بط
الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس	٢ كو	رسالة بطرس الثانية	٢ بط
الرسالة إلى أهل غلاطية	غلا	رسالة يوحنا الأولى	١ يو
الرسالة إلى أهل أفسس	أف	رسالة يوحنا الثانية	٢ يو
الرسالة إلى فليبي	في	رسالة يوحنا الثالثة	٣ يو
الرسالة إلى أهل كولوسي	كو	رسالة يهوذا	يه
الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي	١ تس	الرؤيا	رؤ
الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي	٢ تس		



خطة البحث:

تضمنت بعد المقدمة: التمهيد، وتسعة فصول، والخاتمة، على النحو التالي:

التمهيد: ويشمل: التعريف بالنصرانية، ومصادرها.

الفصل الأول: تناقض النصارى حول طبيعة المسيح عليه السلام ومشيئته.

وفيه: تمهيد، وثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: موقف الكنيسة الأرثوذكسية "اللاخلقيدونية" من طبيعة المسيح ومشيئته.

المطلب الأول: طبيعة المسيح عند الأرثوذكس اللاخلقيدونيين.

المطلب الثاني: طبيعة الاتحاد بين اللاهوت والناسوت عند الأرثوذكس.

المطلب الثالث: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الأرثوذكسية.

المطلب االرابع: مشيئة المسيح وفعله عند الأرثوذكس.

المبحث الثاني: موقف الكاثوليك والبروتستانت ومن وافقهم من طبيعة المسيح ومشيئته.

المطلب الأول: موقف الكنيسة الكاثوليكية ومن وافقها من القول بالطبيعة الواحدة للمسيح.

المطلب الثاني: طبيعة المسيح عند الكاثوليك ومن وافقهم.

المطلب الثالث: البراهين التي يستند إليها الكاثوليك ومن وافقهم.

المطلب الرابع: مشيئة المسيح وفعله عند الكاثوليك ومن وافقهم.

المبحث الثالث: المسيح عليه السلام في الإسلام.

الفصل الثاني: التناقض حول انبثاق الروح القدس.

وفيه: تمهيد، وستة مباحث، على النحو التالي:

المبحث الأول: التعريف بـــ"انبثاق الروح القدس".

المبحث الثاني: حقيقة الروح القدس عند النصارى.

المبحث الثالث: تاريخ إضافة لفظ "والابن" إلى قانون الإيمان.

المبحث الرابع: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الكاثوليكية.

المبحث الخامس: موقف الكنيسة الأرثوذكسية من انبثاق الروح القدس.

المطلب الأول: انبثاق الروح القدس من الآب وحده عند الأرثوذكس.

المطلب الثاني: علاقة الروح القدس بالآب والابن عند الأرثوذكس.

المطلب الثالث: نتائج عقيدة الانبثاق من الآب والابن.

المطلب الرابع: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الأرثوذكسية.

المبحث السادس: الروح القدس في الإسلام.

الفصل الثالث: التناقض حول الملك الألفي.

وفيه: تمهيد، وثلاثة مباحث، على النحو التالي:

المبحث الأول: القائلون بالتفسير الحرفي للملك الألفي.

المطلب الأول: اللاحقية.

المطلب الثاني: السابقية.

المطلب الثالث: البراهين التي يستند إليها القائلون بالتفسير الحرفي.

المبحث الثاني: القائلون بالتفسير الروحي للملك الألفي

المطلب الأول: بيان عقيدتهم.

المطلب الثاني: موقفهم من القائلين بالتفسير الحرفي.

المطلب الثالث: الاعتراضات على التفسير الحرفي.

المبحث الثالث: نزول المسيح عليه السلام ومدة مكثه في آخر الزمان في الإسلام.

الفصل الرابع: التناقض حول المطْهَر.

وفيه: تمهيد، ومبحثان، على النحو التالي:

المبحث الأول: موقف الكنيسة الكاثوليكية من عقيدة المطْهَر.

المطلب الأول: تعريف المطْهَر.

المطلب الثاني: نص العقيدة.

المطلب الثالث: المجامع الكاثوليكية التي أعلنت وحددت عقيدة المطهر.

المطلب الرابع: البراهين التي يستند إليها الكاثوليك.

المطلب الخامس: العذاب في المطْهَر.

المطلب السادس: حول المطْهَر عند الكاثوليك.

المبحث الثاني: موقف الكنيسة الأرثوذكسية والبروتستانتية من عقيدة المطْهَر.

الفصل الخامس: التناقض حول صكوك الغفران.

وفيه: تمهيد، وثلاثة مباحث، على النحو التالي:

المبحث الأول: موقف الكنيسة الكاثوليكية من صكوك الغفران.

المطلب الأول: تعريف صكوك الغفران.

المطلب الثاني: نشأة صكوك الغفران.

المطلب الثالث: فلسفة منح الغفرانات في الكنيسة الكاثوليكية.

المطلب الرابع: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الكاثوليكية.

المبحث الثاني: موقف الكنيسة الأرثوذكسية والبروتستانتية من صكوك الغفران.

المبحث الثالث: منح المغفرة في الإسلام.

الفصل السادس: التناقض حول عصمة البابا عن الخطأ.

وفيه: تمهيد، وثلاثة مباحث، على النحو التالي:

المبحث الأول: موقف الكنيسة الكاثوليكية من عصمة البابا.

المطلب الأول: تعريف العصمة البابوية.

المطلب الثاني: إقرار العقيدة.

المطلب الثالث: عصمة البابا في عقيدة الكاثوليك.

المطلب الرابع: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الكاثوليكية.

المبحث الثاني: موقف الكنيسة الأرثوذكسية والبروتستانتية من عصمة البابا.

المبحث الثالث: العصمة في الإسلام.

الفصل السابع: التناقض حول الخلاص.

وفيه: تمهيد، وأربعة مباحث، على النحو التالي:

المبحث الأول: تعريف الخلاص.

المطلب الأول: الخلاص لغة.

المطلب الثاني: الخلاص اصطلاحاً.

المبحث الثاني: شرط الخلاص عند البروتستانت.

المطلب الأول: الإيمان الخلاصي عند البروتستانت.

المطلب الثاني: البراهين التي يستند إليها البروتستانت.

المطلب الثالث: نتائج الإيمان الخلاصي.

المبحث الثالث: شرط الخلاص عند الأرثوذكس والكاثوليك.

المطلب الأول: طرق نيل الخلاص عند الأرثوذكس والكاثوليك.

المطلب الثاني: الاعتراضات على فكرة الخلاص بالإيمان فقط.

المبحث الرابع: غفران الخطايا في الإسلام.

الفصل الثامن: التناقض حول العذراء مريم عليها السلام.

وفيه: تمهيد، وأربعة مباحث، على النحو التالي:

المبحث الأول: الحَبَل بلا دَنَس.

المطلب الأول: عقيدة الحبل بلا دنس عند الكاثوليك.

المطلب الثاني: الاعتراضات على هذه العقيدة.

المبحث الثاني: بُتولية العذراء الدائمة.

المطلب الأول: عقيدة بتولية العذراء عند الأرثوذكس والكاثوليك.

المطلب الثاني: الاعتراضات على هذه العقيدة.

المبحث الثالث: تلقيب العذراء بوالدة الإله.

المطلب الأول: عقيدة تلقيب العذراء بوالدة الإله عند الأرثوذكس والكاثوليك.

المطلب الثاني: الاعتراضات على هذه العقيدة.

المبحث الرابع: مريم عليها السلام في الإسلام.

الفصل التاسع: التناقض حول الأسرار الكنسية.

وفيه: تمهيد، وسبعة مباحث، على النحو التالي:

المبحث الأول: المعمودية.

المبحث الثاني: المسحة بالميرون المقدس.

المبحث الثالث: التوبة "الاعتراف".

المبحث الرابع: العشاء الرباني "الإفخارستيا".

المبحث الخامس: مسحة المرضى.

المبحث السادس: الزواج.

المبحث السابع: الكهنوت "الرسامة".

الخاتمة: اشتملت على أهم النتائج والتوصيات.

وختاماً أحمد الله تعالى حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، الذي هدانا للإسلام ووفقنا إليه، كما أحمده جل في علاه على تيسيره وعونه وتوفيقه لإتمام هذا البحث.

الباحثة



التمهيد

التمهيد

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالنصرانية.

المبحث الثاني: مصادر العقيدة النصرانية.

التمهيد

تتمحور دعوة الرسل جميعاً حول قضية إيمانية واحدة، هي الدعوة إلى توحيد الله ونبذ الشرك والوثنية(١)، فكان النداء الأول لجميع الرسل ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف ٥٩]، بها دعا نوح قومه، وإبراهيم وموسى وكذلك عيسى، شأنه في ذلك شأن كافة الرسل عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام(٢)، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦﴾ [النحل ٣٦]، وقد ذكر الله ﷻ ذلك في بيان دعوة المسيح عليه السلام وعلى لسانه فقال: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [المائدة ١١٦ – ١١٧]، إلا أن النصارى لم يثبتوا على دعوة المسيح عليه السلام التي كانت توحيداً خالصاً، ومنهجاً ربانياً واضحاً، بل انحرفوا عن الصراط المستقيم وهدي رب العالمين، فأدخلوا الخرافات والأباطيل في دينهم وتَقوَّلوا على الله بغير علم، فضلوا وأضلوا، قال تعالى:

﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي – دار الفكر – دمشق – الطبعة الأولى: (٥٧٦/١).

(٢) انظر: التحفة المقدسية في تاريخ النصرانية بدايتها ومنتهاها لأبي محمد عاصم المقدسي، منبر التوحيد والجهاد: (ص١٥).

إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [المائدة ٧٢ – ٧٣].

وبعد هذا الكفر والضلال عاش النصارى في اختلاف وشقاق وانقسام.

يقول ابن القيم رحمه الله: "ثم بعث الله سبحانه عبده ورسوله وكلمته المسيح ابن مريم صلوات الله وسلامه عليه، فجدد لهم الدين وبيَّنَ لهم معالمه ودعاهم إلى عبادة الله وحده، والتبري من تلك الأحداث والآراء الباطلة، فعادوه وكذبوه، ورموه وأُمَهُ بالعظائم، وراموا قتله فطهره الله تعالى منهم، ورفعه إليه، فلم يصلوا إليه بسوء، وأقام الله تعالى للمسيح أنصاراً دعوا إلى دينه وشريعته حتى ظهر دينه على من خالفه، ودخل فيه الملوك، وانتشرت دعوته، واستقام الأمر على السداد بعده نحو ثلاث مئة سنة. ثم أخذ دين المسيح في التبديل والتغيير حتى تناسخ واضمحل، ولم يبق بأيدي النصارى منه شيء، بل ركبوا ديناً بين دين المسيح ودين الفلاسفة عباد الأصنام، وراموا بذلك أن يتلطفوا للأمم حتى يدخلوهم في النصرانية. . . وهم حيارى تائهون، ضالون مضلون، لا يثبت لهم قدم، ولا يستقر لهم قول في إلههم، بل كلٌ منهم قد اتخذ إلهه هواه، وصرح بالكفر والتبري ممن اتبع سواه، قد تفرقت بهم في نبيهم وإلههم الأقاويل، وهم كما قال الله تعالى: ﴿ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة ٧٧]، فلو سألت أهل البيت الواحد عن دينهم ومعتقدهم في ربهم ونبيهم لأجابك الرجل بجواب، وامرأته بجواب، وابنه بجواب، والخادم بجواب! فما ظنك بمن في عصرنا هذا وهم نُخالة الماضين، وزبالة الغابرين، ونفاية المتحيرين! وقد طال عليهم الأمد وبَعُدَ عهدهم بالمسيح ودينه"(١).

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر "ابن القيم الجوزية"، تحقيق: محمد عزيز شمس، خرج أحاديثه: مصطفى بن سعيد أيتيم، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى: (٢/١٠٣٥-١٠٤٩).

المبحث الأول

التعريف بالنصرانية

النصرانية لغة: مأخوذة من: (ن ص ر) ويقال: نصرته على عدوه، ونصرته منه نصراً أي قويته، وتناصر القوم أي نصر بعضهم بعضاً، واستنصرته أي طلبت نصرته، ونَصْرَان ونَصْرَانة: قرية بالجليل من فلسطين كان فيها مولد المسيح عليه السلام، ويقال لها الناصرة ومنها اشتق اسم النصارى، ثم أطلق النصراني على كل من تعبَّد بهذا الدين، والنصرانية دينهم ومعتقدهم الذي يذهبون إليه(١).

النصرانية اصطلاحاً: "هي الدين الذي انحرف عن الرسالة التي أُنزلت على عيسى عليه السلام، مكمِّلة لرسالة موسى عليه السلام، ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم، موجهة إلى بني إسرائيل، داعية إلى التوحيد والفضيلة والتسامح، ولكنها جابهت مقاومة واضطهاداً شديداً، فسرعان ما فقدت أصولها، مما ساعد على امتداد يد التحريف إليها، فابتعدت كثيراً عن أصولها الأولى لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات وثنية"(٢).

وقيل: "هي دين النصارى الذين يزعمون أنهم أتباع المسيح عليه السلام وكتابهم الإنجيل"(٣).

وقد أُطلق على أتباع هذا الدين في القرآن الكريم:

(١) النصارى: قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [البقرة ١١١].

(٢) أهل الكتاب: قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟

---

(١) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العالمية، بيروت: (٢/٦٠٧)؛ تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد الحسيني، تحقيق: مجموعة محققين، دار الهداية: (١٤/٢٢٩-٢٣٠).

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: (٢/٥٦٤).

(٣) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود الخلف، أضواء السلف، الطبعة الخامسة: (ص١٦٥).

عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء ١٧١].

(٣) أهل الإنجيل: قال تعالى: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة ٤٧].

ويسمي النصارى أنفسهم بالمسيحيين نسبة إلى المسيح عليه السلام ويسمون ديانتهم المسيحية.

وهذه التسمية لم ترد في نصوص الكتاب والسنة، ولم ينقل عن المسيح عليه السلام إطلاقه على أتباعه هذا الاسم، وحيث إن واقع النصارى يخالف ما جاء به المسيح عليه السلام جملة وتفصيلاً، فإنَّ الحق والصواب التقيد بما جاء في النصوص، وذلك لأنَّ في نسبتهم للمسيح عليه السلام خطأ فاحشاً، إذ يلزم من ذلك عزو ذلك الكفر والضلال إلى المسيح عليه السلام وهو منه بريء(١)، يقول الباري تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المائدة ١١٦ – ١١٧]، **وفي هذه الآية** "إظهار لبراءة المسيح عليه السلام ووالدته مما نسب إليه من الدعوة إلى عبادتهما، وفيه توبيخ للنصارى الذين يزعمون اتباعهم للمسيح عليه السلام فتمردوا وطعنوا في الله جل جلاله ووصفوه بما لا يليق من اتخاذ الزوجة والولد، فجاء رد المسيح عليه السلام إقراراً منه بالعبودية لله عز وجل وتبليغه للرسالة التي كلف بها، وهي الدعوة إلى التوحيد، تكذيباً لقومه في افترائهم عليه، وتثبيتاً لحجته على قومه على رؤوس الأشهاد"(٢).

---

(١) انظر: دراسات في اليهودية والنصرانية: (ص١٦٥ – ١٦٦).

(٢) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: (٢٩٩/٤).

أشهر طوائف النصارى:

الطوائف الرئيسة في النصرانية هي: الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية[١]، أما الطوائف الأخرى فهي منبثقة من هذه الثلاثة إلى حد كبير[٢].

أولاً: الكاثوليكية:

أصل كلمة كاثوليكي مشتق من الكلمة اليونانية (KATHOLIKOS) ومعناها عام وعالمي، أي أنَّ الكاثوليكية هي الديانة المسيحية العالمية، وينسب إلى هذه الفرقة عامة المسيحيين في الغرب، لذا تسمى كنيستها بالكنيسة الغربية أو اللاتينية أو البطرسية[٣]، وتمثل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية أكبر تجمع مسيحي في العالم، حيث يقدر عدد أتباعها بنحو المليار، وقد استخدمت هذه الكلمة "الكاثوليكية" لأول مرة من قبل القديس أغناطيوس الأنطاكي[٤] في رسالته إلى السميرانيين سنة (١١٠م)، لكن الاستخدام الرسمي لها في التعبير عن الكنيسة المسيحية لم يحدث قبل القرن الثالث الميلادي، وتعتبر الكنيسة الكاثوليكية نفسها الوريث الشرعي الوحيد للمسيح، وذلك عبر سلسلة أسقفية متواصلة تبدأ من بطرس الرسول تلميذ ووصي وخليفة السيد المسيح، وتستمر عبر خلفائه من الآباء بلا انقطاع إلى يومنا هذا، للتفويض والسلطان اللذين منحهما يسوع المسيح -بزعمهم- للرسل الاثني عشر[٥] حين: "دعا تلاميذه الاثني عشر

---

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، مراجعة، د. مانع بن حماد الجهني، الطبعة الرابعة: (٥٨٣/٢-٦١٥).

(٢) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية: (ص٤٦٤).

(٣) انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند: (ص٤٦٤)، الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية، القس: إبراهيم عبد السيد ميخائيل، مطبعة المحبة، الطبعة الثالثة عشر: (ص٦).

(٤) اغناطيوس الثيؤفورس الأنطاكي: وُلد حوالي عام (٣٠م)، قيل: إنه نشأ في سوريا، رأى فيه آباء الكنيسة الغيرة المتقدة على الخلاص فرسموه أسقفاً على أنطاكية، وضع نظام التسبحة، وله العديد من العظات والرسائل، منها: إلى فيلادلفيا، وسميرنا، والقديس بوليكربس. انظر: قاموس آباء الكنيسة: نسخة إلكترونية.

(٥) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، سعد رستم، دار الأوائل للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: (ص٦٨ – ٦٩).

وأعطاهم قوة وسلطاناً على جميع الشياطين، وشفاء أمراض، وأرسلهم ليكرزوا[١] بملكوت الله، ويشفوا المرضى. وقال لهم: لا تحملوا شيئاً للطريق لا عصا ولا مزوداً ولا خبزاً ولا فضة، ولا يكون للواحد ثوبان، وأي بيت دخلتموه فهناك أقيموا ومن هناك اخرجوا، وكل من لا يقبلكم فاخرجوا من تلك المدينة وانفضوا الغبار أيضاً عن أرجلكم شهادة عليهم"[٢].

من أبرز معتقدات الكنيسة الكاثوليكية:

(١) إن للمسيح طبيعتين ومشيئتين متمايزتين[٣].

(٢) إن الروح القدس منبثق من الآب والابن معاً[٤].

(٣) تقديس البابا وادعاء عصمته عن الخطأ باعتباره معلماً دينياً، وعصمة وظيفته البابوية باعتباره رئيساً للكنيسة[٥].

(٤) يؤمن الكاثوليك بالمطْهَر، وهو مكان بين الجنة والنار تتعذب فيه النفوس التي لم تصل إلى درجة النقاء الكامل، فتتعذب فيه مدة حتى تَطْهُر، ومن ثَمَّ يسمح لها بدخول الملكوت[٦].

(٥) إنها تملك حق الغفران، تمنحه لمن تشاء، وتصدر ما يسمى بصكوك الغفران، وتبيعه للناس كوسيلة للخلاص من عذاب المطهر، أو الحد منه[٧].

---

(١) الكرازة: الوعظ والتبشير بالحقائق الإنجيلية خصوصاً والمسيحية عموماً، والكارز أو الكاروز هو: الواعظ أو المنادي بهذه البشارة، والفعل كرز، أي: وعظ ونادى وبشر بالإنجيل. قاموس المصطلحات الطقسية والكنسية،نسخة إلكترونية.

(٢) (لو ٩: ١–٥).

(٣) انظر: الفروق العقيدية: (ص١٥)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٦٤).

(٤) الطوائف المسيحية في مصر والعالم، إعداد: ماهر يونان عبد الله، تقديم ومراجعة القس: جرجس صبحي: (ص٦٠).

(٥) انظر: الفروق العقيدية: (ص٣١)، كنز النفائس في اتحاد الكنائس، نقولا أميزي، دار الشيخ عرب لدراسة الكتب السماوية: (ص١٨- ١٩، ٤٦)، الشرقيون في المجمع الفاتيكاني الأول وردة فعل الأرثوذكسية والبروتستانتية، الأستاذ الأسقف باسيليوس، تقديم: كمال أسطفان، الشبكة الأرثوذكسية العربية الأنطاكية: (ص٣١).

(٦) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٧٣ – ٧٤)، كنز النفائس: (ص١٨٢ – ١٨٣).

(٧) انظر: مصادر النصرانية، د. عبد الرزاق عبد المجيد، دار التوحيد للنشر، الرياض، الطبعة الأولى: (ص٨٧٣)، لماذا نرفض المطهر، البابا شنودة الثالث، الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، مطبعة الأنبا رويس الأوفست بالعباسية، الطبعة الأولى: (ص٧٨ – ٨٠).

(٦) إنَّ مريم العذراء والدة الإله، دائمة البتولية، مطهرة من الخطيئة الأصلية، مستحقة للعبادة، شريكة في الفداء، وتسمى لديهم بسيدة المطْهَر[١].

(٧) لا يسمح الكاثوليك بالطلاق حتى لعلة الزنا، ويكتفون بالتفريق الجسماني بين الزوجين، ويجيزون الزواج بالمسيحي وغير المسيحي، وبين الكاثوليكي وغيره من المسيحيين بترخيص من السلطة الكنسية[٢].

ثانياً: الأرثوذكسية:

كلمة يونانية الأصل مركبة من كلمتين أحداهما: (ORTHOS): وهي صفة لما هو قويم وسليم، وتأتي بمعنى الحق، والثانية: (DOXA) بمعنى المذهب والرأي والمعتقد والفكر، فيكون معنى كلمة الأرثوذكسية المعتقد القويم والمذهب الحق[٣]، وتطلق اصطلاحاً على جماعة كبيرة من المسيحيين الذين يقولون أنهم حافظوا على المعتقد الصحيح كما حددته المجامع المسكونية، تمييزاً لهم من الذين عدوا هراطقة[٤] [٥]، وتسمى كنيستهم الكنيسة

---

(١) انظر: كنز النفائس: (ص١٦٧)، الفروق العقيدية: (ص٣٢ – ٣٣)، مريم ابنة عمران بين اليهودية والمسيحية والإسلام، أبو عبد الرحمن غنيم عبد العظيم: (ص٣٢ – ٣٨).

(٢) انظر: الفروق العقيدية: (ص٢٧ – ٢٩)، كنز النفائس: (ص١٨٧)، مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، نقله إلى العربية المطران يوحنا منصور، ٢٠٠٥-٢٠٠٦م: (ص١٠٧).

(٣) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٤٧)، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند: (ص٤٧٣)، الفروق العقيدية: (ص٥).

(٤) الهرطقة: هي خطأ عقيدي ضد الخلاص والأمور اللاهوتية، والهرطوقي: هو الإنسان المبتدع الذي يقول بتعليم يخالف ما كتب في الكتاب المقدس، كما أنه لا يخضع لتعاليم الكنيسة على لسان آبائها عبر القرون، ويُسمى صاحب بدعة، ويحاكمه مجمع كنسي مسكوني أو محلي، ويتدرج عقاب المهرطق في عدة درجات: أهمها عقاب الحُرم أو الحرمان أي عدم قبوله بين النصارى؛ لأنه يعكر سلام الكنيسة، معجم المصطلحات الكنسية: نسخة إلكترونية.

(٥) الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٤٨).

الشرقية أو اليونانية؛ لأن أكثر أتباعهم من الروم الشرقيين ومن البلاد الشرقية، انفصلت هذه الكنيسة عن الكنيسة الكاثوليكية في عام: (١٠٥٤م) لأمور اختلفوا عليها[١].

ويشمل مصطلح الأرثوذكسية أسرتين من الكنائس هي:

(١) الكنائس الشرقية غير الخلقيدونية: وهي الكنائس التي رفضت قرارات مجمع خلقيدونية، وتضم الكنيسة الأرمنية والسريانية في سوريا والهند، والكنيسة القبطية في مصر وأثيوبيا وأريتريا.

(٢) الكنائس الشرقية الخلقيدونية: وتضم الكنائس الأربع القديمة في القسطنطينية والإسكندرية وأنطاكية والقدس، والكنائس الحديثة في روسيا ورومانيا وبلغاريا وصربيا وجورجيا فضلاً عن الكنائس في قبرص واليونان وألبانيا وبولندا وأمريكا[٢].

من أبرز عقائد الأرثوذكسية:

(١) تجمع الكنائس الأرثوذكسية سواء الخلقيدونية منها أو غير الخلقيدونية على انبثاق روح القدس من الآب وحده[٣].

(٢) يرى الأرثوذكس بأنه" لا طلاق إلا لعلة الزنا، ولا زواج بمطلقات، ولا بمختلفي الديانة، أو المذهب أو الطائفة، ويجوز التفريق بين الزوجين إذا خرج أحدهما عن الإيمان الأرثوذكسي"[٤].

---

(١) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند: (ص٤٧٣).

(٢) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٤٨).

(٣) انظر: الفروق العقيدية: (ص١٤)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم (ص٦٤)، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند: (ص٤٧٤).

(٤) الفروق العقيدية: (ص٢٧–٢٨)، وانظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند: (ص٤٧٤)، أسرار الكنيسة السبعة: الأرشيدياكون حبيب جرجس، مكتبة المحبة، القاهرة، الطبعة الرابعة: (ص١٤٠-١٤٣)، اللالئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة، القمص يوحنا سلامة، مكتبة مارجرجس بشيكولاني، شبرا – مصر، الطبعة الثالثة: (٢/١١٣–١١٧، ١٢٥).

(٣) ترى الكنيسة الأرثوذكسية اللاخلقيدونية أن للمسيح طبيعة واحـــدة ومشـــيئة واحدة، بينما تدعي الكنيسة الأرثوذكسية الخلقيدونية أن للمســـيح طبيعـــتين ومشـــيئتين متمايزتين، وقُرر هذا رسمياً في عام ٤٥١م[١].

ثالثاً: البروتستانتية:

كلمة بروتستانت مشتقة من الكلمة اللاتينية: (PROTESTA) وتعني الاحتجاج أو الرفض[٢]، وأطلق أول مرة على الذين احتجوا على قرارات مجلس ســـبيرز الثـــاني ســـنة (١٥٢٩م)، وتعريف البروتستانت بهذا المدلول وإن كان لا يستسيغه البروتستانت بصـــورة عامة، لأنه لا يدل على معتقداتهم، إلا أنه من الممكن اعتباره أوسع التعاريف شمولاً، جاء في مقدمة قاموس البروتستانتية:

"لا نخجل أن نقول بأن هناك علاقة بين مصطلح البروتستانتية والاحتجاج، ولكن من المهم جداً أن نوضح بأن كلمة (protest) لها معنيان: الأول سلبي، وتعني الاحتجاج كما ذكرنا، والثاني إيجابي، وتعني الإعلان أو المجاهرة أو التأكيد، وهو المعنى الـــذي تهـــتم بـــه البروتستانتية"[٣].

وبجانب مصطلح البروتستانتية استعمل مصطلح الإنجيلية للدلالة على البروتســـتانت؛ لأنهم يتبعون الإنجيل دون سواه، ويعتقدون أنَّ لكل إنسان الحق في فهمه، فالكل متساوون ومسؤولون أمامه[٤].

---

(١) انظر: الفروق العقيدية: (ص١٤)، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند: (ص٤٧٤)، طبيعة المسيح، البابا شنودة الثالث، الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، مطبعة الأنبا رويس الأوفست، العباسية، القاهرة، الطبعة الثالثة عشر: (ص٦٤).

(٢) البروتستانت والإنجيليون في العراق، حارث يوسف غنيمة، مطبعة الناشر المكتبي، بغداد ١٩٩٨م: (ص١٩)، وانظر: الفروق العقيدية: (ص٨)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب: (٦١٥/٢).

(٣) البروتستانت والإنجيليون في العراق: (ص٢١).

(٤) انظر: الموسوعة الميسرة: (٦١٥/٢)، البروتستانت والإنجيليون في العراق: (ص٢١-٢٥).

من أبرز عقائد البروتستانت:

معتقدات الفرق البروتستانتية تختلف اختلافاً بيناً فيما بينها، إلا أن هناك بعض القواسم المشتركة منها:

- الاكتفاء بالكتاب المقدس كمصدر للوحي والعقيدة والسلوك، وهم بذلك يرفضون التقليد الرسولي[١] وتعاليم آباء الكنيسة لتفسير الكتاب المقدس وفهمه.
- التبرير بالنعمة بالإيمان، أي أنَّ الإيمان وحده يكفي لخلاص الإنسان من الخطيئة.
- كهنوت المؤمنين الكلي[٢].

---

(١) التقليد الرسولي المقدس: هو التعاليم والترتيبات التي تسلمتها الكنيسة من الرسل وتلاميذهم، يهتم بالإيمان والعبادة والسلوك عند النصارى. انظر: قاموس المصطلحات الكنسية، القمص: تادرس يعقوب ملطي، نقله للقبطية د. شاكر باسيليوس، مطبعة الإخوة المصريين: (ص١٦)، قاموس المصطلحات الطقسية والكنسية نسخة إلكترونية. ولهم فيه خلاف: فالبروتستانت لايؤمنون به، ويعتبرون كل ما لم يرد بالكتاب المقدس غير مقبول شكلاً وموضوعاً، بخلاف الأرثوذكس الذين يشترطون لصحته موافقته للكتاب المقدس، وقبوله في الكنائس التي أسسها الرسل، وتأييدها بأقوال آباء الكنيسة على مر العصور، ويضيف الكاثوليك إليها قوانين كثيرة نسبت إلى تلاميذ المسيح، وآباء الكنيسة الغربية، والمجامع المسكونية والمحلية لكنيسة روما. انظر: الفروق العقيدية: (ص٢٠-٢١).

(٢) انظر: البروتستانت والإنجيليون في العراق: (ص٢٥).

المبحث الثاني

مصادر العقيدة النصرانية

المصادر التي يستقي منها النصارى عقيدتهم وشريعتهم -بحسب زعمهم- هي:

١. الكتاب المقدس.

٢. المجامع وماصدر عنها من قرارات وتشريعات. (١)

المطلب الأول: الكتاب المقدس.

الكتاب المقدس عند النصارى هو: "مجموعة أسفار العهد القديم والجديد، التي تؤمن الكنيسة المسيحية بأنها موحى بها من الله إعلاناً عن نفسه وعن مقاصده نحو البشر"(٢)، يقول الأستاذ ميشيل جرجس في كتابه الكنيسة المصرية: "الكتاب المقدس هو مجموع الأسفار التي كتبها رجال الله القديسون، بإلهام الروح القدس في أوقات مختلفة، وفيها أعلن الله مشيئته ووصاياه"(٣).

وعلى ذلك فالنصارى يؤمنون بأنَّ الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد كلمة الله التي تكلم بها، وليس مجرد تصنيف لمجموعة من المؤلفين(٤)، وكل ما دُوِّنَ فيه خالٍ من الأخطاء والزلل(٥)، فهو بذلك "أصل الإيمان المسيحي ومصدره"(٦).

يقول الشيخ رحمت الله الهندي: "اعلم أنهم يقسمون الكتب إلى قسمين:

---

(١) انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (ص١٩٥)

(٢) دائرة المعارف الكتابية، مجلس التحرير: صموئيل حبيب، فايز فارس، منيس عبد النور، جوزيف صابر، المحرر: وليم وهبة بباوي، دار الثقافة، مطبعة سيويرس، الطبعة الثانية: (٣١٣/٦).

(٣) يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، د. رؤوف شلبي، مكتبة الأزهر، الطبعة الأولى: (١٣٧/١).

(٤) انظر: موسوعة علم اللاهوت: القمص ميخائيل مينا، تعليق وتبسيط وتنسيق، دياكون ميخائيل مكسي اسكندر، مكتبة المحبة: (١١/١).

(٥) قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص واللاهوتيين، هيئة التحرير: د. بطرس عبد الملك، د. جون طومسن، أ. إبراهيم مطر، الناشر: compubriall (ص١٥٢٧).

(٦) المصدر السابق: (ص١٥٢٧).

قسم منها يدَّعُون أنَّه وصل إليهم بواسطة الأنبياء الذين كانوا قبل عيسى عليه السلام، وقسم منها يدَّعُون أنه كتب بالإلهام بعد عيسى عليه السلام، فمجموع الكتب من القسم الأول يسمى بالعهد العتيق، ومن القسم الثاني بالعهد الجديد، ومجموع العهدين يسمى (Bible) وهذا لفظ يوناني بمعنى الكتاب، ثم ينقسم كلٌ من العهدين إلى قسمين: قسم اتفق على صحته جمهور القدماء من المسيحيين، وقسم اختلفوا فيه"(١).

والعهد: "هو اتفاق بشكل ميثاق، يعقد بين طرفين بناء على رضاهما"(٢).

والعهد القديم -كما يزعم النصارى- قطعه الله مع بني إسرائيل بواسطة موسى عليه السلام، أما العهد الجديد فهو الذي قطعه الله مع البشر بواسطة المسيح عليه السلام(٣).

أولاً: العهد القديم.

ويتألف من ثمانية وثلاثين سفراً، طبقاً للأصل العبراني: (١)سفر التكوين، (٢)سفر الخروج، (٣)سفر الأحبار "اللاويين"، (٤)سفر العدد، (٥)سفر التثنية.

ومجموع هذه الأسفار الخمسة يسمى بالتوراة، وهو لفظ عبراني بمعنى التعليم والشريعة، وقد يطلق ذلك اللفظ على مجموع كتب العهد القديم مجازاً.

(٦)سفر يوشع بن نون، (٧)سفر القضاة، (٨)سفر راعوث، (٩)سفر صموئيل الأول، (١٠)سفر صموئيل الثاني، (١١)سفر الملوك الأول، (١٢)سفر الملوك الثاني، (١٣)سفر أخبار الأيام الأول، (١٤)سفر أخبار الأيام الثاني، (١٥)السفر الأول لعزرا، (١٦)السفر الثاني لعزرا ويُسمى سفر "نحميا"، (١٧)سفر أيوب، (١٨)سفر المزامير "الزبور"، (١٩) أمثال سليمان، (٢٠) سفر الجامعة، (٢١)سفر نشيد الإنشاد، (٢٢)سفر إشعياء، (٢٣)سفر إرميا، (٢٤)سفر مراثي إرميا، (٢٥)سفر حزقيال، (٢٦)سفر دانيال، (٢٧)سفر هوشع، (٢٨)سفر يوئيل، (٢٩)سفر عاموص، (٣٠)سفر

---

(١) إظهار الحق للشيخ رحمت الله الهندي، تحقيق: محمد أحمد ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: (ص٩٨).

(٢) قاموس الكتاب المقدس: (ص١٢٨٧).

(٣) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (١/١٦).

عوبديا، (٣١)سفر يونان، (٣٢)سفر ميخا، (٣٣)سفر ناحوم، (٣٤)سفر حبقوق، (٣٥)سفر صفنيا، (٣٦)سفر حجي، (٣٧)سفر زكريا، (٣٨)سفر ملاخيا[١].

ومما هو جدير بالذكر أن نسخة الكتاب المقدس المتداولة اليوم تزيد سفراً واحداً، أي أن عدد أسفارها تسعة وثلاثين سفراً، وهذا السفر الزائد يطلق عليه سفر "أستير"، وهو السفر السابع عشر من أسفار العهد القديم بعد سفر نحميا، وقبل سفر أيوب [٢]، وقد جعله الشيخ رحمت الله الهندي من ضمن القسم المختلف فيه من أسفار العهد القديم، وذلك ليس للشك في إصحاحات سفر أستير كلها بل في الإصحاحات الأخيرة منه بعد الإصحاح العاشر، لذلك أخذت هذه الإصحاحات المشكوكة مكانها في أسفار الأبو كريفا[٣] غير القانونية، وأدخل سفر أستير ضمن الأسفار القانونية المتفق عليها، فمجموع أسفار العهد القديم تسعة وثلاثين سفراً"[٤].

---

(١) إظهار الحق: (١/٩٩-١٠١).

(٢) الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف، د. يحيى محمد علي ربيع، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة، الطبعة الأولى: (ص١٦).

(٣) أبو كريفا: كلمة يونانية معناها: مخفي أو مخبأ أو سري، وقد وردت في سفر دانيال في الترجمة السبعينية للتعبير عن الكنوز المخفية، ووردت هذه الكلمة في العهد الجديد ثلاث مرات، وأطلقت في العصور المسيحية الأولى على بعض الكتب غير القانونية في العهد القديم وكذلك في العهد الجديد، ومع أن هذه الأسفار قد وضعت ضمن النسخة السبعينية للعهد القديم إلا أن علماء اليهود لم يضعوها ضمن كتبهم القانونية للأسباب التالية:

- كتبت هذه الأسفار في عصور متأخرة بعد ختم العهد الجديد، وقد سار الآباء المسيحيون الأوائل ما عدا نفر قليل منهم على نهج علماء اليهود في نظرتهم إلى هذه الأسفار، ومع أنهم اقتبسوا منها بعض الأقوال الواردة فيها إلا أنهم لم يضعوها في نفس منزلة الكتب القانونية، وقد أجازوا قراءتها للاستنارة والتعليم، ولكنها في عرفهم لم تكن صالحة كأساس لعقيدة دينية أو تعليم كنسي أو طقس ما.

- إن هذه الكتب قد نسبت لأناس لم يكتبوها أصلاً.

- إنها لا ترتقي إلى المستوى الروحي الذي في الأسفار القانونية، ولذلك لا يمكن اعتبارها وحياً.

انظر: قاموس الكتاب المقدس: (ص٤٠ - ٤١).

(٤) إظهار الحق: (١/١٠١).

القسم الثاني من العهد القديم وهو المختلف عليه عندهم:

(١)تتمة أستير، (٢)سفر باروخ، (٣)جزء من سفر دانيال، (٤)سفر طوبيا، (٥)سفر يهوديت، (٦)سفر وزدم "الحكمة"، (٧)سفر ايكليزيا ستيكس "يشوع بن سيراخ"، (٨)سفر المكابيين الأول، (٩)سفر المكابيين الثاني[١].

وهذه الأسفار تسميها الكنائس الأرثوذكسية بالأسفار القانونية الثانية، وتعترف بها الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية، بينما ترفضها الكنائس البروتستانتية، حيث يرفضها بعضهم تماماً، بينما يعتبرها بعضهم مجرد أسفار تاريخية لا ترقى إلى مستوى الأسفار المقدسة.

وقد قدم البروتستانت عدة أسباب لرفض أبو كريفا العهد القديم منها:

(١) إنَّ اليهود لم يضعوها ضمن الأسفار القانونية.

(٢) إنَّ كتبة العهد الجديد لم يستشهدوا بعبارات منها.

(٣) إنَّ الكنيسة الأولى لم تقبلها كبقية الأسفار القانونية.

(٤) يوجد أخطاء واختلافات عقدية وتاريخية في العديد من أسفار الأبوكريفا مع باقي الأسفار القانونية.

(٥) إنَّ هذه الأسفار لم تظهر إلا بعد زمن انقطاع الأنبياء[٢].

ثانياً: العهد الجديد.

يظهر العهد الجديد بمظهر مجموعة مؤلفة من سبعة وعشرين سفراً مختلفة الحجم، وضعت كلها باللغة اليونانية، و لم تجر العادة أن يطلق على هذه المجموعة عبارة العهد الجديد إلا في أواخر القرن الثاني الميلادي[٣].

---

(١) انظر: إظهار الحق: (١٠٢/١)، علم اللاهوت النظامي: جيمس أنس، مراجعة منيس عبد النور، الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة، القاهرة: (ص٥٢).

(٢) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٢٧/١-٢٩)، اللاهوت النظامي: (٥٣ – ٥٤).

(٣) أبو كريفا العهد الجديد، تجميع لكتابات الأبو كريفا المسيحية، د. إبراهيم سالم الطرزي، الطبعة الأولى: (٧/١).

ويمكن تقسيم العهد الجديد إلى أربعة أقسام:

(١) الأناجيل الأربعة: متى، مرقس، لوقا، يوحنا.

(٢) تاريخ نشأة الكنيسة: أعمال الرسل.

(٣) الرسائل: وتقسم إلى ثلاثة أقسام فرعية:

أ- رسائل الكنائس: رومية، كورنثوس الأولى والثانية، غلاطية، أفسس، فيلبي، كولوسي، تسالونيكي الأولى والثانية.

ب- رسائل رعوية: تيموثاوس الأولى والثانية، تيطس، فليمون.

جـ- رسائل جامعة أو عامة: العبرانيون، يعقوب، بطرس الأولى والثانية، ويوحنا الأولى والثانية والثالثة، ويهوذا[١].

وهذه الأسفار التي اُعترف بأنها قانونية[٢]، أصبحت -بناءً على ذلك- نصوصاً مقدسة، وحصلت منذ دخولها في القانون على نوع من الحصانة[٣].

وقد قبلتها الكنائس المختلفة بدرجات متفاوتة على مدى أزمنة وقرون عديدة من الجدل والاختلاف واللعن[٤].

الأناجيل المرفوضة:

وفيما يلي أشهر هذه الكتب كما تذكرها دائرة المعارف الأمريكية:

(١) إنجيل توما.

(٢) إنجيل متى المكذوب.

---

(١) انظر: دائرة المعارف الكتابية: (٦/٣١٥).

(٢) قانونية: مأخوذة من اللفظة "**κανών**"، اليونانية التي تعني القاعدة واللائحة معاً، فالكتب سُميت قانونية لأنها القاعدة أو المقياس لصحة تعاليم المسيح -بزعمهم- ولأنها كذلك في الوقت عينه من لائحة الأسفار التي تعترف الكنيسة بصحة تعاليمها. تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، وضعه المطران: كيرلس سليم بسترس، حنا الفاخوري، جوزيف العبسي البولسي، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م: (ص٣٧).

(٣) انظر: أبو كريفا العهد الجديد: (ص١٠).

(٤) انظر: العقائد النصرانية في القرآن الكريم، إعداد: أشرف إبراهيم سلامة، إشراف: أحمد جابر العمصي، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٢٩هـ: (ص١٨).

(٣) من بين الأناجيل العامة، توجد أربعة تسمى الأناجيل اليهودية المسيحية، وهي إنجيل العبريين، إنجيل الناصريين، إنجيل الاثني عشر، إنجيل الأبيونيين.

(٤) إنجيل المصريين: وعرف بذلك لانتشاره بينهم.

(٥) إنجيل بطرس: كان يستخدم للقراءة الخاصة أو للعبادة في الربع الأخير من القرن الثاني.

(٦) إنجيل باسيليوس: تكون قبل منتصف القرن الثاني.

(٧) إنجيل ماركيون.

(٨) إنجيل ناسينس: من الأناجيل الغنوصية.

(٩) إنجيل فيليب: كانت تستخدمه طائفة غنوصية مصرية.

(١٠) إنجيل ماتياس.

(١١) إنجيل مريم، ويوجد منه ثلاث قصاصات فقط إحداها بالقبطية.

(١٢) إنجيل برثولماوس.

(١٣) إنجيل نيقوديموس: انتشر في الفترة الأخيرة.

(١٤) إنجيل غمالائيل.

(١٥) إنجيل الكمال.

وبالإضافة إلى تلك الوثائق المذكورة آنفاً توجد وثائق أخرى ذكرها آباء الكنيسة الأولى، ولا يوجد منها بقايا أو نصوص، فهي مطموسة المعالم لعلماء اليوم ومنها: إنجيل أندراوس، إنجيل أعمال أندراوس، إنجيل الانكراتيين، رؤيا استفانوس، إنجيل الحق، هذا بالإضافة إلى رسائل أخرى كثيرة كتبت تحكي أعمال الرسل[١].

ومما لا شك فيه أنَّ امتداد أيدي النصارى إلى الإنجيل المنزل على عبد الله ورسوله وكلمته المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وتبديلهم وتحريفهم وطمسهم لما جاء فيه، يعد أهم عامل مؤثر في انحراف النصرانية عن الصراط المستقيم وهدي رب العالمين.

(١) انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية: (ص٣٦ – ٣٨).

المطلب الثاني: المجامع النصرانية.

وتعرف بأنها: "هيئات شورية[١] في الكنيسة تبحث في الأمور المتعلقة بالديانة النصرانية وأحوال الكنائس"[٢]، ويعد مجمع أورشليم المنعقد سنة (٥٠م) أول مجمع عقدته الكنيسة[٣].

وتنقسم المجامع إلى قسمين:

(١) مجامع مسكونية: أي تجمع رجال الكنائس المسيحية في كل أنحاء المعمورة.

(٢) مجامع مكانية: وهي التي تعقدها كنائس مذهب أو أمة في دوائرها الخاصة من أساقفتها وقساوستها إما لإقرار عقيدة أو لرفض عقائد أخرى[٤].

وهناك من قسَّم المجامع إلى ثلاثة أقسام:

(١) المجامع المكانية: وهي التي يجتمع فيها الأسقف والشمامسة في مركز الأبيارشية[٥] لتدبير أمورهم الخاصة.

(٢) المجامع الإقليمية: وهذه ظهرت مع التنظيم الكنسي وكانت تجتمع برئاسة مطران[٦] الإقليم أي أسقف المدينة الأولى في الإقليم.

---

(١) هكذا يزعم النصارى أنها هيئات شورية، بينما يجد الناظر في واقع تلك المجامع التي بحثت في العقيدة أنها تنتهي دون أن يتفق المجتمعون على الأمور التي بحثت! ! ، فيكون هناك جبر وموافقة قسرية على تلك الأمور، وإذا لم يمكن الجبر يحدث الانقسام بين الكنائس مما يتنافى مع كونها هيئات شورية، إلا أنْ يقال: إنها هيئات شورية إلزامية.
انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: (ص٢٤٩).

(٢) المصدر السابق: (ص٢٤٩).

(٣) انظر: محاضرات في التاريخ الكنسي "المجامع الكنسية" نيافة الأنبا يوآنس أسقف الغربية، مطبعة الأنبا رويس الأوفست، العباسية، القاهرة، الطبعة الأولى: (ص١٣).

(٤) محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة: (ص١٢١).

(٥) الأبرشية: "parisk" كلمة يونانية، ومعناها المقاطعة أو المديرية، وهي كلمة تطلق على المنطقة التي يرعى شعبها مطران أو أسقف، ويساعده الكهنة أو الشمامسة "مكان خدمة الأسقف". معجم المصطلحات الطقسية والكنسية، نسخة إلكترونية.

(٦) المطران: هو رئيس لمجموعة من الأساقفة. قاموس المصطلحات الكنسية: (ص٥٠).

(٣) المجامع المسكونية: وكان يحضرها أساقفة من أنحاء العالم المسيحي شرقاً وغرباً لضرورات حتمية تختص بالإيمان والعقيدة(١).

وقد كانت المجامع الكنسية تعقد غالباً بسبب بدعة ظهرت، فأقلقت سلام الكنيسة، فيتقابل الطرفان المتنازعان وجهاً لوجه في هذه المجامع، وكانت هذه المجامع تعقد في أغلب الأحيان تحت رئاسة مدنية، وكان لتدخل الإمبراطور في شؤون الكنيسة التي لا يعرف عنها الكثير أثرٌ مباشرٌ في انقسام الأساقفة بين مؤيد للإمبراطور ومعارض له، وبالتالي انقسام بين بعضهم البعض، وهكذا أصبحت المجامع سواء المسكونية منها أو المكانية والتي عقدت في الأصل من أجل تنظيم شؤون الكنيسة ورعايتها موضع نزاع وشقاق وفرقة، حيث كانت في الأصل وسيلة للحكم على قديسين، وعقبة في عودة روح الوئام بين الكنائس بسبب قرارات فرقت أكثر مما جمعت.

يقول أحد القديسين حزيناً: "أحيي من بعيد هذه السِّنودسات والمجامع، لأنني أعلم أنها مقلقة. . . . لن أجلس أبداً بعد الآن في مثل هذه الاجتماعات"(٢).

يقول المؤرخون: "إن الإحصائيات التي أجريت لمعرفة عدد المجامع التي انعقدت بين المدة من القرن الأول المسيحي إلى عام: (١٨٦٩م) تساوي عشرين مجمعاً، مع الاختلاف والإنكار لعمومية بعضها أو لصحة قراراتها.

وأخطر المجامع التي لها صلة بانحراف عقائد النصارى عن التوحيد إلى التثليث أربعة:

(١) مجمع نيقية الأول سنة: (٣٢٥م).

(٢) مجمع القسطنطينية الأول (٣٨١م).

(٣) مجمع أفسس (٤٣١م).

---

(١) محاضرات في التاريخ الكنسي: (ص١٨ – ٢٠).

(٢) انظر: قوانين المجامع المسكونية وخلاصة قوانين المجامع المكانية، القس اثناسيوس المقاري، مطابع النوبار، العبور، الطبعة الأولى: (ص١٨).

(٤) مجمع خلقيدونية (٤٥١م)"[١].

وتعترف الكنيسة الكاثوليكية بـــ ٢١ مجمعاً وتعتبرها مجامع مســكونية وتأخــذ بقراراتها جميعاً وهي:

(١) مجمع نيقية الأول سنة: (٣٢٥م).

(٢) مجمع القسطنطينية الأول (٣٨١م).

(٣) مجمع أفسس (٤٣١م).

(٤) مجمع خلقيدونية (٤٥١م).

(٥) مجمع القسطنطينية الثاني (٥٥٣م).

(٦) مجمع القسطنطينية الثالث (٦٨٠ – ٦٨١م).

(٧) مجمع نيقية الثاني (٧٨٧م).

(٨) مجمع القسطنطينية الرابع (٨٦٩ – ٨٧٠م).

(٩) مجمع لاتيران الأول (١١٢٣م).

(١٠) مجمع لاتيران الثاني (١١٣٩م).

(١١) مجمع لاتيران الثالث (١١٧٩م).

(١٢) مجمع لاتيران الرابع (١٢١٥م).

(١٣) مجمع ليون الأول (١٢٤٥م).

(١٤) مجمع ليون الثاني (١٢٧٤م).

(١٥) مجمع فينا (١٣١١ – ١٣١٢م).

(١٦) مجمع كونستانس (١٤١٤ – ١٤١٨م).

(١٧) مجمع بيزل (١٤٣١ – ١٤٤٢م).

(١٨) مجمع لاتيران الخامس (١٥١٢م).

(١٩) مجمع ترينت (١٥٤٥- ١٥٦٣م).

---

(١) المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، د. سلطان عبد الحميد سلطان، مطبعة الأمانة، الطبعة الأولى: (ص٨٣ – ٨٤).

(٢٠) مجمع الفاتيكان الأول (١٨٦٩ – ١٨٧٠م).

(٢١) مجمع الفاتيكان الثاني (١٩٦٢ – ١٩٦٥م)[١].

وتعترف الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة اللاخلقيدونيـــة بثلاثـــة مجـــامع مسكونية فقط هي:

(١) نيقية (٣٢٥م).

(٢) القسطنطينية (٣٨١م).

(٣) أفسس (٤٣١م).

وبتسعة مجامع مكانية:

(١) قرطاجة (٢٥٧م).

(٢) أنقرة (٣١٤م).

(٣) قيصرية (٣١٥م).

(٤) غنغرا (٣٤٠م).

(٥) أنطاكية (٣٤١م).

(٦) سرديقة (٣٤٣م).

(٧) اللاذقية (أواخر القرن الرابع).

(٨) القسطنطينية (٣٩٤م).

(٩) قرطاجة (٤١٩م).

أما الكنائس الأرثوذكسية البيزنطية الخلقيدونية فتعترف بسبعة مجامع مسكونية هي:

(١) نيقية (٣٢٥م).

(٢) القسطنطينية (٣٨١م).

(٣) أفسس (٤٣١م).

(٤) خلقيدونية (٤٥١).

---

(١) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٧١)؛ قوانين المجامع المسكونية وخلاصة قوانين المجامع المكانية: (١٧-١٨).

(٥) القسطنطينية الثاني (٥٥٣م).

(٦) مجمع ترولو " القبة " (٦٩٢م).

(٧) نيقية الثاني (٧٨٧م).

كما تعترف بمجامع مكانية أخرى هي:

قرطاجة (٢٥٧م).

مجمع القسطنطينية (٣٩٤م).

بالإضافة إلى مجامع مكانية حديثة أهمها:

القسطنطينية (١٣٤١م)، (١٣٥١م).

جاسي (١٦٤٢م).

أورشليم (١٦٧٢م)[١].

المجمع المسكوني الأول: مجمع نيقية (٣٢٥م).

انعقد هذا المجمع في نيقية في شهر مايو سنة (٣٢٥م) بدعوة من الإمبراطور قسطنطين الكبير لحسم بعض المسائل الدينية[٢] وفي مقدمتها المشكلة التي أثارها آريوس[٣].

أسباب انعقاده:

(١) النظر في دعوة آريوس التي أنكر فيها لاهوت المسيح، وأنه غير مساوٍ للآب في الجوهر.

(فالله إله واحد غير مولود، أزلي، أما الابن فمخلوق غير مولود من جوهر الآب، خرج من العدم كسائر الخلائق حسب مشيئة الله وقصده) وشايع آريوس في دعوته العديد من الأساقفة،

---

(١) انظر: قوانين المجامع المسكونية: (ص١٣-٢١).

(٢) انظر: محاضرات في التاريخ الكنسي: (ص٢٤).

(٣) آريوس (٢٥٦-٣٣٦): ليبي الجنسية، كان عالماً مثقفاً، وواعظاً مفوهاً، وعالماً في التفسير، رفض الكثير من التعاليم المنتشرة في عصره حول المسيح وهاجمها، من مؤلفاته: المثالية. انظر: تاريخ الفكر المسيحي، د. حنا جرجس الخضري، دار الثقافة، القاهرة، طبع بمطبعة دار الطباعة القومية بالفجالة: (١/٦١٨-٦٢٣).

وحاول البابا بطرس وقف آريوس وإرجاعه عن تعاليمه التي وصفت بالفساد، ولما لم يقبل أعلن حرمه[١].

(٢) الخلاف حول تحديد يوم عيد القيامة: وقد ظهر هذا الخلاف في وقت مبكر بين كنائس آسيا الصغرى وبين كنيسة روما حين أعلن القديس بوليكريوس أسقف أزمير أنه ينبغي الاحتفال بذكرى الصليب يوم١٤ نيسان العبري، وهو اليوم الذي صُلب فيه المسيح - بزعمهم- وتذكار القيامة في السادس عشر منه، وهو اليوم الذي قام فيه المسيح، وظل هذا الخلاف قائماً حتى تم حسمه في مجمع نيقية[٢].

(٣) الشقاق الذي أحدثه ملاتيوس أسقف أسيوط الذي رسم ثلاثين أسقفاً بدون إذن رئيس الكنيسة، مما اضطر البابا بطرس أن يعقد مجمعاً مكانياً حرم فيه ملاتيوس وأساقفته[٣].

(٤) موضوع إعادة معمودية الهراطقة: وهذه مشكلة هامة شغلت الكنيسة ردحاً من الزمن، والمشكلة تتلخص في: هل يعاد عماد الهراطقة التائبين؟ وما هو وضع الذين قبلوا العماد على أيديهم؟.

وظهر الخلاف جلياً بين القديس كبريانوس أسقف روما الذي يرى بأن المعمدين من يد الهراطقة هم وحدهم الذين يجب إعادة معموديتهم، أما الذين قبلوا العماد من الكنيسة الأرثوذكسية فعمادهم صحيح ولا يعاد، على عكس اسطفانوس الذي نادى بعدم جواز إعادة المعمودية إطلاقاً[٤].

جلسات المجمع:

اختيرت مدينة نيقية لانعقاد المجمع لتوسط موقعها بين آسيا وأوروبا، بالإضافة إلى جوها الصحي، وخصص لاجتماعات المجمع الساحة الوسطى في القصر الإمبراطوري بالمدينة نظراً لاتساعه.

---

(١) انظر: تاريخ الفكر المسيحي: (١/٦٢١-٦٢٢)، محاضرات في التاريخ الكنسي: (ص٢٧-٣٠)، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: (ص٢٥٠ - ٢٥١).

(٢) انظر: محاضرات في التاريخ الكنسي: (ص٢٤ - ٢٥).

(٣) المصدر السابق: (ص٢٦).

(٤) المصدر السابق: (ص٢٦).

بدأت وفود الأساقفة تصل إلى نيقية قبل الموعد المحدد، وبلغ عدد الآباء الذين حضروا المجمع ٣١٨ أسقفاً منهم ٣١٠ من الشرق، وثمانية أساقفة من الغرب، وافتتح المجمع في ٢٠ مايو سنة: (٣٢٥م).

وانتهى في ٢٥ أغسطس، وكانت الجلسة الأولى جلسة افتتاحية، ولما بـدأ المجمـع بمزاولة أعماله والنظر في دعوة آريوس حدث جدل ونقاش حاد، مما دعا إلى رفع الجلسـة وانفضاضها دون نتيجة.

وفي اليوم التالي قدم آريوس صورة معتقده (أن الابن ليس مساوياً للآب في الأزلية، وليس من جوهره، وأن الآب كان في الأصل وحيداً، وأخرج الابن من العدم بإرادته، وأن الابن إله لحصوله على لاهوت مكتسب).

وبعد نقاش كبير أخذ رأي المجمع ووضع قانون الإيمان كالتالي:

"نؤمن بإله واحد، الله الآب ضابط الكل، خالق السماء والأرض، ما يرى ومـا لا يرى، نؤمن برب واحد، يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الـدهور نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء، هذا الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد مـن الروح القدس ومن مريم العذراء، تأنس وصلب على عهد بيلاطس النبطي، تألم وقبر، وقـام من الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب، وصعد إلى السماوات وجلس عن يمين أبيـه، وأيضاً يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات، الذي ليس لملكه انقضاء".

ولقد وقع على قانون الإيمان هذا أكثر من (٣٠٠) أسقفاً، وخرجوا بتقرير ألوهية المسـيح عليه السلام وأنه ابن الله، أي من ذات الله، وأنه مساو لله، وأنه مولود منه غير مخلوق، كما قرروا أن هذا الإله تجسد بصورة البشر لخلاص الناس، ثم ارتفع إلى السماء بعد قيامته من المـوت. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وامتنع آريوس وأنصاره عن التوقيع، فحرمهم المجمع ولعنهم، كما قرر نفي آريوس وحرق كتبه[١].

قرارات المجمع:

(١) موعد عيد القيامة: وقد قرر المجمع أن يُعيدَ جميع المسيحيين في موعد واحد هو يوم الأحد الذي يلي عيد فصح اليهود، وقرر أن بابا الإسكندرية هو الذي سيقوم سنوياً بإبلاغ أساقفة العالم عن موعد عيد القيامة.

(٢) بخصوص الشقاق الذي أحدثه ملاتيوس أسقف أسيوط:

قرر المجمع حفظ حقوق بابا الإسكندرية الواجبة في رئاسته على الأساقفة الذين في إقليم مصر.

(٣) معمودية الهراطقة: أيد المجمع رأي الكنائس الشرقية في أنه لا تعاد معمودية من هرطق عند رجوعه، وأوجب إعادة معمودية من يعمدهم الهراطقة.

(٤) زواج الكهنة: قرر المجمع السماح لمن يريد من الكهنة أن يتزوج مع الاحتفاظ ببتولية الأساقفة، وعدم زواج الكهنة المترملين[٢].

المجمع المسكوني الثاني: مجمع القسطنطينية (٣٨١م).

انعقد هذا المجمع وهو ثاني المجامع المسكونية في مدينة القسطنطينية سنة (٣٨١م) بدعوة من الإمبراطور ثيودسيوس للنظر في بعض الدعوات التي ظهرت عقب مجمع نيقية[٣] وأهم هذه الدعوات:

---

(١) انظر: المصدر السابق: (ص٣١-٣٤)، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: (ص٢٥٣-٢٥٤)، عصر المجامع: القمص كيرلس الأنطوني، تعليق دياكون: ميخائيل مكسي اسكندر، مكتبة المحبة، الطبعة الأولى: (ص٨٧-١٠٨).

(٢) محاضرات في التاريخ الكنسي: (ص٣٥).

(٣) انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: (ص٢٥٣)، محاضرات في التاريخ الكنسي: (ص٤٠)، تاريخ الفكر المسيحي: (٦٦٤/١).

(١) دعوة "أبوليناريوس"[١] أسقف اللاذقية بالشام الذي كان يعلم بأن لاهوت المسيح قد قام مقام الروح الجسدية وتحمل الآلام والصلب والموت مع الناسوت، كما كان يعلم بعدم مساواة الأقانيم[٢] لبعضها فقال: إن الروح القدس عظيم والابن أعظم والآب أعظم منهما.

(٢) دعوة "أوسابيوس" الذي علم بأن الثالوث القدوس أقنوم واحد ظهر في العهد القديم كآب، وصار إنساناً في العهد الجديد بصفة ابن، وحلَّ على الرسل في علية صهيون بصفة الروح القدس.

(٣) دعوة "مقدونيوس" الذي كان يعلم بأن الروح القدس عمل إلهي منتشر في الكون، وليس أقنوماً متميزاً عن الآب والابن، بل هو مخلوق يشبه الملائكة ذو رتبة أسمى.

فحضر ذلك المجمع (١٥٠) أسقفاً، ورأسه الأنبا ملاتيوس أسقف أنطاكية[٣]، ويمكن القول بأن مجمع القسطنطينية كان مجمعاً شرقياً خالصاً، إذ لم يحضره أحد من أساقفة الغرب، وأعلن في هذا المجمع أن الروح القدس هو الأقنوم الثالث من الثالوث الأقدس وأنه مساوٍ للآب والابن[٤]، ثم أكملوا قانون إيمان نيقية بعد أن أدخلوا عليه بعض التعديلات والإضافات.

فكان نص قانون الإيمان الذي نسب إلى مجمع القسطنطينية هو: "نؤمن بإله واحد، آب ضابط الكل، خالق السماء والأرض، كل ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للآب في الجوهر الذي به كان كل شيء، الذي من أجلنا نحن

---

(١) أبوليناريوس (٣١٠ – ٣٩٠): أسقف اللاذقية، كان متعمقاً في الفلسفة الأرسطية، ومناضلاً ضد الذين رفضوا قانون الإيمان النيقوي. انظر: تاريخ الفكر المسيحي: (٦٦٧/١–٦٧١)، عصر المجامع: (ص١٥٢–١٥٣).

(٢) الأقنوم: كلمة سريانية تشير لكائن حي قدير ومستقل بذاته، وجوهر روحي، ويستخدمها علماء لاهوت النصارى للتعبير عن شخصية كل من الآب والابن والروح القدس، انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٦٣/١).

(٣) الأنبا ملاتيوس الأنطاكي: ولد في أوائل القرن الرابع في مدينة ملاطيا بأرمينيا، اهتم والداه بتربيته وتعليمه وتهذيبه، نشأ محباً للفضيلة، راغباً في الوحدة والعزلة، تم نفيه أكثر من مرة، رأس مجمع القسطنطينية وتوفي قبل أن ينتهي المجمع من عقد جلساته ووضع قراراته سنة ٣٨١ م. انظر: عصر المجامع: (ص ١٥٩–١٦٢).

(٤) انظر: المجامع المسكونية: (ص٤٠–٤٤)، عصر المجامع: (ص١٥٠–١٦٩).

البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العــذراء، وتأنس وصلب عنا على عهد بيلاطس النبطي، وتألم وقُبر، وقام في اليوم الثالث على مــا في الكتب، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الآب، وأيضاً يــأتي بمجــد ليــدين الأحيــاء والأموات، الذي لا فناء لملكه وبالروح القدس، الرب المحيي المنبثق من الآب الذي هو مــع الآب والابن مسجود له وممجد، الناطق بالأنبياء، وبكنيسة واحدة جامعة مقدسة رســولية، ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، ونترجى قيامة الموتى والحيــاة في الــدهر العتيــد آمين"(١).

فوضع بذلك الجزء الأخير من قانون الإيمان الخاص بلاهوت الروح القدس، وأبــانوا فيه انبثاق الروح القدس من الآب فقط، وتمسكت الكنيسة شرقاً وغرباً بما دوَّنه الآباء دون زيادة أو نقصان، حتى أضافت الكنيسة الكاثوليكية فيما بعد عبارة "والابــن"، ثم نــادت بانبثاق الروح القدس من الآب والابن(٢)، وسيأتي الحديث عن ذلك بمزيد من التفصــيل في الفصل الثاني.

وحاول آباء المجمع اقناع مقدونيس بخطئه، طالبين منه الإقلاع عنه والعودة إلى الإيمان المستقيم، ولكنه رفض وأصر على رأيه، فقضى المجمع بحرمه ونفيه، كما استدعى المجمع كل من أبوليناريوس وأوسابيوس وناقشهما في آرائهما ولما أصرا عليها حكم بحرمهما وقطعهما من شركة الكنيسة والمؤمنين(٣).

ووضع المجمع سبعة قوانين لسياسة الكنيسة:

القانون الأول: يعلن التمسك بدستور إيمان مجمع نيقية ورفض كل التعاليم الغريبة عنه.

القانون الثاني: خاص بتحديد مناطق نفوذ الكراسي الرسولية والأسقفيات.

القانون الثالث: يثبت تقدم كرسي القسطنطينية باعتبارها مدينة الملك.

---

(١) تاريخ الفكر المسيحي: (١/٦٦٥–٦٦٦)، وانظر: عصر المجامع: (١٧٧ – ١٧٨).

(٢) انظر: عصر المجامع: (١٩٧–١٨٠).

(٣) انظر: المجامع المسكونية: (ص٤٤).

القانون الرابع: خاص برذل المدعو مكسيموس السينيكي الذي سعى للجلوس على كرسي القسطنطينية.

القانون السادس: يعالج موضوع النظر في الدعاوى المقدمة ضد الأساقفة.

أما القانون الخامس والسابع: فينظمان ما ينبغي اتخاذه عند رجـــوع الهراطقـــة أو أتباعهم إلى الإيمان(١).

المجمع المسكوني الثالث: مجمع أفسُس (٤٣١م).

لم يمض أكثر من نصف قرن على انتهاء المجمع المسكوني الثاني، حتى ظهرت دعوات اعتبرتها الكنيسة بدعاً وضلالات يجب مواجهتها، فعقد المجمع المسكوني الثالث(٢) في أفسس بسبب موقع هذه المدينة الجغرافي وإمكانية الوصول إليها بسهولة، كما أنها امتازت بتوفير ما يحتاجه أعضاء المجمع من منتجات، وتتمتع هذه المدينة بشهرة أخرى وهي تعظيمها للعذراء تعظيماً وصل لحد العبادة(٣).

أسباب انعقاد المجمع:

١- لمواجهة دعوة "بيلاجوس": الذي نادى بأن خطيئة آدم قاصرة عليه دون ذريته، وأن كل إنسان عند ولادته يكون كآدم قبل الخطيئة، ثم قال: إن الإنسان بقوتـــه الطبيعيـــة يستطيع الوصول إلى أسمى درجات القداسة دون الحاجة إلى معونة النعمة الإلهيـــة، وبهـــذه التعاليم فإن بيلاجوس ينكر فكرة الفداء(٤).

---

(١) المجامع المسكونية: (ص٤٤)، وانظر: عصر المجامع: (ص١٨٠-١٨٨).

(٢) انظر: عصر المجامع: (ص٢١٤).

(٣) انظر: تاريخ الفكر المسيحي: (٢٣١/٢).

(٤) انظر: محاضرات في التاريخ الكنسي: (ص٤٦)، عصر المجامع: (ص٢١٤-٢١٥)، المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية: (ص١٠٤).

٢- لمواجهة دعوة "نسطور"[١]: وتعدُّ دعوة نسطور أونسطوريوس السبب المباشـــر لعقد هذا المجمع، حيث نادى بأن في المسيح أقنومين وشخصين وطبيعتين، ولا ينبغي تبعـــاً لذلك تسمية العذراء بوالدة الإله[٢]، يقول في إحدى خطبه: "لا يجوز لأحد أن يدعو مريم "والدة الإله"، لأن مريم لم تكن إلا امرأة، ومن المستحيل أن يولد الله من امرأة"، وقال: "إن لقب والدة الإله له مذاق وثني وهو يتعارض مع التعبيرات الواردة في الكتب المقدسة مثـــل "بلا أب، بلا أم"[٣].

كما يقول: "لقد كانت مريم أماً للطبيعة الناسوتية فقط، وكل ما يمكن أن يقال عن مريم بحق أنها كانت مستودعاً لله" – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً – وأنها ولدت المســـيح الإنسان فهي والدة المسيح، كما يصرح بقوله: "إني أفصل بين الطبيعتين، أما الاحترام الذي أقدمه لهما فمتصل"[٤]، فأثار بأقواله هذه شعب أفسس الذين عدوا نسطوريوس وأتباعه من الهراطقة، فعاملوهم معاملة قاسية[٥].

(١) نسطور: لم يستطع المؤرخون والعلماء الاتفاق لا على أصله ولا على ميلاده، فقد تضاربت الآراء، فقيل: أنه ينحدر من عائلة سورية، وقيل: بل فارسية، فيما يظن البعض أنه من أصل يوناني، التحق بدير في أنطاكية يدعى دير "آيربيوس" حيث كان يتمتع بشهرة علمية عظيمة، تأثر بشدة بتعاليم ثيودوريوس الموبسويستي، كان واعظاً مفوهاً وخطيباً قديراً، عُين رئيساً لأساقفة مدينة القسطنطينية سنة (٤٢٨م)، انظر: تاريخ الفكر المسيحي: (٢/١٥٣ – ١٥٨).

(٢) انظر: محاضرات في التاريخ الكنسي: (ص٤٦-٤٧)، عصر المجامع: (ص٢١٥ – ٢١٦).

(٣) (عب ٧: ٣).

(٤) اللاهوت المقارن: الأنبا غريغوريوس، مكتبة المتنيح الأنبا غريغورويوس، دير الأنبا رويس بالعباسية: (ص١٨٠-١٨١).

(٥) انظر: تاريخ الفكر المسيحي: (٢/٢٣٣ – ٢٣٤).

جلسات المجمع:

انعقد المجمع في الكنيسة الكبرى بأفسس بأمر من الإمبراطور ثيؤدوسيوس الصغير[١] بحضور مائتي أسقفاً[٢]، واختير لرئاسته البابا كيرلس الإسكندري[٣]، وأرسل الآباء إلى نسطور ثلاث مرات ليمثل أمام المجمع فرفض الحضور محتجاً بأنه لا يرى لزوماً لحضوره قبل وصول يوحنا الأنطاكي[٤] وأساقفته[٥]، ثم بدأ المجمع مناقشة تعاليم نسطور وآرائه وأصدر حكماً ضد نسطور جاء فيه:

"حيث إن نسطور كلي النفاق، قد رفض أن يخضع لصوت دعوتنا إياه، و لم يقبل الأساقفة الذين أرسلناهم إليه من قِبلنا، لم يمكننا أن نتأخر عن أن نفحص تعاليمه الآثمة، وبما أننا قد تحققنا من رسائله وأقواله قبل افتتاح المجمع ما يبرهن على معتقده الأثيم، لهذا رأينا بناءً على القوانين المقدسة أن نبرز ضده هذا الحكم بكل حزن ودموع سائلين المولى بواسطة هذا المجمع المقدس أن يعدمه درجة الأسقفية، وليكن مفرزاً من أي شركة كهنوتية" [٦].

وبعد أن وقع الجميع على الحكم السابق أرسلوا كتاباً إلى نسطور قائلين فيه:

---

(١) الإمبراطور ثيؤدوسيوس الصغير: نُصِبَّ ملكاً بعد وفاة والده سنة (٤٠٨م)، كان شغوفاً بدراسة الكتاب المقدس، أصدر أمراً بإلغاء الأغاني المبتذلة، وإغلاق أماكن اللهو، أحضر رفات يوحنا فم الذهب الذي نفته والدته واضطهدته من روما إلى أنطاكية، وبكى عند رؤيته لهذا الرفات طالباً من الرب أن يغفر لوالديه اللذين اضطهداه. انظر: عصر المجامع: (ص٢٣٨-٢٣٩).

(٢) انظر: عصر المجامع: (ص٢٣٥).

(٣) كيرلس الكبير الإسكندري: الملقب بعمود الدين وعمود الإيمان، ولد سنة (٣٦٦م)، تتلمذ على يد علماء مدرسة الإسكندرية، عاش مناضلاً مكافحاً، كان شديد المراس، شديد الغيرة إلى درجة العنف والقسوة، وضع تفسيراً للكتاب المقدس، يُعد عند النصارى أعظم معلم لسر التجسد الإلهي. انظر: القديس كيرلس الكبير الإسكندري "عمود الإيمان"، الأنبا غريغوريوس، إعداد: منير عطية، مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريس، شركة الطباعة المصرية: (ص٣-١٥).

(٤) يوحنا الأنطاكي: رئيس أساقفة أنطاكية، قام بدور مهم وفعال في مجمع أفسس الأول الذي أصدر حرمانه ضد كيرلس، بذل مجهوداً جباراً بعد مجمع أفسس في إعادة السلام إلى الكنيسة المنقسمة، فوقع معاهدة الصلح التي أجراها كيرلس معه ومع الشرقيين سنة: ٤٣٣م، توفي سنة: ٤٤١م، وقيل: ٤٤٢م. انظر: تاريخ الفكر المسيحي: (١٧٧/٣).

(٥) انظر: محاضرات في التاريخ الكنسي: (ص٥١).

(٦) عصر المجامع: (ص٢٤٩ – ٢٥٠).

"من المجمع المقدس الملتئم بمدينة أفسس برحمة الله تعالى، وبموجب تعاليم مخلصنا الفادي، وباسم جلالة الإمبراطور المحب للعبادة والحسن الديانة إلى نسطور يهوذا الثاني:

اعلم أنه لأجل تعاليمك وعصيانك على القوانين قد عزلت وقطعت من هذا المجمع المقدس بموجب قوانين الكنيسة، وحكم عليك بأنك عديم الدرجة ومسلوب الوظيفة ومحروم من كل خدمة كنسية"(١).

ثم قرر المجمع بحسب التعليم الرسولي: "إن سر التجسد قائم في اتحاد اللاهوت والناسوت في أقنوم الكلمة الأزلي بدون انفصال ولا امتزاج ولا تغيير، وأن السيدة العذراء هي والدة الإله، ثم وضع الآباء مقدمة قانون الإيمان التي مطلعها:

"نعظمك يا أم النور الحقيقي، ونمجدك أيتها العذراء القديسة والدة الإله، لأنك ولدت لنا مخلص العالم، أتى وخلص نفوسنا، المجد لك يا سيدنا وملكنا المسيح، فخر الرسل، إكليل الشهداء، تهليل الصديقين، ثبات الكنائس، غافر الخطايا، نكرز ونبشر بالثالوث المقدس، لاهوت واحد، نسجد له ونمجده، يا رب ارحم، يا رب ارحم، يا رب بارك. . آمين".

كما حكم المجمع أيضاً بحرم بيلاجوس، وهنا رفعت الجلسة الأولى وأعلنت الأحكام للشعب الذي فرح كثيراً عندما علم بحرم نسطور، وبدأ يهتف للقديس كيرلس الإسكندري؛ لأنه ثبت الإيمان القويم(٢) كما يزعمون.

لم يقبل نسطور حكم المجمع، بل ذهب إلى القسطنطينية يحمل معه تقاريراً دونها مندوب الملك كنديديان "الموالي لنسطور"، وملأها بالطعن في رئيس المجمع وأعضائه، وبعد خمسة أيام وصل يوحنا الأنطاكي ومعه (٣٢) أسقفاً، ولما وقف على حكم المجمع غضب كثيراً -كان موالياً لنسطور- ثم كون مجمعاً من أساقفته قرر فيه عزل كيرلس الإسكندري

---

(١) المصدر السابق: (ص٢٥٠)، وانظر: محاضرات في التاريخ الكنسي: (ص٥١ – ٥٢).

(٢) انظر: عصر المجامع: (ص٢٥٠ – ٢٥١)، محاضرات في التاريخ الكنسي: (ص٥١ – ٥٢).

وممنون أسقف أفسس، ورفض قبول أساقفة المجمع الأفسسي في شركته إن لم يتزلوا عن قراره!!

ثم عقدت الجلسة الثانية للمجمع الأفسسي في ١٠ يوليه سنة (٤٣١م)، فحضرها مندوبو روما مع الأساقفة، وتليت أعمال الجلسة، وأيد مندوبو روما القديس كيرلس الإسكندري، وفي اليوم التالي عقدت الجلسة الثالثة، ووقع فيها مندوبو روما على حكم المجمع وقراراته، ثم عقدت الجلسة الرابعة في يوم ٢٦ يوليه للنظر فيما عمله يوحنا الأنطاكي وأساقفته، وأرسل الآباء استدعاء ليوحنا على دفعتين متتاليتين، غير أنه رفض الاشتراك معهم، وفي جلسة تالية أرسل المجمع إليه ولكنه أصر على عدم الحضور؛ لانتظاره أوامر من الإمبراطور، فبحث الأعضاء موقفه من جميع النواحي وأصدروا قراراً بتبرئة القديس كيرلس الإسكندري، وممنون أسقف أفسس، كما حرموا يوحنا الأنطاكي، ثم عقد المجمع جلساته الأخيرة ووضعوا فيها ثمانية قوانين لسياسة الكنيسة، قرر في الستة الأولى منها إيقاع الحرم على كل من ينحرف عن الإيمان القويم ويشارك نسطور في معتقده، كما وافق على قبول كل من يرذل هذه التعاليم النسطورية.

وأعلن أن ما يجريه الأساقفة منحرفو الإيمان من رسامات تعتبر باطلة ولا قيمة لها، وفي القانون السابع تحذير وحرم لكل من تسول له نفسه أن يعبث بقانون الإيمان الذي وضعه الآباء بزيادة أو نقص أو رفض للتمسك به، أما القانون الثامن فقد حدد سلطة كل من الأساقفة، كما حرم على الأسقف أن يتعدى على حقوق غيره[١].

المجمع المسكوني الرابع: خلقيدونية (٤٥١م).

انعقد مجمع خلقيدونية في مدينة خلقيدونية إحدى مدن آسيا الصغرى القديمة، واختلف المؤرخون في عدد آباء هذا المجمع، فمن قائل أنهم كانوا (٣٣٠) أسقفاً، ومن قائل

---

(١) انظر: عصر المجامع: (ص٢٥١–٢٥٨)، محاضرات في التاريخ الكنسي: (ص٥٢–٥٤).

بأنهم بلغوا (٦٣٠) أسقفاً، وقد عقدت الجلسة الأولى لهذا المجمع في الثامن من شهر أكتوبر سنة (٤٥١م) في كنيسة القديسة أوفيمية للبحث في طبيعة المسيح[(١)].

وقرر المجتمعون فيه: أن للمسيح ذاتاً واحدة من طبيعتين متحدتين: طبيعة لاهوتية وأخرى ناسوتية، من غير تحول ولا انفصال ولا انقسام، وقرر الأساقفة تعليم الكنيسة المتعلق بطبيعة المسيح بالصورة التالية:

"إنا نعلم أن المسيح ابن الله الوحيد هو رب واحد من طبيعتين بدون امتزاج ولا تغير وبدون تقسيم وتفريق، ودون أن يلغي هذا الاتحاد تمايز الطبيعتين مع بقاء خواص كل من الطبيعتين على حالها"[(٢)]، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وكان المناصرون لهذا القول هم الأساقفة الغربيون الذين لعنوا وطردوا كل من لا يقول بهذا القول، ولم توافقهم الكنائس الشرقية وأصروا على قرارهم السابق في أفسس بأن للمسيح طبيعة واحدة إلهية وإنسية، معتبرين مجمع خلقيدونية مجمعاً زائفاً؛ لابتداعه تعليماً غريباً بمناداته بطبيعتين في المسيح بعد الاتحاد[(٣)]، وسيأتي الحديث عن ذلك تفصيلا في الفصل الأول.

وهنا يتضح أنَّ تناقض النصارى في دينهم إنما يعود للتناقض الحاصل في مصادرهم التي يستقون منها عقائدهم وشرائعهم سواء كان ذلك عن طريق:

أ- كتابهم المقدس الذي يعج بالاختلافات والتناقضات، ليست بين سفر وآخر، ولا بين إصحاح وآخر فحسب، بل داخل الإصحاح الواحد أحياناً[(٤)]، كما سيتضح ذلك لاحقاً مما يستحيل معها نسبة ذلك الكتاب إلى وحي إلهي.

---

(١) انظر: عصر المجامع: (ص٢٢٦، ٢٢٨).

(٢) انظر: تاريخ الفكر المسيحي: (٢١١/٣-٢٩٠)، مجموع الشرع الكنسي: حنانيا إلياس كساب، مع توطئة البطريرك إلياس الرابع، مطبعة النور، الطبعة الثانية: (ص٣٩٥-٣٩٧)، محاضرات في النصرانية: (ص١٣٥- ١٣٩)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٩٥)، المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية: (ص١١١).

(٣) انظر: عصر المجامع: (ص٣٦٤)، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: (ص٢٥٧).

(٤) انظر: الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف: (ص٢٢٥-٣٥٢).

ب- علماء النصارى الذين كانوا يحرفون دينهم عمداً إذا رأوا في التحريف مصلحة لهم وانتصاراً لطائفتهم، وقد اتضح ذلك في قرارات مجامعهم المتعددة التي كان لها الأثر الكبير في تحريف النصرانية وانقسام أهلها إلى طوائف وأحزاب.

الفصل الأول

تناقض النصارى حول طبيعة المسيح عليه السلام ومشيئته.

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقف الكنيسة الأرثوذكسية "اللاخلقيدونية" من طبيعة المسيح عليه السلام ومشيئته.

المبحث الثاني: موقف الكنيسة الكاثوليكية ومن وافقها من طبيعة المسيح عليه السلام ومشيئته.

المبحث الثالث: المسيح عليه السلام في الإسلام .



الفصل الأول

تناقض النصارى حول طبيعة المسيح عليه السلام ومشيئته.

تمهيد:

كان تقرير ألوهية المسيح عليه السلام عملاً معقداً سبَّب الكثير من الاختلافات والاتجاهات ليس بين من قالوا به ومن أنكروه فحسب، بل بين الطوائف التي اتفقت على المبدأ واعتنقته ثم عادت لتفكر به، وكان مصدر هذا الاختلاف هو التوفيق بين ألوهية المسيح عليه السلام التي صدر بها قرار وصار الاعتقاد بها ملزماً، وبين الواقع وهو أن المسيح عليه السلام كان يتمتع بكامل الصفات البشرية.

ويرجع هذا الاختلاف إلى العصور الأولى لتقرير العقائد النصرانية، فبعد أن قرر مجمع نيقية (٣٢٥م) ألوهية المسيح عليه السلام، اختلف المؤلهون في طبيعته التي صار بها إلهاً، فلم يتفقوا على كُنه هذا التأليه، ولا على طبيعة هذا الإنسان المؤلَّه، هل هو من طبيعة إلهية خالصة؟ أم من طبيعتين إحداهما لاهوتية والأخرى ناسوتية؟ وكيف تلاقت هاتان الطبيعتان؟ هل امتزجتا؟ وما نوع هذا الامتزاج؟ (١).

وقد أدى هذا الاختلاف إلى انقسام الكنيسة إلى طوائف ومذاهب مختلفة، يقول البابا شنودة الثالث: "موضوع طبيعة المسيح موضوع هام جداً، كان سبب انقسام خطير في الكنيسة في منتصف القرن الخامس سنة (٤٥١م)، حيث نشأت مشكلة الطبيعتين والمشيئتين، وبدأ صراع لاهوتي وانشقاق ضخم في الكنيسة نحاول حالياً إنهاءه بالوصول إلى صيغة إيمان مشترك يقبله الجميع"(٢).

---

(١) انظر: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، د. أحمد عجيبة، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى: (ص٣٧٩)؛ نصرانية عيسى ومسيحية بولس، صلاح العجماوي، لواء الحمد للنشر والإعلان، الطبعة الأولى: (ص١٣).

(٢) طبيعة المسيح: (ص٥، ١٢)، وانظر: الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٢١)، نصرانية عيسى ومسيحية بولس: (ص١٢١).

المبحث الأول: موقف الكنيسة الأرثوذكسية "اللاخلقيدونية" من طبيعة المسيح عليه السلام ومشيئته.

تعتقد الكنيسة الأرثوذكسية "اللاخلقيدونية " بالطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة للمسيح عليه السلام. حيث ترى اتحاد لاهوته مع ناسوته، بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ولا استحالة، إذ لم يعد له طبيعتان منفصلتان بعد الاتحاد، ويعرف هؤلاء بأصحاب الطبيعة الواحدة(١).

المطلب الأول: طبيعة المسيح عليه السلام عند الأرثوذكس "اللاخلقيدونيين".

أولاً: حد الطَّبِيعَة.

"الطَّبِيعَة "هي: السجية، وهي القوة السارية التي يصل بها الجسم إلى كماله الطبيعي.

وطبيعة الماء والهواء والنار: هي ما سخر الله تعالى من مزاجه(٢).

و"الطَّبِيعَة" مزاج الإنسان المركب من الأخلاط(٣).

و"الطَّبِيعَة" لدى النصارى هي "ماهية الشيء وحقيقته"(٤).

ثانياً: تعتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية اللاخلقيدونية "أنَّ الله الكلمة (اللوجوس) اتخذ جسداً بشرياً ذا نفس عاقلة، واتحد به اتحاداً طبيعياً أقنومياً، وقد توحَّد الجوهران (اللاهوت والناسوت) بطبيعتهما وحدة باطنية فصارا واحداً، بغير اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة (تغيير) ولا انحلال منذ حدوثه وإلى الأبد"(٥)، "فلم يعد له طبيعتان منفصلتان بعد الاتحاد"(٦).

---

(١) انظر: الفروق العقيدية: (ص١٤)، طبيعة المسيح: (ص٨)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٦٤)، نظرة شاملة لعلم الباترولوجي في الستة قرون الأولى: القمص تادرس ملطي، مطبعة دير الشهيد مارمينا العجائبي بمريوط، الطبعة الأولى: (ص١١٧).

(٢) المعجم الوسيط، مكتبة دار الشروق الدولية، الطبعة الرابعة: (٥٥٠/٢).

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: (١٩١/٢).

(٤) موسوعة علم اللاهوت: (١٥/١).

(٥) المصدر السابق: (١٠٩/١، ٤٦١/٤).

(٦) الفروق العقيدية: (ص١٤)، وانظر: الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٦٤).

يقول البابا شنودة الثالث: "هو الإله الكلمة المتجسد له لاهوت كامل، وناسوت كامل، ولاهوته متحد بناسوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير، اتحاداً أقنومياً جوهرياً تعجز اللغة أن تعبر عنه، حتى قيل: إنه سر عظيم.

وهذا الاتحاد دائم لا ينفصل مطلقاً ولا يفترق، نقول عنه في القداس الإلهي: إن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين، فالطبيعة اللاهوتية (الله الكلمة) اتحدت بالطبيعة الناسوتية التي أخذها الكلمة (اللوجوس) من العذراء مريم بعمل الروح القدس، الروح القدس طهّر وقدَّس مستودع العذراء طهارة كاملة، حتى لا يرث المولود منها شيئاً من الخطية الأصلية، وكوَّن من دمائها جسداً اتحد به ابن الله الوحيد، وقد تم هذا الاتحاد منذ اللحظة الأولى للحبل المقدس في رحم السيدة العذراء.

وباتحاد الطبيعتين الإلهية والبشرية داخل رحم السيدة العذراء تكونت منهما طبيعة واحدة هي طبيعة الله الكلمة المتجسد"(١).

وقد أعلن الأرثوذكس عن مذهبهم في طبيعة المسيح عليه السلام في مجمع عُقد لهذا الغرض بمدينة أفسس بالأناضول عام (٤٣١م)، واتخذ المجمع قراراً يوافق عقيدة البابا كيرلس بطريرك الإسكندرية، وهو يقضي بأن للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة، ففي المسيح أقنوم واحد تم بعد الاتحاد، وبدون اختلاط ولا امتزاج، ولذلك فالعذراء -بزعمهم- تدعى بحق والدة الإله.

يقول البابا كيرلس: "إن لسيدنا يسوع المسيح أقنوماً إلهياً، اتحد بالطبيعة الإنسانية اتحاداً تاماً، بلا اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة، فالعذراء والحالة هذه هي بحق والدة الإله، فمريم لم تلد إنساناً عادياً بل ابن الله المتجسد؛ لذلك هي حقاً أم الله"(٢).

ويشرح الأب متى المسكين هذه العقيدة فيقول: إن الإيمان المسيحي الأرثوذكسي هو "اتحاد الطبيعة البشرية مع الطبيعة الإلهية، في شخص ربنا يسوع المسيح اتحاداً كاملاً كلياً غير مفترق ولا منقسم، أي: وحدة كاملة مطلقة في الطبيعة والأقنوم. . . ، إذ يقول بولس الرسول:

---

(١) طبيعة المسيح: (ص٧)، وانظر: نصرانية عيسى ومسيحية بولس: (ص١٣٢-١٣٣). اللاهوت المقارن، الأنبا غريغوريوس: (ص٢٣٠)، اللاهوت المقارن، البابا شنودة الثالث، الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس مطبعة الأنبا رويس الأوفست بالعباسية. الطبعة الأولى: (١١/١).

(٢) تاريخ الأقباط: زكي شنودة، جمعية التوفيق القبطي، لجنة التاريخ والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى: (١٦٠/١-١٦١).

"ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة"[١]، وشرح بولس إمكانية هذه الولادة بقوله: "أخلى نفسه آخذاً صورة عبد"[٢].

وبهذا يكون بولس الرسول قد رفع كل الغموض والاستحالة في إمكانية ولادة الله، وكشف سرَّ هذا التواضع الخطير من جانب ابن الله الذي أجراه في ذاته مرتضياً أن يحمل به في بطن العذراء ويولد منها كطفل، وهذا السر العجيب هو معجزة التجسد الأساسية وإحدى صفات الألوهية المدهشة، أي سر تواضع الله المعروف بالتعبير اللاهوتي بالإخلاء، أي قدرة الله على إخلاء ذاته من مجد الألوهية في تواضع فائق لإمكانية الظهور للإنسان بأية صورة مبسطة. . . -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- فالتجسد في الإيمان الأرثوذكسي: هو اتحاد كامل بين الطبيعتين غير مفترق قط من بعد الاتحاد لأقنوم واحد هو الإله الخالق ابن الله المتجسد، فالمولود من العذراء هو ابن الله المتجسد وليس مجرد إنسان.

إذاً لا يوجد ابنان ابن لله وابن للعذراء، بل ابن واحد هو ابن الله الذي لما تجسد صار أيضاً ابن الإنسان دون أن يفقد شيئاً من شخصيته الإلهية على الإطلاق"[٣].

وعند سؤالهم عن الدليل على تجسد ربهم، وحدوث اتحاد حقيقي بين اللاهوت والناسوت في المسيح؟!

يجيب الأرثوذكس بأنه نتائج الاتحاد! ! ؛ لأن الاتحاد لا يدرك بالمشاهدة العقلية، وإنما يتوصل إليه الإيمان بالأعمال وبأسلوب الحياة الذي عاش به الرب.

يقول القديس كيرلس الإسكندري في المقالة الثالثة ضد نسطور: "لأنه جعل كل ما يخص جسده خاصاً به، أو ملكاً له، رغم أنه بالطبيعة غير جسدي؛ لأنه من فوق من السماء، ولذلك ينسب مجيئه من السماء إلى ذاته، رغم أنه كان يتكلم وهو في الجسد كإنسان، ورغم أنه ولد حسب الجسد من امرأة، وهكذا صارت صفات جسده هي صفات

---

(١) (غلا ٤: ٤).

(٢) (في ٢: ٧).

(٣) العذراء القديسة مريم: الأب متى المسكين، مطبعة دير القديس أنبا مقار، القاهرة، الطبعة الثانية: (ص٧-٨).

الكلمة، وصفات الكلمة هي صفاته، بل ذات صفات طبيعته الإنسانية، ولذلك نعتقد بالمسيح الواحد الابن والرب"(١). تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وهذا الإيمان تشترك فيه الكنائس القبطية والحبشية والسريانية والأرمينية وهي الكنائس الأرثوذكسية اللاخلقيدونية(٢).

ويطلق عليهم أيضاً (المونوفيزين)(٣) أي: القائلون بالطبيعة الواحدة، وتعبير أصحاب الطبيعة الواحدة كما يذكر البابا شنودة الثالث قد أدى إلى صراع طائفي بين النصارى حيث قال: "إن تعبير أصحاب الطبيعة الواحدة قد أسيء فهمه عن قصد أو غير قصد خلال فترات التاريخ، فاضطهدت الكنيسة القبطية والسريانية اضطهادات مروعة بسبب اعتقادها في الفترة من مجمع خلقيدونية حتى بدء دخول الإسلام إلى مصر وسوريا"(٤).

المطلب الثاني: طبيعة الاتحاد وكيفيته عند الأرثوذكس.

يقول حبيب جرجس في كتابه الأصول الإيمانية: "اتحد اللاهوت بالناسوت بدون اختلاط ولا امتزاج، وباتحادهما معاً بدون اختلاط ولا امتزاج صار المسيح ذاتاً واحدة، جوهراً واحداً، طبيعة واحدة"(٥).

---

(١) الخليقة الجديدة في المسيح يسوع حسب لاهوت وطقوس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، د. جورج حبيب بباوي، رسالة دكتوراه مقدمة إلى جامعة كامبريدج، انجلترا، ١٩٧٠م: (ص١٩٣، ١٩٤).

(٢) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٦٤)، طبيعة المسيح: (ص٨)، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي عبد الواحد مكتبة روضة مصر بالفجالة، الطبعة الأولى: (ص١٠٨).

(٣) المونوفيزين: في اللغة اليونانية صفة، وتعني: بمفرده، وحيد، منفرد بنفسه فقط بدون مرافقة أو مصاحبة، فرد متفرد الوجود، وتستخدم كصفة في اللغة الانجليزية، والتعبير: "موني فيزيس" تعبير مركب، ويعني: طبيعة وحيدة، وليس طبيعة واحدة وهو تعبير حديث للدارسين المعاصرين، انظر: نظرة شاملة لعلم الباترولوجي: (ص٣٦٤-٣٦٩).

(٤) طبيعة المسيح: (ص٨)، وانظر: دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، الأب جان كمبي، دار المشرق، بيروت، الطبعة الأولى: (١/١٢٨).

(٥) خلاصة الأصول الإيمانية في معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية: حبيب جرجس (ص٢٨-٢٩) نقلاً عن تأثر المسيحية بالأديان الوضعية: (ص٣٨٠).

فوحدة الطبيعة بين اللاهوت والناسوت هي وحدة حقيقية باطنية حصلت بين جوهر لاهوتي وجوهر ناسوتي و لم يخرج كل واحد منهما عن جوهريته وعنصره، وعليه فلا مجال للقول بعد ذلك أن هناك طبيعتين، وإلا فلا يكون الاتحاد صحيحاً[(١)].

بلا اختلاط: أي لم يختلط اللاهوت بالناسوت كما تختلط المواد بعضها ببعض كاختلاط القمح بالشعير.

ولا امتزاج: فلم يمتزج اللاهوت بالناسوت كامتزاج السوائل بعضها ببعض، مثل: مزج الخمر بالماء ونحوه.

ولا تغيير: فلم تتغير طبيعة اللاهوت بحلولها في الناسوت و لم تتغير طبيعة الناسوت بحلول اللاهوت فيها، كالتغيير الذي يحدث في المركبات.

مثال ذلك: ثاني أكسيد الكربون فيه كربون وأكسجين وقد تغير طبع كل منهما في هذا الاتحاد، وفقد خاصيته التي تميزه قبل الاتحاد، بينما لم يحدث هذا التغيير لا في اللاهوت ولا في الناسوت باتحادهما.

ولا استحالة: فما استحال اللاهوت إلى ناسوت، ولا استحال الناسوت إلى لاهوت[(٢)].

أما عن كيفية الاتحاد عند الأرثوذكس فيقولون: إنه تم بطريقة سريَّة لا تدرك ولا تفهم بالعقل! !.

يقول الأنبا الأرثوذكسي غريغوريوس في كتابه اللاهوت المقارن: "ولكن كيف صار هذا الاتحاد؟ وكيف يكون لطبيعة المسيح الواحدة صفات اللاهوت وصفات الناسوت معاً بدون اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير؟ وكيف يكون للمسيح صفات الطبيعتين ولا تكون له الطبيعتان؟

---

(١) انظر: اللاهوت المقارن: الأنبا غريغوريوس: (ص٢٣٠-٢٣١)، موسوعة علم اللاهوت: (١٠٩/١)؛ تاريخ الأقباط للمقريزي، تحقيق: عبد المجيد ذياب، دار الفضيلة، الطبعة الأولى: (ص١٣٨).

(٢) انظر: طبيعة المسيح: (ص١٢).

هذا ما لا نعرف، إنه سر من الأسرار الإلهية لا يمكن أن نفهمه أو نعيـــه أو تحتويـــه عقولنا، ومن هنا سُمي في الاصطلاح الكنسي بسر "التجسد الإلهي"، فنحن نؤمن بنوع من الاتحاد يفوق كل فهم بشري وكل تصور، وقد تكون هذه مشكلة كبيرة بالنسبة للعقـــل، وقد يكون فيها تناقض وقد يكون فيها تعارض مع قوانين العقل والمنطق والحـــس والمـــادة والمصطلحات الفلسفية، كل هذا قد يكون صحيحاً، وهذا هو الإيمان بلا فحـــص، الـــذي يصرخ من أجله الكاهن القبطي في خدمة القداس الإلهي، فالتفرقة بين الطبيعـــة اللاهوتيـــة والطبيعة الناسوتية تفرقة ذهنية بحتة لا وجود لها في الواقع للسيد المسيح (الإله المتأنس)، ذلك أنه لم يحدث بتاتاً أن الناسوت واللاهوت كانا منفصلين أو مفترقين في الخارج ثم اتحدا بعد ذلك.

إن ما حدث هو هذا: أن الأقنوم الثاني من اللاهوت المقدس نزل وحلَّ في أحشـــاء البتول مريم، وأخذ من لحمها ودمها جسداً ذا نفس إنسانية ناطقة عاقلة".

ويوافقه الدكتور وهيب عطا جرجس حيث يعترف بهذا التنـــاقض فيقـــول: "إن في ديانتنا أسراراً نؤمن بها ونقبلها بكل يقين وإيمان، لا لشيء إلا لأنها قد أعلنت لنا مـــن الله، ونحن نؤمن بها بالرغم من معارضتها لحواسنا أو مناقضتها لعقلنا المادي، لا لشيء إلا لأننـــا أيقنا بأنها من الله"(١).

---

(١) اللاهوت المقارن: الأنبا غريغوريوس (ص٢٣١-٢٣٢)، وانظر: نصرانية عيسى ومسيحية بولس: (ص١٣٢).

ويُشبه الأرثوذكس الاتحاد بين اللاهوت والناسوت في السيد المسيح بما يلي:

١. باتحاد الحديد المحمي بالنار، فلا الحديد يستحيل إلى نار ولا النار تستحيل إلى حديد، وإن كان هذا الحال ليس إلى دوام، وهنا نقطة الخلاف.

٢. باتحاد الروح بالجسد التي نسميها (الطبيعة البشرية)، وإن كان هذا التشبيه ناقصاً لأن النفس تنفصل عن الجسد بالموت، أما الاتحاد القائم بين اللاهوت والناسوت فغير قابل للانفصال لحظة واحدة أو طرفة عين.

٣. باتحاد الفحم بالنار في جمرة الفحم، ففي الجمرة صفات الإضاءة والإحراق، وفيها الصفات المادية من كتلة ووزن.

ومع ذلك يعتقد الأرثوذكس بأن هذه المشابهات جميعا ناقصة ومعيبة، ولا يمكن مقارنتها بالاتحاد القائم بين اللاهوت والناسوت؛ لأنه سر لا يعبر عنه، بل يفوق العقول والأفهام البشرية! ! (١).

ويقرر الأنبا الأرثوذكسي غريغوريوس ويوافقه د. وهيب جرجس في أن الخلاف بين الكنائس الأرثوذكسية الخلقيدونية القائلة: "إن المسيح هو شخص واحد بطبيعتين متحدتين ومتمايزتين وواضحتين، ولكنه شخص واحد، إله واحد، أقنوم واحد"، وبين الكنائس اللاخلقيدونية القائلة: "بالطبيعة الواحدة" هو خلاف لفظي فحسب، ذلك أن كلا الفريقين يُقرّان بالاتحاد بين اللاهوت والناسوت، وأن الخلاف في الحقيقة هو خلاف على التعبير الصحيح الذي ينبغي أن يعبر به النصارى عن إيمانهم بحقيقة الاتحاد القائم بين اللاهوت والناسوت.

ثم يثبت تمسكهم بتعبير "الطبيعة الواحدة للكلمة المتجسد"، أو "طبيعة واحدة من طبيعتين"، أو "طبيعة واحدة لها خصائص وصفات الطبيعتين بدون اختلاط ولا امتزاج ولا

---

(١) انظر: اللاهوت المقارن: الأنبا غريغوريوس (ص٢٣٢)، طبيعة المسيح: (ص١٢-١٥). موسوعة علم اللاهوت: (١١٣/١). تاريخ الفكر المسيحي: (١٠٥/١-١٠٦).

تغيير"، لأسباب هي بعينها الأسباب التي يرفض بها الأرثوذكس الإقرار بتعبير الغربيين "طبيعتان متحدتان":

أ- عدم وجود نص كتابي واحد يدل بوضوح على أن للسيد المسيح طبيعتين بعد الاتحاد، بل النصوص على خلاف ذلك.

ب- إن التعبير القائل "بطبيعتين متحدتين للمسيح" تعبير خطير؛ لأنه يشتمل على معاني تتعارض مع حقائق الدين المسيحي:

١- حيث إنه يتضمن الثنائية في السيد المسيح والثنائية نوع من الافتراق والانفصال بين لاهوت المسيح وناسوته.

٢- إن التعبير القائل "بالطبيعتين المتحدتين" يحمل التصريح بأنَّ هناك طبيعتين للسيد المسيح كانتا مفترقتين ثم اجتمعتا معاً، وهذا ما ترفضه الكنائس الخلقيدونية رفضاً تاماً، وتعتبره هرطقة فاسدة.

٣- إن تعبير "الطبيعتين المتحدتين" تعبير هادم لقضية الفداء والخلاص الذي قام به المسيح من أجل الجنس البشري؛ لأنه إذا كانت للسيد المسيح طبيعتان بعد الاتحاد، فمن المنطقي أن عمل الفداء قام به جسد المسيح؛ لأنه هو الذي وقع عليه الصلب، وعلى ذلك ففداء المسيح ليست له أي قوة على خلاص الجنس البشري، إذ يكون الذي مات من أجل العالم هو إنسان فقط مع أن الفداء يأخذ كل قيمته في أنَّ الذي صلب عنا هو بعينه (الكلمة المتجسد). حقاً إنَّ اللاهوت لم يتألم بآلام الصليب التي وقعت على الناسوت، ولكن اللاهوت هو الذي أعطى فعل الصلب قيمته اللانهائية لفداء جميع أفراد النوع الإنساني.

إنَّ تعبير "الطبيعة الواحدة" تعبير سليم ينقذ قضية الفداء من الانهيار، بينما القول "بطبيعتين متحدتين" يقبل الاحتمال بأن الصلب كان صلباً لجسد يسوع فقط، ولم يكن صلباً للمسيح باعتباره الإله المتجسد، وهذا يفقد الخلاص كل قيمته التي يتعلق

عليها فداء الجنس البشري بأسره، وهو معنى تُعارضه كل نصوص الكتاب المقدس التي تتكلم عن الفداء.

٤- إنَّ تعبير "الطبيعتين المتحدتين" لا يستطيع أن يفسر اعتقاد الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية الخلقيدونية في أنَّ القديسة مريم والدة الإله، فلو كان في المسيح طبيعتان لكانت العذراء هي والدة الإنسان فقط.

أما التعبير القائل بالطبيعة الواحدة "للكلمة المتجسد" فهو وحده الذي يمكن أن يفسر الاعتقاد في أنَّ العذراء والدة الإله من حيث إنَّ الذي ولد من مريم هو الإله المتجسد، ولو كان في المسيح طبيعتان لكانت العذراء والدة الإنسان يسوع فقط، ولا يصح تلقيبها "بوالدة الإله"، لأنها ليست أصلاً اللاهوت"[١].

المطلب الثالث: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الأرثوذكسية في اعتقادها بطبيعة المسيح المتحدة.

من أهم النصوص التي استندت إليها الكنيسة الأرثوذكسية للبرهنة على صحة اعتقادهم:

أولاً: البراهين الكتابية:

أ- "أنا هو الأول والآخر والحي، وكنت ميتاً وها أنا حيٌّ إلى أبد الآبدين"[٢]. فالمسيح هنا لم يفصل بين لاهوته وناسوته، وهو يتحدث عن موته، فالمسيح بعينه هو الأول والآخر وهو بعينه الحي الذي كان ميتاً، لأن قوله: "الأول والآخر" يشير إلى طبيعة اللاهوت، وقوله: "الحي وكنت ميتاً" يشير إلى طبيعة الناسوت فالمعنى الصحيح لا يستقيم إلا إذا

---

(١) اللاهوت المقارن: الأنبا غريغوريوس (ص٢٣٢ – ٢٣٥)، وانظر: نصرانية عيسى ومسيحية بولس: (ص١٣٢).

(٢) (رؤ ١: ١٧-١٨).

اعتقد بالوحدة الجوهرية التي صيرتهما ذوي طبيعة واحدة، فينسب لأحدهما ما يلائم الآخر(١).

ب- قال يسوع: "قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن"(٢). فالضمير أنا لا يدل على الطبيعتين بل على الطبيعة الواحدة فهو جوهر واحد، أقنوم واحد، طبيعة واحدة، وهذا يعني خلوده من جهة ولاهوته من جهة أخرى(٣).

ج- تعبير "ابن الإنسان"، فاستخدام ابن الإنسان في مواضع كثيرة تدل على اللاهوت، على سبيل المثال: "ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء"(٤). فمن هو هذا ابن الإنسان الذي نزل من السماء؟ والذي هو في السماء ويكلم نيقوديموس على الأرض؟ أهو الطبيعة الإلهية أم الطبيعة البشرية؟ لا يمكن أن يكون هو إلا "الكلمة المتجسد"، فهذه العبارة واضحة في إثبات الطبيعة الواحدة(٥) كما يزعم الأرثوذكس وقوله: "لو عرفوا لما صلبوا رب المجد"(٦).

فالذي كان منظوراً على الصليب هو "ابن الإنسان"، ولكن وحدة الطبيعة بين اللاهوت والناسوت جعلت هذه الآية واضحة والفداء أبدياً، فاللاهوت لم يتألم أو يمت، ولكن مات الجسد البشري" الناسوت"، وعن طريق اللاهوت "المتحد به" أصبح الفداء أبدياً إذ لم يمت سوى إنسان بشري(٧).

---

(١) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (١/١١٤)، طبيعة المسيح: (ص٢٠). اللاهوت المقارن: الأنبا غريغوريوس (ص٢٣٣).

(٢) (يو ٨: ٥٨).

(٣) انظر: اللاهوت المقارن: الأنبا غريغوريوس (ص٢٣٣)، موسوعة علم اللاهوت: (١/١١٤)، المسيحية في جوهرها: جون ستوت، تعريب: نجيب غالي، دار يوسف كمال للطباعة: (ص٣٨).

(٤) (يو ٣: ١٣).

(٥) طبيعة المسيح: (ص٢٤).

(٦) (١ كو ٢: ٨).

(٧) موسوعة علم اللاهوت: (١/١١٥).

ثانياً: شهادة الآباء القديسين لطبيعة المسيح المتحدة(١):

أ- قال القديس أثناسيوس الرسولي(٢): "إنه يجب أن نعتقد بطبيعة واحدة وأقنوم واحد (الله الكلمة المتجسد المتأنس بالكمال)، ومن لا يقول كذلك فإنه يخاصم الله، ويحارب الآباء القديسين"، كما قال: "هذا الواحد -الإله- هو ابن الله بالروح، وهو ابن الإنسان بالجسد، وليس للابن الواحد طبيعتان إحداهما مسجود لها، والأخرى غير مسجود لها؛ بل طبيعة واحدة لكلمة الله المتجسد الذي نسجد له مع جسده سجوداً واحداً، والذي يقول: إن جسد الرب من السماء ليس هو من مريم العذراء، أو أن اللاهوت استحال إلى الناسوت أو أن لاهوت الابن تألم، فهذا تحرمه الكنيسة المقدسة".

ب- قال القديس البابا كيرلس الإسكندري الملقب "بعمود الدين": "إنه من الضروري أن نرى في اجتماع الطبيعتين في الرب الواحد المسيح بالاتفاق الذي فيه تشترك كل طبيعة في الأخرى حسب إرادة الأقنوم، حتى أنَّ الواحد بعينه يظل الابن الوحيد كإله، وبكر كل خليقة كإنسان".

كما قال: "إننا لا نعري الناسوت من اللاهوت، ولا نعري الكلمة من الناسوت، بعد ذلك الاتحاد الغامض الذي لا يمكن تفسيره، بل نعترف بأن المسيح الواحد هو من مشيئتين قد اجتمعتا إلى واحد مؤلف من كليهما، لا بهدم الطبيعتين ولا باختلاطهما، بل باتحاد شريف إلى الغاية بوجه غريب".

وقال أيضاً: "طبيعة الكلمة لم تتحول إلى طبيعة الجسد ولا طبيعة الجسد تحولت إلى طبيعة الكلمة، ولكنَّ كلا منهما ظلت كما هي في ذاتيتها، بحسب طبيعة كل منهما في

---

(١) موسوعة علم اللاهوت: (١/١١٦-١١٩). اللاهوت المقارن: الأنبا غريغوريوس (ص٢٩٦-٢٩٩). نظرة شاملة لعلم الباترولوجي: (ص١٢١، ٣٦٥)، الخليقة الجديدة في المسيح يسوع حسب لاهوت وطقوس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية: (ص١٩٥). الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، نهاد خياطة، دار الأوائل: (ص٩٣).

(٢) أثناسيوس الرسولي: (٢٩٥-٣٧٣م) لُقب بحامي الإيمان. بابا الإسكندرية يُدعى: عمود الكنيسة، والمناضل عن الحقيقة، طرد ونفي أثناء أسقفيته خمس مرات، له مؤلفات كثيرة يتحدث فيها عن الحقائق اللاهوتية وينسب إليه كتاب قانون ايمان القديس أثناسيوس. انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: (ص٤٥٢-٤٧١)، القديس كيرلس الكبير: الأنبا غريغوريوس، مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس، شركة الطباعة المصرية: (ص٣).

حالة اتحاد فائق للوصف والتفسير، وقد ظهر لنا من هذا طبيعة الابن الواحدة، ولكن كما قلت متجسدة".

وقال: "من أجل ذلك أقول: إن كلمة الله (اللوجوس) لا يُدعى يسوع المسيح بانفصاله من الناسوت، ولا الهيكل أيضاً المولود من امرأة يسمى يسوع المسيح إلا باتحاده مع الكلمة، لأن كلمة الله المتجسد بالطبع البشري باتحاد تدبيري عجيب يُعرف أنه المسيح".

ج- وقال القديس يوحنا ذهبي الفم[1]: "ولكنني أبين الأمر، إنَّ الله الكلمة أخذ الإنسان كله من طبيعتنا، وهو كامل في كل شيء، وله أقنومه فيه، أعني الكلمة؛ فلأجل هذا نقول عنه ذو طبيعة واحدة الله الكلمة صار جسداً ".

د- وقال القديس غريغوريوس العجائبي[2]: "الله الحقيقي الذي بغير جسد، ظهر في الجسد، وهو تام في اللاهوت الحقيقي الكامل، ليس هو شخصين ولا طبيعتين، ولا نقول إننا

---

(١) يوحنا فم الذهب: (٣٥٤- ٤٠٧م) كان من آباء الكنيسة الذين لمعوا في القرن الرابع في أنطاكية، لُقب بذهبي الفم أو فم الذهب لمواهبه الخطابية، فكان أعظم خطيب في الكنيسة اليونانية، كان هزيل الجسم قصير القامة، تم ترسيمه أسقفاً للقسطنطينية في ٢٦ شباط(٣٨٩م)، أعلن انتقاده اللاذع لأعضاء البلاط الإمبراطوري، والمراقص والمشاهد التي رافقت تدشين تمثال الإمبراطورة بجوار الكاتدرائية، فأصدر قرار بنفيه سنة (٤٠٤م)، له الكثير من المؤلفات، أشهرها وأكثرها انتشاراً كتاب الكهنوت. انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: (ص٦٠٩- ٦٢٦).

(٢) غريغوريوس العجائبي أو الصانع للعجائب: كان اسمه قبل رسامته ثيؤدوروس، ولد من أبوين وثنيين، توفي والده وهو لايزال حدثاً فاعتنت والدته بتربيته، انتخب أسقفاً لقيصرية، اشتهر بصنع العجائب والمعجزات لذلك سُمي بالعجائبي، مما يذكر عنه أن الوثنيين أرسلوا إليه امرأة فقالت أمام تلاميذه أنه صنع معها الشر، وأنها تريد الأجرة، فقال لتلميذه أن يعطيها الأجرة، فوقعت في الحال واعتراها روح نجس، ثم اعترفت المرأة بكذبها، فصلى ودعا لها، فخرج منها الشيطان، فتعجب الجميع وعرفوا أنه رجل قديس، وفي سنة: (٢٥٠م) التهب الاضطهاد في عهد ديسيوس، وتعرضت البلاد لوباء خطير، وبصلاته شفي الكثيرون – على حدِّ زعمهم-، وزال الوباء فآمن الكثير من الوثنيين، شُبه في عجائبه بموسى النبي، تذكره الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بصلواتها في مجمع القداس الإلهي. انظر: مجموع الشرع الكنسي: (ص٨٧٥)، سير القديسين والشهداء في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية: نسخة إلكترونية. موقع الكنيسة الأنبا تكلا هيمانوت.

نعبد الله وابن الله وإنساناً والروح القدس، ومن ذلك نحرم المنافقين الذين يعتقدون هذا الاعتقاد، أما نحن فنقول: إن كلمة الله صار إنساناً".

وقد جاء في كتاب الإيمان الصحيح: (ص١٤٢-١٤٣) ما نصه: "وعلى ذلك فمن لا يعتقد بموجب رأي الآباء القديسين، أنها موجودة طبيعة واحدة متجسدة لله الكلمة في المسيح خاصة وحقاً، دلالة على أن المسيح الإله أخذ جوهرنا كله كاملاً ما عدا الخطيئة فليكن محروماً"(١).

المطلب الرابع: مشيئة المسيح عليه السلام وفعله.

والمقصود هنا هل للمسيح عليه السلام مشيئتان وفعلان باعتبار لاهوته وناسوته، فتكون له مشيئة إلهية ومشيئة بشرية، وفعل باللاهوت وفعل بالناسوت؟.

يعتقد الأرثوذكس أن للمسيح مشيئة واحدة وفعل واحد، وذلك بناءً على إيمانهم بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح (الكلمة المتجسد).

فما يختاره اللاهوت لا شك أنه هو بعينه ما يختاره الناسوت، لأنه كما يزعمون لا يوجد تناقض مطلقاً بينهما في المشيئة والعمل، فإذا كان من الممكن أن تتوافق مشيئة الناس مع مشيئة الله فمن المنطقي أكثر استطاعته عند اللاهوت والناسوت، وإذا كان اتحاد ذات الله بذات الإنسان (اللوجوس) اتحاداً جوهرياً فلا عجب أن تتحد المشيئات، ومتى اتحد الأصل تبعته الفروع، وقد قال المسيح: "لأني لا أطلب مشيئتي، بل مشيئة الآب الذي أرسلني"(٢).

وقال أيضاً: "نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني"(٣).

كما قال: "أنا والآب واحد"(٤).

ومن المعروف أن المشيئة تابعة للذات فمتى ثبت توحد الابن والآب بالذات فقد ثبت توحد مشيئتهما بالفعل.

---

(١) موسوعة علم اللاهوت: (١/١١٩).

(٢) (يو ٥: ٣٠).

(٣) (يو ٦: ٣٨).

(٤) (يو ١٠: ٣٠).

والخطيئة هي أن تتعارض مشيئة الإنسان مع الله، والمسيح لم تكن فيه خطيئة البتة، بل قد قال لليهود متحدياً: "من منكم يُبَكِّتُني[١] على خطية"[٢]، وهو تحدٍّ جريء، فالمسيح وحده هو الذي يستطيع أن يصمد أمام كل مواجهة أو مجابهة؛ لأنه وحده بلا خطيئة.

وهنا يتضح جلياً أن مشيئته هي مشيئة الآب، فالبر الكامل الذي عاش فيه المسيح القدوس كان مشيئة ناسوته كما هو مشيئة لاهوته.

وكذلك كان خلاص البشر، أي الرسالة التي جاء من أجلها المسيح، وقال: "ابن الإنسان قد جاء لكي يخلص ما قد هلك"[٣].

وهذه نفس مشيئة الآب الذي "أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا"[٤].

إذاً فالصلب اختاره اللاهوت والناسوت معاً، ولو لم تكن مشيئته واحدة ما كان يقال إنَّ المسيح مات بإرادته عنا، وما دامت المشيئة واحدة فلا بد أن يكون الفعل واحداً، وهذه الأدلة تُبطل قول من قال: إنَّ للمسيح مشيئتين بعد الاتحاد موجودتين فيه بالفعل، فقد ثبت من القياسات العقلية المنطقية والأدلة الشرعية أنه ليس للسيد المسيح مشيئة غير مشيئة الآب.

جاء في كتاب الإيمان الصحيح ما نصه: "مشيئة الإنسان لم تضاد أو تخالف قط المشيئة الإلهية القادرة على كل شيء، بل خضعت لها دائماً؛ لأنَّه كان يجب أنْ تتحرك مشيئة الجسد لتخضع للمشيئة الإلهية (حسب رأي البابا أثناسيوس) لأنه كما أن جسده يقال عنه إنه جسد الله الكلمة (وهو حقاً كذلك)، فهكذا مشيئة جسده الطبيعية يقال خاصة لله الكلمة، وهي حقاً"[٥].

يتضح مما سبق التناقض العجيب فيما ذهب إليه الأرثوذكس في تصورهم لطبيعة المسيح عليه السلام ومشيئته.

---

(١) التبكيت: هو التقريع والغلبة بالحجة. دائرة المعارف الكتابية: (٢/١٨٤).

(٢) (يو ٨: ٤٦).

(٣) (مت ١٨: ١١).

(٤) (١يو ٤: ١٠).

(٥) انظر: طبيعة المسيح: (ص٢٩-٣١)، موسوعة علم اللاهوت: (١/١١٩-١٢٢)، المسيحية في جوهرها: (ص٥٢).

فكيف يتحد اللاهوت بالناسوت ويصيران طبيعة واحدة بدون امتزاج ولا اختلاط ولا تغيير ولا استحالة؟! فتركيب الشيء مع غيره وصيرورتهما شيئاً واحداً يفتقر إلى انقلاب حقيقة أحدهما إلى حقيقة الآخر، كاستحالة الهواء إلى ماء، والماء إلى هواء، بواسطة البرودة في الأول، والحرارة في الثاني، وبدون انقلاب الحقائق لا يحصل الاتحاد الحقيقي؛ وإنما تحصل المجاورة، ومجرد الاختلاط كاختلاط الشعير بالقمح والماء باللبن، وكل منهما يتميز عن الآخر دوماً كالأول، أو بعد يسير كالثاني.

وهذا معلوم بضرورة العقل والمغالطة فيه لا يُصغى إليها؛ لأنها تشكيك في الضروريات وليست بشيء، فاللاهوت لو تركب مع الناسوت للزم يقيناً انقلاب حقيقة أحدهما إلى حقيقة الآخر، وانقلاب اللاهوت إلى الناسوت محال، وانقلاب الناسوت إلى لاهوت محال مثله؛ لأن المجرد لا يكون مادياً والمادي لا يكون مجرداً، فبطل بذلك قولهم بتركيب اللاهوت مع الناسوت في المسيح عليه السلام واتحادهما معاً بلا اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير.

أما عن تصورهم لكيفية هذا الاتحاد وما نتج عنه، وما قاله أهل العلم منهم بأنَّ الطبيعة الإنسانية اتحدت بالطبيعة الإلهية بطريقة سرية لا تُدرك، ومن اتحاد الطبيعتين صار للمسيح طبيعة واحدة فهو الإله الكلمة المتجسد ذو مشيئة واحدة وفعل واحد، فمردود عليهم، إذْ كيف يمكن القول باتحاد اللاهوت بالناسوت؟! وكيف يمكن اتحاد القديم بالحادث؟!

وكيف يعقل أن ينتج عن هذا الاتحاد طبيعة واحدة دون تحول أو تغيير؟!

وكيف يجتمع في هذه الطبيعة هذا النقيض الهائل من اللاهوت والناسوت، ثم ينتج عنه مشيئة واحدة وفعل واحد؟!

إنَّ هذه الأقوال مليئة بالتناقض والاضطراب، ولم يستطع أهلها تفسيرها، فكيف يؤمنون بها ويدعون الناس إلى الإيمان بها وهم لا يفهمونها؟! [(١)]، بل و يزعمون أن من لا يؤمن بها هالك لامحالة!!

(١) انظر: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية: (ص٣٨٠-٣٨١).

المبحث الثاني: موقف الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية من طبيعة المسيح عليه السلام ومشيئته.

يعتقد الكاثوليك والبروتستانت ومن سار في فلكهم أن للمسيح عليه السلام طبيعتين ومشيئتين متمايزتين، ويعرف هؤلاء بأصحاب الطبيعتين (١).

المطلب الأول: موقف الكنيسة الكاثوليكية ومن وافقها من القول بالطبيعة الواحدة للمسيح عليه السلام.

رفضت الكنيسة الكاثوليكية ومن سار في فلكها بعد ذلك كالبروتستانت والروم الأرثوذكس ما ذهبت إليه الكنيسة الأرثوذكسية "اللاخلقيدونية" من القول بالطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة للمسيح، والذي تقرر في مجمع أفسس الأول: (٤٣١م) وتم فرضه وتعميمه في مجمع أفسس الثاني: (٤٤٩م)، وحرم كل من ينادي بوجود طبيعتين في المسيح عليه السلام بل تعالت أصوات الرهبان داخل الكنيسة في ذلك المجمع: "اشطروا إلى اثنين كل من يحاول شطر المسيح الواحد، فليمزق إرباً إرباً كل من يعلم بتقسيم المسيح"، مما جعل الكاثوليك يطلقون عليه (مجمع القراصنة، مجمع اللصوص) ويعقدون مجمعاً مضاداً له هو مجمع خلقيدونية: (٤٥١م) حيث تقرر القول فيه بصورة حاسمة أن للمسيح عليه السلام ذاتاً واحدة من طبيعتين متحدتين، طبيعة لاهوتية وأخرى ناسوتية من غير تحول ولا انفصال ولا اختلاط.

وقرر الأساقفة تعليم الكنيسة المتعلق بطبيعة المسيح عليه السلام بالصورة التالية:

"إنا نعلم أن المسيح ابن الله الوحيد، هو ربٌ واحدٌ من طبيعتين بدون امتزاج ولا تغير، وبدون تقسيم وتفريق، ودون أنْ يلغي هذا الاتحاد تمايز الطبيعتين، مع بقاء خواص كل من الطبيعتين على حالها"(٢). تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

---

(١) انظر: الفروق العقيدية: (ص١٥)، طبيعة المسيح: (ص٨)، الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام (ص٦٤)، نظرة شاملة لعلم الباترولوجي: (ص١١٧).

(٢) انظر: تاريخ الفكر المسيحي: (٢١١/٣-٢٩٠)، مجموع الشرع الكنسي: (ص٣٩٥-٣٩٧)، محاضرات في النصرانية: (ص١٣٥-١٣٩)، الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام: (ص ٩٥)، المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية: (ص١١١).

ومنذ ذلك الوقت تمزق جسد الكنيسة، وحصل الانقسام الحقيقي بين الكنيسة الكاثوليكية الغربية "الخلقيدونية" ومن سار في فلكها بعد ذلك، والكنيسة الأرثوذكسية "اللاخلقيدونية" ومن سار في فلكها كالسريان اللاخلقيدونيين.

وقد ألقى هذا الانقسام -بعد مجمع خلقيدونية- بظلاله على النصارى، فكان الصراع عنيفاً والقتال دامياً، واندلعت معارك حامية بين الخلقيدونيين من جهة وبين من عارضهم من جهة أخرى، ومما ورد ذكره في هذا الشأن:

إنَّ رهبان الأديرة المجاورة لأورشليم حاصروها، وأحرقوا البيوت، وقتلوا الشيوخ والشباب، وساد الذعر والخوف، وسيطرت الفوضى في آسيا الصغرى، وعاشت فلسطين ومصر حالة اضطراب وانقسام منذ أنْ أمر الإمبراطور بتطبيق قرارات المجمع في كل الإمبراطورية، إلا أنَّ هذه الفوضى العارمة أربكت الإمبراطور و لم يقبل بها، فكلف القائد دوريثوس بالقضاء عليها بالقوة الجبرية، والتحم جيش الإمبراطور بجيش الرهبان "اللاخلقيدونيين" بالقرب من نابلس، ودارت رحى معركة ساخنة سقط فيها الكثير من الرهبان.

ومما جاء أيضاً: إنَّ ملوك الروم واليونان عاملوا الكنائس غير الخلقيدونية معاملة قاسية وحشية؛ وذلك لعدم قبول هذه الكنائس لتحديدات مجمع خلقيدونية، فسفكوا الدماء، وقطعوا الأنوف والآذان، ونهبوا البيوت، وسلبوا الأديرة والكنائس، بالإضافة إلى النفي إلى الأماكن المتعفنة الهواء، وسقط في الإسكندرية أكثر من (١٠,٠٠٠) قتيل.

واستمر الاضطهاد المروع حتى بدء دخول الإسلام لمصر وسوريا سنة (٦٤١م) تقريباً[١].

---

(١) انظر: تاريخ الفكر المسيحي: (٤/١٦-٢٩)، طبيعة المسيح: (ص٨)، نظرة شاملة لعلم الباترولوجي: (ص٤٧٤).

المطلب الثاني: طبيعة المسيح ﷺ وكيفية الاتحاد عند الكاثوليك ومن وافقهم.

يعتقد الكاثوليك ويوافقهم البروتستانت والروم الأرثوذكس أن المسيح ﷺ إله كامل وإنسان كامل له طبيعتان، طبيعة لاهوتية وطبيعة ناسوتية، وهاتان الطبيعتان اتحدتا في شخص المسيح ﷺ.

يقول الآب بولس إلياس اليسوعي: "عندما تجسد ابن الله يسوع المسيح جمع في شخصه الإلهي الطبيعتين الإلهية والبشرية فكان إلهاً وإنساناً معاً"(١).

كما جاء في كتاب الأشعة اللاهوتية ما نصه: "وموضوع كلامنا هنا شخص الرَّب الأقدس المخلص يسوع المسيح، وهو ابن الله، كلمة الآب، المولود من الآب منذ الأزل، وهو إله حق أزلي أبدي. . اتخذ طبيعة الإنسان في مستودع البتول المباركة من جوهرها، فكان له الطبيعتان الكاملتان، أعني اللاهوت والناسوت. . مسيح واحد، إله حق، وإنسان حق، تألم حقاً وصُلب ومات وقُبر ليصالح أباه معنا، ويكون ذبيحة لا عن الخطيئة الأصلية فقط؛ بل عن خطايا البشر الفعلية أيضاً"(٢).

ونوعية هذا الاتحاد لدى هؤلاء هو اتحاد وثيق غير منفصل وغير مجزأ في شخصه، بل وحدة الأقنوم (الكلمة الإلهية الوحيدة) فهو اتحاد أقنومي عبارة عن اتحاد الطبيعتين في أقنوم واحد(٣).

"فذات المسيح الواحد، ابن، رب، وحيد، معروف في طبيعتين، بلا اختلاط، ولا تحول ولا انقسام، ولا انفصال، دون أي إلغاء لاختلاف الطبيعتين بسبب الاتحاد، بل بالحري مع احتفاظ كل طبيعة بخاصيتها متلاقيتين في شخص واحد في أقنوم واحد، مسيح لا يتجزأ

---

(١) يسوع المسيح شخصيته وتعاليمه: إلياس اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٦م، الطبعة الثانية: (ص٩٩).

(٢) الأشعة اللاهوتية في مبادئ التعاليم المسيحية، نيافة الدكتور: مول مطران، تُرجم بواسطة جمعية المرسلين الأسقفيين بالقاهرة، المطبعة الإنجليزية الأمريكية، الطبعة الثانية: (ص٧٦).

(٣) انظر: مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص٣٦)، شرح موجز لأصول التعليم المسيحي "الكتاخيسمس الصغير": (ص٩٧)؛ شرح أصول الإيمان، اندراوس واطسون، إبراهيم سعيد، دار الثقافة، الطبعة الرابعة: (١٥٢).

ولا يتقسم في شخصين، بل هو ذات الابن الواحد، وحيد، إله، كلمة، الرب يسوع المسيح، كما علَّم الأنبياء عنه منذ زمن طويل، وكما علمنا يسوع نفســه، ونقلــه إلينــا قــانون الآباء"(١).

جاء في مؤلف للقس ثيودوروس من ريثوس البيان الآتي عن طبيعتي المسيح، ويُعد من أدق الإيضاحات اللاهوتية في هذا الموضوع: "يعترف الأرثوذكسيون، باتحاد الطبيعتين اتحاداً جوهرياً مع احترام الأقنوم وصيانته من الانقسام والانفصال والاختلاط. . . .

ونعترف بأنه اتحاد حقيقي في الجوهر والتركيب كاتحاد طبقتين، والعبارة (اتحاد يحترم الأقنوم) تبين حقيقة الواقع بأن الناسوت لم يكن سابقاً قد خُلق وصــار لــه شــكل، وأن اللاهوت لم يتبعه، بل بالعكس إنه عند أول وجود العنصر الأول، وفي الوقت الذي خلق فيه اتحد اللاهوت به، لأنه في الوقت ذاته إذْ قد خلق وجعل جسداً كان جسد الله الكلمة، وقد اتحدت الطبيعتان معاً بدون أن تتعرض إحداهما إلى تجديد أو تعديل أو تغيير مهما كان نوعه بسبب هذا الاتحاد، ولكن بالعكس إن الاتحاد واحد، وقد حُفظ دوماً بدون تغيير وحَفظت كلٌ من الطبيعتين كيانها الطبيعي تماماً بدون نقص. . . .

وهكذا ففي المسيح أقنوم واحد مؤلف من طبيعتين متميزتين، اللاهوت والناســوت، ويعني الآباء بقولهم: إن الاتحاد طبيعي أو بحسب الطبع، أنه اتحاد حقيقي لا وهمي"(٢).

جاء في شرح أصول الإيمان:

س: "ماذا يقال عن نوع الاتحاد بين الطبيعتين؟.

ج: يقال عنه اتحاد أقنومي؛ لأنه عبارة عن اتحاد الطبيعتين في أقنوم واحد، وهو يتميز عن اتحاد الثالوث الأقدس الذي هو اتحاد الجوهر، كما يتميز أيضاً عن اتحاد الجسد بــالروح الذي هو اتحاد قابل للانفصال"(٣).

---

(١) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: د. نتسنغر بيتر هونرمان، ترجمة يوحنا منصور، حنا الفاخوري، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١ م: (١/١٠٤).

(٢) مجموع الشرع الكنسي: (ص٣٦٩).

(٣) شرح أصول الإيمان: (ص١٥٢).

يقول الأب لويس برسوم: "ولكن دون أن ينشأ عن هذا الاتحاد أي اختلاط أو امتزاج أو تغيير، ومن ثَمَّ فإن كلاً من اللاهوت والناسوت في المسيح يتميزان بعضهما عن بعض تمييزاً حقيقياً جوهرياً"(١).

أما عن كيفية الاتحاد لديهم، فهو كما يصفونه بأنَّه سر حقيقي بعيد عن الاستقصاء، حيث أنه فائق للوصف والإدراك(٢).

يقول الأب لويس برسوم: "وأما إذا سألت كيف يمكن أن يكون هناك اتحاد حقيقي بين طبيعتي المسيح الإلهية والإنسانية دون أن يحدث بينهما أي اختلاط أو امتزاج ودون أن يحدث في جوهرها تغيير؟ فأقول: إن هنا يكمن لُبُّ السِّر"(٣).

المطلب الثالث: البراهين التي يستند إليها الكاثوليك ومن وافقهم في اعتقادهم بالطبيعتين المتحدتين لشخص المسيح عليه السلام.

يبرهن أصحاب الطبيعتين المتحدتين لشخص المسيح عليه السلام ببراهين كتابية تضمنت التالي:

١. براهين كتابية تُرى فيها صفات إلهية وصفات بشرية منسوبة لشخص واحد.
٢. براهين كتابية تنسب صفات الطبيعة الواحدة للمسيح عليه السلام حال كونه مسمى في ذلك النص باسم دال على طبيعته الأخرى(٤).

أولاً: البراهين الكتابية التي تُرى فيها صفات إلهية وصفات بشرية منسوبة لشخص واحد:

أ- "فمع أنه في صورة الله، لم يَعُدَّ مساواته لله غنيمة، بل تجرد من ذاته، متخذاً صورة العبد، وصار على مثال البشر، وظهر في هيئة إنسان فوضع نفسه، وأطاع حتى الموت، موت الصليب، لذلك رفعه الله إلى العُلى ووهب له الاسم الذي

(١) المسيح الإله والإنسان: لويس برسوم، المعهد الإكليريكي القبطي ١٩٨٥م، القاهرة: (ص٦٤).
(٢) انظر: اللاهوت النظامي: (ص٣٧٨)، نظرة شاملة لعلم الباترولوجي: (ص ١١٨).
(٣) المسيح الإله والإنسان: (ص٦٤).
(٤) انظر: شرح أصول الإيمان: (١٥١)، تفسير الكتاب المقدس النسخة الكاثوليكية من الألف للياء، دار المشرق، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة: (٢/٦١٠-٦١١).

يفوق جميع الأسماء، كيما تجثو لاسم يسوع كل ركبة في السماوات وفي الأرض وتحت الأرض، ويشهد كل لسان أنَّ يسوع المسيح هو الرب تمجيداً لله الآب"(١).

وهو نص على" أن المسيح هنا كان الله، أو في صورة الله، وهو مساوٍ للآب، وصار إنساناً، وأخذ صورة عبد، وخضع للموت على الصليب، ورُفع فوق المخلوقات وأُعطي السلطان العام المطلق، وهذه الصفات الإلهية والبشرية نسبت لشخص المسيح يسوع الرب" (٢).

ب- "لأن كلاً من الُمقدِّس والُمقدَّسين له أصل واحد، ولذلك لا يستحيي أن يدعوهم إخوة حيث يقول: "سأبشر باسمك إخوتي، وفي وسط الجماعة أسبحك".

ويقول أيضاً: "سأجعل اتكالي عليه"، وأيضاً: "ها أنا ذا والأبناء الذين وهبهم لي الله"، " فلما كان الأبناء شركاء في الدم واللحم شاركهم هو أيضاً فيها مشاركة تامة، ليكسر بموته شركة ذاك الذي له القدرة على الموت أي: إبليس، ويحرر الذين ظلوا طوال حياتهم في العبودية مخافة الموت"(٣).

وهذا نص على" أن المسيح بهاء مجد الله ورسم جوهره، وخالق العالمين، وحامل كل الأشياء بقدرته، كما جاء في بداءة هذه الرسالة، وهو أيضاً إنسان والبشر إخوته كما جاء في الإصحاح الثاني: فهو إله تام وإنسان تام في شخصية واحدة. جاء في تفسير قوله: "سأجعل اتكالي عليك": ليس المتكل على الله منتصراً منفرداً بل يبقى متحداً بالذين عهد إليه بأمرهم"(٤).

ج- في البدء كان الكلمة، والكلمة كان لدى الله، والكلمة هو الله، كان في البدء لدى الله به كان كل شيء، وبدونه ما كان شيء مما كان، فيه كانت الحياة، والحياة نور الناس والنور يشرق في الظلمات و لم تدركه الظلمات. . . ، والكلمة

---

(١) (في ٢: ٦ — ١١).

(٢) اللاهوت النظامي: (ص٣٧٧).

(٣) (عب٢: ١١-١٥).

(٤) تفسير الكتاب المقدس النسخة الكاثوليكية: (٦٩٧/٢)، وانظر: اللاهوت النظامي: (ص٣٧٧).

صار بشراً فسكن بيننا، فرأينا مجده، مجداً من لدن الآب لابن وحيد، ملؤه النعمة والحق"(١).

وهذا نص فيه أن الكلمة أزلي (والمقصود به لاهوت المسيح) وأنه أتى إلى العالم وصار جسداً اتخذ الطبيعة البشرية وسكن بيننا كإنسان، وهذا يعني أن شخصاً إلهياً بالحقيقة (هو الكلمة الأزلي خالق العالم) صار إنساناً، فالمسيح المتجسد هو إله وإنسان في شخصية واحدة(٢).

ثانياً: البراهين الكتابية التي تنسب صفات الطبيعة الواحدة للمسيح عليه السلام حال كونه مسمى في ذلك النص باسم دال على طبيعته الأخرى:

أ- "فكيف لو رأيتم ابن الإنسان يصعد إلى حيث كان قبلاً"(٣).

ب- "ومنهم المسيح من حيث أنه بشر، وهو فوق كل شيء إله مبارك أبد الدهور"(٤).

ج- "فما من أحد يصعد إلى السماء، إلا الذي نزل من السماء وهو ابن الإنسان"(٥).

د- "و لم يعرفها أحد من رؤساء هذه الدنيا، ولو عرفوها لما صلبوا رب المجد"(٦).

يُقرر الكاثوليك ومن سار في فلكهم أنَّ هذه النصوص الواردة في الكتاب المقدس وغيرها كثير والتي تنسب للمسيح عليه السلام جميع صفات اللاهوت وجميع صفات الناسوت معاً في شخص واحد هي دلالة قطعية على أن الجوهرين المجموعين في شخصه "الناسوت واللاهوت" طبيعتان متميزتان متحدتان.

(١) (يو ١: ١-١٤).

(٢) انظر: اللاهوت النظامي: (ص٣٧٦-٣٧٧).

(٣) (يو ٦: ٦٢).

(٤) (رو ٩: ٥).

(٥) (يو ٣: ١٣).

(٦) (١كو ٢: ٨).

فقد قيل في ناسوته: إنه ذو جسد، مولود من امرأة، كان ينمو في القامة يرى ويشعر ويلمس، وإنه ذو نفس كانت تتعب وتفرح وتحزن، ترنو في الحكمة تارة وتجهل بعض الأحوال والأمور تارة أخرى، وقيل في شأن لاهوته: إنه إله كامل عالم بكل شيء، قادر على كل شيء أزلي، وإنه النور الحقيقي مصدر الحياة لجميع الأحياء(١).

المطلب الرابع: مشيئة المسيح عليه السلام وفعله.

يعتقد الكاثوليك ومن وافقهم أن للمسيح عليه السلام إرادة إلهية وإرادة بشرية، وأن إرادة المسيح البشرية تتبع إرادته الإلهية دون أن تكون معيقة ولا معارضة لها، بل بالحري بخضوعها لها(٢).

وقد فُصلت مسألة الطبيعتين والمشيئتين في شخص المسيح في قرارات مجمعية ورسائل بابوية عديدة، منها ما جاء في رسالة خاصة من البابوية إلى الأباطرة والملوك النصارى في عهد البابا أغاثوس سنة (٦٨١م) مما ورد فيها:

"وفقاً لما نُقل في الإنجيل، كل ما يخص الرب الوحيد نفسه، فادينا يسوع المسيح بوجهين: أي أننا نعلن طبيعتيه الإلهية والبشرية اللتين منهما وفيهما يوجد أيضاً بعد الاتحاد الجدير بالعجب وغير المنفصلين، ونعترف كذلك بأن كل واحدة من هاتين الطبيعتين لها خصيصتها الطبيعة: فالإلهية لها كل ما هو إلهي، والبشرية لها كل ما هو بشري، ما خلا الخطيئة، ونعترف بأن الاثنتين تخصان الإله الواحد ذاته، الكلمة المتجسد أي الذي صار إنساناً، بلا اختلاط ولا انفصال ولا تحول. . .

ولكننا عندما نعترف بطبيعتين ومشيئتين وفعلين طبيعيين في ربنا الوحيد يسوع المسيح لا نقول إنهما متعاكسان أو متعارضان. . . ، أو كأنهما منفصلان في شخصين أو أقنومين، ولكننا نقول: كما أن ليسوع المسيح نفسه طبيعتين، كذلك له أيضاً في ذاته مشيئتان وفعلان طبيعيان، أي أن له المشيئة والفعل الإلهي بالاشتراك منذ الأزل مع الآب

---

(١) انظر: اللاهوت النظامي: (ص٣٧٦ – ٣٧٧).

(٢) مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص٣٧).

الواحد معه في الجوهر، وأن المشيئة والفعل البشري قد اتخذهما زمنياً منا مع طبيعتنا. . . وأن كلاً من هاتين الطبيعتين كامل، وكل ما يعود إلى خصائص الطبيعتين نعترف به كأنه يُعطى مرتين، إذ أن ربنا يسوع المسيح نفسه هو إله كامل كما هو إنسان من طبيعتين"(١).

كما جاء في رسالته إلى الإمبراطور قسطنطين الكبير وإلى هرقل وطيباريوس:

"إننا نعترف بطبيعتيه اللاهوتية والناسوتية، وأنه يظل هو هو حتى بعد هذا الاتحـــاد العجيب غير المنفصل، ونعترف بأن كلاً من طبيعتيه لها خواصها الذاتية، وأن الطبيعة الإلهية لها كل الخواص الإلهية دون أن تمسها خطيئة، ونعترف بأن كلاً مـــن الطبيعـــتين للأقنـــوم المتجسد الواحد نفسه، أعني كلمة الله المتخذ الناسوت، هما فيه غير مختلطتين ولا منفصلتين ولا متغيرتين. . . وعندما نعترف بالطبيعتين وبالمشيئتين الطبيعتين وبالفعلين الطبيعيين في ربنا يسوع المسيح لا نعني بذلك أنهما متناقضتان ومتعاكستان. . . ولا نعني أنهما منفصلتان إلى أقنومين أو جوهرين، ولكننا نقول أن ربنا يسوع المسيح نفسه له مشيئتان وفعلان كما لـــه طبيعتان، أي أن له مشيئة وفعلاً إلهيين ومشيئة وفعلاً ناسوتيين، فهو بحسب المشيئة والفعـــل الإلهيين مساوٍ للآب منذ الأزل وإلى الأبد، وأما المشيئة البشرية فقد اتخذها كما اتخذ طبيعتنا في وقت محدود. . . هذا هو البيان النقي الخالص للتقوى، هذا هو الاعتراف الصادق المنزه عن الخطأ للديانة المسيحية"(٢).

وقد وردت هذه العقيدة بالتفصيل في موضوع الرد على أصحاب المشيئة الواحدة في مجمع "القسطنطينية الثالث" في جلسته الثامنة عشرة.

مما جاء فيه: "إن ربنا يسوع المسيح يجب الاعتراف به أنه إله تام وإنسان تام، وهـــو أحد أقانيم الثالوث الأقدس المحيي المتساوي في الجوهر، تام من جهة اللاهوت وتام من جهة الناسوت، إله حق وإنسان حق، مؤلف من نفس عاقلة وجسد بشري، مســـاوٍ لـــلآب في

(١) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (١/١٩٢-١٩٣).

(٢) مجموع الشرع الكنسي: (ص٤٩٥-٤٩٦).

اللاهوت، ومساوٍ لنا في الناسوت وهو في كل شيء مثلنا ما عدا الخطيئة، مولود من أبيه قبل كل الدهور بحسب اللاهوت، ولكنه في الأيام الأخيرة تجسد لأجلنا نحن البشر، ولأجل خلاصنا من الروح القدس ومن مريم العذراء التي تُدعى حقاً وواجباً والدة الله بحسب الجسد.

وهو هو الذي يجب الاعتراف به، المسيح نفسه ربنا الابن الوحيد بطبيعتين غير مختلطتين وغير متغيرتين وغير منفصلتين وغير منقسمتين، و لم تفقد خواص أي من الطبيعتين في الاتحاد بل بالأحرى بقيت خواص كل منهما محفوظة وكائنة معاً في الشخص الواحد والأقنوم الواحد. . . ، وإذ نحدد كل هذه الأشياء نصرح نحن أيضاً أنَّ فيه مشيئتين طبيعيتين وفعلين طبيعيين بلا انقسام أو تحول أو انفصال أو اختلاط حسب تعليم الآباء القديسين، وهاتان المشيئتان الطبيعيتان لا تعارض إحداهما الأخرى. . . ، فمشيئته البشرية تخضع بدون مقاومة أو تلكؤ للمشيئة الإلهية الكلية القدرة. . . ، وكما أن جسده دُعي جسد الله الكلمة هكذا مشيئة جسده الطبيعية تدعى مشيئة الله الكلمة كما قال هو عن نفسه: "قد أتيت من السماء لا لأفعل مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني"(١)، فهنا يسمي مشيئة جسده مشيئته الخاصة بما أن الجسد جسده أيضاً، لأنه كما أن جسده المقدس الطاهر الحي لم يفن؛ لأنه قد تأله، بل بقي كما هو في طبيعته الخاصة، هكذا مشيئته البشرية، وإن تكن قد تألهت لم تلغ بل بالأحرى قد حفظت. . . ، وإننا نمجد فعلين طبيعيين في ربنا يسوع المسيح، إلهنا الحقيقي نفسه. فعلين غير منقسمين وغير متحدين وغير مختلطين وغير منفصلين، نعني بذلك فعلاً إلهياً وفعلاً بشرياً. . . ، فكل طبيعة تعمل بالشركة مع الأخرى ما يختص بها، أي أن الكلمة يعمل ما يختص بالكلمة والجسد يعمل ما يختص بالجسد. . . ؛ لأنه وإن اجتمعت الطبيعتان معاً فكل طبيعة منهما تشاء وتعمل ما يختص بها، وذلك بدون انقسام وبدون

---

(١) (يو ٦: ٣٨).

اختلاط أو امتزاج، ولذلك نعترف بمشيئتين وفعلين متوافقين على أحسن نظام لخلاص الجنس البشري"(١).

وهذا المفهوم الذي ذهب إليه الكاثوليك تكرر تأكيده في عدة مجامع محلية ومسكونية.

"وكل من يجسر على مخالفة هذا الاعتقاد أو نقض هذه التعاليم من أساقفة أو إكليريكيين فإنه يسقط من رتبته، وأما الرهبان والعوام فليبسلوا"(٢).

يتضح مما سبق التناقض الغريب فيما ذهب إليه الكاثوليك ومن وافقهم في تصورهم لطبيعة المسيح عليه السلام ومشيئته.

إذْ كيف يكون الشخص محدوداً وغير محدود في الوقت نفسه؟!

كيف يكون إلهاً وإنساناً في وقت واحد؟!

كيف يكون قادراً وغير قادر في آن واحد؟!

يقول أبو الفضل المسعودي: "هذه المذاهب فيها قباحة، ذلك أن صيرورة الجوهرين مختلفي الطباع شخصاً واحداً أي أقنوماً واحداً لا يقوله عاقل، إذ يلزم عليه أن يشار إلى المسيح عليه السلام بأنه قديم ومحدث بإشارة واحدة.

ويقال لهم: إن قلتم أن المسيح عليه السلام بعد الاتحاد باق على طبيعته ومشيئته كما كان قبل الاتحاد فقد أبطلتم الاتحاد، إذ أن الاتحاد عبارة عن صيرورة الأكثر من الواحد واحداً، فإذا كان جوهر الأزلي باقياً بحاله، وجوهر الإنسان باقياً بحاله فقد آل الاتحاد إلى مجرد تسمية فارغة عن المعنى خالية من الفائدة.

ويقال لهم أيضاً: أتقولون أن اللاهوت اتحد بالناسوت حقيقة أم مجازاً؟

---

(١) مجموع الشرع الكنسي: (ص٥١٣ – ٥١٤)، وانظر: الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (١/١٩٦، ١٩٨).

(٢) مجموع الشرع الكنسي: (ص٥١٥)، وانظر: الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (١/٢٢٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٢/٨٦٨).

فإن قالوا: مجازاً، فقد أبطلوا الاتحاد وتجوزوا بإطلاق ما لا يجوز إطلاقه على الله سبحانه.

وإن قالوا: إنه اتحد حقيقةً، لزمهم أنْ تكون مشيئتهما واحدة؛ لأن الواحد لا يكون له إلا مشيئة واحدة، إذْ لو كان للواحد مشيئتان للزم أن تكونا متماثلتين أو مختلفتين، فإن كانتا متماثلتين فإحداهما مغنية عن الأخرى، وإن كانتا مختلفتين تناقضت أحكامهما وامتنع حصول مرادهما، فثبت أنه لا بد من إبطال إحدى المشيئتين إنْ كان الاتحاد حقيقة، أو إبطال الاتحاد جملة إذا ثبتت الطبيعتان والمشيئتان"[١].

(١) انظر: المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الانجيل، لأبي الفضل المالكي المسعودي، تحقيق وتقديم وتعليق: د. رمضان الصفناوي البدري، د. مصطفى الذهبي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الاولى ١٤١٨هـ: (ص١٢٢)، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية: (ص٣٨٢-٣٨٤).

المبحث الثالث: المسيح عليه السلام في الإسلام.

عقيدة المسلمين في شخص المسيح عليه السلام مبنية على ماجاء في نصوص الكتاب والسنة، أوجزها في النقاط التالية:

• المسيح عليه السلام ليس إلهاً، ولا ابن إله؛ كما يزعم النصارى، فالله واحدٌ أحدٌ، لم يتخذ صاحبةً ولا ولدا، سبحانه وتعالى عن مثل هذه الأمور، فهو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وقد أكدَّ الباري جل جلاله هذا المعنى في كثير من آيات القرآن الكريم، قال جل شأنه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [سورة الإخلاص ١-٤].

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [سورة البقرة ١١٦-١١٧].

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾ [سورة الجن ٣].

وقد أنكر الله سبحانه وتعالى أشد النكير وأغلظه على أهل الكتاب من اليهود والنصارى لادعائهم الولد له سبحانه وتعالى(١) فقال جل شأنه: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة التوبة ٣٠].

كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة مريم ٣٤-٣٦].

وقال سبحانه: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى

---

(١) انظر: الله جل جلاله واحد أم ثلاثة، د. منقذ بن محمد السقار، دار السلام، الطبعة الأولى: (ص١١٠).

لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [سورة مريم ٨٨-٩٣].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قال الله: كَذَّبَنِي ابن آدم و لم يَكُنْ له ذلك، وشتمني و لم يَكُنْ له ذلك، فَأَمَّا تكذيبه إياي فَقَوْلُهُ: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عَلَيَّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصَّمَد، لم ألد و لم أولد، و لم يكن لي كُفْئًا أَحَدٌ»(١).

- أكدَّ الإسلام في كثير من النصوص على بشرية المسيح عيسى عليه السلام، وأنه مخلوق مربوب كسائر الخلق.

قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة آل عمران ٥٩]، يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ﴾: أي: في قدرة الله؛ حيث خلقه من غير أب، قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ آدَمَ﴾ حيث خلقه من غير أب ولا أم، قال تعالى: ﴿خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ فالذي خلق آدم عليه السلام من غير أب ولا أم قادر على أن يخلق عيسى عليه السلام من غير أب بطريق الأولى والأحرى، وإن جاز ادعاء الألوهية في عيسى عليه السلام لكونه مخلوقاً من غير أب فجواز ذلك في آدم عليه السلام بطريق الأولى، ومعلوم بالاتفاق أنَّ ذلك باطل، فدعواه في عيسى أشد بطلاناً وأظهر فساداً، ولكن الرب سبحانه وتعالى أراد أنْ يظهر قدرته لخلقه حين خلق آدم لا من ذكر ولا أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثى" (٢).

كما قال سبحانه وتعالى: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾: (١٢/٤٠٣/ح٤٩٧٤)

(٢) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين، إعداد: أحمد عسيري، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: (ص٣٩٢).

أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [سورة المائدة ٧٥]. فأبطل دعوى ألوهيتهما بصفة الأكل، لأن الإله الحق متره عن الأكل والشرب وآلاته وأسبابه"(١)، وبين حقيقتهما المساوية لحقيقة غيرهما من أفراد نوعهما وجنسهما، بدليل أنهما كانا يأكلان الطعام، وكل من يأكل الطعام مفتقر إلى ما يقيم بنيته ويمد حياته، إلى جانب أن أكل الطعام يستلزم الحاجة إلى دفع الفضلات، وعليه فلا يمكن أن يكون رباً خالقاً، ولا ينبغي أن يكون إلهاً معبوداً"(٢).

- عيسى عليه السلام عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾﴾ [سورة النساء ١٧١-١٧٢]. قال قتادة: "في قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ﴾ هو قوله: كن فكان"، كما قال: "ليس الكلمة صار عيسى، ولكن بالكلمة صار عيسى"(٣). وقال الشعبي: "الكلمة حين قال له: كن، فكان عيسى بـــ "كن"، وليس عيسى هو الكن، ولكن بالكن كان"(٤).

(١) حقيقة المثل الأعلى: د. عيسى بن عبد الله السعدي، أستاذ العقيدة المشارك بجامعة الطائف، دار ابن الجوزي: (ص٢٥).

(٢) سد الذرائع في مسائل العقيدة على ضوء الكتاب والسنة الصحيحة، عبدالله الجنيدي، الجامعة الاسلامية، ١٤٢٢هـــ: العدد: (١١٤ص١٢)، وانظر: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر الزرعي "ابن القيم الجوزية"، تحقيق: د. علي بن محمد دخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثالثة: (٤٨٢/٣).

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية الحراني، تحقيق وتعليق: د. علي الألمعي وآخرون، دار الفضيلة، الطبعة الأولى: (٢٧٥/١).

(٤) المصدر السابق: (٢٧٦/١).

قال أحمد: "وأما قوله جل ثناؤه: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي: من أمره كان الروح فيه"(١)، كقوله تعالى ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الجاثية ١٣].

وقد جاءت أولى كلماته التي أنطقه الله ﷻ بها في المهد إقراراً منه عليه السلام بالعبودية لله ﷻ(٢) يقول الباري جل جلاله: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾ [سورة مريم ٢٩-٣١]. يقول الشيخ الشنقيطي رحمه الله: "ذكر الله جل جلاله في هذه الآية الكريمة أنَّ أول كلمة نطق لهم بها عيسى وهو صبي في مهده أنه عبدالله، وفي ذلك أعظم زجر للنصارى عن دعواهم أنه الله أو ابنه أوإله معه، وهذه الكلمة التي نطق بها عيسى في أوَّل خطابه لهم ذكرها الله جلَّ وَعلا عنه في مواضع أُخر"(٣)، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة المائدة ٧٢]، وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة مريم ٣٦].

- ليس له من خصائص الربوبية أو الألوهية شيء(٤)، قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة الزخرف ٥٩]، وقد رفض الإسلام رفضاً قاطعاً نظرة النصارى إلى المسيح عليه السلام، فرفض رأي القائلين بالطبيعة الإلهية للمسيح عليه السلام، وكذا رأي القائلين بالطبيعتين إلهية وإنسية، وعدَّ كلا الرأيين كفراً

---

(١) المصدر السابق: (٢٧٦/١).

(٢) انظر: سيرة نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام وبيان فساد دين النصارى، د. محمد سعد عبدالدايم: (ص١١١)

(٣) الجموع البهية للعقيدة السلفية التي ذكرها العلامة الشِّنقيطي في تفسيره أضواء البيان، جمع: أبو المنذر محمود المنياوي، مكتبة ابن عباس، مصر، الطبعة الأولى: (٥٦١/٢)

(٤) موسوعة الملل والأديان، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي السقاف، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت www.dorar. net، (٢٣٩/١).

وخروجاً من دين الله، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة المائدة ٧٢]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة المائدة ٧٣].

ثم وجه الله ﷻ الكلام إلى كلا الفريقين مؤكداً على بشرية المسيح عليه السلام ومحذراً إياهم من الغلو فيه قائلاً: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّٗا وَلَا نَفْعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٖ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [سورة المائدة ٧٤-٧٧].

وفي نهاية هذا الفصل لابد من الإشارة إلى أن قول النصارى بألوهية المسيح عليه السلام وبنوته لله تعالى، وقولهم: بأنه ذو طبيعة إلهية، أو ذو طبيعتين إلهية وإنسية معاً، إنما هو زيغ وضلال، أدخل ضمن غيره من ضلالات القوم وبدعهم.

الفصل الثاني

التناقض حول انبثاق الروح القدس

وفيه تمهيد وستة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: التعريف بـــ "انبثاق الروح القدس".

المبحث الثاني: حقيقة الروح القدس عند النصارى.

المبحث الثالث: تاريخ إضافة لفظ "والابن " إلى قانون الإيمان.

المبحث الرابع: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الكاثوليكية.

المبحث الخامس: موقف الكنيسة الأرثوذكسية من انبثاق الروح القدس

المبحث السادس: الروح القدس في الإسلام.

الفصل الثاني

التناقض حول انبثاق الروح القدس

تمهيد:

الروح القدس هو ثالث أطراف الثالوث الأقدس كما يرى النصارى، والذي تسنم موقعه الإلهي في مجمع القسطنطينية سنة (٣٨١م) أقنوماً ثالثاً ممجداً ومسجوداً له حيث قيل: "ونؤمن بالروح القدس الرب المحيي، المنبثق من الآب نسجد له، ونمجده مع الآب والابن الناطق في الأنبياء".

وبذلك تبلورت عقيدة التثليث عند النصارى، وأصبحت عقيدة ملزمة يجب على كل نصراني أنْ يعتنقها، ويُحكم بلعن وكُفر من يعارضها ويقول بغيرها.

يقول ابن البطريق[١] **في بيان قرارهم**: "زادوا في الأمانة التي وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً الذين اجتمعوا في نيقية -الإيمان بروح القدس- المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجد، وثبتوا أنَّ الآب والابن والروح القدس ثلاثة أقانيم وثلاثة وجوه، وثلاث خواص وحدية في تثليث وتثليث في وحدية، كيان واحد في ثلاثة أقانيم، إله واحد، جوهر واحد، طبيعة واحدة"[٢].

---

(١) سعيد بن البطريق: طبيب مؤرخ، من أهل مصر. ولد بالفسطاط، وأقيم بطريركا في الإسكندرية وسمي إنتيشيوس (Entychius) سنة (٣٢١ هـ)، له: "نظم الجوهر" في التاريخ، و"الجدل بين المخالف والنصراني"، و"علم وعمل" كناش في الطب، عاش بين عامي: (٢٦٣-٣٢٨ هـ =٨٧٧-٩٤٠م). الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢ م: (٣/٩٢).

(٢) انظر: العلاقة الجدلية بين التاريخ والطقوس المسيحية "حوار يدور في فضاء اللاهوت المسيحي"، أحمد عمران، منشورات دار الوعي، بيروت: (ص٢٢٧)، النصرانية والإسلام، المستشار محمد عزت الطهطاوي، القاهرة ١٩٨٦م، الطبعة الثانية: (ص٤٧).

ثم حدث خلاف عنيف بين النصارى في منتصف القرن التاسع حول الأقنوم الذي انبثق منه الروح القدس [١].

فذهب الكاثوليك إلى أن الروح القدس منبثق من الآب والابن معاً، بينما رفض الأرثوذكس زيادة لفظ "الابن" على قانون الإيمان، فالانبثاق لديهم من الآب وحده[٢]، يقول البابا شنودة الثالث: "وهذه الإضافة كانت سبباً للانقسام في الكنيسة ولا تزال"[٣].

كما يقول في كتابه الروح القدس: "ولكن الكاثوليك يقولون: المنبثق من الآب والابن، فيضيفون عبارة والابن "filioque"، وهي إضافة لم تكن موجودة إطلاقاً في أصل قانون الإيمان، و لم تكن معروفة في القرون المسيحية الأولى ومبدأ ظهورها كان -كما يقولون- في إسبانيا في القرن السادس وانتقل منها إلى رومة. . . ، و لم تستقر إضافة "والابن" عند الكاثوليك اللاتين إلا في القرن الحادي عشر، وقد سببت انقسامات كثيرة بلا داع، وهي أيضاً ضد مفهومنا للثالوث القدوس.

وكما قال البعض: إنها تجعل في الثالوث ابنين وأبوين، إن كان الروح القدس يعتبر ابناً للابن، إن كان منبثقاً منه، ويكون الابن أباً له أيضاً! "[٤].

---

(١) كنز النفائس: (ص١٦٢).

(٢) قانون الإيمان، البابا شنودة الثالث، الكلية الإكليريكية بالقاهرة – مطبعة الأنبا رويس الأفست – العباسية، الطبعة الأولى: (ص٩١)، وانظر: كنز النفائس: (ص١٦٢) الروح القدس وعمله فينا: البابا شنودة الثالث، ١٩٩١م، القاهرة، الطبعة الأولى: (ص١٥).

(٣) قانون الإيمان: (ص٩١).

(٤) الروح القدس وعمله فينا: (ص١٥).

المبحث الأول: التعريف بـــ"انبثاق الروح القدس"

"انبثاق الروح القدس" من العقائد النصرانية التي لايزال الخلاف عليها قائماً بين الطوائف إلى الآن[١].

أولاً: الانبثاق لغة:

انبثق ينبثق انبثاقاً فهو منبثق والمفعول منبثق عنه، انبثق: انثقب وانشق.

انبثق السيل: انفجر، وبثق السيل موضع كذا أي: خرقه وشقه، وانبثق السيل عليهم: أي أقبل عليهم فجأة.

وفي حديث هاجر أمّ اسماعيل "فغمز بعَقِبه على الأرض فانبَثَق الماء"[٢] أي انْفَجَر وجَرى.

انبثق الفجر: ظهر ولاح وانتشر نوره.

انبثق منه نور شفاف: طلع وصدر، فالانبثاق هو الخروج أو الصدور[٣].

ثانياً: الـــروح لغة:

(روح): الراء والواو والحاء أصلٌ كبير مطّرد، يدلُّ على سَعَةٍ وفُسْحَةٍ واطّراد.

وأصل ذلك كلِّه الرِّيح، وأصل الياء في الريح الواو، وإنّما قلبت ياءً لكسرة ما قبلها.

(الروح) ما به حياة النفس، والجمع أرواح، و(في الفلسفة) ما يقابل المادة، وروح القدس عند النصارى الأقنوم الثالث، والروح الأمين وروح القدس عند المسلمين جبريل عليه السلام[٤].

---

(١) انظر: قانون الإيمان: (ص٩١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾: (١٢٣٠/٣ح٣١٨٥).

(٣) انظر: المعجم الوسيط: (٣٨/١)، موسوعة علم اللاهوت: (١٣٤/١)، لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر -بيروت- الطبعة الأولى: (١٢/١٠)، النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، المكتبة العلمية ببيروت: (٢٣١/١).

(٤) المعجم الوسيط: (٣٨٠/١)، معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ: (٤٥٤/٢).

ثالثاً: القدس لغة:

(**قدس**): القاف والدال والسين أصلٌ صحيح، وهو يدلُّ على الطهْر.

والتَقْدِيس: التَّطْهِير والتَّبْريك، وتَقَدَّس أَي تطهَّر، وفي التزيل: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [سورة البقرة ٣٠] قال الزجاج: معنى نُقدس لك: أَي نُطهِّر أَنفسنا لك.

وقدس الأقداس (عند اليهود) المكان الأكثر قدسية في متعبدهم وهو قبة الهيكل، والروح القدس: سَيِّدنا جِبْريلُ عليه السلام، وفي الحَديث: «إِنَّ رُوحَ القدس نَفَثَ في رُوعِي»[١] يَعنِي: جِبْرِيلَ عليه السلام، لأَنَّهُ خُلِقَ من طَهَارَةٍ.

وفي صِفَةِ عِيَسى عليه السلام وأَيَّدْناه برُوحِ القدس، مَعَناه: رُوحُ الطَّهَارَةِ، وهو جِبْرِيلُ عليه السلام.

والروح القدس عند النصارى الأقنوم الثالث[٢].

وانبثاق الروح القدس عندالنصارى يعني خروج وصدور الأقنوم الثالث في لاهوتهم المقدس. من الآب على قول طائفة منهم، ومن الآب والابن معاً على قول طائفة أخرى.

وقد أدى هذا الخلاف بين النصارى إلى الانشقاق النهائي بين الكنائس القائلة بالطبيعتين والمشيئتين سنة (١٠٥٤م) فانقسمت الكنيسة إلى كنيستين رئيسيتين:

---

(١) مصنف عبد الرزاق: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي، الهند، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ: (١٢٥/١١ ح٢٠١٠٠)، قال الحافظ ابن حجر: "حديث «إن روح القدس نفث في روعي» أخرجه ابن أبي الدنيا في القناعة، وصححه الحاكم من طريق ابن مسعود". فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله ابن باز: (٢٠/١).

(٢) انظر: المعجم الوسيط: (٧١٩/٢)، تاج العروس من جواهر القاموس: (٣٥٥/١٦-٣٥٦).

1(**الكنيسة الشرقية اليونانية:** ويقال لها أيضاً: "كنيسة الروم الأرثوذكس"، وهي التي يذهب أتباعها إلى أن روح القدس منبثق عن الآب وحده، والمشايعون لها أكثرهم في الشرق في بلاد اليونان وتركيا والصرب وغيرها.

2(**الكنيسة الغربية اللاتينية:** ويقال لها أيضاً: "كنيسة روما"، "الكنيسة الكاثوليكية" "الكنيسة البطرسية"، وهي التي تذهب إلى أن روح القدس منبثق عن الآب والابن معا، والمشايعون لها أكثرهم في الغرب.

أما البروتستانت: فالبعض يتبع الكاثوليك، والبعض الآخر يكتفي بالاعتقاد بأقنومية الروح القدس، ولاهوته ومساواته للآب والابن في الجوهر دون التعرض لمسألة الانبثاق[١].

يقول القس جيمس أنس"بروتستانتي": "وعلى ما يظهر فإن اعتقاد الغربيين أقرب للصواب، بدليل عدم تمييز الكتاب بين علاقة كل من الآب والابن بالروح القدس، فيسميه "روح الآب" وأيضاً "روح الابن" ويذكر إرساله من الآب[٢]، وأيضاً من الابن[٣]، وأنه يُظهر لنا أمور الآب وأيضاً أمور الابن. . . . ، وكل ما يعنينا هو اعتقادنا بأقنومية الروح ولاهوته ومساواته للآب والابن في الجوهر، أما هل الانبثاق من الآب وحده أو من الآب والابن معاً، فليس في طاقتنا تقديم إجابة قاطعة عنه لأنه من الأسرار غير المعلنة لنا بوضوح، فيكون حكمنا في هذه المسألة من باب الترجيح"[٤].

(١) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٢ /١٣٧)، الفروق العقيدية: (ص١٤)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص٦٠)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٦٤)، شرح موجز لأصول التعليم المسيحي: (ص١١٣)، اللاهوت النظامي: (ص١٧٤)، الروح القدس وعمله فينا: (ص١٥) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام: (ص١١٣-١١٤)، محاضرات في النصرانية: (ص١٤٥-١٦٥) مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص٥٠).

(٢) (يو ١٤: ٢٦).

(٣) (يو ١٦: ٧).

(٤) اللاهوت النظامي: (ص١٩٥).

المبحث الثاني: حقيقة الروح القدس في اصطلاح النصارى

قبل بيان حقيقة الروح القدس عند النصارى لابد من إلقاء الضوء على معنى الـــروح القدس في الكتاب المقدس:

أولاً: العهد القديم: يتكرر ذكر "روح الله"، أو "روح الرب" كثيراً في جميع أجزاء العهد القديم، ولكنه لا يذكر التعبير الهام في تاريخ الكنيسة أن الروح القدس أحد الأقـــانيم الثلاثة! ! فليس فيه ما يشير إلى الروح القدس كأقنوم متميز! [(١)].

الروح في العهد القديم هو: "روح الله"، مما جاء فيـــه: "وكانـــت الأرض خربـــة وخالية، وعلى وجه الغَمْر ظلمة، وروح الله يَرِف على وجه المياه. "[(٢)].

ويعلن العهد القديم بأن روح الله "قدوس": "لا تطرحني من قدام وجهك، وروحك القدوس، لا تترعه مني. "[(٣)]، "ولكنهم تمردوا وأحزنوا روح قدسه، فتحول لهم عدواً، وهو حاربهم. ثم ذكر الأيام القديمة، موسى وشعبه: أين الذي أصعدهم من البحر مع راعي غنمه؟ أين الذي جعل في وسطهم روح قدسه"[(٤)].

ثانياً: العهد الجديد: يعلن بكل جلاء "أن الروح القدس أقنوم في اللاهوت، وهـــو واحد مع الآب والابن، وإن كان متميزاً عنهما، وكان له دور في الخليقـــة، وفي حفظهـــا، بخاصة في الخلائق التي فيها نسمة حياة، وله دوره في الفداء، فهو الذي أوحى للأنبياء عـــن مجيء المخلص. . . . . وجعل من المؤمنين كنيسة واحدة جامعة، وهو الذي يمنحها القـــوة لتشهد للمسيح، وهو الذي يرشدها إلى كل الحق، وهو الذي يجدد قلب الإنســـان الـــذي يؤمن بالمسيح، ويسكن فيه جاعلاً منه هيكلاً له، ومطهراً إياه، وهو الذي يعينه في صـــراعه ضد الجسد، والعالم والشيطان، كما يعينه في العبادة والصلاة.

---

(١) انظر: دائرة المعارف الكتابية (١٤٣/٤، ١٤٧).

(٢) (تك١: ٢).

(٣) (مز٥١: ١١).

(٤) (إش٦٣: ١٠-١١)

وبقوته التي أقام بها يسوع من الأموات سيقيم القديسين الراقدين في الوقت المعين عند مجيء المسيح"(١)، "وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم"(٢).

ويرى النصارى أن الروح القدس هو الأقنوم الثالث في الذات الإلهية، فهو في نظرهم أقنوم قائم بذاته، وإله مستقل بذاته، بمعنى أنهم يقولون عنه (الله الروح القدس)، كما يقولون عن الأقنومين الآخرين (الله الآب)، (الله الابن) (٣).

يقول القس جيمس أنس: "كل قارئ للكتاب المقدس يرى بوضوح أن الروح القدس شخص ذو صفات إلهية، ويقوم بأعمال لا يقوم بها إلا الله، وقد وهب بركات عظيمة لكل المؤمنين الذين عرفوه وسلموا نفوسهم له باعتباره الأقنوم الثالث في اللاهوت، ويُنسب إليه كشخص: العقل، والمعرفة ومشاعر المحبة والحزن، ويقف منه الناس المواقف التي يقفونها من الأشخاص، فيثورون، ويكذبون، ويجدفون عليه، ويزدرون به، ويُحزنونه، فليس الروح القدس تأثيراً ولا انفعالاً ولا مجرد قوة، بل هو شخص الله ذاته، إنه روح الله، وأحد الأقانيم الثلاثة"(٤) لأن "الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الآب، والكلمة، والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد"(٥).

يقول يس منصور: "الروح القدس هو الأقنوم الثالث في اللاهوت، وهو ليس مجرد تأثير أو صفة أو قوة، بل هو ذات حقيقي وشخص حي، وأقنوم متميز ولكنه غير منفصل، وهو وحدة أقنومية غير أقنوم الآب، وغير أقنوم الابن، وهو نظير الآب والابن، و مساوٍ لهما في السلطان والمقام، ومشترك وإياهما في جوهر واحد لاهوت واحد، وهذا سر عظيم أعلنه الكتاب المقدس، ويقبله العقل، وإن يكن فوق العقل"(٦).

---

(١) دائرة المعارف الكتابية: (١٤٨/٤).

(٢) (رو٨: ١١)

(٣) انظر: قانون الإيمان: (ص٨٤)، شرح موجز لأصول التعليم المسيحي "الكتاخيسمس الصغير": (ص١١٢).

(٤) اللاهوت النظامي: (ص١٩٠).

(٥) (١يو٥: ٧).

(٦) رسالة التثليث والتوحيد: يس منصور، مطبعة الإسكندرية، الطبعة الثانية: (ص٢٦٠).

ويقول زكي شنودة: "الروح القدس هو الأقنوم الثالث من اللاهوت الأقدس، وهو مساوٍ للآب والابن في الذات والجوهر والطبع، وكل فضل اللاهوت، وهو روح الله، وحياة الكون، ومصدر الحكمة والبركة، ومنبع النظام والقوة، ولذلك فهو يستحق العبادة الإلهية والمحبة والإكرام والثقة مع الآب والابن"(١).

وعن السبب في إطلاق اسم الروح القدس على هذا الأقنوم جاء في شرح أصول الإيمان:

"س: لماذا يقال عنه الروح القدس؟.

ج: يقال عن الأقنوم الثالث (الروح القدس) ليس لكونه يمتاز بقداسته عن الأقنومين الأول والثاني، بل إشارة إلى نوع فعله، لأنه هو مصدر القداسة في كل الخليقة، فكما أن الابن يسمى (الكلمة) لكونه الإله المتكلم كذلك الروح تسمى (الروح القدس) لكونه الفاعل في القداسة"(٢).

يقول القس جيمس أنس: "لما كانت تسمية أقانيم الثالوث الأقدس من الأسرار الإلهية فيجب أن يكون كلامنا فيها مبنياً على الكتاب المقدس، ومنه نرى أنه سُمي (الروح) ليس لأن بينه وبين الأقنومين الآخرين تمييزاً في روحانية الجوهر، لأنهم متساوون في ذلك، بل إشارة إلى عمله غير المنظور وهو إنارة أرواحنا وإرشادها وتجديدها وتقديسها، ولذلك سُمي أيضاً (روح القداسة) و(روح الحق) و(روح الحكمة) و(روح السلام) و(روح المحبة)؛ لأنه ينشئ كل ذلك فينا وكلمة (القدس) تميزه عن جميع الأرواح المخلوقة التي هي دونه في القداسة بما لا يقاس"(٣).

---

(١) تاريخ الأقباط: (٢٤٠/١).

(٢) شرح أصول الإيمان: (ص٥٧).

(٣) اللاهوت النظامي: (ص١٩٠).

المبحث الثالث: تاريخ إضافة لفظ "والابن" إلى قانون الإيمان.

أضاف الكاثوليك في تلاوة قانون الإيمان عبارة (Filiogue) وهـي باللاتينية وتعـني (الابن)، ويعدون هذه الاضافة إضافة حسنة، حيث إنها تفسر حقيقة من حقائق الإيمان المسيحي.

يقول البطريرك[١] مكسيموس مظلوم: "يجب على كل المسيحيين أن يعتقدوا ويقبلوا حق إيماننا هذا، وهكذا يعترفون جميعاً بأن الروح القدس هو من الآب والابن منـذ الأزل، ويتخذ جوهره ووجوده من الآب والابن معاً، من اثنينهما انبثاقاً أزلياً كمن مبـدأ واحـد ونفخة واحدة، ثم نوضح أن أقوال الآباء القديسين عن الروح القدس: إنه ينبثق مـن الآب والابن. معناه هو هذا: أي أن الابن أيضاً هو علة أقنوم الروح القدس كما تقول الروم، أو مبدأه كما يقول اللاتينيون نظير ما أن الآب هو علته ومبدأه؛ ولأن كل ما للآب منحه لابنه الوحيد عند إيلاده ما عدا كونه أباً، فهكذا هو اتخذ من الآب أزلياً أن يبثق الروح القـدس، وما عدا هذا نحكم أيضاً بأن زيادة لفظة (والابن) في قانون الإيمان قد كانت زيادة حسـنة، وقد وضعت بغاية الصواب من حيث إنها تفسر حقيقة من حقـائق الإيمـان، ولأجـل أن الضرورة كانت حينئذٍ تقتضي هذه"[٢].

وقد أضيفت هذه اللفظة في إسبانيا سنة (٤٠٠م) في مجمع طليطلـة الأول لإثبـات الانبثاق المزدوج للروح القدس دحضاً لتعاليم شيعة تدعى (بريسيليانيست)، ومما جاء فيـه: "نؤمن بالإله الواحد الحقيقي، الآب والابن والروح القدس، خالق ما يُرى ومـا لا يُـرى، الذي به كان كل شيء في السماء وعلى الأرض، هذا هو الإله الوحيد، وهذا هو الثـالوث الوحيد ذو الاسم الإلهي (الجوهر الإلهي) ولكن الآب ليس هو الابن نفسه، ولكن له ابـن ليس هو الآب، الابن ليس هو الآب، ولكنه ابن الله من ذات طبيعة الآب، والـروح هـو

---

(١) البطريرك: هو أب الكنيسة كلها، يرأس المجمع المقدس، ويشترك مع الأساقفة في سيامة المطارنة والأساقفة وعمل الميرون. قاموس المصطلحات الكنسية، تادرس ملطي: (ص١٣).

(٢) إعلام مسمى صدق حقيقة الانبثاق، ودحض المصر على الانشقاق: السيد مكسيموس مظلوم البطريرك الأنطاكي، طبع في دير الرهبان الفرنسيسكانيين في مدينة أورشليم سنة ١٨٤٨م: (ص٩-١٠).

المعزي الذي ليس هو الآب نفسه ولا الابن، ولكنه ينبثق من الآب والابن، فالآب إذاً غير مولود، والابن مولود والمعزي غير مولود، ولكنه ينبثق من الآب والابن"[١].

وفي سنة (٥٨٩م) طلب مجمع طليطلة الثالث من القوط المتنصرين أن يوقعوا أسماءهم على الدستور مع وجود الزيادة فيه.

وفي مجمع طليطلة الرابع سنة: (٦٣٨م) صار ذلك النص بزيادة "والابن" هو النص المقبول، ومما جاء فيه: "إننا نعترف على حسب الأسفار الإلهية والعقيدة التي تقبلناها من الآباء القديسين، أن الآب والابن، والروح القدس لهم لاهوت وجوهر واحد، وفي إيماننا بالثالوث المتعدد الأقانيم وكلامنا على الوحدة في اللاهوت لا نجعل بين الأقانيم اختلاطاً ولا في الجوهر انفصالاً، نقول: إن الله لم يصنعه ولم يلده أحد، ونقول: إن الابن لم يصنعه الآب ولكنه ولده، ونعترف بأن الروح القدس لم يُصنع ولم يولد ولكنه ينبثق من الآب والابن".

وتُلي ذلك النص مع الزيادة في مجمع طليطلة الثامن سنة (٦٥٣م) ثم في مجمع طليطلة الثاني عشر سنة (٦٨١م).

وفي سنة (٨٠٩م) أمر الإمبراطور شارلمان بإضافة تلك اللفظة إلى قانون الإيمان، فعارض البابا لاون الثالث زيادة كلمة (والابن) وحجته أن المجامع المسكونية منعت إدخال أي زيادة على ما وضعته في الدستور، ولذلك أمر بنقش دستور الإيمان باللغتين اللاتينية واليونانية بدون الزيادة على صفيحتين من الفضة، علقهما على منبر الاعتراف في كنيسة القديس بطرس في رومة حيث لا تزالان محفوظتين حتى الآن.

ولم يُسمح باستعمال الدستور مع الزيادة في القداس في رومة حتى سنة (١٠١٤م) ففي تلك السنة اقتنع البابا بندكتوس الثامن بإدخال الزيادة استجابة لإلحاح الإمبراطور هنري الثاني.

---

(١) مجموع الشرع الكنسي: (ص٢٥٠)، وانظر: الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (١/١٦٧)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص٦٠).

يقول الأسقف بيرسون في تفسير المادة الثامنة من دستور الإيمان: "والآن على الرغم من أن زيادة كلمة (والابن) على الدستور الأصلي كان بدون موافقة الكنيسة الشرقية وعلى الرغم من احتجاجاتها بأن الزيادة لا تجوز شرعاً، ففي الزيادة مع ذلك بعض الحقيقة، ويمكن أن يستعملها الذين أضافوها، ويعتقدون بصوابها ما داموا لا يدعون بأنها من وضع ذلك المجمع، بل يصرحون أنها زيادة للإيضاح، كما أنه لا يجوز الحكم على أولئك الذين لاحترامهم الفائق للتحديدات المجمعية لا يسمحون بإدخال أي زيادة عليها، ولا يريدون أن ينطقوا بأية لغة إلا لغة الكتب المقدسة، وبما نطق به آباؤهم، أي معلمو الكنيسة".

وفي سنة (١٠٧٧م) لم يعارض ثيوفيلاكتس الغرب في إبقائه دستور إيمانه متضمناً كلمة (والابن) ولكنه حصر اعتراضه في إدخال الكلمة في متن الدستور.

يقول الدكتور بوسي: "بما أن الكلمة التي وجدت طريقها إلى الدستور قُبلت في أول الأمر على أنها جزء من الدستور القسطنطيني، وبعد أن صارت في متنه مدة مئتي سنة لم تنزع منه فيما بعد خشية من زعزعة إيمان الشعب أو تشويش أفكاره، فلم يكن إذاً من خطأ في قبولها أولاً، وعدم حذفها فيما بعد. . . .

إن الأرثوذكسيين إنما يُصدرون الحكم ضد آبائهم أنفسهم في إعلانهم أن الزيادة بدعة؛ لأنه مما يناقض شرائع ومبادئ الكنيسة أن يكون لنا شركة مع المبتدعين، ومع ذلك فمن عهد فوتيوس في سنة (٨٨٦م) إلى سنة (١٠٠٩م) على الأقل واظب كل من الشرق والغرب على تلاوة دستور الإيمان كل حسب النص الذي عنده بدون أن يحدث بينهما انشقاق"(١).

(١) انظر: مجموع الشرع الكنسي: (ص٢٤٨-٢٥٤)، الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (١/١٦٧)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص٦٠).

المبحث الرابع: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الكاثوليكية ومن وافقها في قضية الإيمان بانبثاق الروح القدس

يعتقد الكاثوليك ومن وافقهم أن قضية انبثاق الروح القدس من الآب والابن معاً منذ الأزل من مبدأ واحد ونفخة واحدة مؤسس على ألفاظ الكتاب المقدس، وشهادة الآباء.

المطلب الأول: البراهين الكتابية:

يستشهد الكاثوليك على صحة ما ذهبوا إليه بالنصوص التالية:

١. بعد أن قال يسوع لرسله القديسين: "أنا هو الطريق والحق والحياة، لا يمضي أحد إلى الآب إلا بي، فلو كنتم تعرفونني لعرفتم أبي أيضاً، منذ الآن تعرفونه، وقد رأيتموه"[١].

أردف كلامه بقوله لهم: "وأنا أطلب من الآب أن يعطيكم بارقليطاً[٢] آخر يثبت معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لا يطيق العالم أن يقبله"[٣].

فالبارقليط إذاً هو روح الحق، فهو إذاً روح الابن الذي هو الحق، ثم قال: "وإذا جاء البارقليط الروح القدس الذي يرسله الآب باسمي هو يعلمكم كل شيء، وهو يذكركم ما قلته لكم"[٤].

---

(١) (يو ١٤: ٦-٧).

(٢) في الترجمة العربية لإنجيل يوحنا لم يذكر المترجم "البارقليط" بهذا اللفظ المعربة حروفه، وهذا بحسب ما يذكر الأب متى المسكين نقص معيب وتصرف من المترجم، حيث ترجم معناها من اليونانية إلى معناها بالعربية وجعلها اسم صفة (المعزي). ويعتبر إنجيل يوحنا في اللغة اليونانية الأصلية هو الإنجيل الوحيد الذي أعطى للروح القدس لغوياً من جهة النحو صفته الشخصية، إذ نقله من دائرة المجردات كقوة إلى ذات مشخصة، فمهد بهذا اللقب لمفهوم الثالوث. انظر: المدخل لشرح انجيل القديس يوحنا، دراسة وتحليل: الأب متى المسكين: (ص٢٤٧). يقول موريس بوكاي ما نصه: "ذلك يقودنا بمنتهى المنطق إلى أن نرى في الــ **"paraclet"** عند يوحنا كائناً بشرياً مثل المسيح يتمتع بحاستي السمع والكلام، وهما الحاستان اللتان يتضمنهما نص يوحنا بشكل قاطع. إذاً فالمسيح يصرح بأن الله سيرسل فيما بعد كائناً بشرياً على هذه الأرض ليؤدي الدور الذي عرفه يوحنا، وهو دور نبي يسمع صوت الله، ويكرر على مسامع البشر رسالته-محمدﷺ- وذلك هو التفسير المنطقي لنص يوحنا إذا أعطينا الكلمات معناها الفعلي" دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة: دانة للطباعة والنشر دمشق، بيروت، ١٩٩١، الطبعة الأولى: (ص١٢٨-١٢٩).

(٣) (يو١٤: ١٦).

(٤) (يو ١٤: ٢٦).

فما هو إرسال البارقليط باسم الابن إلا انبثاقه منه كانبثاقه من الآب، ثم أتبع كلامه قائلاً بعد ذلك: "وإذا جاء البارقليط الذي أنا أرسله إليكم من الآب هو يشهد لي"(١).

"لأني إن لم أذهب لا يأتيكم البارقليط، وإذا انطلقت أرسلته إليكم"(٢)، فترى أيمكن أن يُفهم الإرسال المذكور بطريقة الأمر؟ حاشا؛ لأن الأقانيم الإلهية الثلاثة متساوون بالجوهر والعزة والكرامة، وليس فيهم أصغر وأكبر وآمر ومأمور، بل يُفهم بالإرسال الصدور لا غير؛ لأنه كما أن إرسال الآب الابن ليس هو إلا صدور الابن من الآب بالولادة، هكذا إرسال الابن الروح القدس ليس هو إلا صدور الروح القدس من الابن بالانبثاق.

٢. كما قال عن البارقليط: "وهو يمجدني لأنه مما لي يأخذ، ويخبركم جميع ما للآب فهو لي، من أجل هذا قلت لكم أن مما لي يأخذ ويخبركم"(٣).

فهذه العبارة كما يقرر البطريرك مكسيموس لا يوجد أوضح منها حيث تبين انبثاق الروح القدس من الابن أيضاً، إذ أن الروح القدس يأخذ مما للابن الذي هو جميع ما للآب تماماً.

٣. ما ورد في رسالة بولس إلى أهل غلاطية: "فإذا أنتم بنون أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم"(٤). كما أنه كتب إلى أهل رومية: "وأما أنتم فلستم في البشرة، بل في الروح، إن كان روح الله يثبت فيكم، وإن أحد ليس له روح المسيح، فهذا ليس هو للمسيح"(٥)، "والروح يشهد لأن الروح هو الحق"(٦).

---

(١) (يو ١٥: ٢٦)
(٢) (يو ١٦: ٧)
(٣) (يو ١٦: ١٤-١٥)
(٤) (غلا ٤: ٦).
(٥) (رو ٨: ٩).
(٦) (١ يو ٥: ٦).

يقول البطريرك الأنطاكي مكسيموس: "فبعد إنَّ ألفاظاً هكذا مدونـــة في الكتـــاب الإلهي، أيمكن أنه مع ذلك يستطيع أحد المسيحيين أن يقول عن الروح القدس: إنه لا ينبثق من الابن كانبثاقه من الآب، أو ليس هو روح الابن؟ ولا يُعدّ ضالاً في الإيمان الذي حقائقه لا تتجزأ، بل من ينكر واحدة فقط منها بعناد صوري فيحسب أراتيكياً، ولو آمن هو بكل حقائقه الأخرى.

ثانياً: إنه مبدأ مسلم به من كل آباء الكنيسة وعلمائها واللاهوتيين أجمعين "أن كـــل قضية نراها محفوظة في كل آنٍ وأينٍ بين المؤمنين، ولا تكون مرسومة في مجمع مســـكوني أو يُعرف لها بداية زمن متأخر عن الرسل فهي تكون من التقليد الرسولي، والحال أنَّ الاعتقـــاد بأن الروح القدس من الآب والابن، ما عدا كونه واضحاً في الكتاب المقـــدس بالنصـــوص الموردة آنفاً فهو عند المؤمنين لا سيما الكاثوليكيين أبناء الكنيسة الجامعة بمعتقد عام في كل آنٍ وأينٍ، ولم يرسم كتعليم جديد في مجمع ما مسكوني، ولا يعرف لهذا الاعتقـــاد بدايـــة متأخرة عن زمن الحواريين.

فهو إذاً موطد بعد الكتاب الإلهي من التقليد الرسولي أيضاً، ولذلك فإن عدداً وافراً من الآباء القديسين شرقاً وغرباً قد أوردوه في مؤلفاتهم كقاعدة من قواعد الإيمان"[١].

---

(١) إعلام مسمى صدق حقيقة الانبثاق ودحض المصر على الانشقاق: (ص١٥).

المطلب الثاني: شهادة الآباء[1]:

يستدل البطريرك الأنطاكي مكسيموس مظلوم على صحة معتقد الكاثوليك بالانبثاق المزدوج للروح القدس بأقوال الآباء الشرقيين عملاً بقول القائل: "من فمك أدينك" فيقول: "أما نظراً إلى أقوال الآباء القديسين المؤكدة لهذه الحقيقة الدينية شرقاً وغرباً فهي وافرة العدد جداً، ولكن نحن نكتفي بأن نورد ههنا جانباً مما كتبه القديسون الشرقيون":

1(القديس أثناسيوس الكبير:

قال في رسالته إلى سرابيون: "من حيث إن الروح القدس له الرتبة والطبيعة نظراً إلى الابن التي للابن نظراً إلى الآب. فكيف يمكن أن الذي يُسمَّى الروح القدس خليقة لا يعتقد هذا المعتقد نفسه بالضرورة عن الابن".

وقال في مقالته الثانية ضد الآريوسيين: إن السيد المعطي الروح القدس يقول: "إن كنت أنا أخرج الشياطين بروح الله. . . فهذا الكلام قاله لليهود كإنسان، وإذا أوضح لتلاميذه لاهوته وعظمته، قد صرح لهم أنه ليس بأقل من الروح القدس بل هو أعظم منه(نظراً للعلة) ومساوياً له، وكان يعطيهم الروح قائلاً: خذوا الروح القدس، وأيضاً: أنا أرسله إليكم، وأيضاً: هو يمجدني وما يسمعه يتكلم به".

وكتب في مقالته الرابعة ضد الآريوسيين قائلاً: "إن المسيح يمنح الروح، لأن كل ما هو للروح القدس فقد اتخذ من الكلمة، فلا تأخذ ثلاثة شموس بل شمساً واحدة وشعاعها والنور المنبثق من كليهما".

وقال في عظته على تجسد الكلمة: لهذا كان داود يرتل قائلاً: "لأن ينبوع الحياة عندك، وبنورك نعاين النور"، وذلك لأنه قد عرف أن الابن عند الآب هو ينبوع الروح القدس.

ودوَّنَ في صورة الإيمان المؤلفة منه هكذا: "إن الروح القدس هو من الآب والابن لا مصنوع ولا مخلوق ولا مولود بل منبثق".

---

(١) إعلام مسمى صدق حقيقة الانبثاق ودحض المصر على الانشقاق: (ص١٦-٢٥).

2(القديس باسيليوس الكبير[١]:

قال القديس باسيليوس الكبير في الليتورجيا[٢] المعنونة باسمه في الأفشين الذي قبـــل أفشين التقديس هكذا:

"يا أبا الإله العظيم مخلصنا وربنا ورجاءنا يسوع المسيح الذي منه صدر الروح الحق".

وكتب في مقالته عن الروح القدس: "إننا لا نقول آبين ولا ابنين، لأن الروح القدس ليس هو ابناً ولا يدعى ابناً، لأننا لم نقبل من الروح القدس شيئاً مثل ما قبل الروح القـــدس من الابن".

وقال في الرأس الرابع عشر من كتابه عن الروح القدس: "إن اســـم الآب، والابـــن والروح القدس قد وضعوا معاً، ولأجل ذلك كما أن الابن يُنسب إلى الآب: هكذا الـــروح القدس ينسب إلى الابن، حسب نظام كلمة الله المسلمة لنا في المعمودية، والحال أن الابن لا ينسب إلى الآب إلا نسبة العلة بإتلاده منه، فإذاً لم تكن نسبة الروح القدس إلى الابـــن إلا نسبة العلة بانبثاقه منه".

3(القديس غريغوريوس الثيؤلوغوس[٣]:

قال في مقالته الخامسة عن اللاهوت معترضاً هكذا: "فماذا ينقص الروح القدس عن أن يكون ابناً، لأنه إن كان لا ينقصه شيء فهو إذاً ابن"، ثم يجيب هو نفسه على ذلك قائلاً: "إننا نعترف بأنه لا ينقصه شيء؛ لأنه ليس إلهاً غير كامل، بل إن اختلاف الصدور والإضافة

---

(١) باسيليوس الكبير: (٣٢٩-٣٧٩) ولد في قيصرية "في قلب تركيا " من أبوين مسيحيين، تم ترسيمه أسقفاً لقيصرية سنة (٣٦٤م)، عمل على توحيد الكنيسة، يعد باسيليوس رجل فكر وعمل وإدارة، له العديد من العظات التفسيرية وبحثان لاهوتيان ومن مواعظه: كتاب الأيام الستة، انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: (ص٤٩٥-٥١٢).

(٢) الليتورجيا: الصلاة الكنسية الجماعية. قاموس المصطلحات الكنسية: (ص٤٦).

(٣) غريغوريوس التريتزي "الناطق بالإلهيات أو الثيؤلوغوس" اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ مولده، ولد في مدينة صغيرة تقع في الجنوب الغربي من كبادوكية وتدعى: نزيترة، انتخب أسقفاً لنـــزينـــزة عام (٣٢٥م)، شكلت عقيدة الثالوث لديه هاجساً لا يفارقه، فدافع عنها بلا ملل. يعده أنصاره رائداً في اللاهوت الأرثوذكسي، وهلييني جمع في صدره الحضارتين الإغريقية والمسيحية، كان من ألمع من كتب باليونانية شعراً في عصره. انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: (ص٥١٣-٥٢٨).

يصير تسميتهم مختلفة، أي أن صدور الابن من الآب، وإضافته إليه بالبنوة، وصدور الروح القدس من الابن وإضافته إليه بالانبثاق تصيران ذاك وحده يُدعى ابناً، وهذا وحده يُسمى روحاً قدوساً، وهكذا تختلف التسمية.

وقال في مقالته التي تلاها أمام آباء المجمع المسكوني الثاني القسطنطيني الأول: "إن المتره عن المبدأ، والمبدأ، وذاك الذي هو مع المبدأ، هم إله واحد، أما الاسم المتره عن المبدأ فينسب للآب، والمبدأ هو الابن، والذي مع المبدأ هو الروح القدس، فإذاً الابن هو مبدأ الروح القدس بنتيجة كلية الوضوح".

4(القديس كيرللوس الإسكندري:

قال في كتابه عن الإيمان المستقيم: "إن إيهاب الحياة يجب أن ينسب لا لطبيعة الجسد بل لطبيعة القوة العليا، وللطبيعة الفائقة على كل المخلوقات كأنها من أقنوم الله الآب، الذي منه صدر الابن مساوياً له في كل الأشياء، وأما الروح المحيي فهو ينبثق من كليهما".

وقال في كتابه المدعو الكتر: "إن الروح القدس كما أنه هو روح الآب، هكذا هو روح الابن".

وقال في كتابه الرابع ضد نسطوريوس: "كما أن الروح القدس يخرج من الآب وهو له بحسب الطبيعة، فبهذا النوع نفسه على حد سواء يخرج بالابن إذ أنه هو له طبيعياً".

5(القديس أبيفانيوس[1]:

قال في كتابه المرسى: "إن الروح القدس هو روح الآب والابن. وهو من الآب والابن"، وقال في دحضه الهرطقة السادسة والستين ضد سابليوس: "إن الروح القدس هو دائماً مع الآب والابن وليس كأخ للآب ولا مولوداً ولا مخلوقاً ولا كأخ للابن، بل منبثق وليس هو غريباً من الآب والابن، بل هو من الجوهر نفسه ومن ذات اللاهوت أي من الآب والابن".

---

(١) القديس أبيفانيوس: ولد سنة (٣١٥م) في فلسطين من والدين يهوديين، عين أسقفاً بقبرص سنة (٣٦٧م)، اتسم بغيرته الشديدة وحزمه الشديد بخصوص الإيمان المسيحي المستقيم، مع حبه الفائق للفقراء، كان مقاوماً للتفسير الحرفي للكتاب المقدس، ومعارضاً للأيقونات من أهم كتبه: الإنسان ذو المرساة الثابتة، ضد الهرطقات، الأوزان والمقاييس انظر: سير القديسيين والشهداء في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية: نسخة إلكترونية.

كما قال: "إنه ربما يقول أحد: إذاً نحن نقول إنه يوجد ابنان، فكيف إذاً الكلمة هو الابن الوحيد؟!

فأجيب عن ذلك: من هو أنت يا هذا حتى أنك تتكلم ضد الله، لأنه سمى ابناً ذاك الذي هو منه، وروحاً قدوساً ذاك الذي من كليهما؟ فاسمع يا هذا! إن الآب هو آب لابن حقيقي وكله نور، والابن هو ابن لآبٍ حقيقي نور من نور، والروح القدس روح الحق هو نور ثالث من الآب والابن. "

6(القديس يوحنا الدمشقي[١]:

قال في كتابه الأول عن الإيمان المستقيم في الرأس ١٨: "إن الابن هو تمثال الآب والروح القدس هو تمثال الابن، فإذاً كما أن الابن هو تمثال الآب لعلة صدوره منه بالولادة، هكذا الروح القدس هو تمثال الابن لعلة صدوره منه بالانبثاق".

يقول الأب يوسف رمزي بعد سياقه للأدلة التي يبرهن بها على صحة معتقد الكاثوليك "وبعد أمام هذه الأدلة الصريحة الواضحة ألا نسجد شكراً لله لأنه حفظ كنيستنا في الإيمان السليم لعقيدة انبثاق الروح القدس من الآب والابن كما وضحت من النصوص الكتابية وتعاليم آبائنا القديسين؟ نعم لربنا المجد والتقديس والإكرام والخلاص لنفوسنا آمين"[٢].

ولا يوجد ردٌّ على قوله أبلغ من قول الباري تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [سورة الكهف ١٠٣ – ١٠٥].

---

(١) القديس يوحنا الدمشقي: (٦٦٠، ٧٤٩)، ولد في دمشق في إحدى كبريات الأسر المسيحية، شغل والده منصباً رفيعاً في الإدارة الأموية، كان أول من حاول أن يضع عرضاً مجملاً للعقيدة المسيحية، ووجه اهتمامه إلى شرح الكتاب المقدس والحياة النسكية، كان خطيباً لبقاً، وعُني بالشعر والموسيقى الكنسيتين، كان متأثراً بصورة كبيرة بيوحنا فم الذهب. من مؤلفاته: ينبوع المعرفة، مبحث في الثالوث الأقدس، بيان الإيمان القويم وشرحه. انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: (ص٦٦١-٦٨٦).

(٢) مقال انبثاق الروح القدس من الآب والابن: الأب يوسف رمزي، موقع سلطانة الحبل بلا دنس، تاريخ المقال: (١١/٧/٢٠١٠م).

المبحث الخامس: موقف الكنيسة الأرثوذكسية من انبثاق الروح القدس

تجمع الكنائس الأرثوذكسية سواء الخلقيدونية منها أو غير الخلقيدونية على انبثـــاق روح القدس من الآب وحده[1].

المطلب الأول: انبثاق الروح القدس من الآب وحده عند الأرثوذكس.

جاء في دستور الإيمان الأرثوذكسي المؤلف من اثني عشر بنداً: "نؤمن بإله واحـــد، آب ضابط الكل، خالق السماء والأرض، كل ما يُرى وما لا يُرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابـــن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق. . . ، وبالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن مسجود لـــه وممجـــد، النـــاطق بالأنبياء".

وترى الكنيسة الأرثوذكسية أن في تعليم الكنيسة الكاثوليكية ومن وافقها تحريفاً لدستور الإيمان المنقوش باللاتينية واليونانية بدون زيادة لفظ "والابن" بل إن هذه الإضافة علـــى قـــانون الإيمان تُعد هادمة لخواص الأقانيم الإلهية وسر الثالوث كله، جاء في دستور الإيمان الأرثوذكسي ما نصه:

"س: لماذا قلت: المنبثق من الآب فقط، بينما اللاتين والبروتستانت يقولون: المنبثـــق مـــن الآب والابن؟

ج: إن قولهم هذا في الروح القدس تحريف لدستور الإيمان الأرثوذكسي الشريف المنقوش باليونانية واللاتينية على ألواح فضية بأمر البابا الأول لاون الثالث في الجيل التاسع في الفاتيكان سنة (٨١٠م) بـــدون زيادة لفظ (والابن) بل قولهم هذا هو هادم خواص الأقانيم الإلهية وسر الثالوث كله، لأن الانبثاق فعل باطني في اللاهوت يختص بالآب وحده، ولا يمكن أن يُنسب هذا الانبثاق للابن لئلا يكون الابن ابناً وآباً في آن واحد، ويصير الروح القدس شريكهما في كل شيء باثقاً نفسه أو باثقاً روحاً غيره، فيصير عندنا ثلاثة آباء فيتبلبل نظام الثالوث الأقدس، لاسيما وأن يسوع نفسه قال لتلاميذه: "سأرسل لكم روح الحق الذي مـــن

---

(١) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٦٤)، انبثاق الروح القدس في فكر الآباء الأولين: القمص تادرس ملطي: (ص٥)، الفروق العقيدية: (ص١٤).

الآب ينبثق"(١) فخصص انبثاق الروح القدس من الآب بتقديمه كلمة "من الآب" على "ينبثق" لسابق علمه بأن الكنيستين البابوية والبروتستانتية ستخالفان قوله وتزعمان باطلاً أن الروح القدس منبثق من الآب والابن معاً لا من الآب فقط، وتقعان في الضلال المبين"(٢).

يقول القمص عبد المسيح ثاوفيلس في شرح قانون الإيمان:

"هكذا عبَّر عنه رب المجد: "ومتى جاء المعُزِّي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق"(٣)، وهكذا سجل مجمع القسطنطينية المنعقد سنة (٣٨١م) في قانون الإيمان، لكن البابا بنديكتوس الثامن بابا روما عام(١٠١٤م) زاد لفظة "والابن" على هذه العبارة وجعلها المنبثق من الآب والابن، مُبرِّراً عَمَلَهُ بالقول: حيث إن الآب والابن واحد في الجوهر؛ فالمنبثق من الآب منبثق من الابن. . . ، على أنه لا يحق لنا أن نزيد على ما عبر به الرب يسوع.

وورد في قانون الإيمان: "واعتقادنا المستقيم في الثالوث القدوس أن الآب والد للابن باثق للروح القدس، وأن الابن مولود من الآب أزلاً، ومن الروح القدس ومن مريم العذراء زمنياً للتجسد، وأن الروح القدس منبثق من الآب أزلاً، ومُرسَل منه ومن الابن زمنياً "يوم الخمسين"(٤) ليقيم للابن ملكوتاً، ويؤيد الرسل وخدام الله المؤمنين بالقوة والمواهب المختلفة؛ لتدعيم صرح هذا الملكوت. . .

---

(١) (يو ١٥: ٢٦).

(٢) دستور الإيمان الأرثوذكسي المسمى "الطريق القويم في التعليم المسيحي المستقيم" توفيق الحداد، كنيسة النبي إلياس الغيور للروم الأرثوذكس في مدينة قطنا، سوريا: (ص٦-٧).

(٣) (يو ١٥: ٢٦).

(٤) يوم الخمسين: ويسمى بعيد العنصرة، وهو عيد حلول الروح القدس، وسُمي بعيد الخمسين؛ لأنه يأتي بعد القيامة بخمسين يوماً، أما كلمة "عنصرة" فهي كلمة عبرية معناها "اجتماع"، وفيها أيضاً معنى الامتناع؛ لأنهم كانوا يمتنعون عن العمل في هذا اليوم، ويعتقد النصارى بأن الروح القدس استُعلن في يوم الخمسين في مظهرين مظهر ريح عاصف ومظهر ألسنة كأنها نار "ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع بنفس واحدة، وصار بغتة من السماء صوت كما هبوب ريح عاصف وملأ كلَّ البيت حيث كانوا جالسين، وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها نار، واستقرت على كل واحد منهم فامتلأوا جميعاً من الروح القدس وأخذوا يتكلمون بلغة غير لغتهم على ما منحهم الروح القدس أن ينطقوا".
انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٣/٣٧٠)، الروح القدس الرب المحيي: الأب متى المسكين، مطبعة دير القديس أنبا مقار، وادي النطرون، الطبعة الأولى: (ص١٤٣)، تأملات في عيد حلول الروح القدس: نيافة الأب يوآنس، الطبعة الأولى: (ص١٠)، أديان العالم: حبيب سعيد، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة: (ص٢٤٢).

ولا يعني انبثاق الروح القدس من الآب انفصاله عنه فالأقانيم الإلهية مع تميزها تتسم بوحدانية الجوهر، إنما يعني ظهور أثره واضحاً فيما أفاضه على مخلوقاته من الحيوية وعلى المؤمنين من النعم والبركات. . . ، تماماً كما تصدر الفكرة من العقل وتبقى فيه في نفس الوقت"[١].

المطلب الثاني: علاقة الروح القدس بالآب والابن عند الأرثوذكس.

"ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي"[٢]، وأيضاً: "إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي، ولكن إن ذهبت، أرسله إليكم"[٣].

يرى علماء اللاهوت الأرثوذكسي أن هناك فرقاً لاهوتياً كبيراً بين لفظ "الانبثاق" و"الإرسال".

يقول البابا شنودة الثالث: "من المهم أن نعرف أن هناك فرقاً لاهوتياً كبيراً بين الإرسال والانبثاق، فالإرسال في حدود الزمن، أما الانبثاق فهو منذ الأزل"[٤].

وكمثال نقول: كما أنه قيل عن تجسد "الابن" "ولكن لما جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس[٥] ليفتدي الذين تحت الناموس"[٦].

وعلى الرغم من إرسال الابن إلى العالم في ملء الزمان، إلا أن الابن كان مولوداً من الآب منذ الأزل بل إن "كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان"[٧]، فولادته

---

(١) شرح وتفسير قانون الإيمان: المتنيح عبد المسيح ثاوفيلس النخيلي، تقديم ومراجعة نيافة الحبر الأنبا بيشوي ونيافة الحبر الأنبا موسى، مطبعة دير الشهيد مارمينا العجائبي بمريوط: (ص٧٦).

(٢) (يو ١٥: ٢٦).

(٣) (يو ١٦: ٧).

(٤) قانون الإيمان: (ص٩١-٩٢).

(٥) الناموس: أصلها كلمة يونانية بمعنى شريعة أو قانون، وتستخدم للتعبير عن وصايا الله. قاموس المصطلحات الطقسية والكنسية، نسخة إلكترونية.

(٦) (غلا ٤: ٤-٥).

(٧) (يو ١: ٣).

الأزلية شيء، وإرساله في ملء الزمان شيء آخر. . . ، هكذا الأمر مع الروح القدس: انبثاقه الأزلي شيء وإرساله على التلاميذ في يوم الخمسين شيء آخر"(١).

كما يقول الأب متى المسكين: "قول المسيح أرسله أنا إليكم من الآب"(٢) أجبرنا أن نتتبع المعنى اللاهوتي في كلمتي "الانبثاق" و"الإرسال"، فلو تعمقنا في معنى الانبثاق نفهمه أنه دوام الانبعاث، كانبعاث النور من مصدره، أو كانبعاث الروح من مصدر الحياة، حتى أن كلمة "انبعاث" في الأصل العبري تحمل تماماً معنى الانبثاق، وقد رجعنا إلى القديس باسيليوس في إحدى رسائله عن الروح القدس، فوجدناه يتكلم عن الانبثاق هكذا:

"الروح القدس الذي من نبعه تستمد كل الخليقة صلاحها هو متصل بالابن ولا يُدرك إلا متصلاً به، أما كيانه فيأخذه من الآب الذي ينبثق منه. . . .

الابن هو الذي يعلن الروح القدس، الروح القدس ينبثق من الآب في الابن. . . .

الروح القدس يُستعلن في الابن وبه".

وقول القديس باسيليوس يثير عقلنا جداً، وخصوصاً في جعل الانبثاق شديد الوضوح أنه من الآب فقط، ولا يمكن أن يكون من الآب والابن معاً، إذ جعل الانبثاق فعلاً غائياً "أي له غاية" وغايته تنصب في الابن: منبثق من الآب في الابن" إذاً لا يمكن أن يكون منبثقاً من الآب والابن وإلا لزم أن يكون منبثقاً منهما في آخر وإلى آخر ومن يكون هذا الآخر؟!

لا يمكن أن يكون العالم أو الإنسان، لأن هذا معناه: إما أن يكون العالم أو الإنسان قائماً أزلياً كأزلية الانبثاق! وإما أن الانبثاق نفسه المتعلق بالعالم أو الإنسان "غير الأزلي" هو أيضاً غير أزلي، وكلا الوضعين خطأ.

أما إذا قيل: إن الروح القدس منبثق من الآب والابن إلى لا شيء، فهنا تصاب كلمة "الانبثاق" بعجز كلي يفقدها معناها ومبناها، كأن تقول مثلاً: إن النور منبثق من المصباح إلى لا شيء، فالنور إن لم يكن له ما يستقبله كيف يُدعى نوراً وكيف يقال إنه منبثق؟

---

(١) قانون الإيمان: (ص٩٢-٩٤)، وانظر: الروح القدس وعمله فينا: (ص١٦).

(٢) (يو ١٥: ٢٦).

كذلك الروح القدس هو روح، ونور وحق، وحياة، وحب منبثق من الآب ومستقر في الابن، معلن في الابن ومستعلن أيضاً بالابن، وعلى هذا الأساس استطاع المسيح أن يرسله من عند الآب! "(١).

وللتمييز بين إرسال الروح القدس وبين انبثاقه يدعو القمص تادرس ملطي إلى تأمل النصوص الواردة في كتابات يوحنا:

"وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم"(٢).

"وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بما قلته لكم"(٣).

"ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي"(٤).

"وأما الآن فأنا ماضٍ إلى الذي أرسلني. . . ، لكني أقول لكم الحق: إنه خير لكم أن أنطلق؛ لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم"(٥).

المطلب الثالث: نتائج عقيدة الانبثاق من الآب والابن.

يرفض الأرثوذكس القول بانبثاق الروح القدس من الآب والابن معاً؛ لأن هذا القول يفضي إلى نتائج باطلة حسب معتقدهم، يقول القمص ملطي: إن القول بازدواج الانبثاق للروح القدس من الآب والابن معاً يعني الآتي:

---

(١) الروح القدس الرب المحيي: (١/١٥١-١٥٢).

(٢) (يو ١٤: ١٦-١٧).

(٣) (يو ١٤: ٢٦).

(٤) (يو ١٥: ٢٦).

(٥) (يو ١٦: ٥-٧).

١) تشويش الخواص الأقنومية، فالابن يشارك في أقنوم الآب أو يحل محله.

٢) في الثالوث القدوس توجد علتان أو أصلان، الأمر الذي لا يتفق مع وحدانية الآب الإلهية.

٣) الانبثاق من الآب للروح القدس غير تام.

٤) يجعل من الابن علة ومعلولاً في ذات الوقت وهذا لغو.

٥) يجعل من الآب علة مباشرة وغير مباشرة لانبثاق الروح القدس، الآب علة مباشرة إذ يلد الابن مباشرة، ومن الآب يبثق الروح القدس وهو علة غير مباشرة، لأن الروح القدس ينبثق منه خلال الابن الأمر الذي لم يحدث حتى في خلقة الطبيعة المركبة المتغيرة.

٦) إن كان للابن القدرة على أن يكون الأصل "كما للآب" بينما ننكر ذلك للروح القدس إذاً فالروح أقل في القوة من الابن، الأمر الذي اعتبر جنون مرقيون".

يقول الأب فوتس: "إن كلمة الآب في هذه الحالة تفقد مغزاها والمعنى المراد منها؛ لأن الخاصية التي تتسم بها هذه الكلمة لا تعود تخص الآب بصفة مطلقة، ويختلط الأقنومان الإلهيان الواحد والآخر في شخص واحد منفرد، وهذا رأي سابليوس، أو بالحري رأي منحرف آخر شبيه سابيل".

ورد في طومس سنة (١٢٨٥م) لإغريغوريوس القبرصي ما يلي:

"من المعترف به أن البارقليط بنفسه يضيء ويعلن عن ذاته أزلياً بواسطة الابن، وذلك كما يضيء الضوء ويستعلن من الشمس بواسطة الأشعة، ولكن هذا لا يعني أن الروح القدس يأخذ كيانه من الابن أو بواسطة الابن"(١).

ويناقش غريغوريوس بالاماس قضية انبثاق الروح القدس أساساً من وجهتي نظر:

أ- انبثاقه السببي "العلِّي" من الآب وحده.

---

(١) انبثاق الروح القدس في فكر الآباء الأولين: (ص١١).

ب- انبثاقه الفعال من الآب خلال الابن أو منه.

ويعلق ميندروف على ذلك بقوله: "بهذا المعنى يوضح بالاماس الفقرات الواردة في أقوال الآباء خصوصاً أقوال القديس كيرلس الإسكندري، والتي تؤكد صدور الروح من الاثنين أو من "الابن" أو "بواسطة الابن".

يقول بالاماس: "عندما نفهم أن الروح القدس ينبثق من الاثنين؛ لأنه يصدر جوهرياً من الآب بواسطة الابن يلزم أن تفهم هذا التعليم بهذا المعنى:

إن ما يصدر هو قدرات الله وطاقاته الأساسية وليس أقنوم الروح الإلهي، إن أقنوم الروح الكلي القداسة لا يصدر عن الابن، إنه لا يعطى ولا يسلم لأحد "لإنسان" ما يناله المرء هو النعمة والطاقة الإلهية".

ويلاحظ بالاماس "أن الفقرات الواردة في أقوال الآباء الشرقيين والتي تبدو للوهلة الأولى أنها تؤيد العقيدة الكاثوليكية لا تذكر أن الروح ينبثق من أقنوم الابن، بل من طبيعة الابن، أي: "تصدر طبيعياً منه"، فالذي يصدر بالطبيعة هو الطاقة وليس الأقنوم، وليس ثمة شك أن تلك الفقرات الآبائية المتنازع عليها تميل -من سياق الحديث- أن تثبت ألوهية الابن ببرهان سوتيريولوجي Soteriology "خلاصي"، فالله وحده قادر أن يمنح عطية الروح؛ لذلك فالمسيح هو الله، إذ له طبيعة مشتركة مع الآب، علاوة على هذا فإن عبارة: "والابن" كان أول من نادى بها المجامع الإسبانية في القرنين السادس والسابع كبرهان ضد الآريوسيين، وعليه فإن بالاماس يتوصل إلى نتيجة مفادها: "إن انتشار الروح من الآب والابن هو دليل على وحدة الجوهر، فما ينبثق من هذا الجوهر "الواحد" المشترك هو طاقة Energy وليس أقنوماً إلهياً، لأن أقنوم الروح نفسه يشارك فيه "أي في الجوهر الواحد" ولا يتسنى له أن ينبثق من ذاته".

كما يُفرِّق بالاماس بين العبارات في العهد الجديد والتي تتحدث عن الروح باستخدام أداة التعريف "ال" وتلك التي تتحدث عنه بدون الأداة، فالأخيرة تدل على مواهب وطاقات روحية وهي بطبيعة الحال تصدر عن الآب والابن بل وعن الروح نفسه، لأن جوهر الله كله

هو علة هذه الطاقات الروحية. . . ، على أية حال فالابن هو القناة الوحيدة لتدفق النعمة المقدسة تجاهنا، لأنه هو وحده الذي تجسد".

وهكذا يُلخص بالاماس رأيه في العبارات التالية: "ينتمي الروح القدس إلى السيد المسيح من حيث الجوهر والطاقة، لأن المسيح هو الله ومع هذا فمن جهة الجوهر والأقنوم ينتمي إليه ولا ينبثق منه، بينما حسب الطاقة ينتمي إليه وينبثق منه"(١).

تعالى الله عما يصفه به هؤلاء المشركون علواً كبيراً.

المطلب الرابع: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الأرثوذكسية.

يستدل الأرثوذكس على صحة معتقدهم في انبثاق الروح القدس من الآب وحده بما يلي:

أولاً: ما جاء في قانون الإيمان الأول.

يستند الأرثوذكس في إثبات صحة معتقدهم بانبثاق الروح القدس من الآب وحده إلى ما جاء في تعليم الكنيسة الأول بأن الروح القدس منبثق من الآب فقط، كما نص على ذلك الكتاب المقدس: "ومتى جاء المُعزِّي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق الذي من عند الآب ينبثق"(٢).

وإلى ما جاء في مجمع القسطنطينية الثاني المنعقد برئاسة البابا تيموثاوس البطريرك الإسكندري من حرم من يقول ويُعلِّم بغير ذلك، ونقش الدستور على لوحين من فضة باليونانية واللاتينية صحيحاً سالماً بدون الزيادة، وحرم كل من يعترف بالزيادة، كتب لفوتيوس يدافع عن كنيسته: "إننا نحن فضلاً عن كوننا لا نقول ذلك، يعني: "المنبثق من الآب والابن" نحكم بأنَّ الذين تجاسروا من الأصل أن يعلموه هم مخالفون للوصايا الإلهية ومغيرون للأقوال اللاهوتية أقوال السيد المسيح والرسل وسائر الآباء الذين التأموا مجمعاً وسلموا الدستور المقدس، ونحسبهم مع يهوذا؛ لأنهم ارتكبوا ارتكابه لا بأنهم دفعوا جسد الرب للموت بل بأنهم شقوا وفصلوا المؤمنين أعضاء جسده بعضهم عن بعض، ودفعوهم بذلك للموت الأبدي، أو بالحري خنقوا أنفسهم كما فعل التلميذ الملتوي المذكور".

وقد نص قانون الإيمان الذى وضعه الآباء على ما يلى:

---

(١) انبثاق الروح القدس في فكر الآباء الأولين: (ص١٢-١٣).

(٢) (يو ١٥: ٢٦).

"نعم نؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب" فلا الكتاب المقدس ولا قــانون الإيمان يحوي عقيدة الكاثوليك التي تقول أن الروح القدس "منبثق من الآب والابن"، وهى العبارة التي ترددها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية في قانون الإيمان رسمياً ابتداءً من سنة (١٠٥٤ م)، وإضافة عبارة "والابن" هي إضافة مبتدعة، ولم تقبل بها كل الكنائس الأرثوذكسية في العالم الخلقيدونية وغير الخلقيدونية(١).

ثانياً: البراهين الكتابية.

يرتكز الموقف الأرثوذكسي في هذا الإيمان على ثلاث شهادات كتابية نُسبت للمسيح عليه السلام:

١) "ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي"(٢).

٢) "وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر، ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحــق الــذي لا يستطيع العالم أن يقبله"(٣).

٣) "وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم"(٤).

ثالثاً: شهادة الآباء(٥)

أ- يستند الأرثوذكس إلى شهادات الآباء المعترف بقداستهم من كل الكنائس والتي تبرهن على أن اعتقاد الكنيسة منذ عصورها الأولى هو أن الروح القدس ينبثق من الآب وحده:

1- **القديس أثناسيوس الرسولي**، قال: "إن لنا إلهاً واحداً وهو الآب الذي لا بداءة له وهو مبدأ الأشياء كلها لأن منه الكلمة يولد والروح ينبثق".

---

(١) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية: الشماس منسي القمص، مطبعة اليقظة بشارع الفجالة - مصر الطبعة الأولى: (ص٤٤٤-٤٤٧)، الحوارات اللاهوتية، نيافة الأنبا بيشوي: (ص١٠).

(٢) (يو ١٥: ٢٦).

(٣) (يو ١٤: ١٦-١٧).

(٤) (يو ١٤: ٢٦).

(٥) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (١/١٣٤-١٣٥)، تاريخ الكنيسة القبطية: (ص٤٤٨-٤٤٩)، انبثاق الروح القدس في فكر الآباء الأولين: (ص١-١٩).

2- **القديس كيرلس الإسكندري،** قال في الحرم التاسع: "إن الروح خاص بالابن"، فسأله ثاوذريتوس عم يعني بذلك؟ فأجابه: "إن الروح القدس ينبثق من الله الآب حسب قول المخلص لكنه ليس غريباً من الابن"، وقد شرح قوله: "ليس غريباً من الابن" بقوله في رسالة إلى نسطور: "إنه ليس غريباً من الابن بحسب الجوهر يعني مساوياً له في الجوهر إلى الأبد".

3- **الأسقف الروماني داماسوس:** قال سنة (٣٦٦م) في اعتراف إيمانه الذي كتبه للأسقف باولينوس: "إنه يقبل قبولاً كاملاً اعتقاد المجمع الثاني المسكوني في انبثاق الروح القدس، ويلعن كل من يتجاسر أن يقول: "إن الروح القدس كان بواسطة الابن، والذين لا ينادون بكل حرية أن للروح القدس جوهراً واحداً أو سلطة واحدة مع الآب والابن".

4- **القديس باسيليوس الكبير:** قال في مقالته المشهورة بالرد على أنوميوس: "كما أن الروح القدس ليس له الولادة بحالة ما هكذا، والابن ليس له الانبثاق، وكما أن الابن ليس هو من الروح القدس هكذا، والروح القدس ليس هو من الابن، وكما أن الابن مولود من الآب وحده هكذا فالروح القدس ينبثق من الآب وحده".

كما قال: "كما أن الكلمة الخالق شيد السماء، هكذا الروح القدس، الصادر من الله والذي من الآب ينبثق".

5- **القديس غريغوريوس نيصص**[١]: قال في ميمرة[٢] المختص بالإفادة والتفهيم عن اللاهوت: "إن الخاصة الانبثاقية هي موجودة في الآب فقط".

6- **القديس يوحنا ذهبي الفم** قال: "إن الآب علة واحدة للابن والروح القدس".

---

(١) غريغوريوس النيصي: (٣٣٥-٣٩٣) ولد في قيصرية "كبادوكية"، مال إلى خدمة الكنيسة وصار شماساً قارئاً، له آثار كثيرة ومتنوعة، ظهر منها رجل ثقافة فلسفية وعلمية واسعة، اصطبغت فلسفته بالصبغة الأفلاطونية. و من أهم مؤلفاته: "كتاب التعليم الكبير" الذي يعد خلاصة العقيدة المسيحية، وله مؤلفات في تاريخ الخليقة: خلق الإنسان، تفسير الأيام الستة، انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: (ص٥١٣-٥٤٢).

(٢) ميمرة: كلمة سريانية معناها: "قول"، والجمع ميامر، وهي قصائد تعليمية قصصية تقرأ ولاتنشد. قاموس المصطلحات الطقسية والكنسية، نسخة إلكترونية.

كما قال: "إن الذين تشايعوا لمكدونيوس لم يؤمنوا أن المنبثق من الآب -بطريقة لا تدرك- كان هو الله".

7- **القديس أوغسطنيوس**(١): قال في رده على هرطقة آريوس: "لا يظن أن الروح بواسطة الترتيب هو منه "أي الابن"، كما أنه هو ذاته "الابن" "من الآب"، بل كلاهما من الآب، الابن يولد والروح ينبثق".

8- **القديس إيرونيموس**(٢): قال في مخاطبته داماسوس: "إننا لمؤمنون بالروح القدس أيضاً الذي من الآب خاصة ينبثق".

ب) كما يستدل الأرثوذكس بما ورد من شهادات الآباء الرومان: مثل البابا "بنديكتوس" الذي قرر عدم الزيادة على قانون الإيمان النيقوي، وأيده من جاء بعده حتى اسطفانوس الخامس، و لم يضف كلمة "والابن".

ج) كما وجدت شهادات في كتب الأقباط التبع المطبوعة برومية والتي تصرح بانبثاق الروح من الآب: ورد في (ص٢٥٧، ٢٥٨) من كتاب الخولاجي(٣) المطبوع برومية سنة (١٧٣٦م) ما يأتي:

---

(١) القديس أوغسطنيوس (٣٥٤-٤٣٠): ويضبط الاسم بـ"أوغسطينس" في بعض المصادر، من أشهر آباء الكنيسة الغربية وأبعدهم أثراً، لم يعرف له نداً إلا عندما ظهر توما الأكويني بخلاصته اللاهوتية، ولد بمدينة تاغسطا في الجزائر، كان والده وثنياً بينما كانت والدته مسيحية، بذلت قصارى جهدها لتغرس فيه حب الكنيسة وتبثه روح الإيمان المسيحي، انتقل إلى قرطاجة ومن ثم إلى روما، كان أثر الفلسفة الأفلاطونية عميقاً في فكر أوغسطنيوس الفلسفي واللاهوتي وقد لخص موقفه بقوله: "أدرك لكي تؤمن، وآمن لكي تدرك"، رسم كاهناً في الأربعين من عمره، وسيم أسقفاً على هيبون ما بين (٣٩٥-٣٩٧)، هاجم المانوية والدوناتية والبيلاجية بلسانه وقلمه، كان غزير الكتابة حيث ذكر بأنه كتب إلى سنة (٤٢٧م) ٩٣ كتاباً مؤلفة من ٢٣٢ جزءاً فضلاً عن مواعظه ورسائله المتعددة، من أشهر مؤلفاته: الاعترافات، مدينة الله، الثالوث، في البدع. انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: (ص ٧٢٧-٧٥٤).

(٢) إيرونيموس (٣٤٧-٤٢٠): ولد في أسرة مسيحية ذات يسر ومكانة في ستريدون، يعد رومانياً بثقافته، وقع في تناقضات مختلفة ووقف مواقف مضطربة في قضايا أساسية، كان متشدداً في القضايا الأخلاقيه. من مؤلفاته: ترجمة الكتاب المقدس "الفولغاتا"، وله تفسير للكتاب المقدس. انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: (ص٣٩١-٤٢٠).

(٣) الخولاجي: أي كتاب الصلوات. قاموس المصطلحات الطقسية والكنسية، نسخة إلكترونية.

"الروح القدس غير المستحيل، المتسلط، المحيي، المنبثق من الآب الذي نطق في الأنبياء حل على آبائنا كوعد المسيح وتكلموا بكل لغة.

وورد في كتاب اللقاف والسجدة المطبوع برومية سنة (١٧٦٢م): (ص٣٦٤، ٣٦٥، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤١٦، ٤١٧) قول صريح بأن الروح القدس منبثق من الآب فقط"[1].

يتضح مما سبق كيف تفنن علماء اللاهوت النصارى في إثبات صحة ما ذهبوا إليه في هذه العقيدة المليئة بالتناقض والاضطراب، والتي لا يمكن للعقل السليم أن يقبلها أو يتصورها فضلاً عن أن يؤمن بها، فما بني على باطل باطل مثله، وقد تحير علماء النصارى في تفسير عقيدة التثليث والروابط التي تجمع الأقانيم الثلاثة، في حين أنَّ لكل واحد منهم حقيقة تختلف عن حقيقة الآخر، وهذا التشابك والتضاد في تفسيرهم للأقانيم الثلاثة يجعل عقيدة الروح القدس عقبة وعثرة أمام أصحابها، فإنهم لم يتفقوا على معنى واضح لحقيقة الروح القدس وتحديد ماهيته.

فذهب بعضهم إلى أنه ذات الله، بينما ذهب آخرون إلى أنه حياته، ثم نجد في قانون إيمانهم: "ونؤمن بالروح القدس المنبثق من الآب" وهذ التصور لمفهوم الروح القدس وما جاء في نص قانون الإيمان يعارض أحدهما الآخر، فكيف يكون الروح القدس هو ذات الله أو حياته، ثم يقال بأنه انبثق من الآب على رأي طائفة منهم، أو من الآب والابن معاً على رأي الطائفة الأخرى! ! فهل ينبثق الشيء من نفسه؟! فالانبثاق يدل على أن هناك أصلاً منبثقاً عنه وفرعاً منبثقاً منه[2]. يقول حبيب سعيد: "ولست أنكر أن مثل هذه الألفاظ اللاهوتية تقف عقبة كأداء أمام الفكر المعاصر وخاصة بين شباب المفكرين، ولكنها عقبة لا مناص من مواجهتها، ولسنا نرضى أن نترك هذه العقيدة الجوهرية في المسيحية لغزاً لا معنى له، وعثرة

---

(١) تاريخ الكنيسة القبطية: (ص٤٤٩).

(٢) انظر: الروح القدس في اليهودية والنصرانية والإسلام: د. عمر وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ-١٩٩٦م: (ص٣٧-٣٩)، إغاثة اللهفان (١٠٤٠/٢)، التثليث بين الوثنية والمسيحية د. محمود علي حماية، مكتبة النافذة، الطبعة الثانية: (ص٥٦)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (١١٦/٢).

أمام التفكير العصري الحديث، أجل لابد من التسليم بأن ذات الله ستبقى سراً يفوق مداركنا البشرية"(١).

ويقول القس عبد الله صايغ: "بقيت عقبة معينة يمكن أن تقف حائلاً بين إتمام الاتحاد بين الكاثوليك والأرثوذكس، وهي بعض العقائد الدينية المتأصلة في القلوب والتي من الصعب جداً تغييرها، منها: عقيدة انبثاق الروح القدس، وهي التي لا يزال الخلاف عليها قائماً بين الكنيستين من عهد المجامع المسكونية التي كانت تجتمع للبحث في الخلافات بغية حلها، ولكن حل هذه العقدة استعصى عليهم.

ويقال: إنه حينما كان المجمع يبحث بالنص عن الروح القدس كمنبثق من الآب والابن حسبما ارتأى الجانب الكاثوليكي، تمسك الجانب الأرثوذكسي بالنص القائل: منبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن، هاتان الصيغتان المختلف عليها في قانون الإيمان.

وقيل في التاريخ: إنه أثناء البحث في هذا الموضوع الخطير واحتدام الجدال بين الفريقين، أن أحداً من الرجال المؤمنين الأتقياء بين المجتمعين تنحى جانباً وأخذ يبكي بدموع منسكبة فأتى إليه بعضهم يسألونه لِـمَ تبكي؟! أجابهم: على الروح القدس المفقود من المجمع الآن؛ لأنه لو كان روح الله بينكم لما اختلفتم عليه"(٢).

يقول ابن تيمية رحمه الله: "وقولهم: (ونؤمن بالروح القدس الرب المحيي، المنبثق من الآب، الذي هو مع الآب مسجود له، وممجد ناطق في الأنبياء). . . أن الانبثاق خصوا به روح القدس، و لم يقولوا في الكلمة إنها منبثقة.

والانبثاق لو كان حقاً لكان بالكلمة أشبه منه بالحياة، وكلما تدبر العاقل كلامهم في الأمانة وغيرها وجد فيه من التناقض والفساد ما لا يخفى إلا على أجهل العباد، ووجد فيه من مناقضته التوراة والإنجيل، وسائر كتب الله ما لا يخفى من تدبر هذا وهذا.

---

(١) الروح القدس: حبيب سعيد (ص٦٢) نقلاً عن الروح القدس في اليهودية والنصرانية والإسلام: (ص٣٩).

(٢) الوحدة والاتحاد المسيحي: القس عبد الله صايغ: (ص١٤-١٥) نقلاً عن: الروح القدس في اليهودية والنصرانية والإسلام: (ص٤٠-٤١).

ووجد فيه من مناقضة صريح المعقول مالايخفى إلا على معاند أوجهــول، فقــولهم متناقض في نفسه، ومخالف لصريح المعقول، وصحيح المنقول عن جميع الأنبيــاء والمرســلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين "(١).

كما يقول رحمه الله في موضع آخر: " وتسميتهم لحياته روح القدس أسماء ابتدعوها مــا أنزل الله بها من سلطان، وأنه ليس معهم على ما ادعوه من الأقانيم حجة أصلاً لا سمعية ولا عقلية، وأنه ليس لقولهم بالتثليث مستند شرعي كما تبين أنه ليس له مستند عقلي"(٢)

يقول الباري تبارك وتعــالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [سورة البقرة ٧٩].

وهنا يظهر جلياً أنَّ النصارى كانوا يحرفون دينهم عمداً إذا رأوا في التحريف مصلحة لهم أو انتصارًا لعقيدتهم.

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (٢/١٨٢-١٨٣).

(٢) المصدر السابق: (٢/١٥٥).

المبحث السادس: الروح القدس في الإسلام.

بنظرة متأنية في تعليم الإسلام عن الروح القدس يتضح أن:

أولاً: الروح القدس في الإسلام هو جبريل عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [سورة البقرة ٨٧] يقول الشيخ محمد العثيمين رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ من باب إضافة الموصوف إلى صفته، أي: بالروح المقدس؛ والقدس، و"القدس" بمعنى الطاهر؛ واختلف المفسرون في المراد بـــ "روح القدس":

القول الأول: إن المراد روح عيسى عليه السلام؛ لأنها روح قدسية طاهرة؛ فيكون معنى: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ أي: أيدناه بروح طيبة طاهرة تريد الخير، ولا تريد الشر.

والقول الثاني: إن المراد بـــ "روح القدس": الإنجيل؛ لأن الإنجيل وحي؛ والوحي يسمى روحاً، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [سورة الشورى ٥٢].

والقول الثالث: إن المراد بـــ "روح القدس" جبريل عليه السلام كما قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [سورة النحل ١٠٢]، وهو جبريل عليه السلام، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت وهو يهجو المشركين: «اللهم أيده بروح القدس»(١) أي جبريل؛ وهذا أصح الأقوال.

وهو أن المراد بـــ "روح القدس": جبريل عليه السلام يكون قريناً له يؤيده، ويقويه، ويلقنه الحجة على أعدائه؛ وهذا الذي رجحناه هو الذي رجحه ابن جرير وابن كثير، أنَّ المراد بـــ "روح القدس": جبريل عليه السلام "(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة، باب الشعر في المسجد: (٤٦٣/١ح٤٥٣).

(٢) تفسير سورة الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١: (٢٨١/١).

يقول ابن تيمية رحمه الله: "فهذا حسان بن ثابت واحد من المؤمنين لما نافح عن الله ورسوله وهجا المشركين الذين يكذبون الرسول أيده الله بروح القدس وهو جبريل عليه السلام، وأهل الأرض يعلمون أن محمداً ﷺ لم يكن يجعل اللاهوت متحداً بناسوت حسان بن ثابت، فعلم أن إخباره بأن الله أيده بروح القدس لا يقتضي اتحاد اللاهوت بالناسوت، فعلم أن التأييد بروح القدس ليس من خصائص المسيح، وأهل الكتاب يقرون بذلك، وأن غيره من الأنبياء كان مؤيداً بروح القدس كداود وغيره، بل يقولون إن الحواريين كانت فيهم روح القدس، وقد ثبت باتفاق المسلمين واليهود والنصارى أن روح القدس يكون في غير المسيح بل في غير الأنبياء"(١).

وقال جلَّ وعلا: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [سورة النحل ١٠٢] يقول الشيخ الشنقيطي رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾ أمر الله جلَّ وعلا نبيه ﷺ في هذه الآية الكريمة: أن يقول إنَّ هذا القرآن الذي زعموا أنه افتراء بسبب تبديل الله آية مكان آيةٍ، أنه نزله عليه روح القدس من ربه جَلَّ وَعَلَا، فليس مفترياً له، وَرُوحُ القدس: جِبْرِيلُ عليه السلام، ومعناه الروح الْمُقَدَّسُ، أي: الطَّاهِرُ مِنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ"(٢).

ومن أسمائه أيضاً "الروح الأمين"، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ [سورة الشعراء ١٩٢-١٩٤].

ثانياً: أنه مخلوق مربوب لا يتصف بشيء من صفات الألوهية.

الروح القدس عليه السلام مربوب مخلوق لا يتصف بشيء من صفات الألوهية كما يزعم النصارى الذين حاروا في أمر انبثاقه! ! ، ومادة خلقه من نور، جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (١٨٤/٢).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان١٤١٥هـ: (٤٥٣/٢).

رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم»(١)، ويعد الإيمان بالملائكة في الإسلام ركناً من أركان الإيمان لا يجوز إنكاره أبداً.

أما عن نظرة النصارى إلى الروح القدس عليه السلام فقد رفضها الإسلام رفضاً قاطعاً، وعدَّ ما اعتنقوه كفراً وخروجاً من دين الله، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة المائدة ٧٣].

ثالثاً: أنه وسائر الملائكة عرضة للفناء كسائر المخلوقات.

فالملائكة يموتون كما يموت الإنس والجن، جاء ذلك صريحاً في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [سورة الزمر ٦٨] فالملائكة تشملهم الآية؛ لأنهم في السماء، يقول ابن كثير عند تفسيره هذه الآية: "هذه هي النفخة الثانية، وهي نفخة الصعق، وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله كما جاء مصرحاً به مفسراً في حديث الصور المشهور، ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت، وينفرد الحي القيوم، الذي كان أولاً، وهو الباقي آخراً بالديمومة والبقاء، ويقول: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [سورة غافر ١٦] ثلاث مرات، ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [سورة غافر ١٦] أنا الذي كنت وحدي وقد قهرت كل شيء، وحكمت بالفناء على كلِ شيء"(٢).

ومما يدّل على أنهم يموتون، قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [سورة القصص ٨٨]، وهل يموت أحد منهم قبل نفخة الصور؟ هذا ما لا نعلمه، ولا نستطيع الخوض فيه؛ لعدم وجود النصوص المثبتة له أو النافية(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة: (٢٢٩٤/٤ح٢٩٩٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: (١٠٤/٧).

(٣) عالم الملائكة الأبرار: عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الثالثة: (ص٩).



الفصل الثالث

التناقض حول الملك الألفي

فيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: القائلون بالتفسير الحرفي للملك الألفي.

المبحث الثاني: القائلون بالتفسير الروحي للملك الألفي.

المبحث الثالث: نزول المسيح عليه السلام ومدة مكثه في آخر الزمان في الإسلام .

الفصل الثالث

التناقض حول الملك الألفي

تمهيد:

المجيء الثاني للمسيح عليه السلام من العقائد الإيمانية الراسخة المتفق عليها عند النصارى بجميع طوائفهم، بل يُعد مجيئه الثاني الرجاء المبارك للكنيسة(١).

يقول بولس: "لأنه قد ظهرت نعمة الله المخلصة لجميع الناس معلمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية، ونعيش بالتعقل والبرِّ والتقوى في العالم الحاضر منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح الذي بذل نفسه لأجلنا"(٢).

إلا أنَّ هذا الاتفاق أعقبه نزاع واختلاف حول قضية مهمة مرتبطة بهذا المجيء وهي ما اصطلحوا على تسميته "بالملك الألفي"(٣) هذا المصطلح الذي كان كفيلاً ليس بإدارة الحوار الفكري حوله فقط، بل بإدارة الصراعات الفكرية بين الطوائف، وصولاً إلى توجيه الفكر السياسي لبعض القادة المؤمنين به(٤).

---

(١) انظر: الفروق العقيدية: (ص١٤ – ١٥)، شرح أصول الإيمان: (ص٥٣٦)، مختصر التعليم المسيحي: (ص٥٠)، المجيء الثاني للمسيح وعلاقته بالعقائد الكتابية: القس وديع ميخائيل: (ص٨)، حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: ر. ك سبرول، ترجمة نكلس سلامة مكتبة المنار: (ص٣٠٧)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: القس بيشوي حلمي، دار نوبار للطباعة، الطبعة الأولى: (ص٤٠٣)، المجيء الثاني للمسيح متى يكون وما هي علاماته: القس عبد المسيح بسيط، مطبعة مدارس الأحد، الطبعة الثالثة: (ص٩-١٤)، أساسيات مسيحية: د. زكريا استاورو، الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل، منشورات بيت عنيا: (ص٥٨)، مجلة كنيستك، صادرة عن الكنيسة الإنجيلية اللوثرية كانون الأول ٢٠٠٤م عدد خاص بعيد الميلاد المجيد، رئيس التحرير المطران: د. منيب يونان: (ص٨)، مجيء المسيح ثانية وسوابقه التاريخية: القس منيس عبد النور، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م: (ص١٨).

(٢) (تي ٢: ١١-١٣).

(٣) أي تملك الأبرار مع المسيح لمدة ألف سنة، انظر: الملك الألفي في تعاليم الكنيسة الأرثوذكسية، الأب متى المسكين: (ص١).

(٤) انظر مجمل ما ورد في نبوءات الكتاب المقدس: هرمجدون ونهاية أمريكا وإسرائيل: منصور عبد الحكيم، مكتبة رياض الحلبي ٢٠٠٧م، الطبعة الأولى؛ النبوءة والسياسة غريس هالسل، ترجمة محمد السماك، دار الشروق الطبعة الثالثة؛ المباحثة من الأسفار المقدسة، الطبعة الأولى بالإسكندرية ١٩٨٥م: (ص٣٩٩ – ٤٠٣).

جاء في دائرة المعارف الكتابية: "وأهم الأمور التي دار حولها الجدل هو الحكم الألفي للمسيح على الأرض المشار إليه في سفر الرؤيا (٢٠: ١ – ١٠)"[١].

وحاصل الخلاف بين علماء النصارى حول متى وكيف تتم هذه الألف سنة؟

والآراء الرئيسة حول هذا الموضوع تنقسم إلى قسمين[٢]:

أولاً: القائلون بالتفسير الحرفي للملك الألفي.

وهؤلاء بدورهم ينقسمون إلى فريقين:

أ- سابقو الألف سنة.

ب- لاحقو الألف سنة.

ثانياً: القائلون بالتفسير الرمزي "الروحي" للملك الألفي.

وتأخذ بهذا التفسير كل من الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية وبعض الكنائس البروتستانتية أيضاً[٣].

---

(١) دائرة المعارف الكتابية: (٢/٥٩٥).

(٢) جاء في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس تقسيم آخر لا يختلف في مضمونه عن التقسيم المثبت أعلاه حيث جاء فيه ما نصه: "هناك اختلاف كبير بين علماء المسيحية حول الملك الألفي والآراء الرئيسة حول هذا الموضوع هي:

أ) الاعتقاد بالمجيء الثاني للمسيح بعد الألف سنة: وهو رأي يعتقد بحرفية حلول فترة "ألف سنة" من السلام للكنيسة على الأرض وبعد هذه الألف سنة يُحل الشيطان ثانية، لكن حينئذٍ يجيء المسيح ثانية ليهزمه ويهلكه للأبد.

ب) الاعتقاد بالمجيء الثاني للمسيح سابقاً للألف سنة: وهو رأي يعتقد أيضاً بحرفية حلول هذه الفترة لكنه يعتقد أن المجيء ثانية للمسيح يسبق ملك الألف سنة، وأن هذا الملك يتم قبل إزالة الشيطان نهائياً.

جـ) اللا ألفية: وهو الاعتقاد بأن فترة الألف سنة ليست سوى رمز للفترة بين صعود المسيح إلى السماء ومجيئه الثاني، ويعتقد هذا الرأي بأن الملك الألفي ملك للمسيح داخل قلوب المؤمنين وفي كنيسته، أي أنه هو نفسه عصر الكنيسة وتنتهي هذه الفترة بمجيئه ثانية". التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: (ص٢٧٩٤).

(٣) انظر: الملك الألفي: (ص٢ – ١٤)، نبوءات سفر الرؤية: القمص اثناسيوس اسكندر – كنيسة العذراء مريم القبطية الأرثوذكسية، كتشنر أونتاريو – كندا: (ص٣١)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٢١٧).

المبحث الأول: القائلون بالتفسير الحرفي للملك الألفي.

وهؤلاء ينقسمون إلى فريقين:

أولاً: "اللاحقية" لاحقو الألف سنة:

يعتقدون بأن المجيء الثاني للمسيح عليه السلام من أجل إقامة ملكوته بعد فترة "ألف سنة" من السلام للكنيسة على الأرض، وبعد هذه الألف سنة يُحل الشيطان ثانية، ويعتبرون ذلك بمثابة تهيئة الطريق لعودة المسيح عليه السلام ثانية، حيث يترل ليهزمه، ويقيم الأموات للدينونة بعد تدمير العالم الحاضر، وبدأت هذه النظرية منذ بداية الإصلاح البروتستانتي، لكنها بـــدأت في التراجع لما وجده أتباعها من صعوبة في تحديد بداية الألف سنة[١].

ثانياً: "السابقية" سابقو الألف سنة:

وهم الذين يعتقدون بأن المجيء الثاني للمسيح عليه السلام يسبق ملك الألف سنة، يقـــول عنهم الأب متى المسكين شارحاً عقيدتهم:

"وهم الذين يعتقدون بأن المجيء الثاني للمسيح، يسبقه وليمة الملك الألفي، وهؤلاء منقسمون فيما بينهم بشأن مكان الملك الألفي للقديسين هل هو في السماء أم على الأرض؟ وهم يعتقدون بأنه عند مجيء المسيح ثانية في وقت مفاجئ يقوم الأبرار وحدهم من الموت بأجسادهم الأرضية، ومن ثم فإنهم يطلقون على قيامة الأبرار هذه لقب "القيامة الأولى"، وفي نفس الوقت يُباد الأشرار من الأرض، ويجدد اليهود عبادتهم في أورشليم، ويُقيد الشيطان ويعُمُّ البِّر والسلام على كل الأرض، ويملك المسيح بالجسد في أورشليم مدة ألف سنة، بعد أن يبيد كل الحكومات والنظم السياسية القائمة، ويســـود السلام العالم، إذ يسكن الذئب مع الخروف، ولا تكون هناك حروب، ويؤمن كل العالم بالمســـيح، وفي نهاية الألف سنة يُحل الشيطان ويحاول تضليل الأمم، وتجميعهم للحرب ضد القديسين، وتحدث

---

(١) انظر: الصهيونية تحرف الإنجيل: سهيل التغلبي، دير الشرفة، لبنان ١٩٩٨م: (ص١١٢)، عودة المسيح ثانية ودينونة العالم: نصر الله زكريا، مطبوعات نظرة للمستقبل ٢٠١٠م، الفصل التاسع، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: (ص٢٧٩٤).

المعركة الفاصلة (هرمجدون) التي ينتصر المسيح فيها على الشيطان ثم يقوم الأشرار "القيامة الثانية" من الأموات للدينونة وينتهي العالم"(١).

وهؤلاء السابقون ينقسمون إلى فريقين:

(١) فريق قديم تاريخي.

(٢) فريق حديث تدبيري.

الفريق الأول: "التاريخيون" سابقو الألف

ساد الاعتقاد بحتمية عودة المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل الألف سنة وإقامة ملكوته على الأرض عندما يأتي خلال القرون الثلاثة الأولى للنصرانية، حيث كان هذا الاعتقاد منتشراً بين الأبيونيين(٢) والمونتانيين(٣) وبعض الغنوصيين(٤).

---

(١) الملك الألفي: (ص٣-٤).

(٢) الأبيونيون: طائفة من اليهود المتنصرين المحكوم عليهم بالهرطقة، انتشروا في شرق الأردن والجزيرة العربية في القرون الثلاثة الأولى للنصرانية، ينكرون لاهوت المسيح وميلاده العذراوي، ويغالون في التمسك بالناموس، ويعتقدون بحرفية الملك الألفي، واسمهم مشتق من الكلمة العبرانية "أبونيم" أي الفقراء، انظر: موسوعة آباء الكنيسة، عادل فرج عبد المسيح، اللجنة الاستشارية المطران يوحنا إبراهيم، د. القس مكرم نجيب، القس أندريه زكي، الأب منصور مستريح، دار الثقافة، دون رقم للطبعة: (١/٢٣٨-٢٣٩).

(٣) المونتانيون: نسبة إلى "مونتانوس" الذي عاش في القرن الثاني الميلادي، وينادون بحرفية الملك الألفي، ويحرمون الزواج للمترملين ويغالون في الصوم، وأشهر من انضم إليهم من آباء الكنيسة هو ترتليانوس، استقرت في الغرب عام (٢٠٠م). انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: (ص٢٨٣).

(٤) الغنوصيون: جماعة انتشرت في القرون الثلاثة الأولى، وينادون بأن الخلاص بالمعرفة، كما ينادون بحرفية الملك الألفي، وأن تجسد المسيح وصلبه كان خيالياً، وقد حُكم عليهم بالهرطقة. انظر الملك الألفي: (ص٤ – ٦) تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: (ص٢٧١)، جاء في الأصول الوثنية للمسيحية: "والغنوصية أقدم من المسيحية وليست بالتالي تياراً منها أو هرطقة، بل العكس صحيح فإنجيل يوحنا أصلاً هو نقل للفكر الغنوصي بل هو غنوصية ذات وجه مزدكي فارسي، خاصة عند الحديث عن صراع نور الكلمة مع الظلمات أو صراع الحق مع الكذب". الأصول الوثنية للمسيحية، اندرية نايتون، إدغار ويند، كارل غوستاف، ترجمة سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية: (ص٢٣).

وقد قبل بعض آباء الكنيسة هذا التعليم بكل سهولة وفي مقدمتهم بابياس[١] ويوستينوس[٢] الذي قال: "إن الرب يسوع سيعود إلى أورشليم ويعيش مع تلاميذه يأكل ويشرب، وأن المسيحيين سيجتمعون هناك ويعيشون مع المسيح والأنبياء والبطاركة في سعادة كاملة ألف سنة".

لكنه يعود ويقرر بنفسه أن هذا التعليم لا يعتبر جزءاً لاهوتياً من الإيمان ويعترف بأن كثيراً من النصارى لا يأخذون بهذا التعليم ولا يقرونه.

ومن ثم يأتي إيرينيوس "١٣٠ – ٢٠٠م" وينادي بنفس التعليم مستشهداً بأقوال بابياس وبنفس تصوراته، وهو الذي ربط الملك الألفي بفكرة السبعة آلاف سنة عمر العالم، حيث جعل الألف السابعة والأخيرة للعالم هي ملكوت المسيح الأرضي مع الأبرار، ويتبعه في هذا الربط كل من "كومودیانوس" في منتصف القرن الثالث و"فيكتورنيوس" في أواخر القرن الثالث، ومن الآباء الذين قبلوا التفسير الحرفي للملك الألفي "ميلتو" أسقف ساردس وهيبوليتس الروماني[٣][٤].

(١) بابياس الهيرابولي (٦٠-١٣٠): أسقف هيرابوليس في فريجية الصغرى، يجهل الكثير عن حياته، ويقال عنه أنه تلميذ يوحنا الرسول، كان مناهضاً للغنوصية من مؤلفاته: تفسير كلمات السيد. انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: (ص١٧٣-١٧٨).

(٢) يوستينوس (١٠٠ – ١٦٥م) ولد في نابلس، كان والده وثنياً، اعتنق المسيحية بعد طول بحث في دراسة التعاليم، قضى سنواته الأخيرة في روما، من أشهر مؤلفاته: الدفاع الأول، الدفاع الثاني، الحوار مع تريفون اليهودي. انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: (ص٢٢٤ – ٢٣٢).

(٣) هيبوليتس الروماني: تلميذ ايرينيوس، عمل على دحض المونتانية والغنوصية، كان متشدداً تجاه الخطيئة في الكنيسة، وبسبب هذا الموقف انفصل عن السلطة الكنسية، توفي بعد عام (٢٣٥). انظر: تاريخ الفكر عند آباء الكنيسة: (ص٣٥١-٣٥٨).

(٤) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (١٨٩/٢-١٩٠)، الملك الألفي: (ص٣ – ٧)، المجيء الثاني: عبد المسيح بسيط: (ص١٥٨–١٦٤)، تفسير وتأملات الآباء الأولين، رؤيا يوحنا اللاهوتي – القمص تادرس يعقوب ملطي، كنيسة مارجرجس باسبورتنج الإصحاح: (٢٠/ص٦).

الفريق الثاني: "التدبيريون" سابقو الألف.

ويرى أتباع هذه النظرية أن النصرانية كفرقة تُعد من الفرق اليهودية، ولذلك يخلطون بين ما هو يهودي وما هو نصراني، وبين الدين والأحداث السياسية وبين ما ورد في العهد القديم في سفر دانيال وحزقيال وبين ما ورد في العهد الجديد في سفر الرؤيا.

وأول من تبنى هذه الفكرة جماعة الأحرار وبخاصة "الإخوان بلايموث"(١) وبلغت هذه الفكرة أقصى قوتها في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلادي في ألمانيا، ومن ثم انتقلت عبر البحار واستقرت في الولايات المتحدة الأمريكية، ونشأت في القرن التاسع عشر جماعة السبتيين الذين لقبوا بالأدفنست(٢) أي: المجيئين إشارة إلى اعتقادهم بمجيء المسيح الثاني للملك الألفي على الأرض وجعلتها عقيدتها الأولى، وبدأت تضع مواعيد محددة لمجيء المسيح وكذبت فيها جميعاً، وتبعهم "المورمون"(٣) "وشهود يهوه" وحركات كنسية أخرى،

---

(١) الإخوان بلايموث: نهضت هذه الحركة في انجلترا وإيرلند سنة (١٨٣٠م) وعرف أتباع هذه الحركة غالباً بالإخوة البليموث؛ لأن مدينة بليموث في إنجلترا كانت من أقوى مراكزهم، كما دعيت الحركة ايضاً بالداربية، وقد ركزت هذه الحركة على الكنيسة والنبوة، خاصة ما يتعلق بالمجيء الثاني للمسيح، واعتبروا الكتاب المقدس بل والتاريخ البشري كله مرتبط بإسرائيل كشعب الله، وأن المسيح سيأتي ليحكم العالم من خلال اليهود، وأن الكنيسة ما هي إلا فترة عارضة في التاريخ ظهرت عندما فشل اليهود في قبول المسيح ورفضوه، فرفضهم الله إلى حين. انظر: المجيء الثاني متى يكون: عبد المسيح بسيط: (ص١١٣).

(٢) الأدفنست أو الألفيين السبتيين: جماعة نصرانية تنادي بالمجيء الثاني للمسيح، ويتوقعون أن مملكة إسرائيل ستسيطر على العالم بأسره، يتبعون العهد القديم أكثر من الجديد، ويحفظون السبت بدلاً من الأحد، ويقيمون عيد المظال كاليهود تماماً. انظر: كنز النفائس: (ص١٣٢).

(٣) المورمون: طائفة نصرانية جديدة نسبياً، منشقة عن النصرانية الأم، وتدعو إلى التمسك بالكتب اليهودية وكتاب المورمون وكتاب المبادئ والعهود وغيرها، ويدعون إلى الإيمان بالمسيح الذي جاء — في نظرهم— لينقذ اليهود من الاضطهاد، والإيمان بأن المبادئ والمراسم الأربعة للإنجيل هي الإيمان بربهم يسوع المسيح كما يقولون، والتوبة والعماد بالتغطيس لغفران الخطايا، ووضع الأيدي لموهبة الروح القدس. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: (٦٣٦/٢-٦٤٥).

تؤمن وتروج لهذه الفكرة، ويتزعم هذه الاتجاهات الآن قيادات مؤثرة يبثون أفكارهم عبر وسائل الإعلام(١).

ثالثاً: البراهين الكتابية التي يستند إليها القائلون بالتفسير الحرفي للملك الألفي.

يرى القائلون بالتفسير الحرفي للملك الألفي أن فترة "الألف سنة" فترة يسودها الفرح والأمن والسلام، ويستدلون بما جاء في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد:

أ- العهد القديم:

١) "ويخرج قضيب من جذع يَسَّى، وينبت غصن من أصوله ويحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب، ولذته تكون في مخافة الرب فلا يقضي بحسب نظر عينيه، ولا يحكم بحسب سمع أذنيه، بل يقضي بالعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض، ويضرب الأرض بقضيب فمه، ويميتُ المنافق بنفخة شفتيه، ويكون البر منطقة متنيه، والأمانة مِنطقة حَقْوَيه، فيسكن الذئب مع الخروف، ويربض النمر مع الجدي، والعجل والشبل والمسَّمن معاً، وصبي صغير يسوقها. . . ، ويكون في ذلك اليوم السيد أن يعيد يده ثانية ليقتني بقية شعبه التي بقيت من آشور ومن مصر ومن فتروس ومن كوش ومن عيلام ومن شنعار ومن حماة ومن جزائر البحر، ويرفع راية للأمم ويجمع منفيي إسرائيل ويضم مشتتي يهوذا من أربعة أطراف الأرض"(٢).

٢) "وتقول في ذلك اليوم: أحمدك يا رب لأنه إذا غضبت علي ارتد غضبك فتعزيني هوذا الله خلاصي فأطمئن ولا أرتعب لأن ياه يهوه قوتي وترنيمي وقد صار لي خلاصاً. . .،

---

(١) انظر: المجيء الثاني: (ص١١٣)، موسوعة علم اللاهوت: (١٨٩/٢-١٩٣)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٢١٨ -٢٢٢)، نبوءات سفر الرؤيا: (ص٣١)، موقف اليمين المسيحي والكنائس الأمريكية من قضايا الشرق الأوسط ضمن كراسات استراتيجية، الصادرة عن مركز الأهرام للدراسات السياسية، السنة الثالثة عشرة، ٢٠٠٣م العدد رقم: (١٢٢).

(٢) (إش ١١: ١ – ١٢)

رَنِّموا للرب لأنه قد صنع مفتخراً، ليكن هذا معروفاً في كل الأرض، صوتي واهتفي يا ساكنة صهيون لأن قدوس إسرائيل عظيم في وسطك"(١).

٣) "لأني هأنذا خالق سماوات جديدة وأرضاً جديدة، فلا تذكر الأولى ولا تخطر على بال، بل افرحوا وابتهجوا إلى الأبد فيما أنا خالق لأني هأنذا خالق أورشليم بهجة وشعبها فرحاً فأبتهج بأورشليم وأفرح بشعبي، ولا يُسمع بعد فيها صوت بكاء ولا صوت صراخ، ولا يكون بعد هناك طفل أيام ولا شيخ لم يكمل أيامه لأن الصبي يموت ابن مئة سنة، والخاطئ يلعن ابن مئة سنة. . . ، الذئب والحمل يرعيان معاً والأسد يأكل التبن كالبقر، أما الحية فالتراب طعامها لا يؤذون ولا يُهلكون في كل جبل قدسي قال الرب"(٢).

ب- ما جاء في العهد الجديد:

"ورأيت ملاكاً نازلاً من السماء معه مفتاح الهاوية، وسلسلة عظيمة على يده، فقبض على التنين، الحية القديمة، الذي هو إبليس والشيطان وقيده ألف سنة وطرحه في الهاوية، وأغلق عليه، وختم عليه لكي لا يُضلّ الأمم فيما بعد حتى تتم الألف سنة. وبعد ذلك لا بد أن يُحَلَّ زماناً يسيراً. ورأيت عروشاً فجلسوا عليها وأعطوا حكماً، ورأيت نفوس الذين قتلوا من أجل شهادة يسوع ومن أجل كلمة الله، والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته، و لم يقبلوا السمة على جباههم وعلى أيديهم فعاشوا و ملكوا مع المسيح ألف سنة، وأما بقية الأموات فلم تعش حتى تتم الألف سنة، هذه هي القيامة الأولى، مبارك ومقدس من له نصيب في القيامة الأولى هؤلاء ليس للموت الثاني سلطان عليهم، بل سيكونون كهنة لله والمسيح، وسيملكون معه ألف سنة"(٣).

---

(١) (إش ١٢: ١ – ٦)

(٢) (إش ٦٥: ١٧ – ٢٥)

(٣) (رؤ ٢٠: ١-٦)

المبحث الثاني: القائلون بالتفسير الروحي للملك الألفي

تأخذ الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية وبعض الكنائس البروتستانتية بالتفسير الروحي للملك الألفي. (١)

المطلب الأول: بيان عقيدتهم.

يؤمن أتباع هذه النظرية بأن الملك الألفي ملك روحي للمسيح في قلوب أتباعه المؤمنين به وعلى كنيسته، وأن هذا الملك قد ابتدأ فعلاً على الصليب وسيكمل بمجيئه الثاني في نهاية الأيام من أجل الدينونة وأن الألف سنة رمز معروفة مدته في علم الله وحده، فلا تؤخذ بمدلولها الحسابي إطلاقاً وإنما بمدلول رمزيتها للكمال(٢).

يقول البابا شنودة الثالث: "كلمة "ألف سنة" هي تعبير رمزي لا تؤخذ بالمعنى الحرفي إطلاقاً، فرقم (١٠) يرمز للكمال، ورقم الألف هو (١٠×١٠×١٠) أي مضاعفات هذا الرقم. . . ، فالألف سنة هي فترة غير محدودة مثلها مثل أيام الخليقة الستة والقياس مع الفارق، وهي الفترة من الصليب حتى يُحَّل الشيطان من سجنه"(٣).

وحاصل فكر هؤلاء في موضوع الملك الألفي يدور حول خمسة محاور(٤):

المحور الأول: أن ملك المسيح هو ملك روحي: ويستدلون بقوله لبيلاطس: "مملكتي ليست من هذا العالم"(٥)، ويؤكدون على هذا المعنى مراراً، فهم حسب تصورهم يعيشون الآن في ملك الألف سنة التي ذكرت في سفر الرؤيا، وقد بدأت بزعمهم منذ وضع المسيح على الصليب، وستنتهي قبل مجيئه الثاني بقليل، حيث يُحل الشيطان من قيده ويعمل بقوة شديدة.

---

(١) انظر: الملك الألفي: (ص١٤)، نبوءات سفر الرؤيا (ص٣١)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص ٢١٧).

(٢) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (١٩٢/٢)، اللاهوت المقارن: الباباشنودة: (١١٧/١-١١٨)، الملك الألفي: (ص١٤-١٦).

(٣) اللاهوت المقارن: الباباشنودة: (١١٨/١).

(٤) انظر: المصدر السابق: (١١٢/١ -١٢٠)، الملك الألفي: (ص١٤-٢٤)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٤٥٤-٤٥٦)، موسوعة علم اللاهوت: (١٩٢/٢-١٩٣)، اللاهوت النظامي: (ص٥٦٩)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص٢١١-٢١٣).

(٥) (يو ١٨: ٣٦).

المحور الثاني: الألف سنة هي مدة رمزية.

فهي لا تعني ألف سنة تحديداً، بل تعني فترة تامة من الصليب حتى الآونة الأخيرة للدينونة، ويستدلون بقول بطرس: "ولكن لا يخفَ عليكم هذا الشيء الواحد أيها الأحباء: أنَّ يوماً واحداً عند الرب كألف سنة، وألف سنة كيوم"[١].

وكذلك كل الأعداد الوارد ذكرها في سفر الرؤيا هي أعداد رمزية: "وقد أجمع المفسرون القدامى والمحدثون على ضرورة تفسير سفر الرؤيا تفسيراً رمزياً، كما شرحه أوريجانوس[٢]، اكليمنضس الإسكندري[٣]، والقديس جيروم[٤] الرافض لفكرة الملك الألفي الحرفي"[٥].

المحور الثالث: الألف سنة فترة سلام.

من الأمور التي تميز الملك الألفي لديهم وجود السلام، حيث يقول الكاهن في القداس الغريغوري موجهاً كلامه للمسيح: "وصرت لنا وسيطاً مع الآب والحاجز المتوسط نقضته والعداوة القديمة هدمتها، وأصلحت الأرضين مع السمائين وجعلت الاثنين واحداً".

فقد أتم المسيح -بزعمهم- بعمل الفداء الصلح بين السماء والأرض، وبين الله والإنسان، وأيضاً بين الشعب والشعوب الأخرى.

---

(١) (٢ بط ٣: ٨).

(٢) أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤): ولد في عائلة مسيحية مصرية ربما في الاسكندرية، عاش حياة التقشف ممارساً الفقر الإنجيلي في أقصى مظاهره، ظهر تأثره بالفلسفة الأفلاطونية التي لم تسمح له بيئته بالتخلص منها، من مؤلفاته: في المبادئ، الرد على سلسيوس، شرح انجيل يوحنا. انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: (٣٩٩-٤٢٢).

(٣) اكليمنضس الإسكندري: ولد من أبوين وثنيين في أثينا أو الإسكندرية، تتلمذ في الفلسفة على يد أشهر المعلمين في اليونان وجنوب إيطاليا، ثم هاجر إلى فلسطين، أدخل في اللاهوت الفكر النظري، يغلب على فكره ونفسه الاندفاع الأفلاطوني ويكثر في مؤلفاته الاستشهاد من كتب اليونانيين أفلاطون، هوميروس وغيرهم، من مؤلفاته: الإرشاد لليونانيين، المربي، المتفرقات. انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: (ص٣٨٦).

(٤) جيروم: يُعد من آباء الغرب الذين فسروا الكتاب المقدس. وقد تم الحديث عنه سابقاً تحت اسم "إيرونيموس" (ص١١٨). انظر: قاموس آباء الكنيسة: نسخة إلكترونية.

(٥) موسوعة علم اللاهوت: (١٩٢/٢).

المحور الرابع: في الألف سنة يكون الشيطان مقيداً.

في هذه الألفية يكون الشيطان مقيداً بزعمهم حتى تتم مقاصد الله في الشعوب والتاريخ، ويستدلون على تقييد المسيح للشيطان بالصليب بالشواهد التالية:

- "رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء"(١).
- "الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجاً"(٢).
- "رئيس هذا العالم قد دين"(٣).
- "ها أنا أعطيكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب، وكل قوة العدو، ولا يضركم شيء"(٤).

كما يشبهون دور الشيطان في غواية البشر الآن بإنسان مخيف مقيد بسلسلة، ولكنه بالرغم من قيوده فإنه يتمكن من الإتيان بحركات ويعاكس من هو قريب منه، وفي دائرة مجاله كالأسد في القفص الحديدي في حديقة الحيوان يمكنه إيذاء من يقترب منه على الرغم من وجود القفص! !

المحور الخامس: مجيء المسيح الثاني للدينونة.

استقر هذا الأمر في تقليد الكنيسة وتراثها عبر الأجيال، وسجله قانون إيمانهم الذي يرددونه شرقاً وغرباً في صلواتهم فيهتفون قائلين: "يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات"، وينبني هذا على تعليم الكتاب إذ جاء فيه: "فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله"(٥).

---

(١) (لو ١٠: ١٨).

(٢) (يو ١٢: ٣١).

(٣) (يو ١٦: ١١).

(٤) (لو ١٠: ١٩).

(٥) (مت ١٦: ٢٧).

"ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير، فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت، فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السماوات إلى أقصاها"(١).

جاء في القداس المرقسي: "ونتنظر مجيئه الثاني الآتي من السماوات، المخوف والمملوء مجداً في انقضاء هذا الدهر، الذي يأتي فيه ليدين المسكونة بالعدل، ويعطي كل واحد حسب أعماله إن كان خيراً وإن كان شراً".

ويؤيد هذا الأمر ما نسب إلى المسيح عليه السلام: "ها أنا أتي سريعاً وأجرتي معي، لأجازي كل واحد كما يكون عمله"(٢).

المطلب الثاني: موقفهم من القائلين بالتفسير الحرفي للملك الألفي.

رفضت الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية وبعض الكنائس البروتستانتية التفسير الحرفي للملك الألفي رفضاً تاماً(٣)، بل تم اعتباره من البدع والأفكار اليهودية الدخيلة على الكنيسة(٤) من بداية نشأتها وذلك عن طريقين:

١) دخول اليهود للنصرانية ومعهم تصوراتهم المادية، فبثوا هذه الأفكار وسط الكتابات والعظات، وتقبلها بعض آباء الكنيسة في القرون الأولى بكل سذاجة.

٢) المحاورات الدينية بين اليهود وبعض آباء الكنيسة مما جعل الآباء وقد أخذتهم الغيرة والحماسة يؤكدون أنَّ كل ما كان لليهود من بركات ووعود صارت بكاملها لكنيسة

(١) (مت ٢٤: ٣٠ – ٣١).

(٢) (رؤ ٢٢: ١٢).

(٣) انظر: نبوءات سفر الرؤيا: القمص اثناسيوس اسكندر: (ص٣١) الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٢١٧)، الملك الألفي: (ص١٤).

(٤) انظر: المجيء الثاني: عبد المسيح بسيط: (ص١٥٦ –١٦١)، الصهيونية تحرف الإنجيل: (ص١٤)، عقائدنا الأرثوذكسية: (ص٤٥٣).

العهد الجديد، وحرم اليهود من كل بركة فحولوا بذلك الفكر اليهودي المـادي وجعلـوه للكنيسة كما فعل يوستينوس وترتليان[١].

وقد رأت مدرسة الإسكندرية في هذا الفكر خطراً عظيماً، فانبرى له بعض القديسين كأوريجينوس، وتلاه البابا "ديوناسيوس الكبير" وأدحضوا فكرة التفسير الحرفي لسفر الرؤيـا بل اعتبر القديس أغسطينوس من يقول بها مهرطقاً، وتم حرم هذه البدعة في المجمع المسكوني الثاني سنة: (٣٨١م)[٢].

مما جاء فيه: "وقد أبسل بالإجمال كل بدعة برزت للوجود في عهد الملـوك الـذين سبقوا التئامه. . . . ، وليبرهن المجمع أنه يقر ويعترف بالإيمان نفسه، لم يصـنع دسـتوراً جديداً للإيمان، ولكنه أحدث تعديلاً طفيفاً في دستور الإيمان النيقاوي بإضافة الجملة: "الذي لا فناء لملكه" دحضاً لبدعة أبوليناريوس الذي قال إن ملك المسيح يمتد إلى ألف سنة"[٣].

المطلب الثالث: الاعتراضات على التفسير الحرفي للملك الألفي.

قد أورد الرافضون لهذا التفسير من النصارى جملة من الاعتراضات يُذكر منها ما يأتي:

١) أنه لم يرد في أقوال المسيح ولو لمرة واحدة حديث له عن "الحكـم الألفـي"[٤] بالمعنى الذي استنبطه هؤلاء المبتدعة مما جاء في سفر الرؤيا حسب مفهومه اللفظي، ولم يرد أيضاً شيء من هذا القبيل في جميع الأناجيل، فالمسيح عندما تحدث عـن مجيئـه الثـاني لم يتحدث عن مجيء ينزل فيه ليبقى على الأرض ألف عام، بل يجيء للدينونة والشواهد الكتابية على ذلك كثيرة:

---

(١) انظر: رؤيا يوحنا اللاهوتي، القمص تادرس ملطي: (الإصحاح ٢٠ - ص٦).

(٢) انظر: المصدر السابق: (ص٧)، نبوءات سفر الرؤيا: (ص٣١).

(٣) مجموع الشرع الكنسي: (ص٢٤٢ – ٢٤٣).

(٤) مصطلح "الملك الألفي" مصطلح غير كتابي، فلم يرد في الكتاب المقدس بعهديه، ولكن تعبير "الألف سنة" ذكرت في موضع واحد في الكتاب المقدس في سفر الرؤيا (٢٠: ١ – ١٠) ست مرات. انظر: هذه عقائدنا: (ص١٤٦).

- "لأن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله"(١).
- "ومتى جاء ابن الإنسان في مجده، وجميع الملائكة القديسين معه، فحينئذٍ يجلس على كرسي مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب، فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء، فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار، ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي أبي. . . ، فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية"(٢).
- ". . . يسمع جميع من في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة"(٣).

وغيرها كثير، وهذا يبرهن على أن الكتاب المقدس لم يتحدث عن أي مجيء آخر للمسيح سوى مجيئه الثاني للدينونة، فمن أين أتوا بهذه العقيدة الغريبة عند روح الكتاب؟! (٤).

٢) إن مجيء المسيح للدينونة، فما معنى مجيئه للملك الألفي؟!.
في هذه الحالة سيكون هناك ثلاث مجيئات:

١) مجيء للتجسد والفداء.

٢) مجيء للحكم الألفي.

٣) مجيء للدينونة.

والمناداة بثلاث مجيئات أمر لا يقبله أحد، وضد التعليم المسيحي الذي ينتظر المجيء الثاني، ومعه الدينونة وانقضاء الدهر(٥).

٣) إن القول بالتفسير الحرفي مرفوض تماماً؛ لأنه يناقض بين نظام العهدين القديم والجديد تناقضاً لا يمكن معه الجمع بينهما، فبحسب التفسير الحرفي للعهد القديم يلزم أن

---

(١) (مت ١٦: ٢٧).

(٢) (مت ٢٥: ٣١- ٤٦).

(٣) (يو ٥: ٢٨ – ٢٩).

(٤) انظر: عقائدنا الأرثوذكسية: (ص٤٥٦)، المجيء الثاني: (ص١٦٢).

(٥) اللاهوت المقارن: الباباشنودة (١/١١٢–١١٤)، وانظر: مجيء المسيح ثانية: (ص٤٠).

رؤيا حزقيال تتضمن رجوع الديانة اليهودية أعظم وأوسع مما كانت في القديم، وبحسب العهد الجديد يلزم أن تموت الديانة اليهودية لأنها أكملت وظيفتها عند موت المسيح و لم يعد لها سلطان إلهي، فكيف يمكن الجمع بين ما كان محصوراً خاصاً بأمة وبين ما هو ممتد إلى كل العالم؟! (١).

٤) إن القول بالملك الألفي للمسيح يتعارض مع تعليم الكتاب المقدس عن طبيعة ملكوت المسيح، فمن المعلوم أن المسيح قد رفض الملك الأرضي، لأنه أراد ملكاً روحياً على قلوب الناس لا سلطاناً عالمياً(٢)، "قالوا: إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم، وأما يسوع فإذا علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً انصرف إلى الجبل وحده"(٣)، ويكفي هذا في الرد القاطع على الحكم الألفي الأرضي حيث يقول المسيح: "مملكتي ليست من هذا العالم"(٤).

٥) لم ترد هذه العقيدة مطلقاً في جميع قوانين إيمان الكنيسة المسيحية، بل إن قوانين الإيمان التي صدرت عن جميع الكنائس الشرقية والغربية صرحت بمعارضتها ورفضها، كما لم ترد في كتب الصلوات والقداسات، حيث نقول في قانون الإيمان الذي تردده جميع الطوائف الأرثوذكسية والكاثوليكية والبروتستانتية: "وأيضاً يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات...، وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي"(٥).

٦) قد أجمع علماء التفسير واللاهوتيين أنه لا يجوز لأحد أن يستنبط من الأسفار الرؤية وحدها عقيدة لا أساس لها، ثم يحاول إثباتها بتطويع تفسير بعض النبوءات والتعاليم الكتابية لخدمة آرائه الخاصة التي يستنبطها من الأسفار الرؤية، يقول يوحنا: "ورأيت نفوس الذين قتلوا من أجل شهادة يسوع ومن أجل كلمة الله، والذين لم يسجدوا للوحش ولا

---

(١) انظر: اللاهوت النظامي: (ص٥٨٥ – ٥٨٦)، مجيء المسيح ثانية: (ص٢٨).

(٢) انظر: مجيء المسيح ثانية: (ص١٩)، اللاهوت المقارن: البباشنودة (١/١١٥)، دائرة المعارف الكتابية: (٢/٥٩٥).

(٣) (يو ٦: ١٤–١٥).

(٤) (يو ١٨: ٣٦).

(٥) المجيء الثاني: (ص١٦١-١٦٢).

لصورته، و لم يقبلوا السمة على جباههم وعلى أيديهم، فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة"(١). مع الفحص الدقيق لهذا النص يلاحظ أنه خلا تماماً من أية إشارة لمجيء المسيح ثانية مع أن المجيء الثاني هو الأساس الذي يضع عليه القائلون بالحكم الألفي كل عقيدتهم، وكل ما ذكر بخصوص هذه الألف سنة من جهة العلامات السمائية الملازمة لها، "ورأيت ملاكاً نازلاً من السماء معه مفتاح الهاوية. . . ، وقيده ألف سنة"(٢).

أما الإصحاح السابق لنزول الملاك وتقييده للشيطان ألف سنة فيتضح منه أن المسيح لا يزال مستتراً في السماء يمارس حكم العالم وحربه ضد الشيطان بصورة غير منظورة، فالتفسير الحرفي يتعارض مع الحقائق الكتابية المعلنة في باقي الأسفار(٣).

جاء في دائرة المعارف الكتابية مانصه:

"إننا نضع هذه الملحوظات أمام دارسي الكتاب المقدس الذين يبحثون عن الحقيقة:

أ) إن عقيدة الملك الألفي للمسيح على الأرض لم ترد مطلقاً في قوانين إيمان الكنيسة المسيحية بل إن قوانين الإيمان التي صدرت عن الكنائس التاريخية قد صرحت بمعارضتها لهذه العقيدة.

ب) إن التعليم بالملك الألفي لا يستند على أساس كتابي صريح يقبله الجميع، والآراء المتعددة عنه متناقضة، ولا يتفق أصحابها حتى في النقاط الأساسية.

ج) لم يذكر هذا التعليم في الأجزاء الكتابية الواضحة التي تعالج موضوع المجيء الثاني والتي يجب الرجوع إليها في دراسة الموضوع.

د) إن عقيدة الملك الألفي تتعارض مع الفصول الكتابية التي تربط المجيء الثاني:

- بقيامة الأبرار والأشرار، -أي جميع الأموات- في وقت واحد.

---

(١) (رؤ ٢٠: ٤).

(٢) (رؤ: ٢٠: ١-٢).

(٣) انظر: المجيء الثاني: (ص١٦٢)، الملك الألفي: (ص١٤-١٥).

- بالدينونة المتزامنة للأبرار والأشرار.
- بفناء العالم الحاضر وخلق سماوات وأرض جديدة.

فكل هذه الفصول الكتابية لا يرد فيها أي ذكر للملك الألفي، ولا تسمح بوجـــود فترة تتسع لمثل هذا الملك.

هـ) إن فكرة الملك الألفي في أساسها فكرة يهودية، ولها تطلعات يهودية، وواضح أنها نبتت من المفهوم المادي عند اليهود بأن مملكة المسيا - المسيح- ستكون مملكة أرضية"(١).

يتضح مما سبق أن الخلاف بين طوائف النصارى حول تفسير "الملك الألفي" خلاف جوهري، وإن كان لا يمس حتمية المجيء الثاني للمسيح عليه السلام، إلا أن كل طائفة فســرت الأمور الغيبية المتعلقة بالمستقبل وفق طريقتها الخاصة، فوصلت كل منها إلى طريق يختلف عن الأخرى مما يظهر الاختلافات والتناقضات التي اعتدنا عليها. . .

ولاشك بأن مجيء المسيح عليه السلام ثانية للدينونة عند النصارى بالكيفية التي ذُكرت من العقائد الوثنية التي تسربت إلى دينهم فلم يغادر النصارى شيئاً مما قاله الوثنيون عن آلهتــهم المتجسدة إلا وقالوه بحق المسيح عليه السلام! !

يقول الكسندر موري: "كان اليونانيون القدماء يحترمون عيد قيام أدوني مـــن بـــين الأموات ويعظمونه جداً، وكانوا يأتون بصنم على أنه أدوني ويتلون عليه جناز الموت وهم يبكون ويرتلون أناشيد الحزن واليأس، ومن بعد ذلك ترتفع أصوات الفرح والسرور وينادى بأن أدوني عاد حياً وقام".

وأوزريس المخلص المولود من عذراء قام من بعد موته والمصريون يدعونه الواحد المبعوث.

وقال مهامي: "إن محور التعليم الديني عند الوثنيين في مصر في القرون الخاليـــة هـــو الإيمان بقيام الإله الوسيط الظاهر بالناسوت والمولود من عذراء من بين الأمـــوات، وأبديـــة

(١) دائرة المعارف الكتابية: (٢/٥٩٥).

تملكه لملكوت السماوات، وكانوا يعيدون عيد الفصح بفصل الربيع تذكاراً لقيام الإله المخلص أدوني من بين الأموات ويمرحون فرحاً، ويموجون تيهاً، ويعتقدون أنه قدم نفسه ذبيحة فداء عن الناس، وأنه مانح للسلام والحياة وفاتح للحق.

ومتراث مخلص الفرس وهو الوسيط بين الله والناس، كانت عبادته شائعة في بلاد الفرس والآرمن وآسيا الصغرى، مات قتيلاً ثم قام من بين الأموات، ويوم القيامة الواقع في ٢٥ آذار يأتون بشاب يتماوت ردحاً قصيراً، ثم يقوم على أنه عاد حياً، وما ذلك إلا تمثيلاً لموته وقيامته ويعتقدون أنه بتألمه نالوا الخلاص ويدعونه المخلص.

وفي يوم عيد قيامة المذكور سابقاً يقعد الكهنة على القبر الذي يعملونه في معابده يبكونه ويندبونه في ظلام الليل، ثم يشعلون السرج بغتةً وينادون: "افرحوا وهللوا أيها القديسيون المخلصون فقد عاد ربكم الذي بموته وآلامه وأوجاعه نلنا الخلاص".

ويعتقد البوذيون بظهور بوذا مراراً عديدة بالناسوت ليؤهلهم ويعلمهم باتحادهم بذاته المحيطة، وأنه في الأيام الأخيرة يأتي أيضاً، وقد جاء ذكر هذا في كتبهم المقدسة، وأن المقصود من مجيئه إلى هذا العالم هو إعادة النظام والسعادة إلى هذه الدنيا.

ويعتقد الصينيون أنه في الأيام الأخيرة عند انقضاء الألف عام يأتي إلى الدنيا إنسان إلهي يعيد السلام والسعادة إليها، وكتبهم الدينية الخمسة مشحونة بذكر عصر ذهبي في المستقبل.

ويعتقد المجوس القدماء أنه سيمر على الأرض ألف عام يؤمن عندها الناس جميعاً بدين زورستر.

وأتباع بوخص ينتظرون مجيئه الثاني ليحكم على الدنيا ويعيد إلى الناس السعادة.

والاسكندنافيون القدماء يعتقدون أنه في اليوم الأخير سيصيب الناس بلايا وأوبئة وتهتز الأرض وتتساقط النجوم من السماء ومن بعد ذلك تقيد الحية العظيمة بسلاسل ويصبح دين "أدرين" مسيطراً على الجميع[١].

(١) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية: محمد طاهر البيروتي، تحقيق: محمد الشرقاوي، دار الصحوة للنشر، القاهرة: (ص١٥٨-١٦٩).

المبحث الثالث: نزول المسيح عليه السلام ومدة مكثه في آخر الزمان في الإسلام.

نزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان حقيقة تؤكدها نصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة حيث يُعد نزوله شرطاً من أشراط الساعة الكبرى وأمارة من أمارتها.

يقول الباري تبارك وتعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [سورة الزخرف ٥٧-٦١]

قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والضحاك وقتادة: "إنه خروج عيسى عليه السلام، وذلك علم من أعلام الساعة؛ لأن الله يترله من السماء قُبيل قيام الساعة، وقرأ ابن عباس وأبو هريرة رضي الله عنهم "وأنه لعَلم للساعة بفتح العين واللام أي أمارة"(١).

ويقول جل شأنه: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [سورة النساء ١٥٧-١٥٩]، قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة المعنى: ليؤمنن بالمسيح، فالهاء عائدة على عيسى عليه السلام، وروى مجاهد: أن الهاءين جميعاً عائدة لعيسى عليه السلام والمعنى: ليؤمنن به من كان حياً حين نزوله يوم القيامة.

يقول الحسن: قبل موت عيسى، والله إنه لحي عند الله الآن؛ ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون، قال أبو هريرة رضي الله عنه: "قبل موت عيسى يعيدها ثلاث مرات"(٢).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، صححه أبو إسحاق وإبراهيم اطفيش، الطبعة الثانية: (١٠٥/١٦).

(٢) المصدر السابق: (١١/٦).

يقـــول تعـــالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴿١١٠﴾﴾ [سورة المائدة ١١٠]، وقوله: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة آل عمران ٤٦].

يقول أبو العباس: "كلمهم في المهد حين برّأ أمه فقال: إني عبد الله، وأما كلامه وهو كهل فإذا أنزله الله من السماء أنزله على صورة ابن ثلاث وثلاثين ســنة، فهاتــان آيتــان وحجتان، يقول النحاس: "والكهل عند أهل اللغة من ناهز الأربعين"(١).

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: "الكهل الحليم"(٢).

وعن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: اطلع النبي ﷺ فقال: «مــا تــذاكرون؟ ، قالوا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخــرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»(٣).

وقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ بالأخبار بنزول المسيح عليه السلام وأنــه سيكســر الصليب ويقتل الخنزير ولا يقبل الجزية.

فمن أسلم من أهل الملل قُبل منه إسلامه وإلا قُتل، وهذا من باب الإخبار عــن المســيح عليه السلام بذلك، و التشريع له بذلك فإنه إنما يحكم بمقتضى هذه الشريعة المطهرة، ويصلي مــع المســلمين خلف إمامهم، ويقتل الدجال، ويكون إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً، وتكثر البركــات في زمانــه ويحل الأمن وتسود المحبة بين الناس ويهلك الله في زمانه يأجوج ومأجوج ببركة دعائــه في ليلــة واحدة، وتكون وفاته بالمدينة النبوية فيصلى عليه ويدفن بالحجرة النبوية(٤).

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٤/٩٠ – ٩١).

(٢) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر – ١٤٠٣هـ: (١/٣٤٣).

(٣) أخرجه: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، في صحيحه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الآيات التي تكون قبل الساعة: (٤/٢٢٢٥/ح٢٩٠١).

(٤) النهاية في الفتن والملاحم، ابن كثير، دار المعرفة، الطبعة الرابعة: (١/١٤١-١٥٠).

أخرج البخاري في صحيحه عن سعيد بن المسيب أنه سمع أبا هريرة ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن يترل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخترير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد».

وفي رواية: «حكماً عدلاً» وزاد: «حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها»، ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا ان شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [سورة النساء ١٥٩] [(١)].

كما أخرج أحمد في مسنده عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «الأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه رجلاً مربوعاً إلى الحمرة والبياض عليه ثوبان ممصران كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل فيدق الصليب ويقتل الخترير ويضع الجزية ويدعو الناس إلى الإسلام، فيهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال، وتقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم، **فيمكث أربعين سنة**، ويصلي عليه المسلمون»[(٢)]، جاء في هذا الحديث أنه يمكث أربعين سنة، وثبت في صحيح مسلم أنه يمكث سبع سنين، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين، فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود، فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين، ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشأم، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه، حتى تقبضه»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجمعة، باب التطيب للجمعة: (٥٥٦/٨ح٣٤٤٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني في المسند: مؤسسة قرطبة، القاهرة، الأحاديث مذيلة بتعليق شعيب الأرنؤوط: (٤٠٦/٢)، تعليق شعيب الأرنؤوط: الحديث صحيح.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض: (٢٢٥٨/٤/ح٢٩٤٠).

قال ابن كثير رحمه الله: "فهذا مع هذا مشكل، اللهم إلا أَنْ تُحمل هذه السَّبع على مُدَّةِ إقامتهِ بعد نزوله، ويكون ذلك محمولاً على مُكْثِهِ فيها قبل رفعهِ مُضافًا إِليهِ، وكان عمره قبل رفعه ثلاثًا وثلاثين سنة على المشهور، وهذه السبع تكملة الأربعين، فيكون هذا مدَّة مُقامه في الأرض قبل رفعه وبعد نزوله، وأَمَّا مُقَامُهُ في السَّماءِ قبل نزوله فهو مُدَّةٌ طويلة. والله سبحانه أعلم"(١).

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رُحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: «ما شأنكم: قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط عينه طافئة كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج خَلَّة بين الشام والعراق، فعاث يميناً وعاث شمالاً يا عباد الله فاثبتوا« قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم»، قلنا يا رسول الله: فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا صلاة يوم؟ قال: «لا اقدروا له قدره» قلنا يا رسول الله: وما إسراعه في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم، فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كنت ذُراً وأسبغه ضروعاً وأمده خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها: اخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فيترل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان

---

(١) البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى: (١٩/٢٣٠).

كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لُدّ فيقتله، ثم يأتي عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج و مأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء ويُحصر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه عليه السلام إلى الله، فيرسل طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر، ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلفة.

ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرِّسْل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة، فتأخذهم تحت أباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحُمر فعليهم تقوم الساعة«[١].

وعن ابن شهاب قال أخبرني نافع مولى أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه: أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم»[٢].

وجاء عن الوليد بن مسلم عن ابن أبي ذئب عن ابن شهاب عن نافع مولى أبي قتادة رضي الله عنه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه: (٢٢٥٠/٤–٢٢٥٥ح٢١٣٧).

(٢) المصدر السابق: كتاب الإيمان: باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ : (١٣٦/١ح٢٤٤).

فأمَّكُم منكم» فقلت لابن أبي ذئب: إن الأوزاعي حدثنا عن الزهري عن نافع عن أبي هريرة: «وإمامكم منكم»، قال ابن أبي ذئب: تدري ما أمكم منكم؟ قلت: تخبرني، قال: فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم"(١).

وأما الإجماع: فقد أجمعت الأمة على نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ومن لا يعتد بخلافه، وقد انعقد إجماع الأمة على أنه يترل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية وليس يترل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء وإن كانت النبوة قائمة به وهو متصف بها"(٢)، والواجب على كل مسلم التسليم بنصوص الكتاب والسنة والإيمان بمضمونها.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان: باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ: (١٣٧/١ح٢٤٦).

(٢) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية: شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد السفاريني، مؤسسة الخافقين دمشق الطبعة الثانية: (٩٤/٢).



التناقض حول المطْهَر

وفيه تمهيد ومبحثان :

المبحث الأول: موقف الكنيسة الكاثوليكية من عقيدة المطْهَر.

المبحث الثاني: موقف الكنيسة الأرثوذكسية والبروتستانتية من عقيدة المطْهَر.

الفصل الرابع
التناقض حول المطْهَر

تمهيد:

ما هو مصير النفس بعد الموت؟

سؤال يردده علماء فرق النصارى، ويختلفون في الإجابة عليه! !

ففرقتا الأرثوذكس والبروتستانت لهم رأي في حالة الروح بعد الموت، حيث نجد أن هناك اتفاقاً بين الفريقين على أن أرواح الصالحين تصعد إلى السماء مباشرة بعد الموت وتنعم في الفردوس مع المسيح عليه السلام، بينما تذهب أرواح الأشرار إلى الجحيم، فلا يوجد مكان متوسط بين السماء والجحيم(١).

أما فرقة الكاثوليك فلهم رأي يخالف الأرثوذكس والبروتستانت، فالحياة في مفهوم الكاثوليك لا تنتهي بموت الجسد، بل النفس تترك الجسد وتنزل إلى المطْهَر وهو مكان بين الجنة والنار تنفى فيه النفوس التي لم تصل إلى درجة النقاء الكامل، فتتعذب فيه مدة حتى تَطْهُرَ، وعندئذٍ يُسمح لها بدخول الملكوت.

وعقيدة وجود المطْهَر من خصائص الكنيسة الكاثوليكية فحسب(٢).

---

(١) انظر: هذه عقائدنا، ج. كلايدتارنر، الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل: (ص١٤١-١٤٣)، اللاهوت النظامي: (ص٥٤٤-٦٠٩).

(٢) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٤١)، اللاهوت النظامي: (ص٥٤٧)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٧٣-٧٤)، لماذا نرفض المطهر: (ص١٨)؛ كنز النفائس: (ص١٨٢-١٨٣)، شرح أصول الإيمان: (ص٢٧٦).

المبحث الأول: موقف الكنيسة الكاثوليكية من عقيدة المطْهَر

عقيدة المطْهَر في الكنيسة الكاثوليكية قضية إيمانية، تلفت نظر المؤمن بها وتدعوه للتفكير في مسؤوليته عن أفعاله في الحياة وما بعد الموت[١]، والتعريف بهذه العقيدة إنما يتحقق بتحديد مفهومها ونشأتها وأدلتها.

المطلب الأول: تعريف المطْهَر(Purgatory)

عند النصارى الكاثوليك "هو مكان تطهر فيه النفوس بعد الموت بعذاب موقوت"[٢].

"وهو موضع متوسط بين النعيم والجحيم، تذهب إليه النفوس التائبة و لم تصل بعد إلى درجة النقاوة الكاملة للقاء الرب وتُنفى حيث تتعذب، أو بصلوات المؤمنين تفي ما بقي عليها من العدل الإلهي وتتطهر من الخطايا الصغيرة والهفوات، وتتقبل المغفرة من الله لتستحق الدخول للسماء التي لا يدخلها أي شخص دنس"[٣].

وقيل: "هو حالة من يموتون في الصداقة الإلهية؛ ولكنهم وإن كانوا على ثقة من خلاصهم الأبدي ما زالوا يحتاجون للتطهير لدخول سعادة السماء"[٤].

والمطْهَر: "عذاب تتطهر فيه نفوس الأبرار قبل دخولها السماء" [٥].

إذاً فالمطْهَر عند الكاثوليك حال ومكان تذهب إليه النفوس التي لها بعض الهفوات والخطايا الصغيرة مما تغفر في الدهر الآتي، فتذهب هذه النفوس إلى مكان ثالث غير السماء وغير جهنم، وهذا المكان اصطلحت الكنيسة الكاثوليكية على تسميته (المطْهَر)، وهو: سجن مؤقت تنال فيه نفس البار مغفرة خطاياها عن طريق احتمال بعض العذابات المؤقتة،

---

(١) انظر: التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (٢٢٢/١).

(٢) المعجم الوسيط: (٥٦٩/٢).

(٣) موسوعة علم اللاهوت: (٤٤١/٤).

(٤) مختصر كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص٧١).

(٥) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى: (ص٥٥).

حتى إذا ما تطهرت تماماً من سد خطاياها أدخلت من فورها للسماء مقر الطوباويين من الملائكة والقديسين(١).

المطلب الثاني: نص العقيدة.

"في مجمع ليون الثاني (١٢٧٤م)، حيث أعلنت شهادة إيمان ميخائيل باليولوغس امبراطور القسطنطينية: إن مات المؤمنون التائبون حقاً في المحبة قبل أن يكفروا بثمار لائقة بالتوبة عما ارتكبوه أو أهملوه، فستطهر نفوسهم بعد الموت بعقوبات مطهرة، هذا وإنَّ شفاعات المؤمنين الأحياء ستفيدهم للتخفيف من هذه العقوبات، وهي ذبيحة القداس والصلوات والصدقات وسائر أعمال التقوى التي اعتاد المؤمنين أن يقوموا بها من أجل سائر المؤمنين بحسب ما أنشأته الكنيسة"(٢).

المطلب الثالث: المجامع الكاثوليكية التي أعلنت وحددت عقيدة (المطْهَر).

أقرت الكنيسة الكاثوليكية عقيدة المطْهَر في بداية القرن السابع وصُرِّح به قانونياً في عدة مجامع:

١. مجمع لاتيران المسكوني (١٢١٥م).

٢. مجمع ليون المسكوني (١٢٧٤م).

٣. وقد تم تأكيدها في مجمع فلورنسا المسكوني (١٤٣١م).

٤. وتم الحكم بقول "المطْهَر" كتعليم حقيقي للكنيسة الكاثوليكية في المجمع التريدنتيني في الجلسة الخامسة والعشرين، وهي آخر جلساته بخصوص "المطْهَر" يقول: "لما كانت الكنيسة الكاثوليكية التي يرشدها الروح القدس قد علمت في مجامعها المقدسة وحديثاً في هذا المجمع المسكوني بأنَّ ثَمَّةَ مطهراً وبأنَّ النفوس المعتقلة قد تساعد بصلوات المؤمنين

---

(١) انظر: الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص٦٥).

(٢) عقيدة المطْهَر: للأب يوآنس لحظي: (ص٩).

ولا سيما بذبيحة المذبح[١] الكفارية، فإنَّ هذا المجمع المقدس يوصي الأساقفة بأن يهتموا الاهتمام كله بأنْ يؤمن المؤمنون بهذا التعليم الصادق عن المطْهَر، التعليم الذي تسلمناه من الآباء القديسين ومن المجامع المقدسة إيماناً ثابتاً، وأنْ يعلم ويبشر به في كل مكان، وأما الذي قرر بأنْ يُسمى مكان تطهير النفوس باسم (المطْهَر) وذلك بناءً على التقليد الشائع إذ ذاك وسلطة الآباء القديسين فهو البابا انيوشنسيوس الرابع في خطاب له لأسقف توسكولو بتاريخ: (٦ مارس ١٢٥٤م)"[٢].

٥. المجمع الفاتيكاني الثاني، مما جاء فيه عن المطْهَر: "إنَّ الإيمان الخليق بالاحترام إيمان آبائنا بشركة الحياة بيننا وبين إخوتنا الذين وصلوا إلى المجد السماوي، أو الذين لا يزالون يتطهرون بعد موقم ويتلقاه المجمع المقدس ببالغ التقوى"[٣].

المطلب الرابع: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الكاثوليكية

استدل الكاثوليك بعدد من الأدلة للبرهنة على صحة اعتقادهم بالمطْهَر أهمها:

أولاً: الكتاب المقدس.

أ- العهد القديم.

- تأكيد العهد القديم على أن الصلاة تكون من أجل غفران خطايا الذين ماتوا بخطاياهم، وعليه فلا بدَّ من وجود مكان ثالث بين السماء وجهنم يتطهر فيه الإنسان من خطاياه، كما في سفر المكابيين الثاني: "وأخذوا يصلون ويبتهلون إليه أنْ يمحو تلك الخطيئة، وبعد ذلك بدأ يهوذا النبيل يعظ الحاضرين أن يترهوا أنفسهم عن الخطيئة إذا رأوا بعيوهم (ما أصاب) الذين سقطوا لأجل الخطيئة، ثم جمع من كل واحد تقدمة فبلغ المجموع ألفي

---

(١) المذبح: مائدة مكعبة وسط الهيكل، يقام عليها -بحسب معتقد النصارى- الذبيحة المقدسة، ويوجد حول المذبح غالباً أربعة أعمدة تنتهي بقبو يسمى العرش، ويرمز-عندهم- لقبو المسيح. قاموس المصطلحات الكنسية: (ص٤٩).

(٢) انظر: اللاهوت النظامي: (ص٥٤٧)، موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٤١)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص٦٧).

(٣) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (٢/٩٧١)، وانظر: الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص٦٨).

درهم من الفضة فأرسلها إلى أورشليم ليقدم بها ذبيحة عن الخطيئة، وكان ذلك من أحسن الصنيع وأتقاه؛ لاعتقاده قيامة الموتى لأنه لو لم يكن مترجياً قيامة الذين سقطوا لكانت صلاته من أجل الموتى باطلاً وعبثاً، ولاعتباره أن الذين رقدوا بالتقوى قد ادخر لهم ثواب جميل، وهو رأي مقدس تقوي ولهذا قدم الكفارة عن الموتى ليحلوا من الخطيئة"(١).

يوضح النص أن الصلاة هي من أجل غفران خطايا الذين ماتوا بخطاياهم؛ ولكن كيف تغفر الخطايا بعد الموت؟ كيف يتطهر الإنسان من خطاياه ويقدم كفارة عنها إن كان هناك مكانان فقط السماء وجهنم ولا ثالث لهما؟!

إن هذا النص يدعو كل إنسان للتفكر في هذا العمل الذي قام به يهوذا المكابي(٢).

ب- العهد الجديد.

- إعلان المسيح بأن الخطايا منها ما يغفر في هذه الدنيا، ومنها ما يغفر في الحياة الأخرى بعد الموت، حيث نُسب إليه: "كل من قال كلمة على ابن البشر يغفر له، وأما من قال عن الروح القدس فلا يغفر له لا في هذا الدهر ولا في الآتي"(٣).

وهنا يقول الأب يوآنس لحظي في كتابه المطْهَر: "يظهر من النص أنه توجد خطايا تغفر في هذه الدنيا، وخطايا تغفر في الحياة الأخرى، وهنا نتساءل كيف تغفر الخطايا بعد الموت؟ كيف يتطهر الإنسان من خطاياه ويقدم كفارة عنها إذا كانت هناك حالتان: في السماء وجهنم، ولا ثالث لهما كما يقول البعض، فأين المكان الذي تغفر فيه الخطايا؟ "(٤).

---

(١) (٢مك ١٢: ٤٢-٤٦).

(٢) انظر: عقيدة المطْهَر للآب يوآنس لحظي: (ص١٠)، عقيدة المطْهَر الكاثوليكية: وليد عبد الحميد، جامعة النجف: (ص٢٦٥).

(٣) (مت ١٢: ٣٢).

(٤) عقيدة المطْهَر للآب يوآنس لحظي: (ص١٠).

يقول الأب لويس برسوم في كتابه المطْهَر: "إذا سألت ما هي هذه الخطايا التي تغفر في الدهر الآتي أجبتك: إنها الخطايا غير الثقيلة، أي الخطايا العرضية كالخطايا التي تصنع دون إرادة كاملة أو معرفة كاملة، وكخطايا السهو وما إلى ذلك؛ لأن الخطايا الثقيلة لَمَّا كان عقابها جهنم وجهنم أبدية إذاً فهي غير قابلة للمغفرة في الدهر الآتي، وأما إذا سألت عن المكان الذي تغفر فيه تلك الخطايا؟ أجبتك: إنه ليس بالطبع السماء؛ لأن السماء مكان لا يدخله شيء نجس(١)، ولا هو جهنم التي أعدت لأصحاب الخطايا الثقيلة: "الخائفون والكفرة والرجسون والقتلة والزناة والسحرة وعبدة الأوثان"(٢).

إذاً فهو مكان ثالث غير السماء وغير جهنم، وهو ما تعارفنا على تسميته بالمطْهَر"(٣).

- تحذير المسيح للإنسان بضرورة إرضاء الخصم، مما نسب إليه قوله: "سارع إلى إرضاء خصمك ما دمت معه في الطريق لئلا يسلمك الخصم إلى القاضي والقاضي إلى الشرطي فتلقى في السجن، الحق أقول لك: لن تخرج منه حتى تؤدي آخر فلس"(٤).

فطلب التوبة إنما يكون في الحياة وقبل الموت، وإذا مات الإنسان وعليه دين (أي غير تائب) فإنه يلقى في السجن (المطْهَر)، ولن يخرج منه حتى يوفي كل ما عليه، أي يتطهر تماماً من خطاياه، فالسجن هو المطْهَر وليس جهنم؛ لأن من يدخل جهنم لا يخرج منها، فهي مصير أبدي، أما هنا فهو يشير إلى الخروج (لن يخرج) وبالطبع ليست السماء؛ لأنها

---

(١) (رؤ ٢١: ٢٧).

(٢) (رؤ ٢١: ٨).

(٣) الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص٦٦).

(٤) (مت ٥: ٢٥-٢٦).

ليست سجن بل هي الفرح الدائم مع الرب، فالسجن هنا إشارة إلى وجود مكان ثالث يوفي فيه الإنسان ديناً كان يجب إيفاؤه على الأرض يسمى بالمطْهَر[١].

- ما ورد في الرسالة الأولى إلى أهل كورونثوس: "سيظهر عمل كل واحد في يوم الله سيعلنه؛ لأنه في النار سيكشف ذلك اليوم، وهذه النار ستمتحن قيمة عمل كل واحد، فمن بقي عمله الذي بناه على الأساس نال أجره، ومن احترق عمله كان من الخاسرين، أما هو فسيخلص ولكن كما يخلص من يمر بنار"[٢]، فالمقصود بالنار هنا كما يعتقد الكاثوليك هي النار التي تتقدم الدنيوية العامة، التي أعدت لتطهير مختاريه مما يشوبهم من عيوب ونقائص ليكونوا أهلاً لدخول السماء والتمتع بالسعادة الأبدية[٣].

ثانياً: إيمان القديسين آباء الكنسية بالمطْهَر[٤].

أ- قول القديس قبريانوس: "إن التائبين الذين ماتوا بعد أن غفرت خطاياهم يجب عليهم أن يؤدوا في الحياة الأخرى ما تبقى لهم من التعويض المفروض، بينما الشهادة هي بمثابة تعويض كامل وافٍ، ليس بسيان غسل النفس من الخطايا باحتمال عذاب أليم طويل والتطهير بالنار وغسل النفس من الخطايا بشهادة الدم".

ب- قول القديس أوغسطينوس: "بعض الناس لا يعانون العذابات الزمنية إلا في هذه الحياة، وبعضهم بعد الموت فقط، وغيرهم في هذه الحياة وبعد الموت؛ إلا أنهم جميعاً يقفون بين يدي هذه المحكمة الصارمة الأخيرة".

---

(١) عقيدة المطْهَر للأب يوآنس لحظي: (ص١٠)، عقيدة المطْهَر: د. وليد عبد الحميد: (ص٢٦٦).

(٢) (١كو ٣: ١٣-١٥).

(٣) انظر: الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص٦٧).

(٤) انظر: عقيدة المطْهَر للآب يوآنس لحظي: (ص١٢)، المطْهَر: د. وليد عبد الحميد: (ص٢٦٧-٢٦٨).

ويتضح من كلامه السابق أن المطْهَر ليس حالة تبدأ بعد الموت ولكن بما أنها حالة اكتمال تكفير، فالتكفير يبدأ من هنا على الأرض ويكتمل بعد الموت بدلالة أن قسّم الناس إلى ثلاثة أصناف:

الأول: الذين يعانون العذابات في هذه الحياة الدنيا، ويقصد بهم الشهداء والقديسين الذين عاشوا تحت الاضطهاد والآلام وماتوا من أجل المسيح.

الثاني: الذين يعانون العذابات بعد الموت فقط، وهؤلاء الذين ماتوا دون أي تكفير عن خطايا الحياة الدنيا.

الثالث: الذين يعانون العذابات في هذه الحياة وبعد الموت، وهم الذين بدأوا مرحلة التكفير على الأرض وفاجأهم الموت، وبالتالي لا بد أن يكتمل تكفيرهم هذا وذلك يكون بعد الموت.

ج- قول كيرلس الأورشليمي(١): "نثق بأننا نقدم عوناً كبيراً لنفوس الأموات بالصلاة من أجلهم، حين تكون الضحية المقدسة الرهيبة على المذبح نقدم لله من أجل الأموات صلواتنا، نقدم بوجه خاص المسيح المذبوح بسبب خطايانا وبذلك نستعطف الله المحب للبشر من أجلهم".

ثالثاً: صلوات الطقس القبطي.

الصلوات في الطقوس الدينية الكنسية تدل على أن نفوس الموتى في حالة تتطلب الصلاة من أجلها، وهذه ليست إلا حالة تكفير عن خطاياها، قد يكون بدأ على الأرض أو بعد الموت مباشرة، وهو ما تسميه الكنيسة الكاثوليكية بالمطْهَر.

---

(١) كيرلس الأورشليمي (٣١٣-٣٨٧): ولد بأورشليم أو قريباً منها لأبوين مؤمنين بالمسيحية في وقت تغلغلت فيه الأفكار الآريوسية، نشأ راهباً ناسكاً، سيم شماساً سنة (٣٣٥م)، ثم قساً سنة (٣٤٣م)، أوكل إليه تعليم الموعوظين سنة (٣٤٨م، أو ٣٤٧م)، وفي أواخر عام (٣٥٠م) سيم أسقفاً على أورشليم. صدر حكم بنفيه وتجريده من أسقفيته ثلاث مرات، اشترك في مجمع القسطنطنية (٣٨١م) بناءً على أمر الامبراطور ثيؤدوسيوس، وفي عام (٣٨٨م) تنيح بعدما قضى (٣٨) عاماً أسقفاً على أورشليم منها (١٦)سنة في المنفى بعيداً عن أورشليم، تعد مقالاته للموعوظين من أهم كتاباته. انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: (ص ٥٩٤-٦٠١)، القديس كيرلس الأورشليمي، القمص تادرس يعقوب ملطي، كنيسة الشهيد مارجرجس، اسبورتنج، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م: (ص ٧-١١).

أ- **القداس الإلهي**: بعد المجمع يقول الكاهن: "أولئك يا رب الذين أخذت نفوسهم نيحهم(١) في فردوس النعيم في كورة الأحياء إلى الأبد في أورشليم السماوية في ذلك الموضع".

ب- **في صلاة رفع البخور تصلي الكنيسة من أجل الراقدين**: "تفضل يا رب نيح نفوسهم جميعاً في أحضان آبائنا القديس إبراهيم وإسحاق ويعقوب، كلهم جميعاً في موضع خضرة على ماء الراحة في فردوس النعيم، الموضع الذي هرب منه الحزن والكآبة والتنهد في نور قديسيك".

ج- **في صلاة الجنازة.**

1- جنازة الرجال الكبار: "وإن كان صنع شيئاً من الخطايا إليك مثل سائر البشر اغفر له وسامحه ولتزل عنه سائر عقوباته، لأنك لم تخلق الإنسان للهلاك بل للحياة نيحه في ذلك المكان".

2- في صلاة جنازة النساء الكبار: "نسألك يا محب البشر الممتحن ارجعها ونيحها وسامحها واغفر لها كثرة خطاياها وتجاوز عنها لأنك لم تخلق الإنسان للشرور بل للخيرات، فهي الآن أيضاً قائمة أمام منبر مسيحك، فليكن لها نياح وراحة وبرودة وفرح".

ويوجد كثير من هذه الصلوات التي إن دلت على شيء فإنما تدل على طلب هذه الراحة والغفران للنفس المتنقلة(٢).

وتعتنق الكنيسة الكاثوليكية هذا المعتقد بوجود المطْهَر إيماناً منها برحمة الله البالغة وشفقته الشاملة بالخلق، فكان المطْهَر حتى لا يبقى الكثيرون ممن استحقوا العذاب في العذاب الأبدي إلى ما لا نهاية(٣).

---

(١) المعنى المتعارف عليه عند النصارى أن تنيح بمعنى ارتاح وأخذ راحة وهدوءاً وسلاماً، ويقال عن الشخص أنه قد تنيح، أو هو متنيح، للدلالة على الذين انتقلوا، أي: توفوا. قاموس المصطلحات الطقسية والكنسية، نسخة إلكترونية.

(٢) انظر: عقيدة المطْهَر للأب يوآنس لحظي: (ص١٠)، عقيدة المطْهَر: د. وليد عبد الحميد: (ص٢٦٨-٢٦٩).

(٣) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٧٤).

المطلب الخامس: العذاب في المطْهَر.

يرى الكاثوليك من النصارى أن في المطْهَر نوعين من العذاب:

الأول: عذاب الحرمان: وهو الحرمان من رؤية الله والتمتع بمشاهدة وجهه الكريم.

وهذه العقوبة تقترن بالثقة الوطيدة في السعادة الأخيرة (بعد المطْهَر)؛ لأن الموتى يعرفون أنهم أبناء الله وأصدقاؤه، ويتوقون إلى الاتحاد به اتحاداً صميمياً، فيزيدهم شعورهم هذا ألماً بعد الفراق المؤقت.

الثاني: عذاب الحواس: وهو عذاب النار تتطهر فيه النفوس من أدرانها قبل أن تلج السماء[١]: "الحق أقول لك: لن تخرج منه حتى تؤدي آخر فلس"[٢].

والعذاب الذي تتعرض له النفوس في المطْهَر هو أشد من كل عذاب في الحياة، حيث تتألم النفوس المطهرية آلاماً فادحة، إلا أنه يمكن التخفيف عنها بالصلوات والأدعية، حيث يعتقد الكاثوليك في مساعدة النفوس التي تتعذب في المطْهَر وذلك بتقديم الطقوس الكنسية والصلوات لهم لكي يجتازوا فترة (المطْهَر) بأسرع وقت عن طريق أفعال الخير المقدمة لهم كالصلاة والصدقات ومنح الغفرانات وأعمال التوبة، خصوصاً عن طريق الذبائح المقدمة في الاحتفالات الإفخارستية.

وكان من تعليم الكنيسة في ذلك قولها:

"لنمُدّ لهم العون ونذكرهم، إن كان أبناء أيوب قد تطهروا بذبيحة أبيهم، لِمَ نشك بأن تقادمنا لأجل الراقدين تجلب لهم بعض التعزية؟ ، فلا نتردد إذاً في مساعدة الذين رحلوا وتقدمة صلوات لأجلهم".

---

(١) مختصر في علم اللاهوت العقائدي، لودويغ أوت، ترجمة: جرجس المارديني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت: (١٩٦٥م): (٢/١٥٠-١٥١).

(٢) (مت ٥: ٢٦).

وكذلك من تعليمها أيضاً: "ثمة مكان للتنقية، والأنفس الموجودة هناك تؤازرها صلاة المؤمنين، ولا سيما ذبيحة الهيكل المرضية لدى الله"(١).

وجاء في كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ما يأتي: "كيف يمكننا المساهمة في تطهير النفوس في المطْهَر؟

إن المؤمنين الذين ما زالوا في رحلة على الأرض يمكنهم بمقتضى شركة القديسين أن يساعدوا النفوس التي في المطْهَر بالصلاة لأجلهم وخصوصاً بذبيحة الإفخارستيا، بل أيضاً بالصدقات والغفرانات وأعمال التوبة"(٢).

يقول البطريرك الأنطاكي مكسيموس مظلوم: "ونحكم أيضاً بأنَّ الذين بعد فعل الندامة الحقيقية قد توفوا في حال محبة الله قبل أن يفوا بأفعال تستحق التوبة عن قصاص ما اجترموه وأهملوه فإن نفوسهم تتطهر بعد الموت بعذابات المطْهَر، وبأنَّ أفعال المؤمنين الصالحة تفيدهم لنجاتهم من هذه العذابات، أي تقدمة القداس الإلهي والصلوات والصدقات وغير هذه من أفعال المحبة الممارسة من المسيحيين لأخوتهم المؤمنين"(٣).

"ولرؤساء الكنيسة الكاثوليكية ولاسيما البابا نفسه سلطة وقدرة على رفع العذاب عن النفوس في المطْهَر، وسبب هذا التعليم أن أصحابه يعتقدون أن المسيح أنقذهم من الخطية الأصلية وخطر الموت الأبدي بواسطة المعمودية، إذا لم يخطئوا بعد ممارستها، ولكن الخطايا التي ترتكب بعد المعمودية لا يكون التخلص منها إلا بحل من الكاهن عند الاعتراف الذي به الخلاص من القصاص الأبدي في هذه الحياة بواسطة سر التوبة وبعد الموت بعذاب المطْهَر،

---

(١) انظر: اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية: (ص٥٦)، الكنيسة الجامعة: الخوري جرجس فرج صغير. طبع بأورشليم دير الآباء الفرنسيسكانيين سنة (١٨٨٨م): (ص ١١٨-١١٩)، المسيحية في عقائدها: (ص٤٨١) نقلا عن: الطائفة الكاثوليكية فرقها وعقائدها وأثرها على العالم الإسلامي: أ. محمود بن علي آل عمر، جامعة أم القرى، مكة المكرمة: (ص٣٣١-٣٣٢).

(٢) مختصر كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص٧١).

(٣) إعلام مسمى صدق حقيقة الانبثاق ودحض المصر على الانشقاق: (ص١٠).

والوسائط العظيمة للتخلص من المطْهَر هي صلوات الأتقياء وذبيحة القداس والغفرانات وتخصيص شيء من كنوز استحقاق القديسين"(١).

والملاحظ هنا أن تلك الصلوات والقرابين لا تلغي العذاب وإنما تخففه فقط، ويدوم العذاب في المطْهَر إلى أن يتم الوفاء تماماً بما على الإنسان من القصاصات الزمنية عن خطاياه.

المطلب السادس: حول المطهر عند الكاثوليك.

أولاً: أساسيات المطْهَر.

لعقيدة المطْهَر عند الكنيسة الكاثوليكية أساسان:

الأساس الأول: الإيمان بالدينونة الخاصة.

وهو من أهم أسس هذه العقيدة، وهي دينونة الله لكل إنسان بمفرده على الأعمال التي عملها في الدنيا وتتبعه إلى السماء بعد الموت مباشرة، فكل إنسان سيجازى حسب عمله، حيث لا يذهب إلى المطْهَر أو السماء أو جهنم إلا من اجتاز الدينونة الخاصة بصفة فردية، ومن خلال هذه الدينونة يتم تقرير مصيره(٢).

فالكاثوليك يقسمون الناس إلى ثلاثة أقسام:

١. نوع بار ليس له حساب، وهؤلاء يندر وجودهم ولهم ملكوت السماوات.
٢. نوع من الأشرار، وهؤلاء هالكون ولهم جهنم.
٣. نوع متوسط، وهؤلاء لهم خطايا ثقيلة أو خفيفة لم ينالوا عنها قصاصاً في الأرض، لكنهم سينالون عنها قصاصاً في المطْهَر لكي يوفوا العدل الإلهي(٣).

ويستند الكاثوليك في كلامهم عن الدينونة الخاصة إلى ما ورد في العهد الجديد من نصوص تنسب إلى المسيح عليه السلام وإلى ما ورد ذكره عن بولس.

---

(١) انظر: اللاهوت النظامي: (ص٥٤٦)، كنز النفائس: (ص١٨٥).
(٢) انظر: عقيدة المطْهَر، يوآنس لحظي: (ص٢).
(٣) الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص٦٥).

١- نسب إلى المسيح عليه السلام قوله: "كان رجل غني يلبس الأرجوان والكتان الناعم ويتنعم كل يوم تنعماً فاخراً، وكان رجل فقير اسمه لعازر ملقى عند بابه قد غطت القروح جسمه، وكان يشتهي أن يشبع من فتات مائدة الغني، غير أن الكلاب كانت تأتي فتلحس قروحه، ومات الفقير فحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم، ثم مات الغني ودفن، فرفع عينيه وهو في مثوى الأموات يقاسي العذاب، فرأى إبراهيم عن بعد ولعازر في أحضانه فنادى: يا أبتِ إبراهيم ارحمني! فأرسل لعازر ليَبُلَّ طرف إصبعه في الماء ويبرد لساني، فإني معذب في هذا اللهيب، فقال إبراهيم: يا بني، تذكر أنك نلت خيراتك في حياتك ونال لعازر البلايا، أما اليوم فهو ههنا يعزى وأنت تعذب، ومع هذا كله فبيننا وبينكم أقيمت هوة عميقة لكيلا يستطيع الذين يريدون الاجتياز من هنا إليكم أن يفعلوا ولكيلا يعبر من هناك إلينا"(١)، فيصور المسيح في النص السابق -حسب معتقد الكاثوليك- حالة الإنسان بعد موته مباشرة حيث أنه يدان دينونة خاصة عما قدمه في الدنيا، فالغني والفقير كلاهما في حالة انتظار وفي مكان واحد، ثم جرى التمييز بينهما حيث حملت الملائكة الفقير إلى حضن إبراهيم ولم يذكر هذا للغني لأن الملائكة لا تحمل إنساناً خاطئاً، وفي كون الفقير يعزى والغني يعذب دليل على الدينونة الخاصة لكل فرد، حيث يمثل الشخص أمامها بعد موته مباشرة، وبناءً على هذا يتم تحديد مصيره إما في السماء أو المطْهَر أو جهنم"(٢).

٢- ما جاء من كلام بولس لأهل فيلبي: "فالحياة عندي هي المسيح، والموت ربح، ولكن إذا كانت حياة الجسد تمكنني من القيام بعمل مثمر، فإني لا أدري ما أختار وأنا في نزاع بين أمرين: فلي رغبة في الرحيل لأكون مع المسيح، وهذا هو الأفضل جداً جداً، غير أن بقائي في الجسد أشد ضرورة لكم"(٣).

---

(١) (لو١٦: ١٩-٢٦).

(٢) انظر: عقيدة المطْهَر للآب يوآنس لحظي: (ص٢).

(٣) (في ١: ٢١-٢٥).

يرى الكاثوليك من خلال النص السابق أنه لا يوجد انتظار بعد الموت بل يكون مع المسيح، وذلك لا يتحقق إلا بعد الحساب عما اقترفه في حياته، وتلك هي الدينونة الخاصة التي تلي الموت مباشرة، إذ لو كان هناك انتظار للدينونة العامة لم يكن مع المسيح، فكيف يشتهي هذا الانتظار وهو عالم أن الجماعة محتاجة إليه؟ ألم يكن من الأفضل الانتظار مع الكنيسة المحتاجة إليه؟! [(١)].

الأساس الثاني: الخطيئة والعقاب.

أ- التفاوت بين الخطايا:

التفاوت بين الأشياء هو من طبيعة الحياة، وفي الخطيئة يوجد هذا التفاوت، فمنها الخطيئة الكبيرة والصغيرة، ومنها ما يُصلى لأجلها وما لا يصلى من أجلها، وتُسميها الكنيسة في لاهوتها "الخطيئة المميتة والخطيئة العرضية"، فهناك خطيئة تُغفر وخطيئة لا تُغفر.

ويعتقد الكاثوليك أنَّ من الخطايا خطيئة تؤدي بصاحبها إلى جهنم الأبدية، وخطيئة لا تؤدي إلى جهنم؛ لكنه بسببها لا يدخل إلى السماء إلا بعد أن يتطهر منها في المطْهَر، واستدلوا على ذلك بأدلة منها:

١. ما جاء عن المسيح أنه أوصى أتباعه بقوله: "لا تدينوا لئلا تدانوا، فكما تدينون تدانون ويكال لكم بما تكيلون، لماذا تنظر إلى القذى الذي في عين أخيك؟ والخشبة التي في عينك أفلا تأبه لها؟! بل كيف تقول لأخيك: دعني أخرج القذى من عينك وها هي ذي الخشبة في عينك؟ أيها المرائي اخرج الخشبة من عينك أولاً، وعندئذٍ تبصر فتخرج القذى من عين أخيك"[(٢)].

لقد شبه المسيح الخطيئة الصغيرة بالقذى الذي يقع في العين ويرى بصعوبة لصغر حجمها، فهذه الخطيئة الصغيرة لا تؤدي إلى هلاك صاحبها ومع هذا لا

---

(١) عقيدة المطْهَر للآب يوآنس لحظي: (ص٢).

(٢) (مت٧: ١-٥).

يجب أن تهمل بل لا بد من التخلص منها، وشبه الخطيئة الكبيرة بالخشبة التي تقف حائلاً بين الإنسان وأخيه الإنسان بل بينه وبين ذاته، وتؤدي إلى هلاكه، فوضح من خلال النص أن هناك تفاوتاً بين الخطايا(١).

٢. ما ورد عن المسيح أنه فرَّق بين الخطيئة التي تغفر، والخطيئة التي لا تغفر بقوله: "لذلك أقول لكم: كل خطيئة وتجديف يغفر للناس، وأما التجديف على الروح فلن يغفر، ومن قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له، أما من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا في هذه الدنيا ولا في الآخرة"(٢).

وهذا المعنى أكده قول القديس بولس إلى أهل روما: "إن أجرة الخطيئة الموت" وهو ما يذكره القديس يوحنا في رسالته: "هناك خطيئة للموت"(٣).

ب- عقاب الخطيئة.

لما ثبت أن الخطايا متفاوتة لزم من ذلك تفاوت العقاب أيضاً، وغفران الخطيئة شيء وعقابها شيء آخر، فغفران الخطايا لا يمنع من العقاب والتكفير، فالغفران-حسب اعتقادهم- يلزم من إيمانهم بالتجسد والفداء والصلب تكفيراً عن الخطيئة الأصلية واشتراكهم في آلام المسيح وتألمهم معه.

وأما العقاب فهو بمثابة تطهير للنفس، كما تُطهر الناس الحديد من الصدأ ليرجع إلى طبيعته الأولى(٤)، وهذا العقاب يكون على قدر الخطيئة، الأمر الذي يعتقد الكاثوليك أن المسيح بينه بقولِه: "ويكال لكم بما تكيلون"(٥).

---

(١) انظر: عقيدة المطْهَر للآب يوآنس لحظي: (ص٦).

(٢) (مت١٢: ٣١-٣٢).

(٣) انظر: عقيدة المطْهَر للآب يوآنس لحظي: (ص٧).

(٤) انظر: عقيدة المطْهَر د. وليد عبد الحميد: (ص٢٧٦)، عقيدة المطْهَر للآب يوآنس لحظي: (ص٨).

(٥) (مت ٧: ٢).

ثانياً: فلسفة المطْهَر لدى الكاثوليك.

تتجلى فلسفة المطْهَر لدى الكاثوليك في ثلاثة أركان:

- طبيعة الله.
- طبيعة الإنسان.
- إيمانهم بالمحبة المطهرة.

أولاً: طبيعة الله: يعتقد الكاثوليك أن طبيعة الله هي المحبة الكاملة التي يستمدون منها كل محبة حيث يوجد فيها الفرح الكامل والسعادة الكاملة، ويوجد فيها كل ما يتوق الإنسان إليه بطريقة كاملة لا نهائية.

ومحبة الله هي أن يشرك الإنسان في محبته وسعادته وفرحه الكامل، وهذه المحبة الكاملة لا ولن يشاركها أي محبة ناقصة، فالمشاركة لهذه المحبة تكون على نفس الكمال الذي هو فيها، وأنه لا توجد محبة كاملة غير الله لأن الله هو مصدر كل شيء، ولكن توجد محبة خُلقت من الله تسعى لأن تكون كاملة، وهي محبة الإنسان التي وهب إياها من الله.

ثانياً: طبيعة الإنسان: يؤمن الكاثوليك بأن الإنسان هو صورة الله ومثاله: "وقال الله: لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا:. . . . فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى خلقهم"[(١)].

فالإنسان مخلوق على صورة الله ومثاله مدعو للقداسة مثل الله، كما ينص على ذلك سفر الأحبار في أكثر من موضع: "وكلم الرب موسى قائلاً: مُر كل جماعة بني إسرائيل وقل لهم كونوا قديسين لأني أنا الرب إلهكم قدوس"[(٢)].

---

(١) (تك ١: ٢٦-٢٧).

(٢) (أح: ١٩: ١-٢).

فالإنسان إذاً مطبوع بطبيعة الله استناداً لما ورد في رسالة القديس بطرس الثانية إلى أتباعه: "من سمعان بطرس عبد يسوع المسيح ورسوله إلى الذين نالوا من فضل بر إلهنا....، لتصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية في ابتعادكم عما في الدنيا من فساد الشهوة"[١].

وهذه القدرة في المشاركة في الطبيعة الإلهية وهبت للإنسان في المعمودية ليشارك المسيح في موته وقيامته، ويدخل من خلالها الحياة فائقة الطبيعة، أي الحياة في المسيح، التي بدأت على الأرض وتكتمل في السماء، وحتى يصل الإنسان إلى هذه الرؤية لا بد من التخلص من نقصه في المحبة؛ لأن الإنسان إلى آخر لحظة من حياته لن يتخلى عن ذاته، ولن يخرج من ذاته ليكون مثل الله، وحتى يتخلص من هذا النقص في المحبة لا بد أن يتطهر، فلا بد من المطْهَر لكل إنسان حتى يشترك في حياة الله المحبة الكاملة.

ثالثاً: المحبة المُطَهِّرَة: يعتقد الكاثوليك بأن الإنسان يبدأ التكفير في الحياة الدنيا للتحرر من ذاته وليهبها لله، وهذا التحرر هو الألم الذي يعانيه في حياته ويستكمل بعد موته، وهذا الألم الذي يعانيه الإنسان في حياته إن لم يكن له قيمة تطهير لصار ألماً لا يحتمل وحجر عثرة في حياة الإنسان يؤدي به إلى هلاك نفسه، ولذا يقال: إن المطْهَر يبدأ هنا في هذه الحياة الدنيا على الأرض ألماً قد يكون في الجسد مع النفس وبعد الموت يكون تطهيراً بالنار.

ولا فرق بين النار التي تهلك في جهنم، والنار التي تطهر في المطْهَر، والنار التي تُسعد في السماء، فالناس مختلفون أمام المحبة الثابتة اللامتناهية: فإن كانوا مخالفين تماماً للمحبة عذبتهم نار الله، وإن كانوا قادرين على الإطهار طهرتهم هذه النار، وإن كانوا متحدين بالله أسعدتهم هذه النار، فنار المحبة هي التي تطهر مع اختلاف بسيط بين نار جهنم ونار المطْهَر في أنَّ الأولى مؤقتة والثانية دائمة.

وعليه فإن المطْهَر هو محبة مطهرة لا بد للإنسان أن يمر بها ليدخل ويشارك الله محبته الكاملة، فالمطهر هو ألم يقاسيه الإنسان طوعاً ليشترك في خلاص نفسه، وهو ألم اختياري لا يريد الإنسان أن يفوته على الإطلاق ففيه يحترق الإنسان بنار المحبة المطهرة، وكلما شعر

---

(١) (٢ بط: ١: ٤).

بالاحتراق والتطهير رأى نفسه يمتلك القدرة على مشاركة المحبة الكاملة (الله) فيغمره فرح لا يفوقه فرح آخر إلا فرح السماء، وحين يرى الإنسان نفسه أمام المحبة الكاملة لا يسعه إلا أن يرغب فيها، وليس ألمه إلا الشعور بأنه غير قادر على ذلك تماماً، فألم الإنسان هنا هو الاعتراف في وعي تام بأنَّه عاجز عن المحبة الحقيقية.

والمطْهَر هو ساعة الحقيقة باكتشاف النفس في كامل حقيقتها على ضوء قداسة الله، وهذه المعرفة التامة للنفس يسميها البعض (صلب النفس)، حيث يشعر الإنسان بألم التطهير ويفرح بالتخلص من نقص المحبة، وليدخل ويشارك الله المحبة الكاملة"[1].

(١) انظر: عقيدة المطْهَر: د. وليد عبد الحميد: (ص٢٧٦-٢٧٩)، عقيدة المطْهَر للأب يوآنس لحظي: (ص١٤-١٧).

المبحث الثاني: موقف الكنيسة الأرثوذكسية والبروتستانية من عقيدة المطْهَر.

رفضت الكنائس الأرثوذكسية والبروتستانية فكرة المطْهَر[١]، بل اعتبرها البروتستانت من العقائد الوثنية التي دخلت للكنيسة الكاثوليكية من المصريين القدماء والإغريق والرومان، إذ قد نقلها الكهنة الكاثوليك لما فيها من منفعة مادية، فاستطاعوا أن يستغلوها في جمع النقود للصلاة في القداس على الأرواح التي يقال أنها تتعذب بمطْهَر[٢].

وقد أورد الرافضون لهذه العقيدة من النصارى جملة من الاعتراضات منها:

١. إن عقيدة المطْهَر لا مستند لها من نصوص الكتاب المقدس، إذ تؤكد النصوص على مكانين فقط لا ثالث لهما هما: السماء، والجحيم، وليس فيها ما يشير على الإطلاق إلى عذاب المؤمنين بعد موتهم، بل فيه ما ينفي ذلك ولو ادعى الكاثوليك أنَّ في الكتب تلميحاً إلى المطْهَر.

وأما الكتب التي تذكر المطْهَر، فهذه لم تكتب في أيام الرسل، بل بعدهم بأجيال كثيرة، والكتب الأصلية القانونية لا يوجد فيها هذا أصلاً، وعليه فإن هذا التعليم إضافة بشرية على كل التعاليم الإلهية، فهو يتناقض تماماً مع ما جاء في الأسفار المقدسة[٣].

ورد في شرح أصول الإيمان:

س: "هل يوجد محل كـ (المطْهَر) أو (السجن) ليقيم فيه شعب المسيح غير المكملين إلى أن يطلقهم الله بصلوات الكنيسة وقداديس الكهنة؟

ج: لا دليل على وجود محل كهذا، ولا أحد قرأ في كتاب الله عن رسول أو قسيس يأمر بتقديم قداديس لأجل الموتى أو يقف ليقدمها لأجلهم، بل يتضح جلياً من كتاب الله أن

---

(١) انظر: اللاهوت النظامي: (ص٥٤٨)، لماذا نرفض المطهر: (ص١٨)، شرح أصول الإيمان: (ص٢٦٧).

(٢) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٤١)، العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس: صموئيل يندكت، الفصل الخامس، البراهين الإنجيلية ضد الأباطيل البابوية، ميخائيل مشاقة، طبع في بيروت ١٨٦٤م: (ص٩٤)، المباحث في اعتقادات بعض الكنائس: كاتب إنجيلي، طبع في بيروت ١٨٦٦م: (ص١١٢).

(٣) المصادر السابقة، والصفحات نفسها.

الأشرار عند موهم يهبطون إلى جهنم حيث يعذبون إلى الأبد، والأبرار يصعدون إلى النعيم ويتباركون بالغبطة التامة إلى الأبد"(١).

٢. إن المطْهَر كتكفير هو ضد كفارة المسيح بل ويلغيها، وضد الخلاص وسر التوبة والكهنوت والمغفرة.

يقول البابا شنودة الثالث في رده على عقيدة المطْهَر: "إن المطْهَر ضد عقيدة الكفارة والفداء، فلو كان الإنسان يستطيع أن يكفر عن خطاياه أو يوفي مطالب العدل الإلهي لما كانت هناك ضرورة أن الابن يخلي ذاته ويأخذ شكل العبد ويتجسد ويصلب ويتألم ويموت، فأساس عقيدة الكفارة والفداء أنَّ الإنسان عاجز كل العجز عن إيفاء مطالب العدل الإلهي مهما فعل ومهما عوقب ومهما نال من العذاب"(٢).

فالإيمان بوجود المطْهَر يتناقض تماماً مع مبدأ فداء وكفارة المسيح وكفاية دمه لخلاص البشر وإلا فما الحاجة إلى تعذيب مؤقت عن بعض الشهوات والشرور العرضية والنص صريح(٣) "إن دم المسيح يطهر من كل خطيئة"(٤).

يقول الأنبا غريغورس: "ولكننا لا نؤمن بنار تتطهر فيها أرواح الموتى، وذلك أن ناراً مهما تكن صورها لن تقوى على تطهير النفس من خطاياها، وإلا يكون موت المسيح عن حياة العالم عبثاً ولغواً وباطلاً، وإنما التطهير بدم المسيح الفادي واستحقاقاته الخلاصية بالكفارة والفداء الذي قام به عن طريق الصليب، وليس من حاجة إلى مطهر آخر؛ لأن دم المسيح يطهرنا من كل خطيئة، وكما أنَّ الأرواح تنتظر يوم الدينونة العام، فلن ينالها عذاب من نار إلا بعد أن تتلبس بأجسامها بعد القيامة والحساب"(٥).

---

(١) شرح أصول الإيمان: (ص١٩٥).

(٢) لماذا نرفض المطهر: (ص٢٢).

(٣) موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٤٣).

(٤) (١يو١: ٧).

(٥) اللاهوت المقارن: الأنبا غريغورس: (ص٣٥٦-٣٥٧).

٣. إن المطْهَر مخالف لتعليم المسيح؛ لأن الكنيسة الكاثوليكية تميل بالأكثر إلى الأغنياء وتجعل طريق السماء للغني أسهل مما هو للفقير، والحال أن تعليم المسيح كان بخلاف ذلك، وكان ميله بالأكثر إلى الفقراء وكان بذاته فقيراً، وأما الكنيسة المذكورة فإنها تسهل الطريق للأغنياء وتضيقه على الفقراء، وتعلم أنَّ الأرواح عند انفصالها من الجسد تذهب إلى المطْهَر، وأنَّ خلاصها منه إنما يكون بالصلوات والقداسات وما شابه ذلك، ومعلوم أنَّ هذه الوسائط لا تتقدم في الغالب عن الأموات ما لم تؤخذ أثمانها، فماذا يصنع الفقير الذي ليس له ما يعطي أجرة القداسات؟ فهذه الديانة لا تناسب الفقراء بل تناسب أصحاب الأموال فقط، إن عقيدة المطْهَر تنحرف بالنفوس عن مخلصها يسوع وهي مناقضة لكلمة الله، وليست سوى اختراعاً بشرياً لربح المال، ويجب على كل مسيحي رفضها رفضاً كلياً(١).

٤. إنَّ الذين يعاصرون القيامة ويُخطفون إلى السماء لا يدخلون المطْهَر مهما كانت لهم خطايا عرضية أو غيرها فكيف يتم العدل الإلهي حينئذ؟! فإن كان عدل الله يسمح بمسامحة هؤلاء المختطفين فبنفس المنطق يسامح السابقين لهم ما دامت العدالة الإلهية راضية، وعليه فلا حاجة لمطهر.

فإن قيل: لا يختطف هؤلاء دون أن يتطهروا، قلنا: كيف يكون التصرف مع هؤلاء حينئذٍ؟ وكيف يكون التصرف مع مجموعة أخرى من معاصري القيامة كانت عليهم عقوبة وجاءت القيامة قبل أن يتمموها، وهؤلاء لم يدخلوا المطْهَر؛ لأنه لا مطهر بعد القيامة العامة، وهذا يتنافى مع العدل الإلهي(٢).

٥. إنَّ تعليم المطْهَر يناقض العقل لأنه يقول: إنَّ نار العذاب تطهر نفوس البشر، فما علاقة نار العذاب بالتطهير الأخلاقي؟ وما هي العلاقة بين فعل النار المادية وتطهير النفس الروحي؟ وأين ذلك كله من قول الكتاب: "إن دم يسوع المسيح يطهر من كل خطية" وأن الأطهار "غسلوا ثيابهم بدم الحمل" وليس بنيران المطْهَر؟!

---

(١) انظر: المباحث في اعتقادات بعض الكنائس: (ص١١٢)، العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس: الفصل الخامس.

(٢) انظر: المطْهَر، يوآنس لحظي: (ص١٧)، المطْهَر، د. وليد عبد الحميد: (ص٢٨٠)، لماذا نرفض المطهر: (ص٧٠).

٦. أدى تعليم المطْهَر إلى أضرار جسيمة في تاريخ الكنيسة، ولا يخفى أن السلطان الذي لا يؤتمن عليه إلا الله نفسه، إذا سُلِّم إلى أناس خطاة ضعفاء، لا بد أن ينتهي بأعظم فساد[١].

يتضح مما سبق أن الخلاف حول "المطْهَر" بين الأرثوذكس والبروتستانت من جهة وبين الكاثوليك من جهة أخرى خلاف جوهري، وإن كانت فرق النصارى تتفق فيما بينها على المصير الأخير للأرواح، حيث تنعم أرواح الأبرار في السماء، بينما تعذب أرواح الأشرار في الجحيم.

وبالنظر إلى عقيدة المطْهَر من منظور إسلامي فهي في أصلها إيمان بالبرزخ؛ إلا أن هذه العقيدة النصرانية قد شابها العديد من الشوائب التي انحرفت بها عما جاء من عند الله تبارك وتعالى.

إن تصور الكاثوليك للدينونة الخاصة وما يترتب عليها من نزول الأرواح "للمطْهَر" وإن كان بينها وبين البرزخ وجه شبه؛ إلا أنها تختلف عن التصور الإسلامي في أمور شتى منها:

١) المراد بالبرْزَخ في الإسلام: دارٌ ما بين الدنيا والآخرة، قبل الحشر، مِنْ وقت الموت إلى البعث[٢]، أما مطْهَر الكاثوليك فهو سجن مؤقت متوسط بين النعيم والجحيم[٣].

٢) من مات دخل البرْزَخ -جميع النفوس بلا استثناء برها وفاجرها- وكان فيه منعّماً أو معذباً[٤] يقول ﷻ: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٠٠﴾ [سورة المؤمنون ١٠٠]، بخلاف المطْهَر عند الكاثوليك القاصر على النفوس التائبة التي لم تصل إلى درجة النقاء الكامل[٥]، يقول البطريرك الأنطاكي مكسيموس مظلوم: "ونحكم أيضاً بأنَّ الذين بعد فعل الندامة

---

(١) اللاهوت النظامي: (ص٥٤٨-٥٤٩).

(٢) انظر: لسان العرب: (٣/٨).

(٣) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٤١)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص ٦٥).

(٤) انظر: توحيد العبادة، للعلامة: شريعت سنگلجي، تحقيق: خالد البديوي، أشرف على الترجمة: عبد الله البلوشي: (ص١٢٦).

(٥) موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٤١).

الحقيقية قد توفوا في حال محبة الله قبل أن يفوا بأفعالٍ تستحق التوبة عن قصاص ما اجترموه وأهملوه، فإن نفوسهم تتطهر بعد الموت بعذابات المطْهَر"(١).

٣) يكون في البرْزَخ أمور، منها: امتحان الميت بسؤال منكر ونكير، على ما ثبت به الخبر عن رسول الله ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت يهودية فاستطعمت على بابي، فقالت: أطعموني أعاذكم الله من فتنة الدجال، ومن فتنة عذاب القبر، قالت عائشة رضي الله عنها: فلم أزل أحبسها حتى جاء رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله ما تقول هذه اليهودية، قال: «وما تقول؟ ، قلت: تقول: أعاذكم الله من فتنة الدجال، ومن فتنة عذاب القبر، قالت عائشة: فقام رسول الله ﷺ فرفع يديه مدًّا يستعيذ بالله من فتنة الدجال، ومن فتنة عذاب القبر، ثم قال: أما فتنة الدجال فإنه لم يكن نبي إلا قد حذر أمته، وسأحذركموه تحذيراً لم يحذره نبي أمته، إنه أعور؛ والله عز وجل ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن، فأما فتنة القبر فبي تفتنون، وعني تسألون، فإذا كان الرجل الصالح أجلس في قبره غير فزع ولا مشعوف، ثم يقال له: فيم كنت؟ فيقول: في الإسلام، فيقال: ما هذا الرجل الذي كان فيكم؟ فيقول محمد رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات من عند الله عز و جل فصدقناه، فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً، فيقال له: انظر إلى ما وقاك الله عز وجل، ثم يفرج له فرجة إلى الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له: هذا مقعدك منها، ويقال: على اليقين كنت، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله، وإذا كان الرجل السوء أجلس في قبره فزعاً مشعوفاً، فيقال له: فيم كنت؟ فيقول: لا أدري، فيقال: ما هذا الرجل الذي كان فيكم؟ فيقول: سمعت الناس يقولون قولاً فقلت كما قالوا، فتفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له: انظر إلى ما صرف الله عز وجل عنك، ثم يفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً، ويقال له: هذا مقعدك منها، كنت على الشك، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله، ثم يعذب»(٢).

---

(١) إعلام مسمى صدق حقيقة الانبثاق ودحض المصر على الانشقاق: (ص١٠).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: (١٣٩/٦ /ح ٢٥١٣٣). تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

أما في اعتقاد الكاثوليك فإن الميت يدان دينونة خاصة أمام منبر المسيح عليه السلام بعد موته مباشرة، وفي هذه الدينونة يتحدد مصيره، إما في السماء، وإما في المطْهَر، وإما في جهنم، وهذا ما تنكره وترفضه طوائف النصارى الأخرى. (1)

٤) تتفاوت الأرواح في مستقرها في البرْزَخ تفاوتاً عظيماً، فمنها المنعّم ومنها المعذب يقول ابن القيم رحمه الله: "فمنها أرواح في أعلى عليين في الملا الأعلى وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي ليلة الإسراء.

ومنها أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهي أرواح بعض الشهداء لا جميعهم، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه، أو غيره كما في المسند عن محمد بن عبد الله بن جحش رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، مالي إن قتلت في سبيل الله؟ قال ﷺ: «الجنة. فلما ولى قال: إلا الدين! سارني به جبريل آنفاً»(2).

ومنهم من يكون محبوساً على باب الجنة كما في الحديث الآخر: صلى النبي ﷺ الصبح فقال: « ههنا أحد من بني فلان، قالوا: نعم. قال: إن صاحبكم محتبس على باب الجنة في دين عليه»(3).

ومنهم من يكون محبوساً في قبره كحديث صاحب الشملة التي غلها ثم استشهد فقال الناس: هنيئا له الجنة، فقال النبي ﷺ: «كلَّا وَالَّذِي نفسي بيده إِنَّ الشَّمْلَةَ التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تُصبها المقاسم لتشتعل عليه نارًا، فلما سمع ذلك النَّاس جاء رجل بِشِرَاك أو شِرَاكين إلى النبي ﷺ فقال: شِراكٌ من نار أو شراكان من نار»(4).

ومنهم من يكون مقره باب الجنة، كما في حديث ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة

---

(1) انظر: عقيدة المطْهَر: يوآنس لحظي: الفصل الأول، عقيدة المطْهَر، د. وليد عبدالحميد: (ص٢٧٠-٢٧٢).

(2) أخرجه أحمد في مسنده (٤/٣٥٠ /ح ١٩١٠٠). تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره.

(3) أخرجه أحمد في مسنده (٥/١١ /ح ٢٠١٣٦). تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات، رجال الشيخين.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب غزوة خيبر (١٦/٦٠٠/ح٦٧٠٧)

وعشية»[١]، وهذا بخلاف جعفر بن أبي طالب حيث أبدله الله من يديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء.

ومنها أرواح تكون في تنور الزناة والزواني، وأرواح في نهر الدم تسبح فيه، وتلقم الحجارة، فليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد، بل روح في أعلى عليين، وروح أرضية سفلية لا تصعد عن الأرض"[٢]، بخلاف المطْهَر عند الكاثوليك حيث يقصرونه على العذاب فقط[٣].

٥) العذاب والنعيم في البرْزَخ يقعان على الروح، والبدن تبعٌ لها، وهذا هو ما قرَّرَهُ أئمة أهل الإسلام[٤]، بخلاف مطْهَر الكاثوليك؛ حيث يقتصر العذاب على النفس فقط[٥].

٦) العذاب في البرزخ حقٌ، "يُعذِّب الله من استحقه إن شاء، وإن شاء عفا عنه"[٦]. وهذا بخلاف العذاب في مطْهَر الكاثوليك؛ حيث إن العذاب واقع فيه لامحالة، والنفوس التائبة التي لم تصل إلى درجة النقاء الكامل[٧] "تتطهر بعد الموت بعذابات المطْهَر"[٨].

٧) العذاب في البرْزَخ على نوعين:

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده: (٢٦٦/١/ح٢٣٩٠). تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) الروح، في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ: (ص١١٥-١١٦).

(٣) مختصر كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص ٧١).

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي والمسمى بـ (إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل)، شرحها الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، المكتبة الشاملة: (٣٣/٤).

(٥) انظر: عقيدة المطهر: للأب يوأنس لحظي: (ص٩)، إعلام مسمى صدق حقيقة الانبثاق ودحض المصر على الانشقاق: (ص١٠).

(٦) اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث، تحقيق: محمد الخميس، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى: (ص ٩٠).

(٧) موسوعة علم اللاهوت: (٤٤١/٤).

(٨) إعلام مسمى صدق حقيقة الانبثاق ودحض المصر على الانشقاق: (ص١٠).

- "النوع الأول: عذاب دائم، وهو عذاب الكافر، كما قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة غافر ٤٦].
- النوع الثاني: يكون إلى مدة ثم ينقطع، وهو عذاب بعض العصاة من المؤمنين، فيعذب بحسب جُرمه ثم يخفف عنه، وقد ينقطع العذاب بسبب دعاء أو صدقة أو استغفار"(١).

أما العذاب في مطْهَر الكاثوليك فهوعذاب مؤقت، حيث جاء عنهم إن المطْهَر هو: "سجن مؤقت تنال فيه نفس البار مغفرة خطاياها عن طريق احتمال بعض العذابات المؤقتة، حتى إذا ما تطهرت تماماً من سد خطاياها أدخلت من فورها للسماء مقر الطوباويين من الملائكة والقديسين"(٢).

ولا ينقطع العذاب في المطْهَر، وإنما يخفف فقط بما يقدم للنفوس المطْهَرية من صلوات وصدقات، كما جاء عنهم: "هذا وإنَّ شفاعات المؤمنين الأحياء ستفيدهم للتخفيف من هذه العقوبات، وهي ذبيحة القداس والصلوات والصدقات وسائر أعمال التقوى التي اعتاد المؤمنين أن يقوموا بها من أجل سائر المؤمنين بحسب ما أنشأته الكنيسة"(٣).

٨) في البرْزَخ لا يرفع العذاب عن العبد إلا الله ﷻ، أما في مطْهَر الكاثوليك فإنهم يزعمون أن "لرؤساء الكنيسة الكاثوليكية ولاسيما البابا نفسه سلطة وقدرة على رفع العذاب عن النفوس في المطْهَر"(٤).

وهكذ فإن عقيدة المطْهَر عند الكاثوليك تختلف عن ما تواترت به النصوص في أمور البرزخ، وهذا الموضوع يستحق عناء البحث عنه، ونقده نقداً علمياً موضوعياً، وفق ما جاء في كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية، للشيخ صالح الفوزان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض: (ص ٦٩).

(٢) انظر: الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص٦٥).

(٣) عقيدة المطْهَر: للأب يوآنس لحظي: (ص٩).

(٤) انظر: اللاهوت النظامي: (ص٥٤٦)، كنز النفائس: (ص١٨٥).



التناقض حول صكوك الغفران

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقف الكنيسة الكاثوليكية من صكوك الغفران.

المبحث الثاني: موقف الكنيسة الأرثوذكسية والبروتستانتية من صكوك الغفران.

المبحث الثالث: منح المغفرة في الإسلام.

الفصل الخامس

التناقض حول صكوك الغفران

تمهيد:

صكوك الغفران مصطلح شاع في الكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطى كوسيلة للخلاص من عذاب المطْهَر، أو الحد منه، وذلك بخصم مدد زمنية متفاوتة تصل لأيام وسنوات [(١)].

حيث تقرر في مجمع لاتيران الرابع المنعقد في روما سنة (١٢١٥م) أن للكنيسة حق الغفران تمنحه لمن تشاء، ومن ثَمَّ فهي تملك حق الحرمان[(٢)]، فأصبح رجال الكنيسة يؤكدون للناس أن هذه الصكوك والسندات تضمن لهم غفران الذنوب والخطايا، ليست الماضية فحسب بل والمستقبلية أيضاً، حتى في تلك الحالة التي تفيض فيها الروح لبارئها عند الاحتضار! !

وتنقذ كذلك نفوس أقربائهم وذويهم من عقوبات المطْهَر، يقول جوهان تيتزل[(٣)] في إحدى عظاته عن فائدة هذه الصكوك للنفوس المطْهَرية: "في اللحظة التي ترن فيها نقودكم في قاع الصندوق تنطلق النفس من المطهر وتصير حرة في السماء"[(٤)].

---

(١) انظر: لماذا نرفض المطهر: (ص٧٨-٨٠)، هل افتدانا المسيح على الصليب، د. منقذ السقار، دار السلام. الطبعة الأولى: (ص١٥٣).

(٢) انظر: مصادر النصرانية: (ص٨٧٣)، محاضرات في النصرانية: (ص١٧٩)، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: (ص٣٤٤)، عقائد أهل الكتاب، أحمد مختار رمزي، دار الفتح للدراسات والنشر، الطبعة الأولى: (ص١٦٨).

(٣) جون تيتزل: راهب ألماني ولد في ليبسيك سنة (١٤٦٠م)، تعلم اللاهوت والفلسفة في مدرسة ليبسيك الكلية، وفي سنة (١٤٨٩م) أصبحت له شهرة كواعظ، وقد صور المؤرخون رذالة سيرته بألوان تقشعر منها الأبدان، توفي سنة: (١٥١٩م) في ليبسيك. انظر: كنز النفائس: (ص٤٨).

(٤) انظر: أضواء على الإصلاح الإنجيلي: القس فايز فارس، دار الثقافة: (ص٣٢)، المصلح مارتن لوثر (حياته وتعاليمه)، القس حنا جرجس الخضري، دار الثقافة: (ص٥٢)، الأسفار المقدسة: (ص١١٩)، عقائد أهل الكتاب: (ص١٧٢).

المبحث الأول: موقف الكنيسة الكاثوليكية من صكوك الغفران

منح الغفرانات يعد من التعاليم الإيمانية عند الكاثوليك، والتعريف بهذا التعليم يتحدد بتحديد معناه ونشأته وأدلته.

المطلب الأول: التعريف بصكوك الغفران.

أولاً: الصكوك لغة:

"صك" الصاد والكاف أصل يدل على تلاقي شيئين بقوة وشدة، حتى كأنما أحدهما يضرب الآخر، ومن ذلك قولهم صككت الشيء صكاً، وصك الباب: أغلقه بشدة وعنف(١)، والصكاك: جمع صك وهو الكتاب(٢)، واصطك الشيئان: احتك أحدهما بالآخر، واصطكت الركبتان: اضطربتا، والصك: وثيقة لإثبات دين أو صفقة(٣).

ثانياً: الغفران لغة:

أصل الغفر: الستر، ومنه يقال: الصبغ أغفر للوسخ أي أستر(٤)، ويقال: غفر الشيب بالخضاب، أي غطاه، وغفر المتاع في الوعاء أدخله فيه وستره، وغفر الله له ذنبه غفراً وغفراناً ومغفرة: ستره وعفا عنه، فهو غافر وللمبالغة غفور وغفار(٥).

الغفران في العهد القديم.

تنقل معنى الغفران في العهد القديم ثلاث كلمات عبرية مشتقة من جذور:

أولها: "كفر" وهي تنقل معنى الكفارة أو التغطية أو الستر وترتبط عادة بالذبائح، فهي تتضمن أن الكفارة قد تمت.

وثانيها: "نسا" ومعناها أساساً يرفع أو يبعد، فهو يشير إلى رفع الخطيئة عن الخاطئ وإبعادها.

---

(١) معجم مقاييس اللغة: (٣/٢٧٦).

(٢) لسان العرب: (١/٤٥٦).

(٣) دائرة المعارف الكتابية: (٥/٢٩).

(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: (٢/٤٤٩).

(٥) المعجم الوسيط: (٢/٦٥٦).

والثالث: "سلح" وتحمل معنى الصفح والإبعاد.

والكلمتان الأولى والثالثة تستخدمان دائماً في الإشارة إلى غفران الله، أما الكلمة الثانية "نسا" فتستخدم أيضاً في حال غفران الإنسان.

الغفران في العهد الجديد.

هناك بعض كلمات يونانية تستخدم للتعبير عن الغفران، ويؤكد العهد الجديد أهمية الغفران للآخرين كي يغفر لك، حيث يقول الرب: "اغفروا يغفر لكم"، ويرتبط الغفران في العهد الجديد بالصليب، كما يرتبط بالمسيح نفسه ويرتبط أيضاً بالإيمان، والإيمان والتوبة ليستا أساس استحقاق الغفران، بل هما الوسيلة التي يحصل بها نعمة الله[(١)].

صكوك الغفران اصطلاحاً: "أوراق تباع وتشترى كالسلع، تتضمن الصفح والغفران ليس عن الخطايا الماضية بل والمستقبلية أيضاً" [(٢)]، "وتُمكن حاملها من دخول مكان معين في الجنة حسب ثمنها" [(٣)].

قال بوشمن أحد قدماء المختصين في دراسة صكوك الغفران: "إن صك الغفران ليس مجرد عربون لفترة ما بعد الموت، وإنما هو أيضاً راحة محببة للنفس في الحياة الدنيا"[(٤)].

ويمكن تقسيم الصكوك التي يمنحها الكاهن للغفران إلى نوعين:

١. **صكوك غفران للأحياء:** وكان على من يريد هذا الصك أن يندم على خطاياه، وأن يعترف بها أمام الكاهن، ثم ينفذ العقوبات التي يفرضها عليه الكاهن بعد الاعتراف لكي يُكفِّر عن ذنوبه المرتكبة.

٢. **صكوك الغفران للأموات:** وهو الحصول على صك لتحرير نفس مطهرية من المطهر، وكان يمكن الحصول على هذا الصك كتابةً، وينص الصك على عدد السنين التي يريد

---

(١) دائرة المعارف الكتابية: (٥/٤١١ – ٤١٣).

(٢) الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص٧٤).

(٣) الإيمان الأرثوذكسي، بقطر أخنوخ بولس، مطرانية الأقباط الأرثوذكس بسوهاج: (ص١٥).

(٤) تاريخ الحروب الصليبية، هانس ابرهاد ماير، ترجمة د. عماد الدين غانم: (ص٦٨).

الطالب أن يُعفي منها النفس المطْهَرية في المطْهَر، وكان لكل صك ثمن معين سواء في التضحيات الشخصية، أو دفع مبلغ من المال(١).

المطلب الثاني: نشأة صكوك الغفران.

مُنحت صكوك الغفران في القرن التاسع، وأعطي البعض منها في القرن الحادي عشر للحجاج الذين يزورون الأضرحة المقدسة، وكان أول صك بالغفران الكلي هو الذي عرضه أوربان الثاني في سنة (١٠٩٥م) لمن يشتركون في الحرب الصليبية الأولى، حيث وعد المساهمين في تلك الحروب بغفران جميع خطاياهم إذا كانوا مستعدين لبذل أرواحهم في سبيل إيمانهم، وكانت أقوال أوربان بخصوص صكوك الغفران في رسائله على وجهين:

أ- من أجل الدعوة إلى الحملات الصليبية حين تحدث في رسالته إلى الفلاندر عام (١٠٩٥م).

ب- من أجل إبعاد رجال الدين عن الاشتراك في تلك الحملات حين تحدث في رسالته إلى أهالي بولونا.

ومن ثَمَّ نشأت سُنة منح الغفرانات لمن يتلون أدعية معينة، أو يؤدون خدمات دينية خاصة، أو القيام بإنشاء القناطر والطرق وبناء الكنائس والمستشفيات وغيرها من الأعمال(٢).

وقد كانت صيغة الصك المعتمدة من الكنيسة على النحو التالي:

"ألا فليرحمك الرب يسوع المسيح ويغفر لك بفضل ما لقي من آلام مقدسة، وأنا بتفويض منه ومن رسوليه المباركين بطرس وبولس ومن البابا المقدس مُنح لي وعُهد به إليَّ في هذه الأجزاء أن أحلك أولاً من كل لوم ديني مهما كانت الطريقة التي تعرضت لها، ثم من كل خطاياك ومن كل تجاوز للحدود وكل إفراط في الملذات مهما بلغت من الجسامة، بل حتى من أي إثم تحتفظ بتقريره وإدراكه السدة البابوية، وبقدر ما يمتد نطاق سلطان الكنيسة المقدسة أعفيك من كل

---

(١) المصلح مارتن لوثر (ص٥٣).

(٢) انظر: قصة الديانات: (ص٤٩٩)، تاريخ الحروب الصليبية: هانس ماير: (ص٧٩)، قصة الحضارة: ول ديورانت، تقديم محي الدين صابر، ترجمة زكي نجيب وآخرون، دار الجيل – بيروت: (١٧/١٦).

عقاب تستحقه في المطهر بسبب هذه الآثام وأعيدك إلى القربان المقدس للكنيسة وإلى البراءة والطهر الذين حزتهما في العماد، ولهذا فإنك عندما تموت ستغلق أمامك أبواب العذاب وتفتح لك أبواب جنة النعيم، وإذا لم تمت الآن فإن هذا الفضل سوف يظل في أوج قوته عندما تصبح على وشك الموت باسم الآب والابن والروح القدس"(١).

وفي بداية الأمر أحاطت الكنيسة هذه العقيدة بعدة احتياطات وشروط، فكان الحاصل على صك الغفران لا يخلص إلا من المطْهَر فقط وليس من الجحيم، ومن يريد أن يحصل على هذا الصك كان عليه أن يعترف ويتوب عن خطاياه، كما كان هذا الصك يمنح مجاناً للفقراء(٢).

جاء في كتاب تاريخ الكنيسة في بيان قرار المجمع الثاني عشر المنعقد سنة (١٢١٥م): "أنهى المجمع تعاليمه فيما يتعلق بأمر الغفران فقال: إن يسوع المسيح لما كان من قلد الكنيسة سلطان منح الغفرانات، وقد استعملت الكنيسة هذا السلطان الذي نالته من العلا منذ الأيام الأولى، قد أعلم المجمع المقدس وأمر بأن تحفظ للكنيسة في الكنيسة هذه العملية الخلاصية للشعب المسيحي والمثبتة بسلطان المجامع، ثم ضرب بسيف الحرمان من يزعمون أن الغفرانات غير مفيدة أو ينكرون على الكنيسة سلطان منحها، غير أنه قد رغب في أن يستعمل هذا السلطان باعتدال واحتراز حسب العادة المحفوظة قديماً والمثبتة في الكنيسة لئلا يمس التهذيب الكنسي تراخٍ بفرط التسهيل"(٣).

على أنَّ هذه القيود والضوابط التي فرضتها الكنيسة على منح الغفرانات ما لبثت أنْ انحلت، فأصبحت هذه الصكوك تجارة رابحة شائعة لجأت إليها الكنيسة في ظروف كثيرة كلما احتاجت إلى المال، بل تطورت الفكرة فاستعملها الأمراء لابتزاز المال(٤)، فكان دخل الكرسي البابوي سنة (١٢٥٠م) ضعف دخل ملوك أوروبا كلهم، وبفضل سذاجة الناس وشراهة البابوات – الذين أغفلوا حث الناس على التوبة وتركوا لهم حريتهم الكاملة في أن يفسروا تلك الصكوك بأنها كفيلة بإعفائهم من التوبة، وأنهم يستطيعون الاعتماد على ما يقدمونه من مال لنيل المغفرة–

---

(١) قصة الحضارة: (٢٤/٥).

(٢) المصلح مارتن لوثر: (ص٥٠).

(٣) عقائد أهل الكتاب: (ص١٦٦).

(٤) انظر: المصلح مارتن لوثر: (ص٥٠)، أضواء على الإصلاح الإنجيلي: (ص٣١).

وصل الأمر حداً جعل تومس جسكوني مدير جامعة إكسفورد يجأر بالشكوى قائلاً: "يقول المذنبون هذه الأيام لست أبالي كم أرتكب من الذنوب أمام الله؛ لأنه من السهل عليَّ أنْ أتخلص من كل ذنوبي وما يترتب عليها من العقاب بالمغفرة، وصكوك الغفران يمنحني إياها البابا الذي ابتاعها منه مستورة نظير أربع بسنات أو ست، كأني أكسبها في لعبة تنس مع من في مقدرته أن يمنح هذا الغفران.

ذلك أن بائعي هذه الصكوك كانوا يطوفون البلاد ويفرقون خطابات بالمغفرة نظير بنسين تارة ونظير جرعة من الخمر أو الجعة تارة أخرى، بل إنهم يعطونها نظير استئجار عاهر، أو نظير الحب الدنس" (١).

وفي سنة (١٥١٧م) أصدر البابا ليو العاشر غفراناً شاملاً للعالم أجمع به يقصر مدة المطْهَر، ويتمتع بهذا الامتياز كل من يشتري صكوك الغفران، وكان الغرض من هذا هو الحصول على المال اللازم لبناء كنيسة القديس بطرس في روما (٢).

ورد في كتر النفائس ما نصه: "فلما وصل تيتزل إلى ويتمبرج حيث كان يعلم لوثيروس(٣)، فتح دكاناً لبيع أوراق الغفرانات البابوية، وكان ينادي جهاراً بلا خجل أنه بواسطة الدراهم تغفر جميع الخطايا التي فعلها الإنسان والتي يفعلها والتي سوف يفعلها، فلا

---

(١) انظر: قصة الحضارة: (٧٢/١٦، ٥٠/٢٢).

(٢) انظر: تاريخ انشقاق الكنائس، القمص زكريا بطرس الناشر – www. fatherZakaaria. com: (ص١٥)، قصة الديانات: سليمان مظهر، مكتبة مدبولي، ١٤١٥هـ: (ص٤٤٩).

(٣) لوثيروس: مارتن يوحنا "هانس" لوثر، ولد في العاشر من نوفمبر سنة (١٤٨٣م) في منطقة تورنج الزراعية، انحدر من أسرة ريفية متواضعة، كان والداه في غاية القسوة في تربيتهما له، يقول عن ذلك: "كان والداي في غاية القساوة معي؛ الأمر الذي خلق مني إنساناً خجولاً، ولقد كانت قسوتهما عاملاً دفعني الى الدير لأصبح راهباً"، أنهى دراسته الثانوية في مدرسة القديس جورج بمدينة أزيناخ ثم التحق بجامعة أرفورت "Erfurt" حيث درس الفلسفة، تزوج سنة (١٥٢٥م) بالراهبة كاترن هانزفون بورا وأنجب منها ستة أبناء، الأمر الذي أثار ضجة كبيرة لا في الأوساط الكاثوليكية فحسب بل حتى بين المصلحين أنفسهم، أدت عدة عوامل إلى قيامه بدعوته لإصلاح الكنيسة الكاثوليكية منها موضوع صكوك الغفران والمفاسد التي نشأت عنه، كان حاد الطبع، صلب الرأي، صعب الإقناع، لا يعرف اللين أو المرونة في نقاشه كما اعترف هو بذلك، توفي في يوم الخميس (١٨ فبراير سنة ١٥٤٦م) في ايسلبين "Eisleben"، ترك عدة مؤلفات منها: الى الأمة المسيحية الألمانية النبيلة، الأسر البابلي للكنيسة، الحرية المسيحية. انظر: المصلح مارتن لوثر: (ص ٧-١١٦).

يعوزه إلا أن يبتاع شيئاً من أوراق الغفرانات البابوية، أما لوثيروس الذي كان يعرف من الكتاب الإلهي أنه ليس هناك أحد يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله وحده، وأن التوبة الخالصة والإيمان بيسوع المسيح هي الواسطة الوحيدة لغفران الخطايا نهض وأخذ يندد بتلك التجارة بالإلهيات"(١).

وسمع مايكونيوس – راهب فرنسسكاني –بصنيع تيتزل فكتب تقريراً عن هذا العام (١٥١٧م) يقول فيه: "إن ما قاله هذا الراهب الجاهل وبشَّر به أمر لا يُصدق، لقد أعطى خطابات مختومة ضمنها أن الخطايا التي يعتزم المرء أن يرتكبها سوف تغفر له، وقال: إنَّ البابا يملك سلطاناً يفوق سلطان الرسل والملائكة والقديسين، بل يفوق سلطان العذراء مريم نفسها؛ لأنَّ هؤلاء جميعاً كانوا أتباعاً للمسيح أما البابا فهو ند للمسيح"، وقد يكون في هذا مبالغة، ولكن مثل هذا الوصف يمكن أنْ يقدمه أيُّ شاهد عيان يشير إلى ما يثيره تيتزل من مقت. . . إلخ "(٢). ثم ذكر أموراً في تقريره ذلك عن مقولة لتيتزل أثناء ترويجه لتلك الصكوك يَعَفُّ اللِّسان عن ذكرها، ويجف القلم قبل أن يسيل بها.

لهذا السبب ولأسباب أخرى أعلن مارتن لوثر شق عصا الطاعة والخروج عن الكنيسة الكاثوليكية، معلناً مجموعة من القضايا والاحتجاجات على الكنيسة، وهاجم بأطروحاته التي بلغ مجموعها (٩٥) معتقدات الكنيسة حول الغفران والمفاسد التي نشأت عنه، كما هاجم الانحرافات المذهبية والثقافية للكنيسة ووضع هذه الاحتجاجات على أبواب كنيسة بلدته سنة (١٥١٧م) مُصرحاً أنه ليس لمسألة صكوك الغفران أي تبرير عقائدي، وأن على البابا نفسه الخضوع لسلطة الكتاب المقدس، فاهتز عرش البابوية وهبط بيع صكوك الغفران(٣).

---

(١) كنز النفائس: (ص٤٩).

(٢) قصة الحضارة: (٦/٢٤)، وقد أشار القس د. يواقيم رزق مرقس إلى ذلك التقرير في كتابه محاضرات في الكنيسة الغربية.

(٣) انظر: الجانب المظلم في التاريخ المسيحي: هيلين ايليربي، ترجمة: أ. د سهيل زكار، دار قتيبة: (ص١٠٩)، تاريخ انشقاق الكنائس: (ص١٥)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٨٢)، كنز النفائس: (ص٤٩)، البراهين الإنجيلية ضد الأباطيل البابوية: (ص١١-١٢)، المصلح مارتن لوثر: (ص٥٩)، قصة الديانات: (ص٤٥٦)، الأسفار المقدسة: (ص١٢٠)، تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية: ميرسيا إلياد، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق، الطبعة الأولى: (٣/٢٦٢).

ويمكن تقسيم تلك الاحتجاجات إلى مجموعات:

- "من (١-٢٩) تمثل الاحتجاجات ضد صكوك الغفران للنفوس المطْهَرية، حيث حاول لوثر أن يبين أن سلطان البابا لا يمتد لأبعد من الأرض، وليس له سلطان على الأرواح في المطْهَر.
- من (٣٠ – ٨٦) مجموعة أخرى يتكلم فيها عن الصكوك الخاصة بالأحياء، ويشرح فيها أن الشرط الأساسي للحصول على الغفران هو التوبة الحقيقية.
- من (٦٩ – ٩٠) في هذه الاعتراضات يحذر لوثر الذين يرتكبون الخطايا والموبقات بدعوى أنهم حصلوا على صكوك الغفران، كما أنه تحدث عن المبالغة في سلطان البابا.
- من (٩١ – ٩٥) يختم بها لوثر هذه الاحتجاجات بتحذير الشعب من الأنبياء الكذبة الذين ينادون للشعب بالسلام ولا سلام حقيقي، ويعلن للشعب أن دخول السماء أو الحصول على الخلاص ليس طريقاً هيناً ليناً يشترى ويباع بالمال، إن دخول ملكوت السماوات لا يتم بالوعود الكاذبة بل بالتوبة الحقيقية وانسحاق القلب"(١).

وقد وجدت هذه الاحتجاجات تأييداً واسعاً بين الناس، فعضدوا لوثر وانضموا لصفوفه مدفوعين بعوامل مختلفة:

١. عضده البعض بسبب كراهيتهم وتذمرهم من الضرائب التي فرضها عليهم البابا.

٢. عضده الفلاحون؛ لأنهم توقعوا أن هذه الحرية الدينية التي نادى بها لوثر قد تكون وسيلة لإعتاقهم من أغلال العبودية.

٣. عضده طائفة من المتحمسين لهدم كل الأشياء في النظم القديمة، وخلق عالم جديد يتمشى مع عصر النهضة(٢).

---

(١) المصلح مارتن لوثر: (ص٥٥ – ٥٦).

(٢) انظر: الجانب المظلم في التاريخ المسيحي: (ص١٠٩)، تاريخ انشقاق الكنائس: (ص١٥).

وعلى إثر ذلك اتهم لوثر بالهرطقة وأصدر البابا "لاون العاشر" في يناير (١٥٢١م) قراراً بحرمان لوثر نتيجة لإصراره على مواقفه وأمر بحرق مؤلفاته[١].

وفي الرد على احتجاجات لوثر صدرت وثيقة بابوية عقب مجمع لاتيران الخامس تحت مسمى "جواب على مقالات مارتن لوثر" بعنوان الغفرانات مما جاء فيها: "الحبر الروماني، خليفة بطرس، الذي ألقيت إليه سلطة المفاتيح ونائب المسيح يسوع على الأرض، بقوة سلطة المفاتيح التي تفتح ملكوت السماوات ينزعها ما يحول دون ذلك في المؤمنين، أعني الخطيئة وعقوبة الخطايا الفعلية: الخطيئة بسر التوبة، والعقوبة الزمنية على حسب العدالة الإلهية بغفران الكنيسة، فالحبر الروماني يستطيع لأسباب عديدة أن يمنح هؤلاء المؤمنين، أعضاء المسيح برابط المحبة في هذه الحياة أو في المطهر، غفرانات مستمدة من فيض استحقاقات المسيح والقديسين، فعندما يمنح بسلطته الرسولية الغفران للأحياء والأموات، يوزع على عادته كنز استحقاقات يسوع المسيح والقديسين، جاعلاً الغفران بالحلِّ "الاعتراف"، أو على سبيل التوسل، ولهذا فجميع الذين نالوا هذا الغفران سواء كانوا أحياءً أو أمواتاً قد تحرروا من العقوبة الزمنية الناجمة بموجب العدل الإلهي، عن خطاياهم الحالية بقدر الغفران الممنوح أو المكتسب، وإننا نقرر بسلطتنا الرسولية وبمضمون هذه الرسالة أنه هكذا يجب أن يكون التفكير والوعظ تحت طائلة الحرم المسبق"[٢].

وكان في إعلان لوثر لتلك الاحتجاجات بداية لثورة دينية أدت إلى ظهور حركة البروتستانت وانقسام أوربا الغربية بين الكاثوليك والبروتستانت في نهايات القرن السادس عشر[٣].

---

(١) انظر: أضواء على الإصلاح الإنجيلي: (ص٣٤-٣٥)، تاريخ انشقاق الكنائس: (ص١٥)، كنز النفائس: (ص٤٩-٥٠)، الأسفار المقدسة: (ص١١٧-١٢٠)، البراهين الإنجيلية ضد الأباطيل البابوية: (ص١٢)، قصة الديانات: (ص٤٥٦)، الإسلام والمسيحية في الميزان، شريف هاشم، مؤسسة الوفاء، بيروت: (ص٣٥٤).

(٢) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها (٣٧٨/١).

(٣) الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٨٢).

واشتعلت نار العداوة بين البروتستانت من جهة، والكاثوليك من جهة أخرى في شكل سلسلة من الحروب الأهلية في فرنسا وانجلترا، وكذلك في حرب الثلاثين عاماً التي تورطت فيها ألمانيا، السويد و فرنسا، الدنمارك، انجلترا، هولندا.

وفيما عُرف باسم مذبحة القديس بارثيليمو في: (٢٤ آب سنة ١٥٧٢م) جرى ذبح عشرة آلاف بروتستانتي في يوم واحد في فرنسا، وكتب البابا غريغوي الثالث عشر إلى ملك فرنسا شارل التاسع يقول: "نحن نبتهج معك أنه بعون الرب قد حررت العالم من هؤلاء الهراطقة الأشرار"(١).

أما في انجلترا فقد أعلن الملك هنري الثامن من نفسه رئيساً للكنيسة وأصدر مرسوم سيادة أصبحت بموجبه انجلترا بروتستانتية وتعرض الكاثوليك لشتى أنواع القمع والاضطهاد بموجب قوانين سنتها الحكومة(٢).

يقول الأب جان كمبي: "قام في مطلع القرن السادس عشر أناس صمموا على الشروع في إصلاح الكنيسة، ولكن على إثر سوء التفاهم وأعمال العنف المتبادلة بين الطرفين أدى ذلك الإصلاح مع الأسف إلى تمزق الكنيسة الغربية، وفي أواخر القرن السادس عشر ظهرت ملامح جديدة لجغرافية دينية ما زالت قائمة إلى أيامنا" (٣).

ومما ينبغي الإشارة إليه هنا أن تلك الممارسات الخاطئة لسلطان الغفرانات من جانب الكنيسة الكاثوليكية قد استنكرته ورفضته الكنيسة الأرثوذكسية التي تعتقد بأنه لا مغفرة للخطايا بدون توبة واعتراف وانسحاق قلب الخاطئ، وأنه لا يمكن لأحد أن يبيعها أو يهبها بلا توبة بزعم أحقية الكنيسة أن تهب الغفران من استحقاقات المسيح والقديسين وكذلك الكنيسة البروتستانتية التي لم ترفض هذا المبدأ فقط بل رفضت كذلك مبدأ الاعتراف أمام

(١) الجانب المظلم في التاريخ المسيحي: (ص١١١).
(٢) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٨٢).
(٣) دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة: (ص٢٢٣).

الكنيسة كلها، والغفران لديها يكون من الله مباشرة عن الخطايا الماضية والحاضرة والمستقبلة أيضا(١).

جاء في شرح أصول الإيمان: "ليس من سلطانٍ للبشر على مغفرة الخطايا، و لم يكن ذلك السلطان معطى لكهنة العهد القديم لأنه من اختصاص سلطان الله وحده"(٢).

المطلب الثالث: فلسفة منح الغفرانات في الكنيسة الكاثوليكية.

قضية منح الغفرانات في الكنيسة الكاثوليكية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً من حيث الاعتقاد بها وممارستها بسر التوبة والاعتراف للكاهن، حيث تؤخذ من استحقاقات المسيح والقديسين وتوزعها الكنيسة بسلطانها على النفوس التي لم تستطع أن تعمل أعمالاً صالحة كافية لخلاصها في حياتها على الأرض(٣).

جاء في التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: "قضية الغفرانات في الكنيسة- عقيدة وممارسة- مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بسر التوبة.

ما هو الغفران؟

الغفران هو أن يترك لنا الله العقاب الزمني الذي تستتبعه الخطايا المغفورة غلطتها، وترك العقاب هذا يحظى به المؤمن بشروط معينة بفعل الكنيسة التي جعلها الله قيمة على ثمار الفداء فتوزعها بسلطانها وتطبق على المؤمن استحقاقات المسيح والقديسين، ويكون الغفران جزئياً أو كاملاً حسبما يُعفى الخاطئ -جزئياً أو كلياً- من العقاب الزمني الذي تجره الخطيئة، كل مؤمن باستطاعته أن يحصل على غفرانات[. . .] لنفسه أو يطبقها على الراقدين"(٤).

---

(١) انظر: الفروق العقيدية: (ص ٢٤-٢٥)، موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٤٤)، العلاقة الجدلية: (ص ٢٣٣-٢٣٤)، الطوائف المسيحية: (ص ٧٥)، عقائد أهل الكتاب: (ص ١٧٤)، لماذا نرفض المطهر: (ص ٧٨-٨٨)، أسرار الكنيسة: (ص ١١٢-١٢١)، الأسفار المقدسة: (ص ١٢٣)، اللاهوت النظامي: (ص ٤٧٤)، كتر النفائس: (ص ١٨٢).

(٢) شرح أصول الإيمان: (ص٤٧٦).

(٣) انظر: كتر النفائس: (ص٤٦)، لماذا نرفض المطهر: (ص٨٦ – ٨٨)، موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٤٥ – ٤٤٧)، أسرار الكنيسة: (ص١١٨ -١١٩)، المصلح مارتن لوثر: (ص٥٠-٥٢)، طريقة علم لأجل البروتستانتين، ترجمة الخوري مرتينوس، دير القديس يوحنا الصايغ، لبنان، ١٨٠٣م، (ص٤٦٧ – ٤٩٩).

(٤) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (٢/٣٠١ – ٣٠٢).

"ونادت الكنيسة الكاثوليكية بأنه يمكن عتق الخطاة من العقاب الأرضي والأبدي بشـــراء صكوك الغفران! ! ، وفي تلك الأوراق نجد أن الذي يتلو صلاة قصيرة للقديس يوسف يصير له غفران (٣٠٠) يوم، وغفران (١٠٠) سنة مقدماً لمن تلا الوردية البابوية. . . . ، كما أن زيـــارة الكنائس أيضاً تعتق من القصاص الحاضر والمستقبل (غفران كامل)، وفي إحدى كتب اللاهـــوت الكاثوليكي تحت عنوان "غفران القديس مارفرنسيس" نجد الأسئلة والأجوبة التالية:

س: ما القول في زيارة كنائس رهبنة القديس مارفرنسيس في اليوم الثاني من شـــهر آب، هل يربح -في هذا اليوم- غفراناً كاملاً متعدداً بحسب تعدد دخوله الكنيسة حيث يصلي فيها ولو قليلاً؟

ج: نعم.

س: ما القول في نفع الغفران الذي يصرف إلى النفوس المطهرية؟! هل نفعه لهم مقطوع به بحيث لا يمتنع انتفاؤه؟

ج: نعم، والدليل أن المسيح أعطى الكنيسة سلطاناً مؤكداً بحيث يتعارض عدم تنفيذه مع قوله: "كل ما حللتم"، هذا وإن منح الغفران -من أجل الموتى- هو فعل حقيقي من أفعال المفاتيح لصدوره عن سلطان رسولي، ومن المعروف أن المفتاح يصيب الفتح بلا محالة متى كانت الشروط مستوفاة إذاً الغفران فعّال قطعاً سواء كان في حق الأحياء أو الموتى"(١).

المطلب الرابع: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الكاثوليكية.

يستدل الكاثوليك بعدد من النصوص منها:

أولاً: البراهين الكتابية.

أ- **مخاطبة المسيح لبطرس:** "وأنا أقول لك: أنت صخر وعلى الصخر هذا سأبني كنيستي فلن يقوى عليها سلطان الموت، وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات فما ربطته في الأرض ربط في السماوات وما حللته في الأرض حُلّ في السماوات"(٢).

---

(١) علم اللاهوت: بطرس غوري: (١٠٤٩/٢) نقلاً عن موسوعة علم اللاهوت ميخائيل مينا: (٤٤٤/٤).

(٢) (مت ١٦: ١٨-١٩)

تستند الكنيسة الكاثوليكية إلى هذا النص وتبني عليه تعليمها القائل بأن خلفاء بطرس يرثون رئاسته، حيث يعد يسوع بطرس بسلطان الربط والحل، أي منح الغفران ومنعه الأمر الذي كان يعني في الدين اليهودي التحليل والتحريم، والفصل من الجماعة الدينية أو القبول فيها ولما كان بطرس قد تقلد من المسيح المفاتيح فلابد إذاً أنه تقلد أيضاً السلطان لرفع كل مانع من الدخول إلى ملك السماوات، وبين هذه الموانع القصاصات الزمنية التي إن لم يوف عنها فلا يمكن لأحد البتة الدخول إلى ملكوت السماوات(١).

ب- **ما ورد في إنجيل يوحنا عن المسيح** أثناء مخاطبته لتلاميذه: "خذوا الروح القدس، من غفرتم لهم خطاياهم نغفر لهم، ومن أمسكتم عليهم الغفران يُمسك عليهم"(٢)، فالكنيسة بحسب الكاثوليك لها رسالة وسلطان مغفرة الخطايا، لأن المسيح نفسه منحهما لها عندما منحهم الروح القدس، وتمارسه الكنيسة عن طريق الأساقفة والكهنة بطريقة اعتيادية في سر التوبة(٣).

ثانياً: شهادات الآباء.

أ- "إن الكنيسة قد عرفت هذا السلطان واستعملته أيضاً كما شهد ترتليانس عن أولئك الذين كانوا قد كفروا بالمسيح بسجودهم للأوثان، ثم كانوا يرجعون إلى الإيمان الحقيقي فكانوا يتضرعون إلى الشهداء، لكي يشفعوا لهم عند الأساقفة وذوي الأمر لينالوا مغفرة القصاصات المستوجبة عليهم.

---

(١) انظر: تفسير الكتاب المقدس النسخة الكاثوليكية من الألف للياء: (٨٣/٢)، الدرة النفيسة في بيان حقيقية الكنيسة: السيد قورلس بهنام بني، طبع في الموصل في دير الآباء الدومينكان، ١٨٦٧م: (ص٢١٩).

(٢) (يو ٢٠: ٢٢-٢٣).

(٣) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (٢١١/٢).

قال في كتابه إلى الشهداء: فإذا لم يمكنهم -أي المرتدين- أن يحصلوا على ذلك السلام في الكنيسة، فلهم عادة أن يطلبوه في السجون من الشهداء"(١).

ب- "وكتب القديس قبريانس في رسالته العاشرة إلى الشهداء المعترفين: ويجب أن تصلحوا هذا الأمر حسب همتكم أن تمنحوا أولئك الذين تبتغون أن يمنح لهم السلام. . . . وأطلب منكم في الذين أنتم قد رأيتموهم وعرفتموهم وعلمتم أن توبتهم ترضي أن تذكروهم فرداً فرداً في كتاب، وأرسلوه"(٢).

ج- "يقول القديس كيرللس: نحن نصلي لأجل جميع المؤمنين المتوفين منا؛ لأننا مؤكدون بالإسعاف الذي يأتي للأنفس التي نصلي وتقدم الذبيحة لأجلها.

د- والقديس امبروسيوس في رسالة كتبها إلى فاوستينوس بوفاة أخته يقول: ليس الآن وقت سكب العبرات، بل عمل الصلوات وتقدمة الذبيحة لأجل نفسها"(٣).

---

(١) الدرة النفيسة في بيان حقيقة الكنيسة: (ص٢١٢).

(٢) المصدر السابق: (ص٢١٢).

(٣) طريقة علم لأجل البروتستانتيين: (ص٤٨٤–٤٨٥).

المبحث الثاني: موقف الكنيسة الأرثوذكسية والبروتستانتية من صكوك الغفران.

رفضت الكنيسة الأرثوذكسية والبروتستانتية تعليم منح صكوك الغفران؛ حيث عدوا هذا الأمر دجلاً وتضليلاً للناس لأكل أموالهم بالباطل، وأن هذا التعليم ليس غريباً عن مبادئ المسيحية فحسب، بل يجلب عاراً كبيراً عليها(١).

وقد أورد الرافضون لهذا التعليم من النصارى جملةً من الاعتراضات يذكر منها ما يأتي:

أولاً: إنَّ هذا التعليم لا أساس له مطلقاً في الكتاب المقدس الذي يعلم أنَّ الغفران لله وحده، كما أنه يضاد كفارة دم يسوع الذي سفكه لأجل خلاصنا وبدونه لا يمكننا الحصول على غفران الخطايا-كما يزعمون- ولا يوجد في الكتاب ما يشير إلى استحقاقات القديسين والملائكة يمكن توزيعها على البشر، كما أنه لا أساس له في التقليد الكنسي، ولا في تعاليم آباء الكنيسة، وكل تعليم لا أساس له في الكتب المقدسة والتقليد الرسولي هو باطل واختراع ترفضه الكنيسة، حيث لم يقل رسل المسيح أن لهم سلطان مغفرة الخطايا، بل أعلنوا أن ذلك مما يخص الله وحده، واكتفوا بالتصريح بشروط المغفرة، فادعاء البشر سلطان الله إهانة للمسيح وإفساد لتعاليمه(٢).

ثانياً: إنَّ جميع الكنائس-خلا كنيسة رومية- متفقة على إنكار هذا التعليم الذي اخترعه الباباوات ليكون فخاً لاقتناص أموال الناس بالباطل، بحجة تخليص موتاهم من عذاب المطهر؛ ليطرحوا الأحياء في أبدية عذابات جهنم الفقر، وأن هذا التعليم مبني على دعوى المطهر الذي لم يعرف عند الكنيسة الشرقية قط، وعندما ادعت به كنيسة رومية لم يُقبل

---

(١) انظر: أسرار الكنيسة: (ص١٢١)، أضواء على الإصلاح الإنجيلي: (ص٣٢)، الإيمان الأرثوذكسي: (ص١٦)، موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٤٤-٤٤٥)، الصخرة الأرثوذكسية، حبيب جرجس مدير الكلية الإكليريكية وعميد مدارس الأحد سابقاً، تقديم: القمص بولس باسيلي، الطبعة الخامسة: (ص٣٥)، الرسالة الموسمة بالدليل إلى طاعة الإنجيل، ميخائيل مشاقة، طبع في بيروت سنة: ١٨٤٩م: (ص٥٨).

(٢) انظر: أسرار الكنيسة: (ص١١٨)، اللاهوت النظامي: (ص٤٧٤)، الرسالة الموسمة: (ص٥٨)، الإيمان الأرثوذكسي: (ص١٦)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص٣٦).

منها، ومن المعلوم أيضاً بأن أساس هذا التعليم مع جملة تعاليم غيره قد أخذوها عن تعـــاليم الوثنيين التي مالوا لتصديقها عندما شاعت بينهم فلسفة أفلاطون الوثني واعتمدوا عليها، حتى وجد بين معلمي كنيستهم من قال: "لو عدم الإنجيل لكشفت عنه حكمة أفلاطون"، وبهذا كفاية لمعرفة ما اتصلوا إليه من الضلال(١).

ثالثاً: إن هذا التعليم مضر بالناس؛ لأنه يحرم الخطاة من الوسائط الضرورية لعـــلاج أمراضهم الروحية، ويغش الشعب ويضلله ضلالاً فظيعاً، إذ يصور لهم سهولة المصالحة مـــع الله ومع الكنيسة، ويفتح باباً للأغنياء ليتمادوا في الخطايا ما داموا يســـتطيعون أن يشـــتروا أوراق غفرانات تصفح عن خطاياهم وتبررهم أمام الله، وتبيح لهم الخطايا المستأنفة، كما أنه يملأ الفقراء يأساً، إذ لا قدرة لهم على شراء تلك الأوراق، والخلاصة أن هذا التعليم ســـبب فساداً عظيماً في الآداب العمومية كما يشهد بذلك التاريخ(٢).

رابعاً: إن هذا التعليم ينكره كثيرون من آباء الكنيسة الرومانية أنفسهم ويعترفون بأنه تعليم حديث:

أ) قال الكاردينال نيش: "ما دام الناس لم تكن لديهم فكرة عن المطهـــر، لـــذلك لم يفتشوا عن صكوك الغفران؛ لأن كل اعتبار الغفرانات هو المطهر، وحيث أن المطهر لم يكن معروفاً عند الكنيسة الجامعة إلا في أجيالنا الأخيرة فليس بعجيب إذا كان في أول الكنيسة لم تكن صكوك الغفران موجودة، فالمطهر ربما لم يوجد ذكره قط في كتب الآبـــاء القـــدامى، والروم –حتى يومنا هذا– لا يؤمنون به، واللاتين قبلوه ليس في وقت واحد بل تدريجياً".

ب) قال القديس أنطوين رئيس الأساقفة في فيرنزا: "بخصوص الغفرانات ليس لها قول مخصوص في الكنيسة المقدسة، ولا يوجد ذكر للغفرانات أصلاً في كتب المعلمين القدامى".

---

(١) البراهين الإنجيلية ضد الأباطيل البابوية: (ص٩٣-٩٤).

(٢) انظر: أسرار الكنيسة (ص١٢٠)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم (ص٧٥)، الإيمان الأرثوذكسي (ص١٦)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص٣٦).

ج) قال الكاردينال كاينانوس: "إنه لو كان لنا خبر محقق عن كيف دخلت عـــادة الغفرانات في الكنيسة لكان ذلك يعيننا في الفحص عن المطهر، ولكن لا يوجد ذكر هـــذه الأشياء أصلاً في الكتب المقدسة، ولا في كتب المعلمين كانوا روما أو لاتين.

د) وقال المؤرخ ثوبانوس "أحد كبار العلماء": "إنه في سنة (١٥١٥م) كان البابـــا لاون العاشر رجلاً مسلِماً ذاتَهُ لكل نوع من المعيشة المتراخية النجسة، لكي يجمع مالاً مـــن كل جانب لأجل مصاريفه الجزيلة، وكان يرسل أوراق الغفرانات التي فيها الوعد بمحو كل خطيئة، وبهدية الحياة الأبدية في جميع ممالك المسيحيين، وكان معيِّناً فيها الثمن الذي يجـــب على كل واحد أنْ يعطيه بمقدار خطيئته.

واختار البابا له جُباة وخزنة يحفظون الأموال في جميع الأماكن، ومبشرين يطوفـــون حيثما يكون لهم منفعة كثيرة من هذه الغفرانات، وهؤلاء المبشرين قـــد عظموهـــا جـــداً وعظموا قوتها في خلاص الأنفس الشقية في المطهر".

ه) وقالت القديسة بريجيتا: "إن البابا قد جمع الوصايا العشر كلها في كلمة واحـــدة وهي "قدم لي مالاً".

و) العالم وأسالوس النمساوي "الذي يسمى نور العالم لسعة علمه، وكان صـــديقاً حميماً للبابا سكستوس الرابع" قال في إحدى رسائله: "إن البابا ليس له سلطان أن يعطـــي غفراناً ولا ساعة واحدة، وأنه أمر مزح وهزوء، إنه في بعض الأوقات يعطي غفراناً علـــى سبع سنوات لأجل خطية، وبعض أوقات على سبعمائة سنة أو إلى الأبد بالغفران الكامل".

وقال أيضاً: "إنه لا يوجد أصلاً ذلك التمييز بين غفران الخطية وقصاصها المبني عليه تعليم الغفرانات وأن هذا التعليم هو من قبيل الطمع بالمال، وإن كان الله ذاتـــه لا يعطـــي غفراناً كاملاً للقلب المنسحق التائب، فكم يكون البابا أقل منه، وأما إذا كـــان الله يغفـــر فكيف للبابا سلطان أن يربط! وإن كان لا يوجد للخاطئ قصاص بعدما يغفر الله له فالبابا ماذا يحله! "[1].

---

(١) موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٤٥)، وانظر: أسرار الكنيسة: (ص١٢٠ – ١٢١).

خامساً: إن فضائل القديسين مهما كانت عظيمة لا يمكن أن تكون زائدة عما يجب ويفضل عنها حتى يوزع منها على الغير، فإن هذا التعليم غريب عن تعاليم المسيح:

أ) لأن أعمال القديسين مهما كانت فاضلة فإنها لا تصير كاملة ومقبولة بذاتها بل بقوة النعمة الإلهية.

ب) مهما عمل الإنسان من الفضائل لا يمكنه أن يصل إلى المطلوب بالوصية القائلة: "فكونوا أنتم كاملين كما أباكم الذي في السماوات هو كامل"(١).

وهذا هو الكمال المطلوب من القديسين، ومهما تقدم المؤمنون في هذا الكمال فإنهم لا يصلون إلى نهايته(٢).

سادساً: "إن هذه الغفرانات تهدم قواعد علم اللاهوت في كتب اللاتين، كما تهدم مطْهَره ويلغي بعضها سر الاعتراف، بل ويوافق البروتستانت في أفكارهم ومبادئهم! !

ورد في صفحة (١٨٨) من كتاب المجمع اللبناني بخصوص فائدة القداس: "ويصدر عن هذه التقدمة غير الدموية نفس الفوائد التي صدرت عن ذبيحة الصليب الدموية، لا تنقص شيئاً أصلاً، ولذلك لا تتقدم عن خطايا المؤمنين الأحياء، وعن وفاء العقوبات اللازمة لخطاياهم وغير ذلك من الاحتياجات فقط، بل تتقدم عن الأموات الراقدين بالمسيح".

فكيف يتشبثون بغفرانات البابا وتعليم المطْهَر في جانب هذا السر الإلهي!

يقول اللاهوتي انطونين اللاتيني في صفحة (٢١٦ مجلد ٣): "إن ذبيحة القداس تمنح الذين تتقدم لأجلهم مغفرة الخطايا المميتة والعرضية نظراً إلى الجرم والقصاص الزمني الواجب عن الخطيئة المغفورة كقول المجمع التريدنتيني في الجلسة (٢٢): "إن هذه الذبيحة هي بالحقيقة استغفارة، وبتقدمتها يرتضي الله مانحاً النعمة وموهبة التوبة غافراً الجرم والخطايا الجسيمة أيضاً".

---

(١) (مت ٥: ٤٨).

(٢) أسرار الكنيسة: (ص١١٩).

وفي القانون٣: "من قال إن ذبيحة القداس تفيد المتناول وحده وأنه لا يجب أن تقدم لأجل الأحياء والأموات والوفاء عن الخطايا والذنوب لأجل ضرورات أُخر فليكن محروماً فتمنح بدون واسطة مغفرة القصاص الزمني الواجب لأجل الخطايا المغفورة نظراً إلى الذنب".

وقال صاحب كتاب الذمة (ص١٧٦): "إن الأسرار المقدسة تغفر الخطايا العرضية".

وورد في صفحة (٢٢٦) من كتاب علم الذمة: "أن مسحة المرضى تغفر الخطايا العرضية والخطايا المنسية التي لم تكن بعد غفرت بواسطة أخرى، وتصفح عن عقوبات خطايا كثيرة".

وورد في كتاب مرشد المستفتحين (ص٢٦٢): "إن الندامة الكاملة تصالح الإنسان مع الله قبل قيامه بسر الاعتراف".

فهذه حواجز وأسوار من حديد تمنع المسيحيين الراحلين من أن يصلوا إلى مطْهَر اللاتين الذي سَحِر مُعلمي لاهوته بتعاليمه فبنوا بيد، وهدموا ما بنوا باليد الأخرى"(١).

---

(١) انظر: تنوير الأذهان بالبرهان إلى ما في الكنيسة الغربية من الزيغان، المؤلف: الأنبا ايسوذورس، طبع سنة ١٩٣٥م، مطبعة التوفيق بالقاهرة: (ص١٩٩-٢٠١).

المبحث الثالث: منح المغفرة في الإسلام.

منح المغفرة وقبولها في الإسلام يرتكز على عدة نقاط يُذكر منها على سبيل الإجمال لا الحصر ما يلي:

١- حث الله ﷻ عباده على التوبة وطلب المغفرة وبين لهم سعة رحمته وواسع فضله في قبولها. قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة الزمر ٥٣]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [سورة النساء ١١٠]، كما قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة النور ٣١].

وقال: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [سورة المزّمل ٢٠].

٢- إن قبول التوبة ومنح المغفرة مما اختص به الله تعالى وحده.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران ١٣٥].

جاء في البخاري عن أبي بكر الصديق ﷺ: أنه قال لرسول الله ﷺ علمني دعاء أدعو به في صلاتي، قال: «قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني أنك أنت الغفور الرحيم»(١).

وقوله: «ولا يغفر الذنوب إلا أنت» هذا مما اختص الله به، فلا أحد يقدر على مغفرة الذنوب إلا الله سواء كان نبياً أو ملكاً أو إنسياً أو جنياً، ومن هذا يتبين بطلان ما يقع فيه بعض الطوائف من الشرك بالله تعالى حينما يسألون غيره المغفرة، كالنصارى حينما يتوب

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء في الصلاة: (٧٢/٨ح٦٣٢٦).

أحدهم يذهب للقسيس ليغفر له ذنبه ويعطيه صك غفران، وكالرافضة والشيعة الذين يتوبون إلى أئمتهم من دون الله تعالى(١).

٣- من مات بلا توبة من أهل الكفر والشرك والنفاق فلا مغفرة له ولو طلبها له نبي مرسل.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [سورة محمد ٣٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء ٤٨]، كما قال تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [سورة المنافقون ٦]، وقال تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [سورة التوبة ٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [سورة التوبة ٨٤]، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [سورة التوبة ١١٣].

قال ابن تيمية رحمه الله: "وقد اتفق المسلمون على أنه ﷺ أعظم الخلق جاهاً عند الله لا جاه لمخلوق عند الله أعظم من جاهه، ولا شفاعة أعظم من شفاعته؛ لكن دعاء الأنبياء وشفاعتهم ليست بمترلة الإيمان بهم وطاعتهم، فإن الإيمان بهم وطاعتهم توجب سعادة الآخرة والنجاة من العذاب مطلقاً، فكل من مات مؤمناً بالله ورسوله مطيعاً لله ورسوله كان من أهل السعادة قطعاً، ومن مات كافراً بما جاء به الرسول كان من أهل النار قطعاً، وأما الشفاعة والدعاء فانتفاع العباد به موقوف على شروط وله موانع، فالشفاعة للكفار بالنجاة من النار والاستغفار لهم مع موتهم على الكفر لا تنفعهم ولو كان الشفيع أعظم الشفعاء

---

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، الشيخ عبد العزيز الراجحي، مكتبة صيد الفوائد، saaid.net/book/open.php?cat127&book=1003: (ص٢٠).

جاهاً، فلا شفيع أعظم من محمد ﷺ ثم الخليل إبراهيم وقد دعا الخليل إبراهيم لأبيه واستغفر لـــه، كما قال تعالى عنه: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ [سورة إبـــراهيم ٤١]، وأراد الرسول ﷺ الاستغفار لأبي طالب وأراد بعض المسلمين أن يستغفروا لبعض أقاربهم فأنزل الله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [سورة التوبة ١١٣] (١).

٤- التوبة تمحو ما قبلها من الذنوب ولو عظمت، بل من سعة رحمة الله ولطفه بعباده أن يغفر للتائبين ويبدل سيئاتهم -إذا أخلصوا في توبتهم- حسنات.

قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [سورة محمد ٣٤].

كما قال تعـــالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [سورة الفرقان ٧٠].

سُئل ابن تيمية رحمه الله: " هل الاعتراف بالخطيئة بمجرده مع التوحيد موجب لغفرانهـــا، أو كشف الكربة الصادرة عنها، أم يُحتاج إلى شيء آخر؟

جـــ- إن موجب الغفران مع التوحيد هو التوبة المأمور بها، فإن الشرك لا يغفره الله إلا بتوبة كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء ٤٨] في موضعين في القرآن وما دون الشرك فهو مع التوبـــة

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ابن تيمية: تحقيق عبد القادر الأرناؤوط دار البحوث العلمية والإفتاء الإدارة العامة للطبع، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى: (ص٢٦).

مغفور، وبدون التوبة معلق بالمشيئة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة الزمر ٥٣].

وقال في تلك الآية: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [سورة النساء ٤٨]، فخص ما دون الشرك وعلقه بالمشيئة، فإذا كان الشرك لا يغفر إلا بتوبة، وأما ما دونه فيغفر الله للتائب وقد يغفره بدون التوبة لمن يشاء، فالاعتراف بالخطيئة مع التوحيد إن كان متضمناً للتوبة أوجب المغفرة، وإذا غفر الذنب زالت عقوبته، فإن المغفرة هي وقاية شر الذنب، وأما إذا ابتلي مع ذلك بما يكون سبباً في حقه لزيادة أجره فهذا لا ينافي المغفرة"[1].

٥- لا حاجة إلى الوسطاء.

يقرر الإسلام أن العبد عندما يقترف خطيئة فإنه لا يحتاج إلى الوسطاء؛ لأن الله أقرب إليه من حبل الوريد، وما جاء به الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً، وهو يبطل ما ذهبت إليه اليهودية في وجوب حضور الكاهن أثناء تقديم القرابين من أجل التطهير من الذنب، ويبطل كذلك ما ذهبت إليه النصرانية فيما يسمى بنظام الاعتراف أمام القسيس.

قال تعالى عن آدم عليه السلام وزوجته حواء: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الأعراف ٢٢ – ٢٣].

وهذا موسى عليه السلام بعد قتله القبطي: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة القصص ١٦].

---

(١) التوبة والاستغفار: ابن تيمية، تحقيق محمد عمر الحاجي، عبد الله بدران، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى: (ص٤٩–٥٠).

ويونس في الظلمات يعترف بذنبه ويناجي ربه: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [سورة الأنبياء ٨٨].

٦- من دلائل التوبة في الإسلام الاستغفار.

وقد جعل الله التوبة من صفات المؤمنين وعلق قبولها بالاستغفار وعدم الإصرار: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [سورة آل عمران ١٣٥].

وللتوبة في الإسلام شروط، فإن كانت بين العبد وربه، ولا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط:

١-أن يقلع عن المعصية.

٢-أن يندم على فعلها.

٣-أن يعزم على أن لا يعود إليها أبداً.

وإن كانت تتعلق بحق آدمي فهناك شرط رابع هو: أنْ يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالاً أو نحوه ردَّه إليه، وإن كان حدَّ قذف ونحوه مكَّنَهُ منه، وإن كانت غيبة استحله منها.

والشروط الثلاثة يجب أنْ تجتمع في الوقت الذي تقع فيه التوبة، فإنه في ذلك الوقت يندم ويقلع ويعزم(١).

---

(١) الخطيئة والتوبة بين اليهودية والمسيحية، د. محمد أحمد الخطيب، الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والدعوة والثقافة الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر: (ص٢٧٨).

الفصل السادس

التناقض حول عصمة البابا عن الخطأ

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقف الكنيسة الكاثوليكية من عصمة البابا عن الخطأ.

المبحث الثاني: موقف الكنيسة الأرثوذكسية والبروتستانتية من عصمة البابا الروماني عن الخطأ.

المبحث الثالث: العصمة في الإسلام.

الفصل السادس

التناقض حول عصمة البابا عن الخطأ

تمهيد:

تؤمن الكنيسة الكاثوليكية بأنَّ البابا رأس الكنيسة المنظورة في العالم، وأنَّه إذا تكلم في الأمور الدينية يكون معصوماً عن الخطأ؛ لكونه في تلك الحالة آلة في يد الروح القدس[١]، وقد صدق على هذا المجمع الفاتيكاني الأول المنعقد في روما سنة (١٨٧٠م) مقرراً عصمة البابا باعتباره معلماً دينياً، وعصمة وظيفته البابوية باعتباره رئيساً للكنيسة[٢]، وجاء نص العصمة كالتالي:

"الحبر الأعظم الروماني حين يتكلم على الكاتدرا[٣] أي: حين يمارس مهمة الرعاية وتعليم المسيحيين هو يحدد بأولوية سلطته الرسولية العقيدة المتعلقة بالإيمان أو التقاليد أو الأخلاق التي تهم الكنيسة الجامعة، وهو يملك بواسطة المعونة الإلهية التي وُعد بها عبر القديس بطرس العصمة التي شاء المخلص الإلهي لكنيسته تحديد العقيدة المتعلقة بالإيمان والأخلاق، هذه التحديدات من الحبر الروماني غير قابلة للمناقشة من نفسها وليس من موافقة الكنيسة"[٤].

---

(١) انظر: الفروق العقيدية: (ص٣١)، اللاهوت النظامي: (ص٤٥)، موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٥٠ – ٤٥١)، كنز النفائس: (ص١٨–١٩، ٤٦).

(٢) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٧٨)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص٧٦)، اللاهوت النظامي: (ص٤٥)، كنز النفائس: (ص١١٩).

(٣) الكاتدرائية: الكنيسة التي يوجد بها كرسي الأسقف. قاموس المصطلحات الكنسية: (ص٤١).

(٤) الشرقيون في المجمع الفاتيكاني الأول: (ص٣١)، وانظر: الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (١/٦٥١)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص٧٦).

المبحث الأول: موقف الكنيسة الكاثوليكية من عصمة البابا عن الخطأ

يعتقد الكاثوليك بعصمة البابا عن الخطأ، وأن هذه العصمة جزء من العصمة العامة للكنيسة الكاثوليكية.

المطلب الأول: التعريف بالعصمة البابوية.

أولاً: العصمة لغة.

العين والصاد والميم أصل واحد يدل على إمساك ومنع وملازمة(١)، فكل ما أمسك شيئاً فقد عصمه(٢)، والعصمة في كلام العرب تأتي لعدة معاني منها: الوقاية والمنع والحفظ.

وعِصْمة الله عبده أن يعصمه مما يوبقه، عَصَمه يَعْصمه عَصَماً: منعه ووقاه، وفي التنزيل: ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعۡصِمُنِى مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾ [سورة هود ٤٣].

قال الأزهري: الحذاق من النحويين اتفقوا على أن قوله: ﴿لَا عَاصِمَ﴾ بمعنى لا مانع، وعَصَمه الطعام من الجوع: أي منعه من الجوع، واعتصم به واستعصم: أي امتنع وأبى، ومنه قوله تعالى حكاية عن امرأة العزيز: ﴿قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمۡتُنَّنِى فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ﴾ [سورة يوسف ٣٢] أي: تأبى عليها و لم يجبها إلى طلبها(٣).

ثانياً: العصمة اصطلاحاً.

هي ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها(٤)، وقيل: أنها عدم قدرة المعصية، أو خلق مانع منها غير ملجئ بل ينتفي معه الاختيار، وقال صاحب البداية: أي أنها لا تجبره

---

(١) معجم مقاييس اللغة: (٣٣١/٤).

(٢) الكليات: أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق د. عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية: (ص٥٩٨).

(٣) انظر: المعجم الوسيط: (٦٠٥/٢)، القاموس المحيط: (ص١٤٦٩)، لسان العرب: (٤٠٣/١٢).

(٤) التعريفات: علي بن محمد الجرجاني، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م: (ص١٥٦).

على الطاعة ولا تعجزه عن المعصية، بل هي لطف من الله يحمل العبد على فعل الخير، ويزجره عن فعل الشر، مع بقاء الاختيار تحقيقاً للابتلاء(١).

ثالثاً: تعريف لفظ البابا.

البابا "pope" لفظ قيل أنه يوناني الأصل مأخوذ من كلمة "باباس papac" بمعنى أب والمعنى "أب الآباء"، وهو بهذا المفهوم خاص بالرئيس الأعلى للكنيسة الكاثوليكية الرومانية عند الغرب.

وقيل: معناه الأب الروحي للمؤمنين.

وقيل بأنه لاتيني "papa" بمعنى أب، ويمكن إطلاق هذا اللفظ على أي فرد من رجال الكنيسة(٢).

والبابوية منصب البابا ومقامه(٣).

رابعاً: مفهوم العصمة عند الكاثوليك.

"إنها ليست مجرد انعدام الخطأ لدى المعصوم، وإنما هي الكمال التام، أو الإيجابي، يمنع عنه إمكانية الوقوع في الخطأ، ويستلزم بالضرورة إخلاصاً رئيسياً للوحي المسيحي في التعليم الذي تقرره وتقبله الكنيسة.

وجاء في دائرة معارف الدين والأخلاق: إنها تعني عدم الخطأ وعدم القابلية للعيب أو الخلل -أي المعصية- كما أنها تعتبر مصدراً أو طريقاً للعلم المعصوم، وتعني أيضاً: الحصانة المطلقة أو العملية من الخطأ أو الإخفاق.

---

(١) الكليات: (ص٦٤٥).

(٢) انظر: قاموس المصطلحات الكنسية: القمص تادرس يعقوب ملطي، مطبعة الإخوة المصريين، القاهرة: ١٩٩١م: (ص١١)، معجم المصطلحات الكنسية: نسخة إلكترونية، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفاتح عاشور، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٦م: (ص٥١)، المعجم الوسيط: (٣٥/١).

(٣) المعجم الوسيط: (٣٥/١).

وفي دائرة المعارف الأمريكية: أنها استثناء لشخص أو جماعة من إمكانية الوقـوع في الخطأ"(١).

المطلب الثاني: إقرار العقيدة.

كانت فكرة العصمة متداولة بين الكاثوليك منذ زمن جراء التهديدات التي كانـت تتعرض لها الكنيسة الكاثوليكية، والتصعيد العدائي تجاهها من الناحيتين السياسية والدينيـة، لذلك رأى البعض أن أفضل طريقة لمعالجة هذا الوضع هو التأكيد بوضـوح أن البـابوات يملكون كل السلطة في الكنيسة(٢).

فالتأم المجمع الفاتيكاني الأول في روما سنة (١٨٧٠م) مقرراً عصمة البابا باعتبـاره معلماً دينياً، وعصمة وظيفته البابوية باعتباره رئيساً للكنيسة، ومما جاء فيه: "لذلك نتمسك بأمانة التقليد الوارد منذ بدء الإيمان المسيحي لمجد الله مخلصنا، ورفع شأن الديانة الكاثوليكية وخلاص الشعب المسيحي، ونعلم بموافقة المجمع المقدس كعقيدة أوحى بهـا الله أن الحـبر الروماني عندما يتكلم رسمياً "من أعلى المنبر" أي عندما يحدد وهو يقوم بمهمته كراع ومعلم للمسيحيين بسلطانه الرسولي الأسمى إنه من واجب الكنيسة جمعاء التمسـك بعقيـدة في موضوع الإيمان أو الأخلاق، فهو يتمتع بفعل العون الإلهي الذي وعد به في شخص القديس بطرس، بتلك العصمة التي أراد الفادي الإلهي أن تكون للكنيسة عندما تُحـدد عقيـدة في الإيمان أو الأخلاق، وبالتالي تكون تحديدات الحبر الروماني هذه غير قابلة للإصلاح بـذاتها وليس بفعل موافقة الكنيسة"(٣).

فدار نقاش ساخن حول هذه العقيدة الجديدة، والتي أثارت ردة فعل عنيفة لكونهـا غير مطابقة للوصايا الإنجيلية وللتقاليد الرسولية ولما اعتقده النصارى منذ أجيال وأجيال(٤)،

(١) مصادر النصرانية: (ص٩١٩).

(٢) انظر: الشرقيون في المجمع الفاتيكاني الأول: (ص٣-٧).

(٣) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (٦٥١/١)، وانظر: الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص٧٦).

(٤) انظر: الشرقيون في المجمع الفاتيكاني الأول: (ص٢٢-٣٧).

فجاء فرض العقيدة في المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٤م) في جلسته الخامسة وأضاف أنَّ السلطة الأسقفية لها سلطان، وهذا السلطان مرتبط بالبابا، ومما جاء فيه:

"وهذا المجمع المقدس الذي يترسم خطوات المجمع الفاتيكاني الأول، يُعلِّم ويعلن معه أن يسوع المسيح الراعي الأبدي قد بنى الكنيسة المقدسة بإرساله الرسل، كما أنه هو نفسه قد أرسله الآب[١]، وأراد أنْ يكون خلفاؤهم أي الأساقفة رعاة في كنيسته إلى منتهى الدهر، ولكن لكي يكفل للأسقفية نفسها الوحدة وعدم التجزؤ جعل الطوباوي بطرس على رأس الرسل الآخرين، وجعل فيه المبدأ والأساس الدائم المنظور لوحدة الإيمان والشركة، وهذا التعليم العقائدي بشأن أولوية الحبر الروماني وسلطانه التعليمي المعصوم، من حيث إنشائهما واستمرارهما وقوتهما وغايتهما، يتبناه المجمع المقدس ويعلنه ثانيةً على جميع المؤمنين عقيدةً إيمانيةً ثابتة"[٢].

المطلب الثالث: عصمة البابا في عقيدة الكاثوليك.

يمثل البابا أسقف روما "الحبر الأعظم" قمة الهيكل الإداري في الكنيسة الكاثوليكية فهو خليفة بطرس الرسول[٣]، الذي قال له المسيح عليه السلام- بزعمهم-: "سأعطيك ملكوت السماوات، فما ربطته في الأرض رُبط في السماوات، وما حللته في الأرض حُل في السماوات"[٤]، ولذلك فإن مقام البابا عند الكاثوليك مقام ديني مقدس، أرسى أساسه المسيح عليه السلام بنفسه[٥]، حيث إنه أنشأ الكنيسة وأعطاها السلطة والرسالة والتوجيه والهدف: "إن المسيح الرب قد أنشأ في كنيسته لكي يرعى شعب الله وينميه في غير انقطاع

---

(١) (يو٢٠: ٢١).

(٢) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (٩٤٢/٢).

(٣) انظر: التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (١٩٤/٢)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص٧٦)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٧٧).

(٤) (مت ١٦: ١٩)

(٥) الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٧٨).

خدماً متنوعة تهدف إلى خير الجسم كله، فالرعاة وقد قلدوا سلطاناً مقدساً هم في خدمة إخوتهم لكي يتمكن جميع المنتمين إلى شعب الله أن ينالوا الخلاص"(١).

فتكون الكنيسة الكاثوليكية بموجب هذا التعليم قادرةً على إرشاد النصارى وتحريرهم من المسؤولية الشخصية في أمور الدين، وحاكمةً في كل المسائل الدينية لأجلهم، ومخلّصةً لهم من عناء البحث عن الحق، ومؤكدةً خلاصهم بمجرد خضوعهم لها، وحاملةً عنهم الخطأ، وفاتحةً لهم أبواب السماء! (٢).

والبابا بحكم مهمته كنائبٍ للمسيح وراعٍ للكنيسةِ كلها؛ فإنه يملك السلطان الكامل الذي يستطيع أن يمارسه بحرية على الدوام، كما يتمتع بالعصمة بحكم مهمته وصفته راعياً أعلى لجميع النصارى.

جاء في التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية:

"إن الرب جعل من سمعان وحده الذي أعطاه اسم بطرس، صخرة كنيسته، لقد سلمه مفاتيحها وجعله راعياً للقطيع كله -بَيْدَ أنَّ مُهمة الحل والربط التي أعطيت لبطرس قد أعطيت أيضاً بلا شك لهيئة الرسل متحدين برئيسهم- ومهمة بطرس وسائر الرسل الراعوية هذه هي في أسس الكنيسة وهي تواصل على أيدي الأساقفة برئاسة البابا، والبابا أسقف روما وخليفة القديس بطرس هو المبدأ الدائم المنظور والأساس للوحدة التي تربط بين الأساقفة وتربط بين جمهور المؤمنين، فإن الحبر الروماني بحكم مهمته كنائب للمسيح وراعٍ للكنيسة كلها، يملك في الكنيسة السلطان الكامل الأعلى والشامل الذي يستطيع أن يمارسه بحرية على الدوام، والهيئة الأسقفية أو الجسم الأسقفي لا سلطان لها ما لم نتصورها متحدة بالحبر الروماني خليفة بطرس اتحادها برأسها، وهي بهذه الصفة تملك أيضاً السلطان الأعلى والكامل على الكنيسة كلها، وإنما لا يمكنها أن تزاوله إلا بموافقة الحبر الروماني، وهيئة

---

(١) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (١٩٢/٢).

(٢) انظر: اللاهوت النظامي: (ص٤٥).

الأساقفة تزاول السلطان على الكنيسة كلها بصورة رسمية في المجمع المسكوني، ولا يكون البتة مجمع مسكوني إنْ لم يثبته أو يقبله على الأقل خليفة بطرس على أنه بهذه الصفة"[١].

وعن فائدة تلك العصمة – بزعمهم– يمضي التعليم شارحاً ما تحققه للنصارى من فوائد إيمانية! !

حيث جاء فيه: "لحفظ الكنيسة في صفاء الإيمان الذي نقله الرسل، أراد المسيح الذي هو الحق أن يمنح كنيسته اشتراكاً في عصمته الخاصة، وبالمعنى الفائق الطبيعة للإيمان، يتمسك شعب الله بالإيمان تمسكاً ثابتاً بقيادة سلطة الكنيسة التعليمية الحية، رسالة السلطة التعليمة مرتبطة بالطابع النهائي للعهد الذي عقده الله في المسيح مع شعبه، فهو من شأنه أن يقيه الانحرافات والعثرات، وأن يضمن له الإمكانية الواقعية للاعتراف بالإيمان الأصيل في غير ضلالة.

وهكذا فمهمة السلطة التعليمية الراعوية موجهة إلى السهر على أن يظل شعب الله في الحق الذي يحرر، ولكي يقوم بهذه السلطة مَهَرَ المسيح الرعاة موهبة العصمة فيما هو من شأن الإيمان والآداب".

"هذه العصمة التي يتمتع بها الحبر الروماني رئيس هيئة الأساقفة بحكم مهمته بالذات –بصفة كونه راعياً ومصلحاً أعلى لجميع المؤمنين ومكلفاً تثبيت إخوته في الإيمان– عندما يعلن بتصميم مطلق مادة عقائدية تتعلق بالإيمان والآداب. . . . ، والعصمة التي وعدت بها الكنيسة مستقرة أيضاً في هيئة الأساقفة عندما تمارس سلطانها التعليمي الأعلى بالاتحاد مع خليفة بطرس ولا سيما في مجمع مسكوني، فعندما تعرض الكنيسة بواسطة سلطتها التعليمية العليا شيئاً للإيمان به على أنه موحى به من عند الله، وعلى أنه تعليم من المسيح يجب قبول مثل هذه التحديدات بطاعة الإيمان، وهذه العصمة تمتد بامتداد وديعة الوحي الإلهي نفسها"!.

(١) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (١٩٤/٢).

"العون الإلهي يرافق أيضاً خلفاء الرسل عندما يعملون في شركة خليفة بطرس، ويرافق بنوع خاص أسقف رومة راعي الكنيسة جمعاء عندما –من غير أن يصلوا إلى تحديد معصوم ومن غير أن يتفوهوا بطريقة نهائية– يقدمون في ممارسة السلطة التعليمية العادية تعليماً يقود إلى فهم أفضل للوحي في موضوعي الإيمان والآداب، وعلى المؤمنين أن يولوا هذا التعليم العادي من ذهنهم القبول في شعور ديني، وهو إن تميز من قبول الإيمان فإنه مع ذلك امتداد له"(١).

جاء في بيان الكنيسة الجامعة عن الباباوات وعصمتهم ما يلي:

"قد عرف الجميع وأقروا في الزمان القديم أنَّ البابا هو خليفة مار بطرس، وأنه رئيس الكنيسة كلها، يسوسها واحدة ومجتمعة، أما رؤساء الأساقفة والبطاركة فلكل منهم أن يسوس أبرشيته، ويعقد بمعية الأساقفة الذين تحت ولايته مجامع خصوصية ضمن أبرشيته لإفادة شعبه وبلاده، غير أن هذه المجامع ليس لها العصمة فيما تقرره من الحقائق قبل أن يثبتها بابا رومية.

أما البابا فله أن يعقد مجامع عامة يستدعي إليها جميع أساقفة العالم، لأنه رئيس الكنيسة بأسرها، وأن يترأس عليها إما بذاته وإما بواسطة نوابه، وأن يثبتها لتكون عامة حقيقية تلزم الضمائر بحفظها، أما حضور جميع أساقفة العالم فليس من باب الضرورة.

كذلك في المجامع المسكونية لا يكون لرأي الأعضاء نفوذ ولا عصمة ما لم يثبته وينهي به الرئيس، وهو الحبر الأعظم بابا رومية، كما جرى ذلك في الكنيسة منذ أوائلها إلى أيامنا هذه، فكل من يأبى والحالة هذه أن يؤمن بما تحدده المجامع من القضايا وتثبته البابوات عُدَّ هرطوقياً"(٢).

---

(١) التعليم المسيحي: (١٩٤/٢-١٩٥).

(٢) الكنيسة الجامعة: (ص٢٠).

ومن النصوص السابقة، ومن نص قرار العصمة البابوية الذي أشير إليه سابقاً، يتضح أن لهذه العصمة شروطاً عند الكاثوليك على النحو التالي:

(١) أن يكون ذلك في حالة كلام البابا باعتباره المعلم الأعلى للكنائس في العالم كله، بخلاف تعاليمه الفردية أو السرية وآرائه الشخصية فلا يكون فيها معصوماً أبداً؛ لأن عصمته لا تتجاوز وظيفته إلى شخصه، فهو عرضة للخطأ في سائر أعماله وأفكاره كغيره من البشر.

(٢) أن يكون الموضوع متعلقاً بتحديد تعليم أو عقيدة ما، فيجب عليه طلب موافقة نهائية من أعضاء الكنيسة لذلك، وأما مجرد نصيحة أو أي قرار مؤقت للتأديب فلا.

(٣) أن تكون تحديداته المعصومة في إطار الإيمان والأخلاق التي تدخل كجزء من الوحي الإلهي المسلم من الرسل إلى خلفائهم "التسليم الرسولي"، دون الأمور التاريخية والفلسفية والعلمية.

(٤) أن يصرح بأن التعليم الذي يقوله ملزم للكنيسة عن بكرة أبيها[1].

وتكون النتيجة في حال توفر هذه الشروط وعدم اختلالها، أن هذا التعليم والعقيدة التي جاء بها البابا موحى بها من عند الله! ! ويجب قبولها بطاعة وإيمان، ومن خالفها حكم عليه بالهرطقة! !

(١) انظر: اللاهوت النظامي: (ص٤٥)، كنز النفائس: (ص١١٩)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٧٨)، مصادر النصرانية: (ص٩٢١).

المطلب الرابع: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الكاثوليكية في قضية الإيمان بعصمة البابا عن الخطأ.

لا ينظر الكاثوليك إلى هذه العصمة كشيءٍ معجزٍ أو نوع من الكشف الروحي، بل ينظرون إليها على أنها هداية إلهية، وعطية من الله تستند إلى أساس لاهوتي وكتابي[١] ويستدلون بما يأتي:

أولاً: قولهم: إن المسيح عليه السلام وعد الرسل وخلفاءهم حتى نهاية العالم أن يعطيهم العصمة والسلطان المبني عليها، ويستشهدون على ذلك بالنصوص الكتابية التالية:

(أ) "وأنا أقول لك: أنت صخر وعلى الصخر هذا سأبني كنيستي، فلن يقوى عليها سلطان الموت، وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات، فما ربطته في الأرض رُبط في السماوات، وما حللته في الأرض حُل في السموات، ثم أوصي تلاميذه بألا يخبروا أحداً بأنه المسيح"[٢].

(ب) "وتعلن باسمه التوبة وغفران الخطايا لجميع الأمم، ابتداءً من أورشليم، وأنتم شهود على هذه الأمور، وإني أرسل لكم ما وعد به أبي"[٣].

(ج) "فمتى جاء هو، أي: روح الحق، أرشدكم إلى الحق كله؛ لأنه لن يتكلم من عنده، بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بما سيحدث"[٤].

(د) "وقال لهم: خذوا الروح القدس من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم، ومن أمسكتم عليهم الغفران يمسك عليهم"[٥].

(١) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٧٨).

(٢) (مت ١٦: ١٨-٢٠).

(٣) (لو ٢٤: ٤٧-٤٩).

(٤) (يو ١٦: ١٣).

(٥) (يو ٢٠: ٢٣).

ثانياً: الوصية المعطاة للكنيسة أن تكون معلمة للعالم

(أ) "فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أنْ يحفظوا كل ما أوصيتكم به، وها أنذا معكم طوال الأيام إلى نهاية العالم"[١].

(ب) "من سمع إليكم سمع إلي، ومن أعرض عنكم أعرض عني، ومن أعرض عني أعرض عن الذي أرسلني"[٢].

ثالثاً: قولهم: إن الله أعطى الكنيسة سلطان الحل والربط، وأن كل من لا يطيعها ينبغي أن يعامل كوثني.

(أ)- "وإذا أخطأ أخوك فاذهب وانفرد به ووبخه، فإذا سمع لك فخذ معك رجلاً أو رجلين لكي يحكم في كل قضية بناءً على كلام شاهدين أو ثلاثة، فإن لم يسمع منهما فأخبر الكنيسة بأمره، وإن لم يسمع للكنيسة أيضاً فليكن عندك كالوثني والعشار، والحق أقول لكم ما ربطتم في الأرض رُبط في السماء، وما حللتم في الأرض حُل في السماء"[٣].

رابعاً: قولهم: إن يسوع أعطى بطرس الأولية ومفاتيح ملكوت السماوات، وأوصاه أن يرعى خرافه، والسيد أعطى ذلك لبطرس فقط.

(أ)- "وبعد أن فطروا قال يسوع لسمعان بطرس: يا سمعان بن يونا، أتحبني أكثر مما يحبني هؤلاء؟ قال له: نعم يا رب، أنت تعلم أني أحبك حباً شديداً، قال له: ارع حملاني، قال له مرة ثانية: يا سمعان بن يونا أتحبني؟ قال: نعم يا رب، أنت تعلم أني أحبك حباً شديداً، قال له: اسهر على خرافي، قال له ثالثة: يا سمعان بن يونا أتحبني حباً شديداً؟ فحزن بطرس لأنه قال له في المرة الثالثة: أتحبني حباً شديداً؟ فقال: يا رب أنت تعلم كل شيء، أنت تعلم أني أحبك حباً شديداً، قال له: ارع خرافي"[٤].

---

(١) (مت ٢٨: ١٩-٢٠).

(٢) (لو ١٠: ١٦).

(٣) (مت ١٨: ١٥- ١٨).

(٤) (يو ٢١: ١٥- ١٨).

(ب)- وقال الرب: "سمعان سمعان هو ذا الشيطان، قد طلبكم ليغربلكم كما تغربل الحنطة، ولكني دعوت لك ألا تفقد إيمانك، وأنت ثبت إخوتك متى رجعت"(١).

خامساً: استنادهم إلى القياس.

فكل حكومة سياسية لها شريعة مكتوبة ورأس منظور ذو سلطان، والكنيسة هي حكومة منتظمة ذات شريعة، فلابد أن يكون لها أيضاً رأس منظور ذو سلطان معصوم يلزم الجميع أن يخضعوا له، ويؤمنوا بما يعلمه، وعصمة الكنيسة تتوقف على عصمة رأسها؛ لأنه هو القاضي في أمور الإيمان وهو المتقلد تثبيت إخوته(٢).

فهذه النصوص وغيرها اعتمد عليها رجال الكنيسة الكاثوليكية في دعواهم الرئاسة والرعاية الكنسيتين لبطرس بعد المسيح عليه السلام، ورتبوا على ذلك بلزوم كونه معصوماً ليرشد الناس ويسد احتياجاتهم في أمور الدين، كيف لا وقد أُعطي مفاتيح ملكوت السماوات -والعياذ بالله- يحل ما يشاء ويربط ما يشاء في السماوات والأرض، ثم زعموا أنه من غير المعقول أن المسيح عليه السلام قد قصد أن هذه الميزات كلها ستموت بموت بطرس، بل تمتد لخلفائه من بعده، حيث إن الحاجة إليها تنمو بمرور الوقت والزمن، لتحفظ وحدة التعليم والاعتقاد، وجمع النصارى في حظيرة واحدة تحت رعاية راعٍ واحد(٣).

---

(١) (لو ٢٢: ٣١- ٣٢).

(٢) انظر: الكنيسة الجامعة: (ص٩٨)، اللاهوت النظامي: (ص٤٥).

(٣) انظر: مصادر النصرانية: (ص٩٢٣-٩٢٤)، اللاهوت النظامي: (٤٥).

المبحث الثاني: موقف الكنيسة الأرثوذكسية والبروتستانتية من عصمة البابا الروماني عن الخطأ.

رفضت الكنيسة الأرثوذكسية هذا التعليم رفضاً تاماً، فلا عصمة للبابا، ولا لأحدٍ غيره من البشر، ولا رئاسة لكرسي روما على جميع الكنائس(١).

ورأت في هذا التعليم مخالفة صريحة للإيمان المسلم من الرسل القديسين والآباء القدامى، وأنَّ الكنيسة الكاثوليكية بهذا التعليم تسعى لإخضاع كل كنائس المسيح لسلطة السدة الرومانية، ورأت بأن خير طريق لمجابهة هذا الادعاء البابوي هو نشرها كتباً ضد الرئاسة البابوية وعصمتها بأقلام غربيين من أصل كاثوليكي.

في الوقت نفسه انصرف كبار اللاهوتيين الأرثوذكس في روسيا واليونان والقسطنطينية إلى تعميق الجانب العقائدي النظري المنظم في موقف الأرثوذكس من القرار الفاتيكاني، وصرح بعض الأساتذة الروس اللاهوتيين أمثال غوسيف وكيرينسكي والأسقف سرجيوس باعتراضهم على المجمع الفاتيكاني الأول قائلين بأن الكنيسة الأرثوذكسية هي وحدها فقط كنيسة المسيح الجامعة! وأن كنيسة روما ليست سوى استمرار وامتداد للإمبراطورية الوثنية القديمة.

ولم تأت ردة فعل الكنيسة البروتستانتية بأقل من الأرثوذكسية، بل نعتوا المجمع بأبشع النعوت، واعتبر بعضهم أنَّ المجمع كان نصراً للجزويت(٢)، وأن البابا أصبح مستبداً، وأنه أسس تفوقه ليس فقط على المجامع العامة ولكن أيضاً على فكر العالم الحر.

---

(١) انظر: اللاهوت النظامي: (ص٩١)، الفروق العقيدية: (ص٣٠ – ٣١)، الإيمان الأرثوذكسي: (ص١٦ – ١٧)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٦٦–٦٧)، كنز النفائس: (ص١٩، ٤٥، ٤٩)، الشرقيون في المجمع الفاتيكاني الأول: (ص٤٢-٤٦).

(٢) الجزويت: فرقة كاثوليكية يسوعية، أسسها قسيس فرنسي يدعى أنياس لايولا في القرون الوسطى، تتستر خلف أعمال البر لتستقطب الناس إلى النصرانية، تحاول هذه الفرقة الغوص في أعماق الأسرار السياسية، ومد بعض الحكام بها للفوز بمكانة مرموقة لديهم، تعمل على هدم القيم الدينية ونشر الرذائل، ساهمت في القضاء على المسلمين في الأندلس من خلال محاكم التفتيش، تنتشر في أوربا بصفة عامة. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ١٤٢٠ هـ: (٢/٦٣٢-٦٣٤).

وكتبت مجلة American Presbyterian Review: "البابا حين يجلس في هيكل الله يظهر نفسه أنه الله، وهذا ما يدعونا أن ننتقد وندين عقيدة العصمة البابوية على أنها تجديف"(١).

وعددت المجلة الأخطاء الكثيرة للباباوات عبر التاريخ، وذكرت بعض قراراتهم في مجامعهم التي تسيء إلى الإيمان المسيحي الأول، ثم خرجت بالنتيجة التالية: "إن كنيسة روما بهذه العقيدة الجديدة قد أكملت ارتدادها عن الإيمان المسيحي، إذ تكون قد نسبت صفات إلهية إلى إنسان خاطئ إذ العصمة هي لله وحده"(٢).

و لم يقتصر الرفض على تلك الكنائس فحسب، فبعد صدور هذا القرار انشق بعض أبناء الطائفة الكاثوليكية مكونين كنيسة الكاثوليك القدماء(٣)، حيث حاربوا بشدة هذا التعليم وبينوا خطره، واعتبروا تثبيته تغييراً في إيمان الكنيسة وتعليمها، وعقدوا عدة مجامع نادوا فيها بأنَّ هذا التعليم البابوي مضاد للكتاب المقدس(٤).

وقد فند الرافضون لهذه العقيدة من النصارى مزاعم الكاثوليك وادعاءاتهم وأوردوا جملة من الاعتراضات والردود يذكر منها ما يلي:

أولاً: بالنسبة لادعائهم رئاسة بطرس للكنيسة المنظورة.

حيث تزعم الكنيسة الكاثوليكية أن يسوع قدم القديس بطرس الرسول، وأقامه نائباً عنه على الأرض ورئيساً للرسل وللكنيسة كلها، وهو مصدر نعمتها، وأن الرسل قد أخذوا التعليم عنه(٥).

---

(١) التجديف لغة: هو كفر بالنعم أو استقلال عطاء الله وتوجيه الإهانة أو التعيير إليه، وتأتي في العهد القديم بمعنى: القذف والاهانة، وفي العهد الجديد بمعنى: الشتم والاهانة والاحتقار والكلام غير اللائق، انظر: دائرة المعارف الكتابية: (٥١٣/٢-٥١٤) ويقصد بها في الكتاب المقدس كلام غير لائق في شأن الله وصفاته، انظر: معاني الكلمات الصعبة في الكتاب المقدس، إعداد: القس ميلاد ديب يعقوب، الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل: (ص٥١٢).

(٢) انظر: الشرقيون في المجمع الفاتيكاني الأول: (ص٤٢-٤٥).

(٣) الكاثوليك القدماء: جماعة من المسيحيين الغربيين، وأكثرهم من الألمانيين الذين كانوا خاضعين للبابا ثم هجروا الكنيسة البابوية بسبب مسألة العصمة، ولقبوا أنفسهم بالكاثوليك القدماء رغبة منهم في أن يدللوا على أنهم كاثوليك حقيقيون، يحافظون على عقائد الكنيسة الكاثوليكية القديمة، ويرفضون البدع العصرية الجديدة للكنيسة البابوية. انظر: كنز النفائس: (ص١١٩-١٢٠).

(٤) انظر: الشرقيون في المجمع الفاتيكاني الأول: (ص٤٠)، كنز النفائس: (ص١١٩).

(٥) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٤٤٧/٤)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص١٧).

الردود:

أ- إن بطرس لم يأت اسمه في العهد الجديد في كل مكان متصدراً ومتقدماً على باقي الرسل بل ورد في أماكن متأخراً عنهم، في الأول والثاني ذكر اسم بولس وأَبُلُّوس قبله (١كو: ١٢ و ٣: ٢٢)، وفي الثالث باقي الرسل وإخوة الرب (١كو ٩: ٥) وفي هذا النص تجلت المساواة بين صفا ويوحنا ويعقوب[١]: "فإذا علم بالنعمة المعطاة ليعقوب وصفا ويوحنا المعتبرون أنهم أعمدة أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم وأما هم فللختان"[٢].

ب- إن يسوع لم يُقم بطرس رئيساً، بل ساوى بين الجميع في الرتبة الرسولية والسلطان لعمل المعجزات وسلطان حل الخطايا وربطها[٣]، "ثم دعا تلاميذه الاثنى عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف"[٤].

"فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب، والابن، والروح القدس"[٥].

"ولما قال هذا نفخ وقال لهم: "اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت"[٦].

ج- إن يسوع شجب فكرة الرئاسة عندما تنازع عليها الرسل، ودعاهم لعدم تقليد الأمم[٧] حيث جاء عنه: "فجلس ونادى الاثني عشر وقال لهم: إذا أراد أحد أن يكون أولاً، فيكون آخر الكل وخادماً للكل"[٨].

"الحق أقول لكم إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت

---

(١) تنوير الأذهان: (ص١٩٢)، وانظر: الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص٧٨).

(٢) (غلا ٢: ٩).

(٣) انظر: موسوعةعلم اللاهوت: (٤/٤٤٧)، البراهين الإنجيلية: (ص١٠٢)، الحجة الأرثوذكسية: (ص١٢٣)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص١٤-١٥).

(٤) (مت: ١٠: ١).

(٥) (مت: ٢٨: ١٩).

(٦) (يو ٢٠: ٢٢-٢٣).

(٧) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٤٧)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص١٥).

(٨) (مر ٩: ٣٥).

السماوات"(١).

وعندما اغتاظ الرسل من طلبي ابني زبدى: فدعاهم يسوع وقال لهم: "أنتم تعلمون أن رؤوساء الأمم يسودونهم والعظماء يتسلطون عليهم، فلا يكون هكذا فيكم، بل من أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً، ومن أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن لكم عبداً، كما أن ابن الإنسان لم يأت ليُخدم بل ليخدِم، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين"(٢).

أما بالنسبة للأدلة التي استدلوا بها فمردودة عليهم من عدة أوجه:

(أ) قوله: "على هذا الصخر أبني كنيستي"(٣).

إن المقصود بالصخرة هنا صخرة الإيمان التي بنيت عليها الكنيسة وليس بطرس نفسه، يقول يوحنا ذهبي الفم: "على هذه الصخرة أبني كنيستي، أي على إقرار الرسول وهو: أنت المسيح ابن الله الحي". تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وهذا هو التفسير الصحيح -برأي الأرثوذكس- الذي يستريح له العقل، والضمير الصالح لأنه حاشا للرب أن تبنى كنيسته على إنسان ضعيف، بل أكثر الرسل ضعفاً حيث إنه أنكر سيده ثلاث مرات متتالية أمامه وأمام أحقر الناس وأضعفهم "جواري وخدم رئيس الكهنة" بالرغم من تحذير الرب له بشدة قبل ذلك السقوط بساعات قليلة(٤).

(ب) عندما نقرأ نفس الإصحاح باقي الأعداد، يظهر بوضوح تناقض الكنيسة الكاثوليكية في تفسيرها لما جاء في (متى ١٦: ١٨)، ففي نفس الإصحاح جواب يسوع لبطرس عندما جرب أن يبعده عن طريق الصلب، "فالتفت إليه وقال لبطرس: اذهب عني يا شيطان، أنت معثرة لي، لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس"(٥)، فمن المستحيل أن يقول

---

(١) (مت ١٨: ٣).

(٢) (مت ٢٠: ٢٥-٢٨).

(٣) (مت ١٦: ١٦).

(٤) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٤٧)، كنز النفائس: (ص١٧-١٨)، الحجة الأرثوذكسية: (ص١١٨-١٢٢).

(٥) (مت ١٦-٢٣).

يسوع لبطرس: أنت الصخرة التي أبني عليها كنيستي، وفي نفس الإصحاح واللحظة تُرى كلمات التوبيخ المخيفة، والحقيقة التي لا مناص منها أن الفكرة القائلة بأن بطرس هو صخرة الكنيسة تجديف على الرب، فحاشا أن يكون بطرس هو أساس الكنيسة، وقد وبخه يسوع بتلك الطريقة القاسية التي لم يوبخ بها تلميذاً آخر(١).

(ج) أما عن قول يسوع للقديس بطرس ثلاث مرات: "يا سمعان بن يونا أتحبني. . . ارع غنمي" فهنا توبيخ له لإنكاره سيده ثلاث مرات متتالية، بالرغم من وعده للمسيح بأن يطيعه مهما أصابه، لذا خاطبه باسمه الأول وليس الاسم الذي دعاه به، لعدم استحقاقه أن يحمل هذا الاسم، ولو كان الأمر كما يزعمون فلماذا حزن الرسول لهذا التكرار؟! فقد كان الأجدر به أن يفرح لتقلده الرئاسة على الكنيسة، أما حزنه فلأنه فهم من كلام المخلص توبيخاً لا تكريماً.

قال القديس غريغوريوس: "إن الرب بتثليث السؤال والإقرار يشفى بتثليث الجحود والإنكار"(٢).

وبحسب أقوال الآباء، فإن خطاب يسوع المثلث لبطرس بعد قيامته ما كان إلا تقويماً لأمره، وإعادة لرتبته عديلاً لإخوته، لا رئيساً ولا متسلطاً على بقية الرسل.

ثانياً: بالنسبة لادعائهم رئاسة البابا الروماني على الكنيسة المنظورة.

إن هذه الرئاسة لا أساس لها من الصحة، ولا سند لها من الكتاب المقدس أو في قوانين الكنيسة، وأن الذي ساعد باباوات روما على حمل هذا اللقب هو الضرورة المدنية والظروف السياسية التي سادت العصور الوسطى باعتبار روما عاصمة الإمبراطورية(٣).

---

(١) انظر: العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس: الفصل الأول.

(٢) موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٥٠)، وانظر: الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص٧٨)، الحجة الأرثوذكسية: (ص١٢٨-١٣٣)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص٢٠-٢٢).

(٣) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٥٠)، كنز النفائس: (ص١٩)، الحجة الأرثوذكسية: (ص١٢٣)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص٢٦)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص٧٩).

جاء في كتر النفائس: "إنه من رابع المستحيلات أن يتبرهن من الكتاب المقدس أن بطرس الرسول ذهب إلى رومية وأسس كنيستها وصار أسقفاً لها كما يزعم أخوتنا الغربيون. . . . ؛ لكن البابوات لأسباب عالمية ومصالح سياسية تمكنوا بخرافات كثيرة من أن يذيعوا هذه الأكذوبة في الغرب وأن يصدقوها هم أنفسهم أيضاً، وأن يعتبروا أنفسهم إلى أيامنا هذه خلفاء لبطرس"(١).

ثالثاً: ادعاؤهم العصمة في التعليم.

هذه العقيدة كما يراها المخالفون باطلة ومردودة من وجوه:

أ- إن الباباوات أنفسهم لم يعرفوا بأمر عصمتهم إلا بعد (١٨٠٠) عام، حيث أعلن الأمر كقانون للإيمان، ومما جاء فيه:

وأقر أيضاً وأقبل -بدون شك- كل الأشياء التي سلمتها وحددتها ونادت بها بواسطة القوانين والمجامع المسكونية. . . . وما سلمته ونادت به في المجمع المسكوني الفاتيكاني وخاصة ما كان في شأن رئاسة الحبر الروماني وسلطانه المعصوم، حيث أضيفت العبارة الأخيرة بأمر رسمي في يناير (١٨٧٧م)(٢).

ب- إنه يلزم من مبدأ العصمة البابوية أن كل المنشورات البابوية التي تسيء إلى الإيمان الأول هي معصومة وغير قابلة للتغيير، وأنها أجزاء من العقائد الدينية التي تقبلها الكنيسة الكاثوليكية، وهذا يتناقض تماماً مع ما سجله التاريخ، حيث كان حب الرئاسة والاستبداد سائداً في البلاط البابوي، وكان يعتلي عرش البابوية أناس ذو سياسات خرقاء، مسببين بذلك الكثير من العثرات والاضطرابات في الكنيسة، ومن تلك القرارات والمنشورات:

---

(١) كتر النفائس: (ص١٦-١٧).

(٢) انظر: اللاهوت النظامي: (ص١٠٣)، موسوعة علم اللاهوت: (٤٥١/٤)، العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس: الفصل الثاني.

(أ) إن البابا عنده السلطة العليا ليس فقط على العالم المسيحي وإنما على العالم أجمع، كما قرر ذلك بولس الرابع.

(ب) البابا وحده عنده سلطة محو كل الخطايا، كما قرر ذلك البابا **INNOCENT3**.

(ج) البابا بحق إلهي يستطيع أن يعطي الأمراء السلطة لاستعباد الأمم، على أن لا تكون كاثوليكية، وهذا ما فعله البابا نيكولاس الخامس سنة (١٥٥٤م) حين أعطى الملك الفونسو البرتغالي أن يملك الأراضي الإسلامية على الشاطئ الغربي لأفريقيا، وأن يخضع شعبها للاستعباد.

(د) الأحكام الظالمة التي كانت تصدر في أوربا من محاكم التفتيش، حيث كانت عقيدة بابوية أن أشخاصاً يجب أن يحرقوا إذا كانت عقيدتهم مخالفة للكنيسة الكاثوليكية.

وبعد تعداد هذه الأخطاء تكون الكنيسة الرومانية بهذه العقيدة الجديدة قد أكملت ارتدادها عن الإيمان المسيحي، إذ تكون قد نسبت صفات إلهية إلى إنسان خاطئ، إذ العصمة لله وحده[١].

ج- إن هذه العقيدة تناقض ما جاء في الكتاب المقدس الذي يعلم بأنه ليس باراً ولا واحداً بل الكل زاغوا وفسدوا[٢]، كما يقول يوحنا الرسول: "إن قلنا أنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا، إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل، حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم، إن قلنا أننا لم نخطئ نجعله كاذباً وكلمته ليست فينا"[٣].

---

(١) انظر: اللاهوت النظامي: (ص١٠٤)، موسوعة علم اللاهوت: (٤٥١/٤)، كنز النفائس: (ص١٦)، الشرقيون في المجمع الفاتيكاني الأول: (ص٤٥).

(٢) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٤٥١/٤)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص٧٩)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص٣٢).

(٣) (١يو: ٨-١٠).

د- إن هذه العقيدة باطلة كما ثبت من قرارات المجامع التي حكمت على كثير من باباوات روما بالهرطقة، ومخالفة العقيدة السليمة وهي على سبيل المثال لا الحصر:

البابا ليباريوس في القرن الرابع كان آريوسياً، والبابا زوسيموس في القرن الخامس كان ينكر وراثة الخطيئة الجدية، وتم الحكم على البابا ويجيليوس والبابا أنوريوس المدعين للعصمة بكونهما خارجين عن المعتقد والشريعة، وساقطين في الهرطقة(١).

ه- من الأمور التاريخية التي تنفي الادعاء بالعصمة وجود أكثر من بابا في نفس الوقت يتصارعون على الرئاسة فأيهم كان البابا الصحيح؟!

ومن ثم الانشقاق المهول الذي حدث في كنيسة رومية في الجيل الرابع عشر، والذي أدى إلى انقسامها لقسمين متضاربين متحاربين، الأمر الذي كان ينادي بكل صراحة إلى بطلان الادعاء بعصمة الباباوات، أو ضرورة الإقرار برئاستهم للخلاص الروحي، قال صاحب خلاصة تاريخ الكنيسة "مؤرخ بابوي": "لكن الانشقاق لم يزل قائماً والشرور تتفاقم مع كل ما يبذل من الاجتهاد في إزالتها؛ لأن إصرار طالبي البابوية وغيرة الكاردينالية ذوي الأحزاب المختلفة وتحزب الملوك، كانت توهم تأييد الانشقاق، لكن الله سبحانه قد وعد الكنيسة بالثبات والتأييد، فلم يهملها في هذا الخطر العظيم، بل مهد أمامها موانع الاتحاد التي كانت تصدرها عن أغراض عالمية، وتم الاتحاد في مجمع عقد سنة (١٤١٤م) بعدما تنازل غريغوريوس الثاني عشر من تلقاء إرادته، وانحط يوحنا الثالث والعشرون الذي كان وعد بالعدول عن الحبرية، وتنازل أيضاً بنديكتوس الثالث عشر، واختار المجمع مرتينوس الخامس وعرفه الجميع وحده بابا قانونياً وحبراً أعظم وحيداً".

هذا ما كتبه المؤرخ البابوي بنصه، فوقوع مثل هذا الانقسام المريع والحرب بين الباباوات المتنازعين والأساقفة المتخاصمين وبين الشعوب المكثلكة، مضافاً إليها انحراف بعض الباباوات عن منهج الاستقامة يبطل دعواهم بأن البابا له شركة مع الفادي في

---

(١) انظر: كتر النفائس: (ص١٩)، الحجة الأرثوذكسية: (ص١٣٩)، موسوعة علم اللاهوت: (٤٥١/٤)، تنوير الأذهان بما في الكنيسة الرومانية من الزيغان: (ص١٧٧-١٧٨، ١٨٨).

أساسيات الديانة، أو أنه معصوم عن الخطأ في تصرفاته البابوية، والحال أن الباباوات أناس قابلين للهفوات والسقطات كبشر(١).

و- لو أن البابوات معصومون عن الخطأ فإنهم يتفقون بالتأكيد في تعاليمهم، ولكن التاريخ يظهر أنهم ناقضوا بعضهم البعض، ومن أمثلة ذلك:

(١) إن البابا غريغوري الأول يعتبر كل شخص يسمي نفسه (أسقفاً للعالم) أنه ضد المسيح؛ ولكن كل الباباوات في هذا العصر يحملون هذا اللقب!.

(٢) نشر البابا سكستوس الخامس إحدى طبعات الكتاب المقدس للكنيسة البوهيمية؛ ولكن البابا بيوس الثاني ألغى هذا القرار.

(٣) أباح البابا هدريان الثاني الزواج المدني واعتبره شرعياً؛ ولكن البابا بيوس الرابع أدانه.

(٤) أبطل البابا كليمنت الرابع عشر قانون اليسوعين الذي سمح به البابا بولس الثالث ولكن البابا بيوس السابع أعاده.

إن الاختلافات والتناقضات التي يظهرها التاريخ بين الباباوات لا تعد ولا تحصى من كثرتها، ولعل هذا يرينا أنه إذا تناقض اثنان من الباباوات أفلا يكون أحدهما غير معصوم؟! (٢).

يتضح مما سبق، ومما مرَّ خلال الفصول السابقة التناقضات العجيبة التي تعج بها النصرانية والتي كان من أبرز آثارها:

(١) الخلافات العميقة بين الطوائف، والانقسامات المتفاقمة التي مزقت جسد الكنيسة.

(٢) الحروب الدينية الطاحنة، والتي ذهب ضحيتها ملايين البشر من النصارى.

(٣) التكذيب واللعن والتكفير، يقول ابن القيم رحمه الله: "وقد اشتملت هذه المجامع العشرة المشهورة على زهاء أربعة عشر ألفاً من الأساقفة والبطاركة والرهبان، كلهم يكفر بعضهم بعضاً، ويلعن بعضهم بعضاً، فدينهم إنما قام على اللعنة بشهادة بعضهم على بعض،

---

(١) انظر: الحجة الأرثوذكسية: (ص١٤١-١٤٢)، موسوعة علم اللاهوت: (٤٥١/٤).

(٢) انظر: العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس: الفصل الثاني.

وكل منهم لاعن ملعون. . . . ولو عرض دين النصرانية على قوم لم يعرفوا لهم إلهاً لامتنعوا عن قبوله"(١).

(٤) الحيرة والاضطراب والشك في نفوس الأتباع، هل هذا هو الدين الذي جاء به المسيح عليه السلام؟!

والأثر الأخير يحمل في طياته منحاً عظيمة لمن أراد الله أن ينير بصيرته ويقوده للبحث عن الصراط المستقيم، مما يذكره أحد نصارى مصر -ومثله كثير(٢)- عن السبب الذي قاده إلى الإسلام هو تلك الحيرة التي اضطربت لها نفسه: "في عام (١٩٧١م) أصدر البطرك شنودة قراراً بحرمان الراهب روفائيل (راهب دير مينا) من الصلاة؛ لأنه لم يذكر اسمه في الصلاة، وقد حاول إقناعه الراهب "صموئيل"، بالصلاة فإنه يصلي لله وليس للبطرك؛ ولكنه خاف أن يحرمه البطرك من الجنة أيضاً! ! !

وتساءل الراهب صموئيل هل يجرؤ شيخ الأزهر أن يحرم مسلماً من الصلاة؟ مستحيل، أشد ما كان يحيرني هو معرفتي بتكفير كل طائفة مسيحية للأخرى، فسألت القمص "ميتاس روفائيل" فأكد هذا وأن هذا التكفير نافذ في الأرض والسماء.

- فسألته متعجباً: معنى هذا أننا كفار بتكفير بابا روما لنا؟!
- أجاب: للأسف نعم.
- فسألته متعجباً: وباقي الطوائف كفار بسبب تكفير بطرك الإسكندرية لهم؟!
- أجاب للأسف: نعم.
- سألته: وما موقفنا يوم القيامة؟
- أجاب: الله يرحمنا!

وعندما دخلت الكنيسة وجدت صورة المسيح وتمثاله يعلو هيكلها، فسألت نفسي: كيف يكون هذا الضعيف المهان الذي استهزئ به وعذب رباً وإلهاً؟!

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم الجوزية، تحقيق أحمد الرفاعي، دار قتيبة، الطبعة الأولى: (ص٤٦٦).

(٢) انظر: حبي العظيم للمسيح قادني إلى الإسلام، سايمون الفريدو كارابللو، ترجمة أحمد عبد الفتاح الليثي، عادوا إلى الفطرة (٧٠) قصة حقيقية مؤثرة، اعداد: أبو إسلام أحمد بن علي، الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ.

فمن المفروض أن أعبد رب هذا الضعيف الهارب من بطش اليهود، وتعجبت حين علمت أن التوراة قد لعنت الصليب والمصلوب عليه، وأنه نجس وينجس الأرض التي يصلب عليها، كما جاء في سفر التثنية: "وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت فقتل وعلقته على خشبة، فلا تبت جثته على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم، لأن المعلق ملعون من الله، فلا تنجس أرضك التي يعطيك الرب إلهك نصيبك"(١).

وفي عام (١٩٨١م) كنت كثير الجدل مع جاري المسلم، وذات يوم كلمني عن العدل في الإسلام في الميراث والطلاق والقصاص. . . إلخ.

- ثم سألني هل عندكم مثل هذا؟!
- قلت: لا.

وبدأت أسأل نفسي، كيف أتى محمد بكل هذه التشريعات المحكمة والكاملة في العبادات والمعاملات بدون اختلافات؟!

وكيف عجزت مليارات اليهود والنصارى عن إثبات أنه مخترع؟

ومن عام (١٩٨٢م) وحتى (١٩٩٠م) وأنا في حالة بحث وسماع الأحاديث النبوية "قليلة الكلام كثيرة المعاني جميلة الألفاظ والسياق"، فعرفت وقتها أن هذا الرجل نبي عظيم، فدعوت الله أن يهديني ويرشدني، وبعد عشرة أشهر أعلنت إسلامي، وها أنا اليوم أدعو الله أن يحييني على الإسلام ويميتني على الإيمان(٢)، فالهداية للإسلام والثبات عليه، من أعظم نعم الله على عبده، والواجب على المسلم شكر هذه النعمة والقيام بحقها قولا وعملا واعتقادا ودعوة.

---

(١) (تث ٢١: ٢٢ – ٢٣)

(٢) انظر: اظهار الحق قساوسة وعلماء ومستشرقون أشهروا إسلامهم لماذا وكيف؟ ، محمد عبد الحليم عبد الفتاح: (ص٥٩ – ٦٤).

المبحث الثالث: العصمة في الإسلام

أ- رفض الإسلام رفضاً قاطعاً ما اعتنقته الكنيسة الرومانية من القول بعصمة رجال الدين ولزوم طاعتهم، حيث عُدَّ ذلك من صرف العبادة لغير الله، قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [سورة التوبة ٣١].

عن عدي بن حاتم ﷺ أنه قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال: «يا عدي اطرح عنك هذا الوثن، وسمعته يقرأ في سورة براءة ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قال: أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكن كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه«(١).

قال الألوسي: "والآية ناعية على كثير من الفرق الضالة الذين تركوا كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام لكلام علمائهم ورؤسائهم، والحق أحق بالاتباع، فمتى ظهر وجب اتباعه"(٢).

ب- لا عصمة في الإسلام إلا للأنبياء فيما تحملوه من أمور الرسالة وتبليغها: قال ابن تيمية رحمه الله: "فالأنبياء كلهم صادقون مصدقون معصومون فيما يخبرون به عن الله لا يجوز أن يثبت في خبرهم عن الله خبر باطل لا عمداً ولا خطئاً، فلا يجوز أن يخبر أحدهم بخلاف ما أخبر به غيره، ولا يفترقون في الدين الجامع كما قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [سورة الشورى ١٣]

---

(١) سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق أحمد شاكر وآخرون، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها: (٢٧٨/٥ ح٣٠٩٥) قال الألباني: حديث حسن.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود الحسيني الألوسي، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: (٢٧٦/٥).

وإنما يقع النسخ في بعض الشرائع، كما يقع النسخ في شريعة الرسول الواحد"(١)، وعلى هذا أجمعت الأمة(٢).

ج- أما العصمة في غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة فالذي عليه جمهور أهل العلم: "عصمة الأنبياء من الكبائر دون الصغائر، وأنهم معصومون من الإقرار على الذنوب مطلقاً، وأنهم وإن وقع منهم زلات من جنس ذلك فإنهم يتداركونها بالتوبة والإنابة، ثم يرتقون إلى مترلة أعلى من المترلة التي كانوا عليها قبل الذنب"(٣)، يقول ابن تيمية رحمه الله موضحاً مسألة عصمة الأنبياء: "فإن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام كما ذكر أبو الحسن الآمدي: أن هذا هو قول أكثر الأشعرية، وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول"(٤).

وقال أيضاً عن أهل السنة: "هم متفقون على أنهم لا يقرون على خطأ في الدين أصلاً، ولا على فسوق ولا كذب ففي الجملة: كل ما يقدح في نبوتهم وتبليغهم عن الله فهم متفقون على تتريههم عنه، وعامة الجمهور الذين يجوزون عليهم الصغائر يقولون أنهم معصومون من الإقرار عليها، فلا يصدر عنهم ما يضرهم، كما جاء في الأثر: «كان داود بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة ﴿والله يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [سورة البقرة ٢٢٢] »(٥).

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (٤٨٥/١).

(٢) نقل الإجماع على العصمة في هذا غير واحد، انظر: لوامع الأنوار البهية: (٣٠٥/٢).

(٣) النبوات: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق عبد العزيز الطويان، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى: (٨٧٤/٢).

(٤) مجموع الفتاوى: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق أنور الباز، عامر الجزار، دار الوفاء، الطبعة الثالثة: (٣١٩/٤).

(٥) منهاج السنة النبوية: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق، محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى: (٤٧٢/١).

د- أما العصمة عن غير الأنبياء فباب مسدود لم يقم عليه دليل ولا برهان، بل الدليل والحجة على خلافه، حتى أفضل هذه الأمة بعد نبيها محمد ﷺ الصحابة رضي الله عنهم وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ليسوا بمعصومين، وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعد توليه الخلافة: "أيها الناس إني وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أخطأت فقوموني".

وعندما اعترضت امرأة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "أصابت امرأة وأخطأ عمر"(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال الغلام تدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: "وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة، إلا أني خدعته فلقيني فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه"(٢).

وفي هذا الحديث بيان عدم عصمة غير الأنبياء، وأن المحفوظ قد يقع في الحرام ولكن عناية الله بأوليائه ألاَّ يترك الحرام يقيم في باطنهم(٣).

ه- الداعون إلى معصوم بجميع طوائفهم لا يدعون إلى سلطان معصوم، بل إلى سلطان كفور أو ظلوم، وهذا أمر مشهور يعرفه كل من له خبرة بأحوالهم، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [سورة النساء ٥٩].

فأمر الله المؤمنين عند التنازع بالرد إلى الله والرسول، ولو كان للناس معصوم غير الرسول لأمرهم بالرَّد إليه، فدل القرآن الكريم على أنه لا معصوم إلا الرسل(٤) عليهم الصلاة والسلام.

---

(١) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية: (٢٩٩/١)، الرسل والرسالات: عمر سليمان الأشقر، دائر النفائس، الطبعة الرابعة: (ص١١٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب مناقب الأنصار، باب أيام الجاهلية: (٤٢٢/٩/ح٣٨٤٢).

(٣) لواقح الأنوار القدسية في العهود المحمدية: عبد الوهاب الشعراني، مطبعة الميمنة، مصر: (ص١٣٧).

(٤) انظر: منهاج السنة النبوية: (٣٨١/٣).



التناقض حول الخلاص

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الخلاص.

المبحث الثاني: شرط الخلاص عند البروتستانت.

المبحث الثالث: شرط الخلاص عند الأرثوذكس والكاثوليك.

المبحث الرابع: غفران الخطايا في الإسلام.



الفصل السابع

التناقض حول الخلاص

تمهيد:

تعد عقيدة الخلاص من الركائز الأساسية التي استقرت في دين النصارى، بل هي قطب الرحى الذي تدور حوله جميع عقائدهم، حيث يعتقد النصارى بجميع طوائفهم أن يسوع المسيح هو المخلص الوحيد الذي قدم نفسه على الصليب ليفتدي الجنس البشري من لعنة الخطيئة(١).

جاء في قانون إيمانهم: "نؤمن برب واحد يسوع المسيح، الذي من أجلنا نحن البشر وفي سبيل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء، وتأنس وصُلب على عهد بيلاطس"(٢).

وعن أهمية هذه العقيدة ومحوريتها في دينهم يقول عوض سمعان: "من المعلوم أن الديانة المسيحية بجملتها تقوم أو تسقط بقيام فكرة الخلاص والخطيئة أو سقوطها"(٣)، ومع اتفاقهم على أهمية هذه العقيدة إلا أنه لهم خلافات كثيرة في موضوع الخلاص، من أهمها الخلاف في مسألة الإيمان والأعمال(٤).

---

(١) انظر: كنز النفائس: (ص١٦٨)، الفروق العقيدية: (ص١٤ – ١٧)، موسوعة علم اللاهوت: (١/١٠٠-١٠٢)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص٧٩)، أصول التعليم المسيحي "الكتاخيسمس الصغير": (ص٨٤)، مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص٣٠)، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية: (ص٥٢٩)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٢٨٧).

(٢) قانون الإيمان: (ص١١-٦١)، الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (١/٤٤)، أصول التعليم المسيحي: "الكتاخيسمس الصغير": (ص١٦).

(٣) فلسفة الغفران: عوض سمعان: (ص١٩٢)، نقلاً عن تأثر المسيحية بالأديان الوضعية: (ص٥٢٩).

(٤) كنز النفائس: (ص٥١، ١٧٢)، وانظر: اللاهوت المقارن: البابا شنودة (١/١٣)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص٧٩)، حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص٢٥٠)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص١٦٦).

المبحث الأول: تعريف الخلاص.

يعتقد النصارى بجميع طوائفهم أن يسوع المسيح هو المخلص الوحيد للبشرية [١].

المطلب الأول: الخلاص لغة.

الخاء واللام والصاد أصل واحد مطرد، وهو تنقية الشيء وتهذيبه[٢]، خَلَص الشيء -بالفتح- يَخْلُصُ خُلوصاً، أي: صار خالصاً.

وخلص إليه الشيء: أي وصل، ويقال: خلص فلان إلى فلان، أي وصل إليه.

وخَلَص: إذا سلم ونجا، ومنه حديث هرقل "أني أخلص إليه"[٣].

والتخليص: التنجية من كل منشب، تقول: خلصته من كذا تخليصاً، أي نجيته تنجيةً، فتخلَّص.

وتخلَّصه تخلُّصاً كما يتخلص الغَزْل إذا التبس، ويَخْلُص الرجل خُلُوصاً وخَلاصاً إذا كان قد نشب ثم نجا وسلم.

وأخلص لله دينه: أمحضه، وأخلص الشيء: اختاره.

والمُخلَص: الذي أخلصه الله، أي جعله مختاراً خالصاً من الدنس، والمُخلِص: الذي وحد الله تعالى خالصاً.

---

(١) انظر: كنز النفائس: (ص١٦٨)، الفروق العقيدية: (ص١٤ – ١٧)، موسوعة علم اللاهوت: (١/١٠٠-١٠٢)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص٧٩)، أصول التعليم المسيحي "الكتاخيسمس الصغير": (ص٨٤)، مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص٣٠)، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية: (ص٥٢٩)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٢٨٧).

(٢) معجم مقاييس اللغة: (٢/٢٠٨).

(٣) قال هرقل لأبي سفيان: ". . . فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارجٌ، ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه". أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله: (١/٨ح٧).

وهذا الشيء خالصةً لك: أي خاصة(١).

وعلى هذا فلفظ "خلص" يحمل معنى التخليص، والخلاص: بمعنى السلامة والنجاة.

وقد وردت هذه الكلمة في مصادر النصارى بمعاني تخدم فكرهم عن الخلاص(٢).

فيراد بالخلاص في العهد القديم: النجاة من الشر أو الخطر، فقال موسى للشعب: "لا تخافوا، قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم، فإنه كما رأيتم المصريين اليوم، لا تعودون ترونهم أيضاً إلى الأبد"(٣)، "فخلصهم من أجل اسمه، ليعرف بجبروته، وانتهر بحر سُوفٍ فيبس وسيرهم في اللجج كالبرية، وخلصهم من يد المبغض وفداهم من يد العدو"(٤).

أما في العهد الجديد فقد خلع عليها معنى آخر: هو إنقاذ الخطاة بالإيمان بيسوع المسيح.

وهذا هو المراد عينه بعبارات "يوم الخلاص"؛ لأنه يقول: "في وقت مقبول سمعتك، وفي يوم خلاص أعنتك"(٥)، وعبارات أخر غيرها.

وينطوي تحت معنى الخلاص في العهد الجديد غفران الخطية، والخلاص من ربقتها ونتائجها وتطهير النفس وأفراح العالم الأزلي، ومما جاء في ذلك:

"فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع؛ لأنه يخلص شعبه من خطاياهم"(٦).

"وإذا كمل صار لجميع الذي يطيعونه سبب خلاص أبدي"(٧)(٨).

---

(١) انظر: لسان العرب: (٧ /٢٦)، مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ: (ص١٩٦).

(٢) انظر: الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه، د. أحمد علي عجيبة، دار الأفاق العربية، الطبعة الأولى: (ص٤٦).

(٣) (خر ١٤: ١٣).

(٤) (مز ١٠٦: ٨ – ١٠).

(٥) (٢ كو ٦: ٢)

(٦) (مت ١: ٢١)

(٧) (عب ٥: ٩)

(٨) قاموس الكتاب المقدس: (ص٦٩١).

"والواقع أن كلمة الخلاص في اللغتين العبرية واليونانية تعني: النجاة، والأمان والحفظ والشفاء والصحة، فالإنسان الخاطئ في حاجة إلى النجاة من سلطان الشيطان، والأمان من دينونة الله العادلة والحفظ في يد المسيح القوية، والشفاء من لعنة الخطية، والصحة الروحية التي تكفل له القوة والانتصار، وهو يجد في خلاص الله كل هذه البركات، وقد تجمعت في كلمة "الخلاص" الفريدة كل تدبيرات الله، فهي تحوي التبرير والتبني والفداء والكفارة والغفران والتقديس والتمجيد، وفي عبارة واحدة نقول: أنها تحوي كل خطة الله بالنسبة للإنسان"(١).

يقول الأنبا غريغوريوس: "كلمة الخلاص في اللغة معناها الإفلات أو النجاة من خطر أو شر ما، ويأتي في الكتاب المقدس بثلاثة معانٍ(٢):

المعنى الأول: الخلاص من عدو ظاهر أو من شدة أو من مرض أو من شر مادي.

وبهذا المعنى نجد نصوصاً كثيرة في الكتب المقدسة، فموسى النبي كان يكلم شعبه حينما خرجوا وخرج من ورائهم فرعون وجنوده وأدركوهم عند البحر الأحمر، وحينئذ خاف الشعب جداً وارتجفوا ولكن موسى أخذ يعزيهم ويقول: "قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يجريه لكم اليوم"(٣)، وإلى هذا المعنى يشير إشعيا النبي بقوله: "فصار لهم مخلصاً في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلصهم بمحبته ورأفته، هو فكهم"(٤).

وبهذا المعنى المادي الواضح جاء كلام المسيح حينما تكلم عن الأبرص الذي شفي من برصه، قال له: "قم وامض، إيمانك خلصك"(٥).

---

(١) يقين الخلاص، القس: لبيب ميخائيل –راعي الكنيسة المعمدانية الكتابية الأولى بشبرا– مصر، لجنة مطبوعات الكنيسة المعمدانية الكتابية الأولى، الطبعة الأولى: (ص٨).

(٢) انظر: اللاهوت العقيدي، الأنبا غريغوريوس، منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس: (٢/٢٥٢-٢٦٦).

(٣) (خر ١٤: ١٣)

(٤) (إش ٦٣: ٨ – ٩)

(٥) (لو ١٧: ١٩)

المعنى الثاني: الخلاص من الهلاك الأبدي أو ما يؤدي إلى هذا الهلاك، وينطوي تحت هذا المفهوم الخلاص من الخطيئة، الخلاص من عبودية الشيطان، والخلاص من الجحيم.

وبهذا المعنى جاءت نصوص كثيرة في الكتب المقدسة منها: "في وقت مقبول سمعتك، وفي يوم الخلاص أعنتك، هو ذا الآن وقت مقبول، هو ذا الآن يوم خلاص"(١)، وبهذا المعنى يقول مار يعقوب الرسول: "من رد خاطئاً عن ضلال طريقه قد خلص نفساً من الموت"(٢) فالخلاص من الموت هنا خلاص من الموت الروحي، لأنه خلاص من الضلال.

وعن هذا الخلاص تكلم سمعان الشيخ عندما حمل الطفل يسوع على يديه وبارك الله قائلاً: "الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام، لأن عيني قد أبصرتا خلاصك، الذي أعددته قدام وجه جميع الشعوب"(٣).

وهذا المعنى كان يشير إليه المسيح باستمرار عندما كان يقول: "لأن ابن البشر إنما أتى ليطلب ويخلص ما قد هلك"(٤).

وحينما ظهر الملك في حلم يوسف خطيب العذراء قال له: "وستلد ابناً فتسميه يسوع لأنه هو الذي يخلص شعبه من خطاياهم"(٥)، فحدد هنا معنى الخلاص بأنه خلاص من الخطيئة، ويدخل في هذا النطاق أيضاً كلام المسيح إلى المرأة الخاطئة لما قال لها: "إيمانكِ خلصك فاذهبي بسلام"(٦).

---

(١) (٢ كو ٦: ٢)
(٢) (يع٥: ٢٠)
(٣) (لو ٢: ٢٩ -٣١).
(٤) (لو ١٩: ١٠)، (مت١٨: ١١).
(٥) (مت ١: ٢١).
(٦) (لو ٧: ٥٠).

المعنى الثالث: الخلاص النهائي، ويكون بالثبات في الإيمان والمثابرة على العمل الصالح: فقد يؤمن الإنسان بالمسيح، ويعتمد باسم المسيح، لكن يمكن بعد دقيقة واحدة أن يقع في الخطأ من جديد، ما لم يثابر، وما لم يحرص بمجاهدات روحية على الخلاص الذي تمتع به بإيمانه بالمسيح وبالمعمودية المقدسة.

وهذا هو فضل الجهاد وفضل الكفاح وفضل الحرب، وفضل النضال ضد الخطيئة وضد الجسد، وضد كل عوامل الشر المتلفة للإنسان، لذلك يجب على الإنسان أن يكافح ويناضل في سبيل أن يتمتع بالخلاص ويحتفظ به، ومن هنا أهمية فضل الثبات والمثابرة إذ من الممكن أن يحرم الإنسان نفسه من الخلاص، ومن أجل هذا يقول المسيح: "ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يَخْلُص"(١).

المطلب الثاني: الخلاص اصطلاحاً.

ينصبُّ المعنى الاصطلاحي للخلاص على: " الخلاص من الخطيئة"(٢)، يقول جون ستوت: "والخلاص كما لابد أن نعلم معناه التحرر من الخطية، والتحرر بالتالي من آثارها"(٣).

"ويراد به نجاة كلية من كل خطية وقوتها ونتائجها، ونوال كمال السعادة والراحة الأبديتين"(٤).

والخطية عند النصارى: "هي التعدي على شريعة الله وأحكامه"(٥).

وتنقسم إلى قسمين:

(١) الخطية الجدية "الأصلية".

(٢) الخطية الفعلية.

---

(١) (مت ١٠: ٢٢)، (مر ١٣: ١٣).

(٢) المدخل إلى العهد الجديد، القس: فهيم عزيز، دار الجيل للطباعة: (ص١٨٣).

(٣) المسيحية في جوهرها: (ص١٣١).

(٤) شرح أصول الإيمان: (ص٤٥١).

(٥) قاموس الكتاب المقدس: (ص٦٩٠).

ويقصد بالخطية الجدية عند الأرثوذكس والبروتستانت: "هي الجريمة المتصلة بذرية آدم من جراء خطيئة الجدين الأولين[١]، ولا يستثنى من هذه الذرية إلا واحد فقط"[٢]، هو ربهم يسوع المسيح.

أما الكاثوليك فيعتقدون: "أن الخطيئة الجدية هي الجريمة المتصلة بذرية آدم من جراء خطيئة الجدين الأولين، وأن اثنين فقط يستثنيان منها"[٣]، هما يسوع المسيح وأمه العذراء الدائمة البتولية.

ومع اتفاق النصارى على أنَّ آدم عليه السلام قد أضر بالذنب نفسه ونسله، إلا أنهم مختلفون فيما فقده الإنسان جرآء الخطيئة الأولى؟!

حيث يعتقد الأرثوذكس والكاثوليك: "أن الإنسان من جراء الخطية الأولى قد فقد البر الأصلي فقط، أي الخلود والحكمة الأولى والقداسة الأولى، على أنها قد بقيت فيها بعد الخطية أيضاً الصورة الإلهية، أي العقل والحرية، ولكن في درجة ضعيفة؛ لأن العقل أظلم والإرادة ابتدأت تجنح للشر"[٤].

---

(١) وهي الخطيئة التي أشار الله عز وجل إليها في القرآن الكريم عن آدم عليه السلام وزوجه، كما ذكر الباري تبارك وتعالى توبتهما وقبوله لهذه التوبة. قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [البقرة: ٣٥-٣٧]، وقوله أيضاً: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [طه: ١١٥-١٢٢].

(٢) كتر النفائس: (ص١٦٧)، وانظر: شرح أصول الإيمان: (١٦٩-١٧٠).

(٣) كتر النفائس (ص١٦٧).

(٤) المصدر السابق: (ص١٦٦-١٦٧).

أما البروتستانت فيعتقدون: "أن الإنسان من جراء الخطية الأولى قد فقد بالتمام الصورة الإلهية، أعني العقل وحرية الإرادة والحكمة والقداسة والخلود، وصار عاجزاً على الإطلاق عن صنع الخير والصلاح، وأنه لا يستطيع أن يشاء إلا الشر"(١).

أما الخطية الفعلية: فهي التعدي على شريعة الله، أو عدم طاعتها وذلك بترك ما تفرضه الشريعة أو ارتكاب ما نهت عنه(٢).

والخلاص من الخطيئة عند النصارى يشمل الأزمنة الثلاثة: الماضي، الحاضر، والمستقبل، وله ثلاث صيغ:

الماضي: "تخلصنا" وهذا هو التجديد.

الحاضر: "نحن نخلص" وهذا هو التقديس.

المستقبل: "سنخلص" وهذا هو التمجيد.

ونتيجة لهذا الخلاص -بحسب معتقدهم- ينال الإنسان الحياة الأبدية ويدخل إلى ملكوت الله(٣).

أولاً: التجديد.

يُعرف في الكتاب المقدس بأنه: "الولادة الجديدة"، "الحق الحق أقول لك، إن كان أحد لا يولد من فوق، لا يقدر أنْ يرى ملكوت الله"(٤).

و"الخليقة الجديدة"، "إذاً إنْ كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة"(٥).

و"الحياة من الموت"، "لا تقدموا أعضاءكم آلات إثم للخطيئة، بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات، وأعضاءكم آلات برٍّ لله"(٦).

---

(١) المصدر السابق: (ص١٦٧).

(٢) انظر: اللاهوت النظامي: (ص٣١٧)، قاموس الكتاب المقدس (ص٦٩٠)، معجم المصطلحات الطقسية والكنسية: نسخة الكترونية.

(٣) انظر: الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه: (ص٥٠ – ٥١)، حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص١٩٣).

(٤) (يو ٣: ٣).

(٥) (٢ كو ٥: ١٧).

(٦) (رو ٦: ١٣).

و"استخدم اللاهوتيون غالباً كلمة التجديد أو الولادة الثانية بهذا المعنى: وهو التغير الذي يجريه الله في النفس ونقلها من الموت الروحي إلى الحياة الروحية، فتغير ميولها الطبيعية من الشر إلى القداسة"(١) وهو "غفران الخطيئة التي ولد بها الإنسان والخطايا التي فعلها في ماضي حياته"(٢).

و"جميع الكنائس المسيحية تعتقد باتفاق الآراء أنَّ إعادة الولادة أو كما يقال "التجديد" هو الشرط الذي به يتصالح الإنسان مع الله، ويحصل الغبطة الأبدية التي لأجلها قد علم وعمل وتألم يسوع المسيح"(٣).

وقد كان يسوع بزعمهم: أول من أعلن أن الميلاد الثاني الروحي ضرورة لابد منها لدخول ملكوت الله، وقد قال لنيقوديموس: "الحق الحق أقول لك إنْ كان أحدٌ لا يولد من فوق، لا يقدر أن يرى ملكوت الله"(٤)، وعبارة (إن كان أحد لا) في تعليم يسوع تشير إلى شرط ضروري وعام لرؤية ملكوت الله ودخوله، وعلى ذلك فالميلاد الثاني يُعد جزءاً ضرورياً في المسيحية، بدونه لا يمكن الدخول إلى ملكوت الله"(٥).

وجميع طوائف النصارى تعتقد باتفاق الآراء أن التجديد يجري أولاً: بكلمة الله، وثانياً: بالأسرار التي هي علامات منظورة بها يعطى المؤمنون نعمة الروح القدس غير المنظورة(٦).

إلا أنَّ لهم خلاف حول هذه الأسرار، كما سيأتي بيانه بمزيد من التفصيل في الفصل التاسع(٧).

أما عن كيفية الحصول على التجديد، فإنَّ الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية: "تعتقد أنَّ الإنسان يحصل على التجديد بإنهاض وعضد نعمة الروح القدس، لأنه متى دُعي فرجع إلى الله تفعل فيه نعمة الروح القدس الفعل الذي يسميه الكتاب المقدس: التجديد،

---

(١) اللاهوت النظامي: (ص٤٦١).

(٢) الخلاص في الكتاب المقدس، نادية منيس: (ص٩)، نقلاً عن الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه: (ص٥١).

(٣) كنز النفائس: (ص١٦٩).

(٤) (يو ٣: ٣).

(٥) حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص١٩٣).

(٦) كنز النفائس: (ص١٧٤).

(٧) انظر الصفحة: (٢٩٦).

وإعادة الولادة والإقامة من الأموات، وحينئذٍ يصير جديداً ويولد ثانية، ويقوم فيتميز عن الإنسان العتيق المائت، أي: الإنسان الطبيعي الذي هو خارج النعمة، وفعل النعمة هذا يشهد به الكتاب المقدس شهادة صريحة واضحة[١]، ولكنه يبقى في الإنسان المتجدد نفسه آثار من الحياة العتيقة أو الإنسان العتيق"[٢].

أما الكنيسة البروتستانتية: "فتعتقد أنه بحسب كون الإنسان ليس له قوة لعمل الصلاح بل هو ميت أدبياً، فالتجديد لا يمكن أن يبدأ ويتم فيه إلا بفعل الروح القدس فقط"[٣].

أما: لِمَنْ تُقدم مؤازرة الروح القدس الضرورية للتجديد؟

فإنَّ الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية: "تعتقد أنَّ مؤازرة الروح القدس الضرورية للتجديد تقدم لجميع الناس بلا استثناء، ويمكن أنْ تُرفض منهم"[٤].

أما الكنيسة البروتستانتية فتعتقد أنها: "لا تقدم لجميع البشر، بل الذين سبق تعينهم للخلاص بحسب مطلق مشيئة الله الأزلية، وأنَّ هذه النعمة لا يمكن أنْ تدفع أو ترفض منهم، وعليه فبحيث أنَّ الله قد سبق فعينهم للخلاص، فإن أرادوا أو أبوا فسيخلصون"[٥].

ثانياً: التقديس.

للتقديس معنيان:

(١) التطهير طقسياً أو أخلاقياً.

(٢) تخصيص أشخاص أو أدوات أو غيرها من الجماد لهدف ديني.

والمقصود بالتقديس الأخلاقي عند النصارى: "عمل نعمة الله المجانية الذي به نتجدد في جميع قوانا حسب صورة الله، ونزداد قدرةً حتى أننا شيئاً فشيئاً نموت عن الخطية ونحيا على البر"[٦].

---

(١) راجع: (يو ٣: ٧)، (٢ كو ٥: ١٧)، (أف ٥: ١٤)، (رو ٦: ٤).

(٢) كنز النفائس: (ص١٧٠).

(٣) المصدر السابق: (ص١٧٠).

(٤) المصدر السابق: (ص١٧٠).

(٥) المصدر السابق: (ص١٧١).

(٦) اللاهوت النظامي: (ص٤٨٣).

و"بالتقديس تتطهر النفس من دنس الخطيئة ومن سلطتها، وتتزين بالنعم الروحية التي تعدها للأفراح السماوية"(١)، "اتبعوا السلام مع الجميع، والقداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب"(٢).

وللتقديس عند النصارى فوائد منها:

١) إنَّ النفس بعد التجديد تميل إلى الخطية ميلاً لا يزول إلا شيئاً فشيئاً بواسطة تكميل التقديس.

٢) نتيجةً لوجود الميل إلى القداسة والميل إلى الشر في قلب المؤمن، تقوم حرب روحية مدة عمر المؤمن، فهو إنسان جديد وإنسان عتيق في نفس الوقت، لكنه بواسطة التقديس يخلع الإنسان العتيق ويلبس شيئاً فشيئاً الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر والقداسة والحق(٣)، "أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور، وتتجددوا بروح ذهنكم وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق"(٤).

وعن الفرق بين الولادة الثانية "التجديد" وبين التقديس جاء في شرح أصول الإيمان مانصه: "إن الولادة الثانية هي إنشاء الحياة الجديدة الروحية في النفس، وأما التقديس فهو حفظ هذه الحياة، وإخضاع ما يقاومها ويضعفها بل هو تقوية هذه الحياة الجديدة حتى تنمو إلى قياس قامة ملء المسيح"(٥).

و"علاقة التقديس بالتجديد كعلاقة النمو بالولادة"(٦).

---

(١) قاموس الكتاب المقدس: (ص١٤).
(٢) (عب ١٢ – ١٤).
(٣) انظر: اللاهوت النظامي: (ص٤٨٦).
(٤) (أف ٤: ٢٢ – ٢٤)
(٥) شرح أصول الإيمان: (ص٢٤٤).
(٦) اللاهوت النظامي: (ص٤٨٦).

وللتقدم في التقديس عند النصارى شروط هي:

١. الأمانة في استخدام وسائط النعمة من مطالعة الكتاب المقدس، والصلاة، ومعاشرة المؤمنين الأتقياء.

٢. الرغبة في إتمام الواجبات الدينية على أنواعها.

٣. بذل الجهد في خدمة المسيح.

فالقلب الراغب في القداسة يُسرع في التسليم لإرادة الله وطاعة أوامره، ويفرح بنوال طهارة النفس، ويشمل التقديس النفس والجسد معاً، والتقدم في التقديس هو التقدم نحو الكمال في كل الفضائل الروحية وفي كل عمل حسن(١).

ثالثاً: التمجيد.

"هو الحصول على الحياة الأبدية عن طريق الحصول على جسد ممجد وارث السماء مع المسيح" (٢)، وعقيدة التمجيد عند النصارى "تشير إلى الوقت الذي سيتحقق للمؤمنين الحقيقيين الأحياء منهم والأموات عند المجيء الثاني للمسيح الفداء الكامل والنهائي لأجسادهم، ويصلون إلى حالتهم النهائية، ولسوف يكتمل خلاص المختارين ولسوف يكتمل خلاص المختارين، وكما كتب بولس لأهل كورنثوس: "لأن هذا الفاسد لابد أن يلبس عدم فساد، وهذا المائت يلبس عدم الموت"(٣) وأخيراً فإن الموت الذي هو آخر عدو سوف يبتلع إلى غلبة، ولسوف تصل عملية التقديس إلى غايتها.

فالتمجيد إذاً هو: رجاء المستقبل العظيم بالنسبة للمؤمن، ولسوف يصحح الله كل الأمور ويجعلها على هذا النحو إلى أبد الآبدين، غير أن التمجيد هو راحة حاضرة أيضاً ففي

---

(١) اللاهوت النظامي: (ص٤٨٦).

(٢) الخلاص في الكتاب المقدس: (ص٩)، نقلاً عن الخلاص ونظرة الإسلام إليه: (ص٥٢).

(٣) (١كو١٥: ٥٣)

هذا العالم الساقط حيث نختبر الخطيئة فينا ومن حولنا هناك تعزية في معرفتنا أن الله يعمـــل حتى الآن ليطهر قديسيه استعداداً لمجدهم المستقبلي، فالمؤمن من ناحية ما تمجد بالفعل وختم للأبدية وأصبح ابناً لله إلى الأبد"(١). تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.



(١) حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص٢٣٧-٢٣٨).

المبحث الثاني: شرط الخلاص عند البروتستانت.

تعتقد الكنيسة البروتستانتية أن الخلاص: "يتم بمجرد الإيمان بيسوع المسيح، وأما الأعمال الصالحة مع أنها لائقة بالمسيحي كبرهان، ونتيجة للإيمان الحي؛ إلا أنها غير ضرورية للخلاص"(١).

ويعتمدون على النص التالي: "آمِنْ بالرب يسوع فتخلص"(٢).

جاء في شرح أصول الإيمان:

"س: لماذا قيل في القاعدة: برُّ المسيح الذي نقبله بواسطة الإيمان فقط؟

ج: قيل ذلك حذراً من تعليم من يقول: "إن الأعمال تبررنا أو تشارك الإيمان في تبريرنا"(٣).

المطلب الأول: الإيمان الخلاصي عند البروتستانت.

أولاً: صفات الإيمان الذي يحصل به الخلاص عند البروتستانت(٤).

أ- القبول العقلي للإعلانات الإلهية حيث يسلم العقل بصدق الأسفار المقدسة، وبحقيقة الخلاص المعد لهم بالمسيح، وبصحة ما يقوله الكتاب المقدس عن حالة الإنسان الطبيعية الساقطة واحتياجه إلى المسيح، وهذا وحده لا يفيد صاحبه للخلاص، بل تحصل به الهداية في طريق الإيمان الخلاصي.

ب- الاتكال الاختياري على المسيح باعتباره الرب والمخلص، وهذا يتضمن اعترافهم بالذنب وعدم استحقاقهم وبسلطة المسيح عليهم، وقبول المسيح مخلصاً لهم والتمسك به طريقاً للمغفرة والتكفير والحياة الروحية، ويستدلون بما يلي:

---

(١) كنز النفائس: (ص٥١، ١٧٢)، وانظر: اللاهوت المقارن: البابا شنودة: (١/١٣)، حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص٢٥٠)، العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس، الفصل العاشر، الفروق العقيدية: (ص١٧)، اللاهوت النظامي: (ص٤٧٩).

(٢) (أع ١٦: ٣١).

(٣) شرح أصول الإيمان: (ص٢٣٦).

(٤) اللاهوت النظامي: (ص٤٦٩).

- "وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه"(١).
- "ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد، بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية"(٢).
- "ثم كلمهم يسوع قائلاً: أنا هو نور العالم، من يتبعني فلا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة"(٣).
- "آمن بالرب يسوع فتخلص أنت وأهل بيتك"(٤).

والإيمان الخلاصي عندهم لا ينفصل أبداً عن التجديد، ويشغل العقل والحواس الباطنة والإرادة، ولا يتم إلا بالتمسك الاختياري بالمسيح و بروح الاتكال عليه لأجل الخلاص.

ثانياً: موضوع الإيمان الخلاصي.

للإيمان الخلاصي موضوعان: عام وخاص.

فأما العام: فهو المعلنات الإلهية جميعها.

وأما الخاص: فهو المسيح وعمله باعتباره فادٍ، حيث يعتمد الإيمان الخلاصي على الوعد الإلهي بالخلاص بواسطة المسيح والاتكال على الفادي، والأدلة على أن هذا هو موضوع الإيمان الخلاصي الخاص(٥) كثيرة منها:

أ- شهادة المسيح الذي طلب من الناس أن يؤمنوا به، وكل من يؤمن به تكون له الحياة الأبدية، "لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية"(٦)، وإنَّ "الذي

---

(١) (يو ١: ١٢)
(٢) (يو ٤: ١٤).
(٣) (يو ٨: ١٢).
(٤) (أع ١٦: ٣١).
(٥) انظر: اللاهوت النظامي: (ص٤٦٩-٤٧٠).
(٦) (يو ٣: ١٥).

يؤمن به لا يدان، والذي لا يؤمن قد دين؛ لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد"(١). تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

والنصوص على أنَّ شرط الخلاص -بزعمهم- هو الإيمان بالمسيح كثيرة جداً.

ب- ما يطلب من أجل الخلاص هو لزوم قبول المسيح، وقبول الشهادة التي شهد بها الله عنه، والإيمان بأن المسيح ابن الله الحي – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً –، فالمسيح عند البروتستانت هو موضوع الإيمان الذي يؤكد الخلاص بالنظر إلى المسيح والإتيان إليه وتسليم النفس له "كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله"(٢).

ج- تعليم الرسل أن التبرير(٣) يكون بالإيمان بالمسيح، وليس المقصود هنا الإيمان العقلي ولا مجرد الثقة العامة بالله، ولا التصديق بالقول الإلهي، ولا اليقين بالحقائق الأبدية، بل الإيمان الذي موضوعه المسيح "بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون"(٤).

المطلب الثاني: البراهين التي يستند إليها البروتستانت.

يعتقد البروتستانت أن التبرير يكون بالإيمان وليس بالأعمال(٥)، ويستدلون بما يأتي:

أولاً: تصريح الكتاب المقدس.

هذا ما يقوله الكتاب المقدس، ولا يوجد فيه ما يخالفه، فالكتاب يميز بين الإيمان والأعمال بياناً لفائدة الإيمان في التبرير، وعدم فائدة الأعمال فيه: "إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس، بل بإيمان يسوع المسيح، آمنا نحن أيضاً بيسوع المسيح، لنتبرر بإيمان يسوع، لا بأعمال

---

(١) (يو ٣: ١٨).

(٢) (١ يو ٥: ١).

(٣) التبرير عند البروتستانت: "هو فعل النعمة المجانية الذي به يغفر خطايانا جميعها، ويقبلنا كأبرار أمامه، وذلك لأجل مجرد بر المسيح الذي يحسب لنا الذي نقبله بواسطة الإيمان فقط"، شرح أصول الإيمان: (ص٢٢٧-٢٢٨).

(٤) (رو ٣: ٢٢).

(٥) انظر: شرح أصول الإيمان: (ص٢٣٢)، اللاهوت النظامي: (ص٤٧٨).

الناموس، لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما"[١]، فالمقابلة هنا ليست بين أنواع الأعمال بل بين جميع الأعمال من الوجه الواحد والإيمان من الوجه الآخر.

"وليس لي بِري الذي من الناموس، بل الذي بإيمان المسيح، البرُ الذي من الله بالإيمـــان"[٢]، فقد رفض الرسول كل ثقة ببره الذي من الناموس، ورغب أن يكون له البِرُّ الذي من الله بالإيمان.

ثانياً: لو كان التبرير بالأعمال لما كان بالنعمة المجانية.

النعمة والأعمال متضادان دائماً في أمر الخلاص، بدليل قوله: "فإن كان بالنعمة فليس بعد بالأعمال، وإلا فليست النعمة بعد نعمة، وإن كان بالأعمال فليس بعـــد نعمـــة، وإلا فالعمل لا يكون بعد عملاً"[٣].

"لأنكم بالنعمة مُخَلَّصون بالإيمان وذلك ليس منكم، هو عطية الله، ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد"[٤]، فإن كان التبرير بالأعمال، فقد انتفى الخلاص بالنعمة وبطـــل قـــول الكتاب بذلك.

يقول القس صموئيل بندكت: "تقول الكنيسة الرومانية: إذا ادعى أحد أن الإيمـــان المبرر هو بساطة الثقة بالنعمة الإلهية الماحية للخطايا من أجل المسيح، أو أن الإيمان هو وسيلة التبرير فليكن ملعوناً.

فأمامنا طريقتان مختلفتان ومتناقضتان لنوال الخلاص.

الأولى تقول: إن الخلاص هو نتيجة الأعمال الصالحة، وتنـــاول العشـــاء الســـري والمعمودية.

والطريقة الثانية تقول: إن الخلاص هو هبة من الله، ويمكن الحصول عليـــه بالإيمـــان وحده، وبما أن هاتين الطريقتين متناقضتان فإن واحدة منهما صحيحة والأخرى باطلة"[٥].

---

(١) (غلا ٢: ١٦).

(٢) (في ٣: ٩).

(٣) (رو ١١: ٦).

(٤) (أف ٢: ٨ – ٩).

(٥) العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس، الفصل العاشر.

ثالثاً: لو كان التبرير بالأعمال ممكناً لكان المسيح قد مات عبثاً.

"لست أبطل نعمة الله، لأنه إن كان بالناموس بر، فالمسيح إذاً مات بلا سبب"(١).

"قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس، سقطتم من النعمة"(٢).

رابعاً: إن الأعمال الصالحة لا تقدر أن تكفر عن الذنوب والآثام الماضية، فلا أحد له أعمال صالحة يمكن أن يتبرر بها.

"كما هو مكتوب: إنه ليس بار ولا واحد، ليس من يفهم، ليس من يطلب الله، الجميع زاغوا وفسدوا معاً، ليس من يعمل صلاحاً، ليس ولا واحد"(٣).

خامساً: إن الناموس يطلب من الإنسان ما لا يستطيع أن يعمله وهو "الطاعة الكاملة".

"لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة، لأنه مكتوب: "ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به"(٤).

"فهل الناموس ضد مواعيد الله؟ حاشا! ؛ لأنه لو أعطي ناموس قادر أن يحيي لكان بالحقيقة البر بالناموس، لكن الكتاب أغلق على الكل تحت الخطيئة ليعطي الموعد من إيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون"(٥).

"لكن أشهد أيضاً لكل إنسان مختتن أنه ملتزم أن يعمل بالناموس"(٦).

يقول القس صموئيل بندكت: "إننا ننال الخلاص بإيماننا باستحقاقات المسيح وبالإيمان فقط، إذ أنه عطية الله، فكل الذين يؤمنون بالمسيح يخلصون، والذين يخلصون يجب أن يثمروا، إذ أن الأعمال الصالحة هي النتيجة الحتمية للإيمان"(٧).

---

(١) (غلا ٢: ٢١).

(٢) (غلا ٥: ٤).

(٣) (رو ٣: ١٠).

(٤) (غلا ٣: ١٠).

(٥) (غلا ٣: ٢١ – ٢٢).

(٦) (غلا ٥: ٣).

(٧) العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس، الفصل العاشر.

"لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان، وذلك ليس منكم، هو عطية الله، ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد"[١].

المطلب الثالث: نتائج الإيمان الخلاصي عند البروتستانت

يرى البروتستانت أن للإيمان الخلاصي نتائج[٢] من أبرزها:

١) الاتحاد بالمسيح فيصير الإنسان شريكاً للمسيح في حياته: "مع المسيح صُلبت فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ، فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي"[٣].

٢) التبرير بالإيمان بالمسيح: "إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس، بل بإيمان يسوع المسيح، آمنا نحن أيضاً بيسوع المسيح لنتبرر بإيمان يسوع لا بأعمال الناموس، لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما"[٤].

٣) السلام الذي ينشأ عن المصالحة المبنية على وعد الله: بأن يصفح عن كل الذين يؤمنون بالشهادة التي شهد بها الرب عن ابنه – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً – ويسامحهم ويقبلهم ويخلصهم، وكما أن الإيمان قد يكون ضعيفاً أو قوياً كذلك السلام الذي ينشأ عنه قد يكون متقطعاً ضعيفاً أو دائماً قوياً.

٤) اليقين: ويمكن وجود الإيمان الصحيح بدون أن يصل إلى درجة اليقين الثابت، على أن اليقين من نتائج الإيمان الممكنة، وهو ثمر شهادة الروح الداخلية للقلوب بأنها قد تمت شروط الخلاص[٥] واليقين، وإن لم يكن من جوهر الإيمان، إلا أنه من توابعه الحسنة التي يجب أن يجتهد المرء في بلوغها.

---

(١) (أف ٢: ٨-٩).

(٢) انظر: اللاهوت النظامي: (ص٤٧١-٤٧٢).

(٣) (غلا ٢: ٢٠).

(٤) (غلا ٢: ١٦).

(٥) (رو ٤: ٢٠)، (أف ١: ١٣)، (١ يو ٤: ١٣).

٥) التقديس: فإن الإيمان يعمل بالمحبة[(١)]، ويطهر القلوب[(٢)]، يقول القس جيمس أنس: "فبالإيمان نتبرر به، وبه نقبل حلول الروح القدس في قلوبنا وبه نحيا ونتقدس، لأنه الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى، وهو الواسطة الوحيدة لنعرف الله والأمور الروحية، فهو للنفس بمنزلة العين للجسد، لأننا به نرى الأمور الأبدية التي لا ترى، وندرك قوتها وقيمتها، وبذلك تفقد الأمور الوقتية المنظورة قوتها على النفس، لأنها لا تقاس بالأمور التي أعدها الله للذين يحبونه، ويتحدث العبرانيين (الإصحاح الحادي عشر) عن قوة الإيمان، فقد استطاع نوح بالإيمان أن يقف وحده ضد العالم وبه قدر إبراهيم أن يقدم ابنه الوحيد. . . . ، وبه قدر آخرون أن يقهروا ممالك ويصنعوا براً، وبه سدوا أفواه أسود وأطفأوا قوة النار، وغيرهم تقووا به من ضعف وصاروا أشداء في الحرب. . . . ، وغيرهم بالإيمان احتملوا الرجم والنَّشر والقتل بالسيف. . . . ، وإن كل أولئك حصلوا بإيمانهم على الصيت الحسن"[(٣)].

٦) "تأكيد خلاص المؤمن الحقيقي: "فإنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد كي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية"[(٤)]، وقال المسيح: "من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة"[(٥)]، وقال: "أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء، إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد"[(٦)]، "كل ما يعطيني الآب فإليّ يقبل، ومن يُقبل إليَّ لا أخرجه خارجاً"[(٧)]؛ لأن هذه هي مشيئة الذي أرسلني أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية، وأنا أقيمه في اليوم الأخير"[(٨)]، وموضوع رومية (الإصحاح الثامن) هو البرهان

(١) (غلا ٥: ٦).
(٢) (أع ١٥: ٩).
(٣) اللاهوت النظامي: (ص٤٧٢).
(٤) (يو ٣: ١٦).
(٥) (يو ٥: ٢٤).
(٦) (يو ٦: ٥١).
(٧) (يو ٦: ٣٧).
(٨) (يو ٦: ٤٠).

على تأكيد خلاص المؤمنين، والقضية التي قصد الرسول إثباتها فيه هي أنه لا شـــيء مـــن الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع، أي لا يمكن أن يهلكوا أو ينفصلوا عن المسيح ويدانوا"(١).

(١) اللاهوت النظامي: (ص٤٧٢).

المبحث الثالث: شرط الخلاص عند الأرثوذكس والكاثوليك.

الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية تعتقد وتعلم بأن الخلاص بالمسيح، وشرطه الإيمان والتوبة، ولا خلاص للمسيحي "إلا بالإيمان الحي الحقيقي بيسوع المسيح، وبالأعمال الصالحة التي تنجم بالضرورة عن الإيمان الحي الحقيقي، لأنه بدون الأعمال الصالحة يكون الإيمان ميتاً ومن ثم فإن الأعمال الصالحة ضرورية للخلاص"(١).

المطلب الأول: طرق نيل الخلاص عند الأرثوذكس والكاثوليك.

أولاً: الإيمان بالمسيح وعمله الكفاري(٢)، ويستدلون بالنصوص التالية:

أ- "فقلت لكم: إنكم تموتون في خطاياكم لأنكم إن لم تؤمنوا أني أنا هو تموتون في خطاياكم"(٣).

ب- "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية"(٤).

ج- "الذي يؤمن به لا يدان، والذي لا يؤمن قد دين"(٥).

ولابد لهذا الإيمان من مواصفات:

١) أن يكون حياً(٦)، "ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل أن الإيمان بدون أعمال ميت"(٧).

---

(١) كنز النفائس: (ص١٧٢)، وانظر: الفروق العقيدية: (ص١٦)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص١٦٦)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص٧٩)، الدرة النفيسة في بيان حقيقة الكنيسة: (ص١٣٨)، العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس، الفصل العاشر، موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٦٦)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص١٣٨).

(٢) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٢٨٧)، مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص٣٠).

(٣) (يو ٨: ٢٤).

(٤) (يو ٣: ١٦).

(٥) (يو ٣: ١٨).

(٦) كنز النفائس: (ص١٧٢)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٢٨٧)، الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي، البابا شنودة الثالث، الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، مطبعة الأنبا رويس الأوفست، القاهرة، الطبعة السادسة: (٢١/١).

(٧) (يع ٢: ٢٠).

٢) أن يكون عاملاً بالمحبة(١)، "لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الإيمان العامل بالمحبة"(٢).

يقول البابا شنودة الثالث: "إن الذين يقولون إن الإيمان وحده هو الذي يبرر الإنسان، ويوقفون الإيمان كعنصر قائم بذاته بعيداً عن الأعمال، هؤلاء لا أوقفهم أنا، بل يوقفهم بولس بهذا النص: "إن كان لي كل الإيمان حتى أنقل الجبال، وليست لي محبة فلست شيئاً"(٣).

ثانياً: تقديم توبة صادقة(٤)، وتتضح أهمية التوبة من النصوص التالية:

أ- قول المسيح: "أقول لكم: بل إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون"(٥).

ب- قول القديس يوحنا المعمدان: "اصنعوا أثماراً تليق بالتوبة"(٦).

شروط التوبة الحقيقية في المفهوم الأرثوذكسي والكاثوليكي.

(١) انسحاق القلب وندامته على الخطايا السالفة.

(٢) عزم ثابت على إصلاح السيرة، ولا فائدة للتوبة بدون هذا الشرط.

(٣) إيمان وطيد بالمسيح الذي يغفر كل خطية، والرجاء في قبول المسيح للخاطئ مهما كانت خطاياه.

(٤) اعتراف شفوي بالخطايا أمام الأب الروحي(٧).

---

(١) انظر: مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص١٧)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٢٨٧)، الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي: (ص٢٣).

(٢) (غلا ٥: ٦)

(٣) (١كو ١٣: ٢)

(٤) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٢٨٧).

(٥) (لو ١٣: ٣، ٥).

(٦) (مت ٣: ٨).

(٧) انظر: أسرار الكنيسة السبعة: (ص١٠١–١٠٢)، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (٢/٢٩٧–٢٩٨)، اللاهوت المقارن: البابا شنودة: (١/١٣٥)، اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: (٢/١٧٨–١٨٤)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٣٢٧)، الأنوار في الأسرار، جراسيموس مسرة، طبعة حجرية: (ص٢٠٠– ٢١٠).

ثالثاً: ممارسة الأسرار الكنيسة اللازمة للخلاص(١).

أ- **سر المعمودية**: "من آمن واعتمد خلص"(٢)، "بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس"(٣).

ب- **سر الميرون**: "الذي ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح في قلوبنا"(٤).

ج- **سر التوبة "الاعتراف"**: "إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم"(٥)، وتكمن أهمية هذا السر في أن الإنسان بعد أن ينال "الميلاد الجديد" وغفران الخطايا في المعمودية فإنه قد يعود ويخطئ مرة أخرى وذلك لأن الإنسان لم يأخذ العصمة من الخطأ، ولهذا فهو في حاجة إلى غفران جديد لخطاياه، وهنا يأتي دور سر التوبة والاعتراف"(٦).

د- **سر الإفخارستيا**: "دم يسوع ابنه يخلصنا من كل خطية"(٧).

---

(١) الفروق العقيدية: (ص٢٠)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٢٨٨)، مختصر التعليم للكنيسة الكاثوليكية: (ص٦٨)، الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي: (ص٢٥–٣٨).

(٢) (مر ١٦: ١٦).

(٣) (تي ٣: ٥).

(٤) (٢ كو ١: ٢٢).

(٥) (١ يو ١: ٨–٩).

(٦) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٢٨٨).

(٧) (١ يو ١: ٧).

رابعاً: أهمية الأعمال الصالحة لنيل الخلاص[١].

ويعرف السيد قورلس بهنام[٢] الأعمال الصالحة بقوله: "هي تلك الأعمال التي تكون من ممارسة سائر الفضائل عدا فضيلة الإيمان، وهي كثيرة جداً، أشهرها خوف الله والرجاء والمحبة والتوبة"[٣].

فالأعمال الصالحة لازمة من أجل نيل الخلاص عند الأرثوذكس والكاثوليك؛ ولكن وجودها لوحدها لا يكفي للخلاص، يقول البابا شنودة الثالث: "أن الأعمال الصالحة لا يتم الخلاص بسببها ولكنه لا يتم بدونها"[٤].

وعن أهمية الأعمال الصالحة لنيل الخلاص يستشهدون بما يأتي:

قول يعقوب في رسالته: "ما المنفعة يا أخوتي إن قال أحد أن له إيماناً ولكن ليس له أعمال، هل يقدر الإيمان أن يخلصه؟ "[٥].

كما يؤكد هذا المعنى ما ورد بسفر حزقيال: "فإنهم إنما يخلصون أنفسهم ببرهم"[٦].

وعن أهمية الأعمال في الدينونة في اليوم الأخير يستشهدون بما يأتي:

- **قول المسيح:** "فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته، وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله"[٧].

---

(١) انظر: عقائدنا الأرثوذكسية: (ص٢٨٩)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص٧٩)، الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي: (ص٣٥)، الدرة النفيسة في بيان حقيقة الكنيسة: (ص١٣٨–١٤٤).

(٢) رئيس أساقفة الموصل وما يليها عن ملة السريان الكاثوليك، الدرة النفيسة في بيان حقيقة الكنيسة: (ص١).

(٣) المصدر السابق: (ص١٣٨).

(٤) الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي (ص٣٩)، وانظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية (ص٢٨٩)، الدرة النفيسة في بيان حقيقة الكنيسة (ص١٤٠).

(٥) (يع ٢: ١٤).

(٦) (حز ١٤: ١٤).

(٧) (مت ١٦: ٢٧).

ثم يقول الملك للذين عن يمينه: "تعالوا يا مباركي أبي، رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم، لأني جعت فأطعمتموني، عطشت فسقيتموني".

ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار: "اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته، لأني جعت فلم تطعموني، عطشت فلم تسقوني. . . .

فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية"(١).

"وها أنا آتي سريعاً وأجرتي معي لأجازي كل واحد كما يكون عمله"(٢).

"فلا نفشل في عمل الخير لأننا سنحصد في وقته إن كنا لا نكل، فإذاً حسبما لنا فرصة فلنعمل الخير للجميع"(٣).

- **قول بولس**: "لأنه لابد أننا جميعاً نُظْهَر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً"(٤).

يقول البابا شنودة الثالث: "أعمال الإنسان إما صالحة وإما شريرة، فالأعمال الشريرة تهلك الإنسان وتفقده خلاصه، أما الأعمال الصالحة فهي لازمة للخلاص، وعدم وجودها يدل على أن الإيمان ميت وعلى أنه لا ثمرة له، ولكن الأعمال الصالحة وحدها لا تكفي للخلاص بدون إيمان وبدون معمودية وبدون استحقاقات دم المسيح"(٥).

خامساً: أهمية المجاهدة والثبات في الإيمان والمثابرة على العمل الصالح:

"يجب على الإنسان أن يكافح ويناضل في سبيل أن يتمتع بالخلاص ويحتفظ به، إذ من الممكن أن يحرم الإنسان نفسه من الخلاص"(٦).

---

(١) (مت ٢٥: ٣٤ – ٤٦).

(٢) (رؤ ٢٢: ١٢).

(٣) (غلا ٦: ٩-١٠).

(٤) (٢ كو ٥: ١٠)

(٥) الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي: (ص٢٩).

(٦) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٢٩٠)، وانظر: اللاهوت العقيدي: (٢/٢٦٥-٢٦٦)، أرثوذكسيتي تراث وعقيدة وحياة، القمص متى مرجان، تقديم الأنبا متاؤس، الأنبا موسى، مكتبة كنيسة السيدة العذراء: (ص٧٢).

من أجل هذا يقول المسيح: "الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص"(١).

"تمموا خلاصكم بخوف ورعدة"(٢).

"لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك لأنك إذا فعلت هذا تخلص نفسك"(٣).

"وإن كان البار بالجهد يخلص"(٤)، "كن أميناً إلى الموت فسأعطيك اكليل الحياة"(٥).

المطلب الثاني: الاعتراضات على فكرة الخلاص بالإيمان فقط.

رفضت الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية هذا التعليم رفضاً تاماً، واعتبره الأرثوذكس بدعة أطلقوا عليها "بدعة الخلاص في لحظة"، ولم تتوان الكنيسة الكاثوليكية في لعن من يعتنقها حيث كان من تعليمها: "إذا ادعى أحد أن الإيمان المبرر هو بساطة الثقة بالنعمة الإلهية الماحية للخطايا من أجل المسيح أو أن الإيمان هو وسيلة التبرير فليكن ملعوناً"(٦).

وقد أورد الرافضون لهذه العقيدة جملة من الاعتراضات منها:

أولاً: أن هذا التعليم يحقر وصايا الله ويهين شريعته المقدسة، لأنه ما دام الخلاص بالإيمان وحده دون الأعمال، وأن الخطايا مهما عظمت لا تفقد صاحبها الخلاص، فلا فائدة إذاً من وجود الشريعة؛ لأنها في هذه الحالة تكون وسيلة زائدة(٧).

---

(١) (مر ١٣: ١٣)

(٢) (في ٢: ١٢)

(٣) (١تي ٤: ١٦)

(٤) (١ بط ٤: ١٨)

(٥) (رؤ ٢: ١٠)

(٦) انظر: بدعة الخلاص في لحظة، البابا شنودة الثالث، الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، مطبعة الأنبا رويس الأوفست بالعباسية، القاهرة، الطبعة الثانية: (ص٧)، العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس، الفصل العاشر، الصخرة الأرثوذكسية: (ص٧٩ – ٨٣)، الدرة النفيسة في بيان حقيقية الكنيسة: (ص١٤٠)، اللاهوت المقارن: الأنبا غريغوريوس: (ص٢٦٤).

(٧) انظر: الصخرة الأرثوذكسية: (ص٨١)، اللاهوت النظامي: (ص٤٨٠).

ثانياً: أنه يضاد كمال الله تعالى الذي يأمر بالكمال والسلوك بالسيرة الصالحة، وكيف يكون كلام الله قدوساً وهو بحسب زعمهم الباطل يخلصهم فقط بمجرد الإيمان ولا ينظر إلى أعمالهم إن كانت صالحة أو سيئة(١).

ثالثاً: أنه يضاد عدل الله تعالى الذي أخبر أننا سنجازى حسب أعمالنا وأقوالنا وحتى أفكارنا! ، لا بحسب إيماننا فقط(٢)؛ لأنه القائل على لسان بولس: "لأنه لا بد أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع، خيراً كان أم شراً"(٣).

رابعاً: إن هذا التعليم عارٌ وخزي يخجل منه كل مسيحي يشعر بالتقوى والغيرة على تعليم الله، وقد تبرأ منه كل محب للاستقامة والأعمال الصالحة، وقد قال أحد علماء البروتستانت "غِرس كروسيويس" عند تفسيره رسالة مار يعقوب الرسول:

"قد تجدد في هذا العصر التعيس ذلك الرأي. . . . الذي يلزم أن يخالفه كل من أحب التقوى وخلاص القريب، فإن الإيمان لا يفيد أحداً البتة خلواً من الأعمال".

وقال جرجيوس بولس: "إنه ضلال ليس بخفيف وغلط وخيم وغواية. . . . وليس بعيب أن يرجع الإنسان عن آرائه ما دامت مخالفة لروح الكتاب"(٤).

خامساً: إنه يخالف روح الكتاب المقدس على خط مستقيم، والأدلة والشواهد كثيرة وأبرزها قول المخلص الذي يقطع شأفة هذا التعليم الفاسد(٥): "ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السماوات بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السماوات"(٦).

---

(١) الصخرة الأرثوذكسية: (ص٨١).

(٢) المصدر السابق: (ص٨١).

(٣) (٢ كو ٥: ١٠).

(٤) الصخرة الأرثوذكسية: (ص٨٢ – ٨٣).

(٥) المصدر السابق: (ص٨٢).

(٦) (مت ٧: ٢١).

سادساً: إنه ينسب لله تعالى الظلم؛ لأنه بحسب وهمهم أنه -جل ذكره وتعالى عن هذه الآراء- ينسى أتعابنا ولا يكافئنا على جهادنا[١]، يقول بولس: "لأن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة التي أظهرتموها نحو اسمه، إذ قد خدمتم القديسين وتخدمونهم"[٢].

سابعاً: إن هذا التعليم يقود إلى التمادي في الإثم، لأنه إذا لم تكن الأعمال الصالحة ضرورية فلا فائدة منها، وإذا كان الله يقبل الخاطئ كبار لمجرد شرط الإيمان بالمسيح فما الفائدة من الصلاح ولماذا لا نعيش بالخطية؟! [٣].

---

(١) الصخرة الأرثوذكسية: (ص٨٢).

(٢) (عب ٦: ١٠).

(٣) اللاهوت النظامي: (ص٤٨٠).

المبحث الرابع: غفران الخطايا في الإسلام

غفران الخطايا وزوال عقوبتها في الإسلام يرتكز على عدة نقاط، يُذكر منها ما يلي:

(١) اتصف الله ﷻ بأنه غفار للذنوب والخطايا صغيرها وكبيرها، وحتى الشرك إذا تاب منه العبد واستغفر ربه قبلت توبته، وغفر له ما تقدم ذنبه، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة الزمر ٥٣]، وقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [سورة النساء ١١٠] فمهما عظمت ذنوب العبد فإن مغفرة الله ورحمته أعظم، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ﴾ [سورة النجم ٣٢]، وقد تكفل الله ﷻ بالمغفرة لمن تاب وآمن وعمل صالحاً قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [سورة طه ٨٢] بل من فضله وجوده أن تعهد ﷻ بأن يبدل سيئات المذنبين في حال توبتهم قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [سورة الفرقان ٧٠].

(٢) من مات بلا توبة من أهل الشرك والكفر والنفاق فلا مغفرة له ولو طلبها له نبي مرسل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۝١١٦﴾ [سورة النساء ١١٦]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا﴾ [سورة النساء ١٣٧]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ [سورة النساء ١٦٧-١٦٨]، وقال: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْۚ﴾ [سورة المنافقون ٦]، وقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [سورة التوبة ٨٠]، وقال: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [سورة التوبة ١١٣].

(٣) إنَّ كل إنسان مرهن بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ومن أذنب ذنباً فعليه وزره لا يحمله عنه غيره. قال تعالى: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ

عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [سورة الإسراء ١٥]، وقـال: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [سورة فصلت ٤٦]، وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [سورة المدثر ٣٨].

ومن ذلك الخطيئة الأولى خطيئة آدم عليه السلام وزوجه، حيث صرح القرآن الكـريم في أكثر من موضع بأن معصية آدم عليه السلام قد انتهت بعد توبته واجتباء الله له.

قـال تعـالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [سورة طه ١١٥–١٢٢]، وقـال: ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سـورة البقـرة ٣٥–٣٧]، و لم تنتقل الخطيئة إلى بقية البشر بالوراثة كما يزعم النصارى.

(٤) إن التوبة وعمل الصالحات تكفران الذنوب والسيئات، قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة الزمر ٥٣]، وقال: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [سورة النساء ١١٠]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الأعراف ١٥٣]، وقـال: ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [سورة طه ٨٢]، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [سورة الفتح٢٩].

وقال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [سورة هود ١١٤] جاء في سبب نزول هذه الآية عن ابن مسعود: "أن رجلاً

أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي ﷺ فأخبره فأنزل الله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا﴾ الآية، فقال الرجل: يا رسول الله أهذا لي قال: «لجميع أمتي كلهم»"(١).

وروى الترمذي في سننه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول لله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن»(٢).

قال ابن تيمية رحمه الله: على أن عقوبة الذنوب تزول عن العبد بنحو عشرة أسباب:

السبب الأول: التوبة:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة الشورى ٢٥] وقال: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة التوبة ١٠٤].

السبب الثاني: الاستغفار:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [سورة النساء ١١٠] وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم»(٣).

السبب الثالث: الحسنات الماحية:

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [سورة هود ١١٤].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة: (١/١٩٦/ح٥٠٣).

(٢) سنن الترمذي، محمد بن علي أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، كتاب البر والصلة باب ما جاء في معاشرة الناس: (٤/٣٥٥/ح١٩٨٧)، قال الألباني: حديث حسن.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار: (٤/٢١٠٦/ح٢٧٤٩).

وقال ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن»(١).

السبب الرابع: دعاء المؤمنين للمؤمن:

مثل صلاتهم على جنازته واستغفارهم له، قال ﷺ: «ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه»(٢).

السبب الخامس: ما يعمل للميت من أعمال البر كالصدقة ونحوها.

فإن هذا ينتفع به بنصوص السنة الصحيحة واتفاق الأئمة وكذلك العتق والحج.

السبب السادس: شفاعة النبي ﷺ وغيره في أهل الذنوب يوم القيامة.

السبب السابع: المصائب التي يكفر الله بها الخطايا في الدنيا، قال ﷺ: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه»(٣).

السبب الثامن: ما يحصل في القبر من الفتنة والضغطة والروعة، فإن هذا مما يكفر به الخطايا.

السبب التاسع: أهوال يوم القيامة وكربها وشدائدها.

السبب العاشر: رحمة الله وعفوه ومغفرته بلا سبب من العباد"(٤).

والمتأمل في نصوص الكتاب والسنة يرى بوضوح أن الإسلام قد فتح للعبد باباً واسعاً في طلب المغفرة من الله ﷻ بلا واسطة، فمهما عظمت ذنوب العبد فإن مغفرة الله ﷻ أعظم، لا كما جاء في عقيدة النصارى التي انحرفت عما جاء من عند الله تبارك وتعالى.

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٦٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنائز، باب من صلى عليه أربعون شفعوا فيه: (٦٥٥/٢ح٩٤٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى باب ما جاء في كفارة المرض: (٢١٣٧/٥ح٥٣١٨).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى: (٤٨٧/٧-٥٠١).



التناقض حول العذراء مريم عليها السلام

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول: الحبل بلا دنس.

المبحث الثاني: بتولية العذراء الدائمة.

المبحث الثالث: تلقيب العذراء بوالدة الإله.

المبحث الرابع: مريم عليها السلام في الإسلام.

الفصل الثامن

التناقض حول العذراء مريم عليها السلام

تمهيد:

يرتبط تقديس النصارى لمريم عليها السلام ارتباطاً وثيقاً بالمسيح عليه السلام، فما زالت الكنيسة منذ بدء تاريخها تفكر في سر المسيح الإله المتجسد "، والتفكير في مريم لا يسعه إلا أن يساير التفكير في المسيح.....

هكذا نظرت الكنيسة دائماً إلى الأمور، لقد صلت إلى مريم، وعبرت تعبيراً عقائدياً عن عظمة مريم، ولكنها لم تفعل ذلك إلا مسايرة لصلاتها إلى المسيح ولتفكيرها في المسيح مسايرة ضرورية"(١).

يقول الكردينال رتزنغر: "ما زال آباء الكنيسة يرون في مريم العذراء صورة الكنيسة صورة الإنسان المؤمن الذي لا يستطيع أن يحقق نفسه تحقيقاً تاماً إلا بعطية المحبة، وهي ما يسميها علم اللاهوت النعمة، المسيح هو العطية الموهوبة، ومريم هي العطية المقبولة"(٢)، وهذا النص يبين دور مريم في عملية التجسد التي تمت بقبولها وإرادتها.

وقد اختلف النصارى في شخص مريم عليها السلام اختلافاً بيناً فهي:

١. **والدة الإله** عند الأرثوذكس والكاثوليك.

٢. **مطهرة من الخطيئة الأصلية**، معصومة عن الخطأ، مستحقة للعبادة، شريكة في الفداء عند الكاثوليك ولذلك سميت لديهم "بسيدة المطهر".

٣. **ولهم في دوام بتوليتها خلاف:** فالأرثوذكس والكاثوليك يعتقدون "دوام عذريتها" الأمر الذي يرفضه البروتستانت وينكرونه(٣).

---

(١) فرح الإيمان بهجة الحياة، محاضرات في أهم قضايا الإيمان المسيحي، جمعها الأب برنار هوسة، نقلها إلى العربية الأب: صبحي اليسوعي، دار المشرق، بيروت، الطبعة التاسعة: (ص١١٣-١١٤).

(٢) المصدر السابق: (ص١١٤).

(٣) انظر: مريم بنت عمران بين اليهودية والمسيحية والإسلام: (ص٣٢-٣٨)، كنز النفائس: (ص١٦٧)، الفروق العقيدية: (ص٣٢-٣٣)، موسوعة علم اللاهوت: (٤٢٢/٤، ٤٥١-٤٥٢)، اللاهوت المقارن: البابا شنودة: (٩٥/١). القديسة مريم في المفهوم الأرثوذكسي، القمص: تادرس يعقوب ملطي: (ص١-٥)، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (١١٧/١).

المبحث الأول: الحبل بلا دنس.

يعتقد النصارى بجميع طوائفهم أن الخطيئة الأصلية تتوارثها الأجيال منذ بدء الخليقة متسلسلة إلى جميع أفراد الجنس البشري، ولا يستثنى من ذلك أحد إلا ربهم يسوع المسيح المتره عن الخطيئة على الإطلاق.

ويضيف الكاثوليك أن مريم العذراء أيضاً قد وجدت مترهة عن هذه الخطيئة، الأمر الذي يرفضه كل من الأرثوذكس والبروتستانت وتعد هذه العقيدة التي أدخلت في سنة (١٨٥٤م) من أكثر العقائد المتعلقة بالعذراء إثارة للجدل بين طوائف النصارى(١).

المطلب الأول: الحبل بلا دنس عند الكاثوليك.

أولاً: مضمون العقيدة:

إن العذراء مريم "دخلت إلى العالم وهي ممتلئة بالنعمة، وذلك منذ لحظة الحبل من أبويها، وهذه النعمة الخاصة قد أعطيت لها بصفة فريدة واستثنائية؛ نظراً لاستحقاقات ابنها المسيح الفادي، فلكي يتجسد ويصير إنساناً كاملاً كان لا بد له من طبيعة إنسانية كاملة غير ملوثة بالخطيئة؛ لذلك وجب أن تكون تلك الأم التي سيأخذ منها طبيعته البشرية طاهرة وبريئة من كل دنس خطيئة.

ومن هنا نتج ضرورة منح العذراء امتيازاً خاصاً يحررها من الخطيئة الأصلية التي يتوارثها الجنس البشري، وهكذا تكون العذراء قد تمتعت بالنعمة المبررة وهي بَعْدُ في أحشاء

---

(١) انظر: كتر النفائس: (ص١٦٧)، الفروق العقيدية: (ص٣٢ – ٣٣)، موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٥١، ٤٥٢)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص٨١)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٧٣)، العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس، الفصل السابع، الإيمان الأرثوذكسي: (ص٢١)، مريم العذراء المترهة عن الخطيئة الأصلية، القمص: باسيلي فانوس، بطريركية الأقباط الكاثوليك: (ص١٥)، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (١/١١٧)، شرح أصول الإيمان: (ص١٥٧)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٣٩٣)، تاريخ الفكر المسيحي: (٢/١٩٤–١٩٥)، اللاهوت المقارن، الأنبا غريغوريوس: (ص٣٥٦)، اللاهوت النظامي: (ص٤٣).

أمها، وهي حالة النعمة التي تمتع بها الإنسان الأول في لحظة خروجه من يد الله، فإن الله قد انتخبها منذ الأزل أُماً له"(١). تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ثانياً: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الكاثوليكية.

استدل الكاثوليك بعدد من النصوص للبرهنة على صحة اعتقادهم منها:

أ- البراهين الكتابية:

١. العهد القديم.

(أ) قال الرب الإله للشيطان المنتصر على آدم وحواء المتمثل في الحية: "وأَجْعَلُ عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها، فهو يسحق رأسك وأنتِ تصيبين عَقِبَهُ"(٢).

يرى الكاثوليك في هذا النص: "البشرى السعيدة بمجيء الفادي مخلص العالم موجهة إلى المرأة "العذراء مريم" بصفتها الخلف الذي سيخرج من نسله فادي الإنسان"(٣)، حيث تعبر كلمات هذه البشارة تعبيراً كاملاً عن دور العذراء في الكفاح الخلاصي ضد مسبب الشر "الشيطان" الذي كان العداء معه ولا زال مستحكماً، فوجب أن تكون العذراء متزهة عن حالة الخطيئة الأصلية بحكمة الله الأزلية منذ اللحظة الأولى للحبل بها، فهي جديرة بكل إكرام وتطويب وتبجيل إلى منتهى الدهور"(٤).

(ب) يتضمن سفر نشيد الإنشاد عبارات المدح والتبجيل التي أجمع بعض آباء الكنيسة أنها قيلت في العذراء مريم ومنها:

---

(١) مريم العذراء المتزهة عن الخطيئة الأصلية: (ص١٥)، وانظر: التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (١/١١٧)، خلاصة اللاهوت المريمي، الأب أوغسطين دويره لاتور، نقله إلى العربية: الأب يوسف قوشاقجي، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثالثة: (ص٨١-٨٢)، موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٥٢).

(٢) (تك ٣: ١٥).

(٣) مريم العذراء المتزهة عن الخطيئة الأصلية: (ص٥٢).

(٤) انظر: المصدر السابق: (ص٥٤-٥٨)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص٨٢)، الدرة النفيسة في بيان حقيقة الكنيسة: (ص١٧٥-١٧٦).

- "كالسوسنة بين الشوك كذلك خليلتي بين البنات"(١).

يقول القديس ألفونس دي ليجوري شارحاً هذا النص: "أنت يا ابنتي بين البنات كزهرة الزنبق بين الأشواك؛ لأن البنات كلهن مدنسات بالخطيئة، أما أنت يا مريم فبريئة منها وخالية من كل عيب"(٢).

- "أختي العروس جنة مقفلة وينبوع مختوم"(٣).

يقول القديس إيرونيموس مفسراً لهذا النص: "إن مريم بالحصر هي الجنة المقفلة، وهذا الينبوع المقفل؛ لأن الأعداء "الخطايا" ما استطاعوا أن يدخلوا إليها، فقد حفظت دائماً مُحلاة بالنعمة كاملة لا عيب فيها"(٤).

- "لكن حمامتي كاملتي وحيدة هي، وحيدة لأمها مفضلة لوالدها. رأها البنات فهنأنها رأها الملكات والسراري فأثنين عليها"(٥).

يقول القديس ألفونس دي ليجوري: "إن مريم هي من بين تلك الأنفس الحمامة الطاهرة الخالية من الخطيئة، هي الكاملة، البريئة من دنس المعصية الأصلية؛ إنها الوحيدة التي حُبل بها في حال النعمة"(٦)، وبرأي الكاثوليك يؤيد الروح القدس هذا المعنى بقوله: "كاملتي وحيدة" فكيف تكون وحيدة إذا لم تُمَيز بمنحة فريدة لا يشترك فيها غيرها من البشر، وهذه المنحة لا يمكن أن تكون إلا براءتها من الخطيئة الأصلية، ومن سيطرة الشيطان عليها منذ أول لحظة من كيانها"(٧).

---

(١) (نش ٢: ٢).

(٢) مريم العذراء المنزهة عن الخطيئة الأصلية: (ص٦٠).

(٣) (نش ٤: ١٢).

(٤) مريم العذراء المنزهة عن الخطيئة الأصلية: (ص٦١).

(٥) (نش ٦: ٩).

(٦) مريم العذراء المنزهة عن الخطيئة الأصلية (ص٦١).

(٧) انظر: المصدر السابق: (ص٦١ – ٦٢).

٢. العهد الجديد.

يرى الكاثوليك أن نصوص العهد الجديد تشهد بطريقة أوضح لهذه العقيدة، ومنها:

"شهادة الملك جبرائيل المرسل من عند الله ليبشرها بالحبل عندما حياها قائلاً: "افرحي أيتها الممتلئة نعمة، الرب معك، فداخلها لهذا الكلام اضطراب شديد وسألت نفسها ما معنى هذا السلام، فقال لها الملاك: لا تخافي يا مريم فقد نلتِ حظوة عند الله"(١).

وعلى ضوء هذا النص يستنتج الكاثوليك ما يلي:

- إن بشارة مريم بالفرح جاءت تكليلاً لكافة البشارات التي وردت في العهد القديم.
- هذا الفرح الذي عمَّ شعب الله قديماً بوجود الله وسط شعبه، يوجه الآن إلى مريم وحدها، فهي تمثل الشعب كله والبشر أجمعين، وعليها أن تفرح باسم الجميع لتنقل فرحها إلى الجميع.
- إن الله يريد أن يشبع نفس مريم بالفرح الدائم، وكأنه يقول لها: فيضي فرحاً يا فيض النعمة، فيتدفق منها ويتغلغل في عمق إلى نفوس البشر أجمعين.
- وكما كان سبب الفرح هو حضور الله وسط شعبه، كذلك كان فرح مريم في لحظة البشارة بسبب حضور ابن الله في أحشائها، تعالى الله عما يصفه به هؤلاء المشركون علواً عظيماً.

يقول القديس مكسيمليان كولب(٢): "إن الله وحده هو الذي يدرك المعنى الحقيقي للحبل بمريم، منزهة عن الخطيئة الأصلية وأبعاده، وذلك بسبب الاتحاد الوثيق بين مقاصد الله

---

(١) (لو١: ٢٨ – ٣٠).

(٢) مكسيمليان كولب: ولد في بولونيا (١٨٩٤م) وسيم كاهناً في (١٩١٨م) له مؤلفات عديدة في إكرام العذراء، وتحتفل به الكنيسة اللاتينية في ١٤ أغسطس من كل عام. انظر: مريم العذراء المنزهة عن الخطيئة الأصلية: (ص٦٤).

ودور العذراء في تحقيق هذه المقاصد حين أجابت الملاك قائلة: ها أنا أمة للرب فليكن لي بحسب قولك"(١)(٢).

ويصل الكاثوليك إلى النتيجة التالية من خلال ذلك النص: "النتيجة إذاً أن العذراء قد ملئت بالنعمة منذ لحظة الحبل بها، والامتلاء من النعمة يتعارض مع وجود الخطيئة الأصلية، لكنه لا يتعارض مع الطبيعة الإنسانية، لأن الطبيعة الإنسانية لا تتنافى مع البراءة من الخطيئة الأصلية، وقد كانت هذه حالة الإنسان الأول لو أنه ثبت في حال النعمة، فإن صح القول أن المسيح لم تمسه أي خطيئة لأنه مملوء نعمة، هكذا وجب القول عن أمه العذراء؛ لأنها أيضاً مملوءة نعمة"(٣).

(ب) شهادة الآباء:

١. **القديس يوستينوس:** "إن الذي صار إنساناً من عذراء بتول، اختار لذاته أن يسلك الطريق الذي سلكه في بدء الخليقة، أي أن يولد من عذراء بلا خطيئة ليُحررنا من الخطيئة، حواء كانت عذراء طاهرة ولكنها قد أمالت للحية أُذناً صاغية فجلبت علينا المعصية والموت، أما مريم التي كانت تَعُم بفيض الإيمان والفرح فلما بشرها الملاك أجابت: ليكن لي بحسب قولك، وجلبت علينا النعمة".

٢. **القديس غريغوريوس النزينزي:** يتحدث عن التجسد قائلاً: "إن الكلمة صار إنساناً كاملاً، فشابهنا في كل شيء ما عدا الخطيئة"، ثم يخاطب مريم قائلاً: "ولدتِهِ وأنت عذراء، وكان الروح القدس قد سبق وزين نفسك وجسدك طُهراً ونقاوة".

٣. **القديس كيرلس الأورشليمي:** يتحدث عن تجسد الكلمة فيقول: "في الواقع كان ملائماً للطاهر ومعلم الطهارة أن يخرج من أخدار طاهرة".

---

(١) (لو ١: ٢٨).

(٢) مريم العذراء المنزهة عن الخطيئة الأصلية: (ص٦٤).

(٣) مريم العذراء المنزهة عن الخطيئة الأصلية: (ص٦٨)، وانظر: خلاصة اللاهوت المريمي(ص٨٥ – ٨٦)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص٨٢)، تاريخ الفكر المسيحي: (٢/١٩٤–١٩٥)، الدرة النفيسة في بيان حقيقية الكنيسة: (ص١٧٧-١٧٨).

٤. **ثيودوسيوس أسقف مدينة أنقرة**[١]: شهد بنقاء العذراء من كـــل وصـــمة خطيئة فقال: "لقد اختار لنا الله عوضاً عن حواء التي صارت أداة موت، عذراء ممتلئـــة نعمة، نالت حظوة في عينيه لترد لنا الحياة، عذراء صنعت بطبيعة المرأة ولكـــن بـــدون خطيئة المرأة، عذراء طاهرة بريئة من كل عيب، كاملة الطهر منزهة عن كل خطيئـــة، قديسة نفساً وجسداً، نبتت كالزنبقة وسط الأشواك، عذراء متلحفة بالنعمة الإلهية... ، إنها عذراء تفوق فردوس عدن، ناجية من أميال حواء".

٥. **فوثيوس بطريرك القسطنطينية**: "إن مريم هي التحفة العظيمة التي نحتها الله بيده الخاصة. . . . ، استولى عليها الحب الإلهي بجملتها. . . . ، وقد اختارها الله قبل مولدها لتكون أماً للكلمة، هي العذراء بلا عيب، ابنة جنسنا المنزهة عن كل خطيئة...، هي التي لم تعرف لنزعات الشهوة غير المرتبة موضعاً. . . . ، بل كانت نفسها ســـائدة على جسدها سيادة كاملة على حد ما كان عليه الإنسان في حالة البراءة الأولى".

وينزه فوثيوس العذراء عن كل زلة في حياتها، وكل خطيئة فعلية مهما كانت خفيفة، ويُلح كثيراً على توضيح هذه الفكرة: "إن مريم استحقت بقداستها أن يختارها الله لشـــرف الأمومة الإلهية"، ويصرح أكثر من مرة: "إن الله قدس مريم مذ كانت في الأحشاء الوالديـــة لتكون هيكله الحي"، "تقدست مريم تمام القداسة من أحشاء أمها لتكون هيكلاً حياً لربها".

كل هذه النصوص توضح مفهوم فوثيوس وتعليمه عن العذراء مريم، فهي قديسة منذ لحظة وجودها في الحشا الوالدي، وهذا هو مضمون عقيدة الحبل بمريم المنزهة عن الخطيئـــة الأصلية"[٢].

---

(١) ثيودوسيوس أسقف أنقرة: كان ثيؤدوسيوس صديقًا لنسطور ومعينًا له، لكنه في مجمع أفسس (سنة ٤٣١م) انقلب إلى الضد؛ فصار من أكثر معاوني القديس كيرلس الكبير ضد نسطور. حُرم في المجمع النسطوري بطرسوس سنة (٤٣٢م). له عدة كتابات منها: مقالات ضد نسطور مفقودة؛ شرح لقانون الإيمان النيقوي؛ وعدة مقالات عن عيد الميلاد والتطهير. قاموس آباء الكنيسة: نسخة إلكترونية.

(٢) مريم العذراء المنزهة عن الخطيئة الأصلية: (ص٧٦ – ٩٦).

(ج) ما جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام [(١)]:

يستدل الكاثوليك على صيانة مريم العذراء عليها السلام من مس الخطيئة الأصلية بحديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها»[(٢)] ثم يقول أبو هريرة واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [سورة آل عمران ٣٦].

المطلب الثاني: الاعتراضات على هذه العقيدة.

أورد الرافضون لهذه العقيدة جملة من الاعتراضات يذكر منها ما يلي:

(١) إن هذه العقيدة بدعة حديثة تم الاعتراف بها رسمياً في عهد البابا بيوس التاسع في (٨ ديسمبر ١٨٥٤م)، فقبل هذا التاريخ وحتى في المجامع الكاثوليكية المقدسة عندهم لا نجد أثراً لهذه العقيدة.

(٢) تعلم الكنيسة الكاثوليكية أن مريم ولدت بدون خطيئة، وأنها كانت خالية تماماً من كل خطيئة؛ لكن نصوص الكتاب المقدس تخبر أن ولادة مريم العذراء كانت بنفس الطريقة كأي إنسان آخر وبنفس الدوافع والضعفات والضروريات والحدود البشرية، حيث يقول الكتاب: "المولود من الجسد جسد هو"[(٣)]، "من يخرج الطاهر من النجس؟ لا أحد"[(٤)].

(٣) إن العذراء مريم قالت في تسبيحتها: "تعظم نفسي الرب، وتبتهج روحي بالله مخلصي"[(٥)].

---

(١) الدرة النفيسة في بيان حقيقة الكنيسة: (ص١٨٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً) (١١/١٠٥/ح٤٥٤٨).

(٣) (يو ٣: ٦).

(٤) (أي ١٤: ٤).

(٥) (لو ١: ٤٦).

ومن خلال هذا النص يتضح أنَّ العذراء قد أدركت خطيئتها الخاصة، وعرفت أنها بحاجة إلى الخلاص مما يدلل على حملها للخطيئة الأصلية وحاجتها للخلاص كسائر البشر.

(٤) إن هذه العقيدة ضد الفداء والكفارة، فجميع النصوص تدل بأن الجميع قد ورث الخطيئة الأصلية، وأننا لا نستطيع الخلاص إلا بالفداء بدم المسيح؛ لأنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة "، وكل شيء تقريباً يتطهر حسب الناموس بالدم، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة"(١).

فكيف أمكن أنْ تخلص العذراء من الخطيئة الأصلية بدون سفك دم؟! والأخطر من ذلك أنه لو كان هناك طريقة للخلاص من الخطيئة الأصلية ومن الحكم الذي وقع على الأبوين غير الفداء فلماذا الفداء إذاً؟! لماذا لم يعممها الله على جميع البشر أُسوةً بالعذراء؟! ولماذا التجسد؟!

ولماذا أخلى الرب ذاته آخذاً صورة عبد؟ ولماذا احتمل الآلام والإهانات؟!

(٥) لو قبلنا هذا الرأي بوجوب خلو العذراء من الخطيئة الأصلية حتى لا يرثها المسيح منها، فكيف لم ترثها العذراء من والديها، إلا لو كانوا هم أنفسهم بلا خطيئة أصلية، وماذا عن آبائهم وآباء آبائهم صعوداً إلى آدم وحواء، فبمنطق الكاثوليك يلزم أحد أمرين لا ثالث لهما:

أ) إما أن آدم وحواء لم يخطئا.

ب) أن أبوي العذراء لم يكونا من نسل آدم وحواء.

ولا يمكن القول بأحدهما لاستحالتهما ومخالفتهما للعقل ولنصوص الكتاب.

(٦) إن المدائح التي قيلت في العذراء لا يؤخذ منها دليل ولا يبنى عليها حكم، فقد اعتاد الناس أن يستعملوا فيها المغالاة إذا مدحوا أحداً، أو وصفوه بصفة مشرفة له، ومدح

---

(١) (عب ٩: ٢٢).

الكنيسة للعذراء هو من هذا القبيل، بالنظر إلى الفضائل التي تعبت في الحصول عليها وامتازت بها عن غيرها.

(٧) إن هذه العقيدة من الخطورة بمكان؛ لأنها تمس الفداء وتقلل من قيمته بصورة كبيرة، وتقلل من عمل الروح القدس في التجسد، وهي أمور لا يستطيع أي مسيحي أنْ يتخلى عنها؛ لأنها من أغلى العقائد الإيمانية[١]، عندهم.

(١) انظر: تنوير الأذهان بما في الكنيسة الرومانية من الزيغان: (ص٢٣٩ – ٢٤٢)، العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس الفصل السابع، مريم ابنة عمران بين اليهودية والمسيحية والإسلام: (ص٣٥ -٣٦)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص٨٣ – ٨٤)، موسوعة علم اللاهوت: (٤٥٢/٤)، شرح أصول الإيمان: (ص١٥٧).

المبحث الثاني: بتولية العذراء الدائمة.

يؤمن الأرثوذكس والكاثوليك معاً ببتولية العذراء الدائمة، وذلك لاعتقادهم بأن العذراء حبلت وولدت الإله المتجسد، فلزم من ذلك بقاؤها عذراء إلى الأبد، قبل الحبل وأثناء الحبل وبعد الولادة، وهذا الأمر يرفضه البروتستانت الذين يعتقدون بأن لها بنين بعد المسيح من زوجها القديس يوسف النجار (١).

وقد أُقرت هذه العقيدة في المجمع القسطنطيني الثاني سنة (٥٥٣م) وجاء فيه:

"ليكن مبسلاً كل من لا يعترف أنَّ كلمة الله ولد ولادتين: الولادة الأولى منذ الأزل من الآب لا تحصر في زمان أو في جسد، والثانية في الأيام الأخيرة إذ نزل من السماء وصار جسداً من القديسة المجيدة مريم والدة الإله الدائمة البتولية وولد منها"(٢).

جاء في تعليم الكنيسة الكاثوليكية ما نصه: "تَعْمُق الكنيسة في إيمانها بالأمومة البتولية قادها إلى الاعتراف ببتولية مريم الحقيقية والدائمة حتى في ولادتها ابن الله المتأنس، فميلاد المسيح لم ينقص ببتولية أمه، ولكنه كرس كمال تلك البشرية، ليترجيا الكنيسة تشيد بمريم على أنها دائمة البتولية"(٣).

(١) انظر: الفروق العقيدية: (ص٣٢–٣٣)، السيدة العذراء، البابا شنودة الثالث، الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، مطبعة الأنبا رويس الأوفست بالعباسية، الطبعة الثالثة: (ص١٦)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٣٩٠)، اللاهوت المقارن: البباشنودة: (٩٥/١)، أرثوذكسيتي تراث وعقيدة وحياة: (ص٩٣)، التجسد الإلهي ودوام بتولية العذراء، القس عبد المسيح أبو الخير، مطبعة المصريين، الطبعة الثانية: (ص٣)، موسوعة علم اللاهوت: (٤٢٢/٤)، القديسة مريم في المفهوم الأرثوذكسي: (ص١–٥)، العذراء القديسة مريم ثيئوتوكس: (ص٧١).

(٢) مجموع الشرع الكنسي: (ص٤٦٧).

(٣) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (١١٩/١).

المطلب الأول: البراهين التي يستند إليها المؤمنون بهذه العقيدة.

مما استدلوا به لإثبات صحة ماذهبوا إليه:

أ- البراهين الكتابية

- "ثم أرجعني إلى طريق باب المقدس الخارجي المتجه للمشرق وهو مغلق، فقال لي الرب: هذا الباب يكون مغلقاً لا يفتح ولا يدخل منه إنسان؛ لأن الرب إله إسرائيل دخل منه فيكون مغلقاً"(١).

وقد فسر القديس أوغسطينيوس هذا النص بقوله: "ما معنى باب مغلق في بيت المقدس؟! إلا أنَّ القديسة مريم تكون على الدوام بلا دنس، مالكة لخاتم بتوليتها، وما معنى قوله: لا يدخله إنسان؟! إلا أنْ القديس يوسف النجار لم يعرفها قط. وما معنى: أنَّ هذا الباب يكون مغلقاً لا يفتح! إلا أن مريم قد كانت قبل الولادة عذراء وبقيت بعد الولادة عذراء أيضاً"(٢).

وجاء عن القديس جيروم: "مع أن هذا الباب كان مغلق، دخل يسوع إلى مريم القبر الجديد المنحوت في الصخر الذي لم يرقد فيه من قبل ولا بعد، إنها جنة مغلقة ينبوع مختوم، هي الباب الشرقي الذي تحدث عنه حزقيال المغلق إلى الدوام، المملوء نوراً يدخل إلى قدس الأقداس، منه يدخل ويخرج من هو على رتبة ملكي صادق، ودعوهم يخبروني كيف دخل يسوع والأبواب مغلقة وأنا أجيبهم كيف تكون القديسة مريم أماً وعذراء بعد ميلاد ابنها"(٣).

- قول العذراء للملك جبرائيل: "كيف يكون لي هذا وأنا لست أعرف رجلاً"(٤).

تساءلت العذراء كيف أحبل وأنا عذراء، وقد نذرت البتولية وليس في نيتي التراجع عنها!

---

(١) (حز ٤٤: ١ – ٣).

(٢) موسوعة علم اللاهوت: (٤٢٢/٤)، وانظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٣٩٠).

(٣) التجسد الإلهي ودوام بتولية العذراء: (ص٦).

(٤) (لو ١: ٣٤).

فيجيبها الملك: إن هذا الحبل لن يمس بتوليتك ولن يضطرك للتراجع عما نذرتِهِ وسوف تظلين بتول إلى الأبد، وأما عن الكيفية فهذا عمل الله وحده[١]، فأجاب الملك وقال لها: "الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله"[٢] تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ب- شهادة الآباء[٣]:

(١) باسيليوس الكبير: "إن المسيحين لا يطيقون أن يسمعوا من "هرطوقي" بزواج العذراء بعد ولادها السيد المسيح؛ لأنه على خلاف ما تسلموه من آبائهم".

(٢) العلامة القبطي أوريجانوس: "لقد وصل إلينا -من التقليد- أنَّ بتولية العذراء الدائمة كانت من الحقائق التي تداولتها الكنيسة منذ نشأها"، كما يقول في موضع آخر: "لقد تلمسنا تقليداً في هذا الشأن، أنَّ مريم قد ذهبت إلى الهيكل بعدما أنجبت المخلص لتتعبد ووقفت في الموضع المخصص للعذارى، فحاول الذين يعرفون عنها أنها أنجبت ابناً طردها من الموضع، لكن زكريا أجابها أنها مستحقة المكوث في موضع العذارى إذ لا تزال عذراء".

(٣) اكليمنضس الإسكندري: "إن مريم العذراء استمرت عذراء"، رافضاً الادعاء بأنها قد صارت امرأة -أي فقدت بتوليتها- بسبب إنجابها الطفل.

(٤) يوحنا فم الذهب: "لم تحل بتولية العذراء الطاهرة خلال الميلاد غير الدنس، كما لم تقف البتولية في طريق ميلاد عظيم كهذا".

(٥) غريغوريوس النيصي: "السيد المسيح وحده فتح أبواب بتوليتها المغلقة، ومع هذا بقيت الأبواب مغلقة تماماً".

(٦) الإسكندري ديديموس: "أكد بأنها عذراء في الحمل وبعد الميلاد ويدعوها دائمة البتولية".

---

(١) التجسد الإلهي ودوام بتولية العذراء: (ص٨).

(٢) (لو ١: ٣٥).

(٣) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٢٤)، القديسة العذراء مريم في المفهوم الأرثوذكسي: (٩-١٠)، التجسد الإلهي ودوام بتولية العذراء: (٦-١٠)، العذراء القديسة مريم: (ص٧١ – ٧٦).

المطلب الثاني: الاعتراضات على هذه العقيدة.

أورد الرافضون لهذه العقيدة جملة من الاعتراضات على النحو التالي:

(١) إنَّ عدم استمرارية بتولية العذراء بعد ولادتها للمسيح لا تعد خطيئة أو عاراً وليس في ذلك ما يقلل من شأنها ومكانتها، والقول بدوام بتوليتها لم يرد في التاريخ إلا بعد القرن الثالث، وهذه الفترة ظهرت فيها بدع وهرطقات كثيرة، وظهر من يؤلهون العذراء ويعبدونها، وهذا مخالف لفكر كلمة الله[١].

(٢) إن فكرة دوام بتولية العذراء بعد ولادتها للمسيح لا مستند لها من الكتاب المقدس، بل نصوص الكتب تؤكد خلاف ذلك؛ إذ ثبت بنصوص الكتاب اقتران العذراء بعد ولادة المسيح بالقديس يوسف، وولادتها لأبناء له هم: يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا.

- "فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب، وأخذ امرأته ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ودعا اسمه يسوع"[٢]، أي أنه عرفها بعد إنجابها لابنها البكر يسوع المسيح، ومعنى كلمة يعرفها: أي جامعها جماع الأزواج، ودليل ذلك أن كلمة يعرفها معناها النكاح والوطء، جاء في سفر التكوين ما يؤيد ذلك في العلاقة بين آدم وحواء: "وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قايين وقالت: اقتنيت رجلاً من عند الرب ثم عادت فولدت له أخاه هابيل"[٣].

- قوله: "ابنها البكر" دليل على أنه الأول بين إخوته[٤]، وهذا ما أثبتته نصوص الكتاب، فقد جاء ذكر إخوة للمسيح في النصوص التالية: "أليس هذا هو النجار ابن مريم وأخو يعقوب ويُوسي ويهوذا وسمعان؟ أوليست أَخَواتُهُ ههنا عندنا"[٥].

---

(١) انظر: القديسة العذراء مريم، القس عماد عبد المسيح: (ص٤).

(٢) (مت ١: ٢٤ – ٢٥).

(٣) (تك ٤: ١ – ٢).

(٤) (لو ٢: ٧)، (مت ١: ٢٥).

(٥) (مر ٦: ٣).

- "وفيما هو يكلم الجموع إذ أمه وإِخْوَتُهُ قد وقفوا خارجين طالبين أن يكلموه"(١).

"ولما جاء إلى موطنه كان يعلمهم في مجتمعهم حتى بهتوا وقالوا: من أين لهذا هذه الحكمة والقوات أليس هذا ابن النجار؟! أليست أمه تدعى مريم و وإِخْوَتُهُ يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا؟! أو ليست أَخَوَاتُهُ جميعهن عندنا؟ فمن أين لهذا هذه كلها؟ "(٢).

قول بولس في رسالته لأهل غلاطية: "ثم بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يوماً ولكني لم أر غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الرب"(٣).

"هؤلاء كلهم كانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطِّلبة مع النساء ومريم أم يسوع ومع إِخْوتِه"(٤).

"وبعد هذا انحدر إلى كفر ناحوم هو وأمه وإِخْوتِهِ وتلاميذه وأقاموا هناك أياماً ليست كثيرة"(٥).

- إنَّ العذراء بعد الولادة صارت امرأة و لم تعد عذراء. وهذا بشهادة المسيح نفسه عندما قال لها في عرس قانا الجليل: "مالي ولك يا امرأة لم تأتِ ساعتي بعد"(٦).
- وكذلك عبارة امرأة التي قيلت ليوسف: "إذا ملاك الرب قد ظهر له في حُلم قائلاً: يا يُوسُفُ بن داود، لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك"(٧).

"فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب، وأخذ امرأته"(٨).

---

(١) (مت ١٢: ٤٦).
(٢) (مت ١٣: ٥٤ – ٥٥).
(٣) (غلا ١: ١٨ – ١٩).
(٤) (أع ١: ١٤).
(٥) (يو ٢: ١٢).
(٦) (يو ٢: ٤).
(٧) (مت ١: ٢٠).
(٨) (مت ١: ٢٤).

(٣) إن الإعجاز في عذريتها وقت ميلاد المسيح فقط وليس بعده، ودوام العذرية بعد الولادة يُعد محالاً، وليس محالاً فقط بل يناقض العقل تماماً، ويُعد ضحكاً على الذقون فلابد من زوال البكارة بفعل الجنين عند نزوله[١].

(١) انظر: القديسة العذراء مريم: (ص٤)، مريم ابنة عمران بين اليهودية والمسيحية والإسلام: (ص٣٨).

المبحث الثالث: تلقيب العذراء مريم بوالدة الإله.

الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية تعتقد وتعلم بأن تلقيب القديسة العذراء مريم الدائمة البتولية بوالدة الإله "ثيؤطوكس، Theotokos" ضرورة لاهوتية تحتمها حقيقة التجسد الإلهي، بما أن المولود منها هو السيد المسيح "الكلمة" الإله المتأنس، بينما ترفض الكنيسة البروتستانتية ذلك وتنكر عليها هذا اللقب مكتفية بكونها "والدة يسوع" الإنسان[١].

معنى عبارة "ثيؤطوكس":

يقول الأسقف بيرسون: "إن الكنيسة اليونانية هي أول من استعمل هذه العبارة بسبب سهولة التركيب في لغتها فدعتها "والدة الإله العذراء المباركة" وقلدتها في ذلك الكنيسة اللاتينية بلغتها".

ثم يقول: "ولذلك بسبب هذه الأمور الثلاثة: الحبل الحقيقي، والتغذية، والولادة يجب أن نعترف بأن العذراء المباركة كانت حقاً أم مخلصنا، وهكذا دعيت "أم يسوع" بلغة البشيرين و"أم ربي" بلغة اليصابات، وهي تدعى "والدة الإله" بموافقة الكنيسة إجمالاً؛ لأن الذي ولد منها كان الله، وقد بدأ هذا الاسم المركب في الكنيسة اليونانية والذي أخذته عنها الكنيسة اللاتينية ففصلته إلى جزئيه فدعيت العذراء "أم الله، ووالدة الإله"[٢]. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

---

(١) انظر: اللاهوت المقارن، الأنبا غريغوريوس: (ص١٨٢–١٨٣)، اللاهوت المقارن البابا شنودة: (٨٤/١)، العذراء القديسة مريم: (ص١٥)، موسوعة علم اللاهوت: (٤٢٤/٤)، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (١٢٠/١)، العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس، الفصل السابع، الفروق العقيدية: (ص٣٢–٣٣)، عبادة مريم في المسيحية والظهورات المريمية، معاذ عليان، تقديم: د. عبد الله سمك، مكتبة النافذة: (ص٥٦)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٣٨٩)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص٨٦)، أرثوذكسيتي تراث وعقيده وحياة: (ص٩٦).

(٢) مجموع الشرع الكنسي: (ص٣١١).

وقد تقررت هذه العقيدة في مجمع أفسس الأول سنة (٤٣١م) وزيد في أمانة نيقية فقرة تخصها جاء فيها "نعظمك يا أم النور الحقيقي ونمجدك أيتها العذراء القديسة والدة الإله"[١].

ومما جاء فيه: "ليكن مبسلاً كل من لا يعترف أن عمانوئيل هو إله حق، وأن العذراء القديسة هي لذلك والدة الإله لأنها بحسب الجسد ولدت كلمة الله الذي صار جسداً كما كتب: "والكلمة صار جسداً[٢]"[٣].

تاريخ العبارة "ثيؤطوكس".

هذه العبارة قديمة في لاهوت الكنيسة فقد استعملها الأسقف الكسندروس في رسالة في مجمع التأم سنة (٣٢٠م) في الإسكندرية للحكم على دعوة آريوس، كما استخدمت عند عدد من آباء الكنيسة منهم القديس أثناسيوس الذي قال: "كما ولد الجسد من مريم والدة الإله، هكذا نقول أنه الكلمة" هو نفسه ولد من مريم"، وكذلك القديس كيرلس الأورشليمي.

وكان ثيودوريوس[٤] أسقف (موبسويستيه) أول من اعترض على هذه العبارة بقوله: "إن مريم ولدت يسوع لا الكلمة، لأن الكلمة كان ولا يزال حاضراً في كل مكان وإنْ سكن منذ البداءة في يسوع بطريقة خاصة، وهكذا فإنَّ مريم هي أم يسوع نفسه وليست أم الله. . . . ؛ لأنها في الحقيقة ولدت إنساناً به ابتدأ اتحاد الكلمة".

---

(١) انظر: الله ﷻ واحد أم ثلاثة: (ص٢١٨).

(٢) (يو ١: ١٤).

(٣) مجموع الشرع الكنسي: (ص٣٠٧).

(٤) ثيودوريوس أسقف موبسويستيه (٣٥٠-٤٢٨) نشأ في عائلة شغوفة بالعلم مولعة بالأدب، تتلمذ على يد الفيلسوف ليبانيوس، كان محباً ومتأثراً بيوحنا فم الذهب، بدأ حياة الرهبنة و لم يتجاوز العشرين من عمره، سيم كاهناً في طرطوس سنة: (٣٨٣م)، ثم انتقل الى مدينة موبسيوست في مقاطعة سلسي ونُصب أسقفاً لها لمدة (٣٦) سنة، كان واسع العلم عميق التفكير، جاداً صبوراً في أبحاثه وكتاباته، تعرضت مؤلفاته للحرق والإخفاء إثر الحكم عليه بالهرطقة في المجمع المسكوني الخامس سنة (٥٥٣م)، يعتقد بعض اللاهوتيين أنه الأب الروحي الحقيقي لنسطوريوس، من مؤلفاته: تفسير العهد القديم والجديد، التجسد، لاهوت الروح القدس. انظر: تاريخ الفكر المسيحي: (٣/٩٣-١٤٦).

وقال في موضع آخر: "إنه من الجنون أن نقول أن الله ولد من مريم"(١).

المطلب الأول: البراهين التي يستند إليها المؤمنون بهذه العقيدة.

من جملة أدلتهم:

أولاً: البراهين الكتابية.

أ- قول اليصابات للعذراء مريم: "من أين لي هذا أنْ تأتي أم ربي إليّ"(٢).

ب- قول الملك للعذراء مريم: "الروح القدس يحل عليك، وقوة العلي تظللك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله"(٣).

ج- قول الملك للرعاة: "إنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب"(٤).

د- قول إشعياء النبي: "هو ذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا "(٥).

ه- قول زكريا لابنه يوحنا المعمدان: "وأنت أيها الصبي نبي العلي تُدعى لأنك تتقدم أمام وجه الرب لتُعِدَّ طُرقه"(٦).

ويعتقد الأرثوذكس والكاثوليك بأن هذه النصوص تثبت أن العذراء مريم تدعى "والدة الإله"؛ لأنها ولدت المسيح "وهو الله ظهر في الجسد"(٧) أي الإله المتأنس والمتجسد ومن يقول غير ذلك فقد أنكر لاهوت المسيح ووقع في الكفر والضلال(٨).

---

(١) مجموع الشرع الكنسي: (ص٣١٠).

(٢) (لو١: ٤٣).

(٣) (لو١: ٣٥).

(٤) (لو ٢: ١٢).

(٥) (إش ٧: ٤، مت ١: ٢٣).

(٦) (لو ١: ٧٦).

(٧) (١ تى ٣: ١٦).

(٨) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٢٥)، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (١/١١٨)، أرثوذكسيتي تراث وعقيدة وحياة: (ص٩٦).

ثانياً: شهادة الآباء.

أ- **القديس كيرلس الكبير "عمود الدين"**: "بقولنا إنَّ مريم والدة الإلـه لا يفهم منه أنَّ طبيعة الكلمة أو اللاهوت أخذ بدايته من هذه القديسة، بل إن منها قد تصور الجسد المقدس بنفس ناطقة وبه أي "الجسد" اتحد الكلمة اتحاداً أقنومياً، ومن ثم يقال: إن الكلمة قد ولد حسب الجسد وإني لأعجب من وجود من يرتابون في تلقيب العذراء بوالدة الإله، لأنه إذا كان المسيح إلهاً فكيف يضن على التي ولدته بلقب أم الله؟! "[١].

ب- **القديس أثناسيوس**: "كما ولد الجسد من مريم والدة الإله، هكذا نقول أنه "الكلمة" هو نفسه ولد من مريم"[٢].

ج- **القديس يعقوب السروجي**[٣]: "هذا هو الابن الذي صور أمه -في بطن أمها- وقد تصور جسدياً وصار منها زين أمه بصورة أبيه حين خلقها، وفي آخر الزمان جاء فتصور فيها وصار منها بالأمس خلقها واليوم ولد منها، فإنه أقدم أو أحدث من والدته"[٤].

---

(١) موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٢٥)، وانظر: الصخرة الأرثوذكسية: (ص٨٨)، اللاهوت المقارن: الأنبا غريغوريوس: (ص١٨٨).

(٢) مجموع الشرع الكنسي: (ص٣١٠).

(٣) يعقوب السروجي (٤٤٩-٥٢١): ولد في قرية كورتم وقيل في حورا على ضفة الفرات من أعمال مدينة سروج، تلقن في مدرسة الرها اللغة السريانية والفلسفية واللاهوتية والكتابية، اشتهر بالعلم والبلاغة، رسم أسقفاً على بطنان، ترك عدداً كبيراً من الرسائل وضمنها حثاً على التقوى، وإرشاداً، وحلاً للمسائل الكتابية، وتفسيراً للنصوص، واعتصاماً بالمعتقد الأرثوذكسي، كما نظم عدداً كبيراً من القصائد تناولت موضوعات شتى، هاجم نسطوريوس والمونوفيزين بعنف قائلاً بطبيعتين كاملتين في المسيح يجمعهما الأقنوم الواحد، وبأمومة العذراء الإلهية غير المنقوصة. انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: (ص ٥٦٩-٥٧٥).

(٤) موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٢٥)، وانظر: أرثوذكسيتي تراث وعقيدة وحياة: (ص٩٧).

ثالثاً: ما جاء في مقدمة قانون الإيمان النيقوي الذي يؤكد أن القديسة مريم والدة الإله.

"نعظمك يا أم النور الحقيقي، ونمجد لك أيتها العذراء القديسة والدة الإلــه لأنــك ولدت لنا مخلص العالم"(١).

رابعاً: القياس.

"بما أن يسوع المسيح الذي ولدته العذراء القديسة مريم هــو الله ظهــر في الجســد فواجب بحق وعدل أنْ تدعى العذراء أم الله، لأنه إن كان سيدنا يسوع المسيح إلهاً فكيف لا تكون التي ولدته أماً لله، فهذه النتيجة لا يمكن لأحد إنكارها؛ لأن مريم هــي أم يســوع ويسوع هو الله فمريم هي أم الله، وحيث أنَّ المقدمة صادقة فالنتيجة صادقة، فإذا لم تكــن القديسة مريم أماً لله، لا يكون الابن المولود منها إلهاً، وهذا كفر شنيع"(٢).

المطلب الثاني: الاعتراضات على هذه العقيدة.

أورد الرافضون لهذه العقيدة جملة من الاعتراضات منها:

(١) لا يحق تلقيب العذراء مريم بوالدة الإله؛ لأن الكتاب المقدس لم يطلــق عليهــا هــذا اللقب(٣).

(٢) إن تلقيبها بوالدة الإله يعارض ما جاء في الكتاب المقدس: "المولود من الجســد جسد هو، والمولود من الروح هو روح"(٤)، فالسيدة العذراء جسد والذي يولد منها لابــد أن يكون جسداً فقط(٥).

---

(١) انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٣٩٠)، موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٢٥–٤٢٦)، اللاهوت المقارن الأنبا غريغوريوس: (ص١٨٢)، أرثوذكسيتي تراث وعقيدة وحياة: (ص٩٨).

(٢) الصخرة الأرثوذكسية: (ص٨٧). وهذا القياس الذي استدلوا به قياس فاسد في مقدمته ونتيجته، والصواب أن يقال: بما أن العذراء –والدة المسيح ﷺ – بشرٌ فالمولود منها بشر بلا بد، وليس إلهاً –كمايزعمون–.

(٣) العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس، الفصل السابع.

(٤) (يو ٣: ٦).

(٥) عبادة مريم في المسيحية: (ص٥٦).

(٣) يقول القس صموئيل بندكت: "تعلم الكنيسة الكاثوليكية أن مريم هي أم الله وبذلك تجعلها أم الطبيعة الإلهية للمسيح، لم تكن مريم أم لاهوت المسيح، ولكنها كانت أم الطبيعة البشرية فقط، وعندما نقول: إن مريم هي أم الله نعتبرها موجودة قبل الله، ونجعل الله بداية، مع العلم أنها مخلوقة بشرية خلقها الله كباقي الناس، صحيح أن الياصابات قالت لها: "أم ربي" ولكن ذلك لا يعني أنها أم يهوه "أم الله"، إذ في اللغة اليونانية -لغة الإنجيل الأصلية- كلمة "رب" تشير إلى يسوع كمولود في العالم وليس إلى يهوه، والقصد الحقيقي من تسمية مريم "أم الله" هو رفعها وتمجيدها بينما هي مخلوقة بشرية والكتاب المقدس لم يطلق عليها هذا اللقب"(١).

(٤) إن تلقيب العذراء بوالدة الإله من العقائد الوثنية التي تسربت إلى المسيحية في قرونها الأولى، حيث كان قدماء المصريين يلقبون والدة ايزيس "بوالدة الإله" و"ملكة السماء"، وفي مجموعة الآلهة البابلية كانت عشتار الآلهة الرئيسة وقد خاطبها عبادها بصفتها "العذراء، والأم العذراء، وآلهة الإلاهات".

جاء في القاموس الأممي للاهوت العهد الجديد: إن الأفكار الكاثوليكية عن "أم الله وملكة السماء" رغم أنها أحدث من العهد الجديد، تشير إلى جذور دينية تاريخية أبكر بكثير في الشرق. . . . ، وفي التبجيل الأحدث لمريم هنالك آثار كثيرة للعبادة الوثنية للأم الإلهية.

إن الألقاب عينها المعطاة لمريم تذكرنا بأمهات الآلهة الوثنية، فعشتار كانت تنادى بصفتها "العذراء المقدسة، الأم الرحيمة التي تُصغي للصلاة، سيدتي"، وإيزيس وعستارت كانتا تدعيان "ملكة السماء"، وسيبيل كانت تسمى "أم كل المطوبين"، جميع هذه الألقاب مع اختلاف بسيط تنطبق على مريم(٢).

---

(١) العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس، الفصل السابع.

(٢) انظر: برج المراقبة تعلن ملكوت يهوه، الأم الإله لا تزال تعبد، العدد ١٣ (١) تموز "يوليو" ١٩٩١م: (٣-٧).

المبحث الرابع: مريم عليها السلام في الإسلام.

المتأمل في نصوص الكتاب والسنة يعلم علم اليقين عظمة الدين الإسلامي واعتداله، وصحة ما جاء به من معتقدات تناسب الفطرة السوية والعقل السليم.

وما جاء عن العذراء مريم عليها السلام من فضائل في الإسلام لم يرد في دين النصارى نفسه، فقد تناول الإسلام كل شيء متعلق بها ابتداء من الحمل بها حين كانت جنيناً في رحم أمها مروراً بولادتها ونشأتها نشأة إيمانية قائمة على التبتل والعبادة، فأجرى الله ﷻ لها العديد من الكرامات كان أبرزها حملها وولادتها للمسيح عليه السلام(١)، هذا وقد زكاها الله ﷻ في كتابه تزكية عظيمة وخلد ذكرها بسورة تحمل اسمها، وذكر النبي عليه الصلاة والسلام عظيم فضلها ورفعة مترلتها، حيث كانت من النساء العابدات القانتات الكاملات، جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام قوله: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا: آسية امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»(٢).

فمريم عليها السلام:

(١) **الصِّدِّيقة**، بلغت الغاية في التصديق بكلمات ربها وكتبه والثقة بموعوده.

قال تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ ﴿٧٥﴾﴾ [سورة المائدة ٧٥].

---

(١) انظر: سيرة نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام وبيان فساد دين النصارى، د. محمد سعد عبد الدايم: (ص٦-٧)، تكريم القرآن الكريم لمريم عليها السلام، محاضرة للشيخ أحمد ديدات.

https: //www. youtube. com/watch?v=MxOGvHEv04Y

(٢) أخرجه البخاري ومسلم، واللفظ للبخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: "وضرب الله مثلاً": (١٢٥٢/٣/ح٣٢٣٠)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها: (١٨٨٦/٤/ح٢٤٣١).

والصِّدِّيق في اللغة: المبالغ في الصدق، الدائم التصديق، وهو الذي يصدق قوله بالعمل، وفي التنزيل ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ أي مبالغة في الصدق والتصديق(١).

والصديقية: منزلة عالية، وأهلها هم أعلى الخلق رتبة بعد الأنبياء، وقيل: هي العلم النافع المثمر لليقين والعمل الصالح، وفيه دليل على أن مريم عليها السلام لم تكن نبية بل أعلى أحوالها الصديقية(٢).

قال البغوي: "سميت صديقة لأنها صدقت بآيات الله(٣)، قال تعالى في وصفها: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ ﴿١٢﴾﴾ [سورة التحريم ١٢].

وقوله: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ دليل ظاهر أنهما عبدان فقيران محتاجان إلى التغذية به، وإلى خروجه منهما كسائر البشر، وليسا بإلهين كما زعمت فرق النصارى عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة"(٤).

(٢) المصطفاة الطاهرة، العفيفة، البريئة من كل ريبة أثيرت حولها.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة آل عمران ٤٢]، يبين الباري تبارك وتعالى في كتابه الكريم فضيلة مريم عليها السلام وعلو قدرها وشرفها وطهارتها وأنَّ الملائكة قد خاطبتها فقالت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾ أي اختارك، وطهرك من جميع الآفات المنقصة، فالاصطفاء الأول: يرجع إلى الصفات الحميدة والأفعال السديدة والعبادة، والاصطفاء الثاني: يرجع إلى تفضيلها على سائر نساء العالمين بولادتها للمسيح عليه السلام(٥).

---

(١) لسان العرب: (١٠/١٩٣).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: (١/٢٣٩).

(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، تحقيق محمد عبد الله النمر، دار طيبة، الطبعة الرابعة: (٣/٨٣).

(٤) تفسير القرآن العظيم: (٣/١٤٣)، وانظر: تيسير الكريم الرحمن: (١/٢٣٩)، معالم التنزيل: (٣/٨٣).

(٥) انظر: تفسير النكت والعيون، علي بن محمد البغدادي الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: (١/٣٩١)، تفسير القرآن العظيم: (٢/٣٣)، تيسير الكريم الرحمن: (١/١٣٠).

وقد دافع الله ﷻ عنها وبين براءها مما رماها به اليهود من الوقوع في الفاحشة — حاشاها من ذلك- في مواضع كثيرة من كتابه فأثبت عفتها بكلام المسيح عليه السلام في المهد، ليكون ذلك آية على طُهر أمه، وطرداً للظنون والشكوك التي أثيرت حولها عندما جاءت قومها وهي تحمله، و لم تكن ذات زوج، قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [سورة مريم ٢٧-٣٣].

وقد أوضح الله براءها مع بيان سبب حملها للمسيح عليه السلام من غير زوج وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾ [سورة مريم ١٦-٢١].

ومن الآيات التي بيَّن الله فيها براءها قوله تعالى: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَـٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [سورة الأنبياء ٩١].

وقوله في سورة التحريم: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة التحريم ١٢]، وقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة آل عمران ٥٩].

والمثير للدهشة أنَّ النصارى يقرون بولادة المسيح عليه السلام المعجزة، إلا أنهم ينكرون كلامه في المهد.

يقول الجاحظ: "كذلك كان ما ذكره القرآن من كلام عيسى في المهد مثاراً لاعتراض النصارى، وملخص كلامهم أنهم رغم تمجيدهم له عليه السلام، لا يعرفون له تلك المعجزة، وكذلك

لا يعرفها اليهود ولا المجوس ولا الصابئة ولا الهنود ولا الترك ولا الخزر و لم تسجل في الإنجيل، ورغم أن الكلام في المهد أعجب من كل عجب، إذ هو أمر ينفرد به عيسى عليه السلام دون سائر الأنبياء والمرسلين فضلاً عن أن الخداع فيه غير ممكن". ثم يمضي في رده عليهم قائلاً: "إن النصارى إنما قبلوا دينهم عن يوحنا ومتى (من الحواريين في زعمهم) ومارقس ولوقا (من التابعين) وهؤلاء الأربعة لا يؤمن عليهم الغلط ولا النسيان، ولا تعمُّد الكذب ولا التواطؤ على اقتسام الرئاسة، وإن اختلاف أناجيلهم وتناقضها مع بعضها البعض لدليل على ذلك"(١).

(٣) العذراء البتول، القانتة العابدة.

وهذه من فضائلها عليها السلام، جاء عن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ونحن نحو ثمانين رجلا فيهم عبد الله بن مسعود وجعفر وعبد الله بن عرفطة وعثمان بن مظعون وأبو موسى فأتوا النجاشي، وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية، فلما دخلا على النجاشي سجدا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ثم قالا: إن نفرا من بني عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا، قال: فأين هم؟ قال: هم في أرضك، فابعث إليهم، فبعث إليهم، فقال جعفر: أنا خطيبكم اليوم، فاتبعوه، فسلم و لم يسجد، فقالوا له: مالك لا تسجد للملك، قال: إنا لا نسجد إلا لله عز وجل، قال: وما ذاك، قال: إن الله عز وجل بعث إلينا رسوله ﷺ وأمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله عز وجل، وأمرنا بالصلاة والزكاة، قال عمرو بن العاص: فإنهم يخالفونك في عيسى بن مريم قال: ما تقولون في عيسى بن مريم وأمه؟

قالوا: نقول كما قال الله عز وجل، هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى **العذراء البتول التي لم يمسسها بشر ولم يفرضها ولد**(٢).

---

(١) مع الجاحظ في رسالة الرد على النصارى، د. إبراهيم عوض، مكتبة زهراء الشرق، ١٤١٩هـ: (ص١١٦-١١٧).

(٢) في رواية النهاية لابن الأثير: و لم يفترضها ولد: أي لم يؤثر فيها، و لم يحزها، ورواية ابن الجوزي: أي لم يقرعها ذكر. السيرة النبوية "من البداية والنهاية لابن كثير" تحقيق: مصطفى عبدالواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت. لبنان. (١٠/٢)، و لم يفرضها ولد: أي لم يؤثر فيها. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، محمد بن محمد الربعي، تعليق: إبراهيم رمضان، دار القلم، بيروت: ١٩٣٣هـ: (٣٨/١).

قال: فرفع عوداً من الأرض، ثم قال: يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان والله ما يزيـــدون على الذي نقول فيه ما يسوي هذا، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، أشهد أنه رسول الله، فإنه الذي نجده في الإنجيل، وأنه الرسول الذي بشر به عيسى بن مريم، انزلوا حيث شئتم، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه وأوضئه، وأمر بهدية الآخرين فردت إليهما.

ثم تعجل عبد الله بن مسعود حتى أدرك بدراً، وزعم أن النبي ﷺ استغفر له حين بلغه موته"(١).

وقد قال تعالى ممتدحاً إياها بالقنوت ولـــزوم الطاعـــة: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [سورة التحريم ١٢].

والقنوت: الطاعة، وقيل: طول القيام، قال قتادة: القانتين: المطيعين لربهم، وقال عطاء: من المصلين كانت تصلي بين المغرب والعشاء، ويجوز أن يريد بالقانتين رهطها وعشيرتها التي كانت منهم حيث كانوا مطيعين لله من أهل بيت صلاح وطاعة(٢).

وقال تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [سورة آل عمران ٤٣] "قالت لها الملائكة شفاهاً: أطيعي ربك.

قال مجاهد: أطيلي القيام في الصلاة لربك، وقال الأوزاعي: لما قالت لها الملائكـــة ذلـــك قامت في الصلاة حتى ورمت قدماها، وقال: مع الراكعين، و لم يقل: مع الراكعات، ليكون أعـــم وأشمل، فإنه يدخل فيه الرجال والنساء، وقيل: مع المصلين الجماعة"(٣).

وجاء عن النبي ﷺ قوله: «كمل من الرجال كثير و لم يكمل من النساء إلا آسيا امـــرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»(٤).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده: (٤٦١/١ ح٤٤٠٠). قال الألباني: "وهذا إسناد جيد قوي وسياق حسن"، صحيح السيرة النبوية، محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، الطبعة الأولى: (ص١٦٦).

(٢) انظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، أحمد محمد صيرة، أحمد عبد الغني الجمل، عبد الرحمن عويس، تقديم: عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، ببيروت، لبنان، الطبعة الأولى: (٣٢٤/٤).

(٣) معالم التنزيل: (٣٧/٢).

(٤) سبق تخريجه: (ص٢٨٧).

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وفاطمة سيدة نسائهم إلا ما كان لمريم بنت عمران»(١).

(٤) لا تتصف بشيء من صفات الألوهية.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [سورة المائدة ١١٦-١١٧].

"في الآية إظهار لبراءة المسيح عليه السلام ووالدته مما نُسب إليه من الدعوة إلى عبادتهما، وفيه توبيخ للنصارى الذين يزعمون اتباعهم للمسيح عليه السلام، فتمردوا، وطعنوا في الله جل جلاله، ووصفوه بما لا يليق من اتخاذ الزوجة والولد.

فجاء رد المسيح عليه السلام إقراراً منه بالعبودية لله عز وجل، وتبليغه للرسالة التي كلف بها، وهي الدعوة إلى التوحيد تكذيباً لقومه في افترائهم عليه، وتثبيتاً لحجته على قومه على رؤوس الأشهاد، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾ [٧٢سورة الجن ٣] (٢).

وفِرَقُ النصارى اليوم -كما تدعي الكنيسة- لا تعترف بألوهية العذراء، إلا أن تقديسهم لها الذي قُرر في مجمع أفسس سنة (٤٣١م) والذي وضع في مقدمة قانون الإيمان: "نعظمك يا أم النور الحقيقي ونمجدك أيتها لعذراء المقدسة والدة الإله"، ويؤكده ما جاء من أوامر الكنيسة لأتباعها بالتوجه والدعاء إلى مريم يكذب دعواهم تلك(٣).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده: (٣/٦٤/ح١١٦٣٦)، قال الألباني: حسن صحيح، السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف: (٤٢٣/٢).

(٢) محاسن التأويل: (٢٩٩/٤)، وانظر: تيسير الكريم الرحمن: (٢٤٩/١).

(٣) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (٦٠٦/٢).

قال تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٧٥﴾ [سورة المائدة ٧٥] "فأبطل دعوى ألوهيتهما بصفة الأكل، لأن الإله الحق متره عن الأكل والشرب وآلاته وأسبابه"(١)، وبين حقيقتهما المساوية "لحقيقة غيرهما من أفراد نوعهما وجنسهما بدليل أهما كانا يأكلان الطعام، وكل من يأكل الطعام مفتقر إلى ما يقيم بنيته ويمد حياته، إلى جانب أن أكل الطعام يستلزم الحاجة إلى دفع الفضلات، وعليه فلا يمكن أن يكون رباً خالقاً، ولا ينبغي أن يكون إلهاً معبوداً"(٢).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "فهذا كلام في نفي الألوهية عن المسيح وغيره وتكفير من قال إنه الله، أو إن الله ثالث ثلاثة، ومن اتخذه وأمه إلهين من دون الله، فبين غايته وغاية أمه فقال: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ﴾ ثم قال: ﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾ وهو يقتضي أنَّ أكل الطعام منافٍ للألوهية، فمن يأكل الطعام لا يصلح أنْ يكون إلهاً، فعُلم أنَّ أكل الطعام يستلزم نفي الإلهية، وقد ذكروا في ذلك وجهين:

(١) أشهرهما أنَّ من يأكل ويشرب ويعيش بالغذاء، ومن يقيمه أكل وشرب كان مفتقراً إلى غيره فلا يصلح أنْ يكون إلهاً، وهذا هو الذي ذكره أكثر المفسرين.

(٢) وقالت طائفة منهم ابن قتيبة: إنه نبه على عاقبته وهو الحدث، إذ لابد لأكل الطعام من الحدث، قال: وقوله: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ من ألطف ما يكون من الكناية، وهذا الوجه صحيح في حق المسيح وأمثاله من البشر في الدنيا، فإن أكلهم الطعام يستلزم الحدث، وخروج الحدث من أبين الأشياء دلالة على انتفاء إلهية من يبول ويغوط، وذلك أعظم من كونه يلد، والدليل يجب طرده ولا يجب عكسه، فلا يلزم أن يكون كل من يتغوط أو من لا يأكل ويشرب إلهاً، كما أنه لو استدل على انتفاء الإلهية بأنه لا

---

(١) حقيقة المثل الأعلى وآثاره: (ص٢٥).

(٢) سد الذرائع في مسائل العقيدة على ضوء الكتاب والسنة الصحيحة: (١١٤ص١٢)، وانظر: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: (٤٨٢/٣).

يتكلم ولا يسمع ولا يبصر، كان دليلاً صحيحاً، و لم يلزم أن يكون كل من يتكلم ويسمع ويبصر إلهاً، بل انتفاء صفات الكمال يناقض الألوهية وإن كان ثبوت جنسها لا يستلزم إلهية، كما أنه إذا قيل: إن الإله يجب أن يكون موجوداً قائماً بنفسه حياً عليماً قديراً، فانتفاء هذه الأمور يستلزم انتفاء الإلهية، ولا يستلزم أن يكون كل موجود عليم قدير إلهاً.

وأما إن أريد بهذا الوجه الذي ذكره ابن قتيبة وغيره من لزوم الحدث طرد الدليل فيحتاجون أن يفسروا الحدث بجنس الخارج من الآكل والشارب، فإن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة لهم «رشح كرشح المسك»(١)، وهذا من جنس العرق الذي يخرج من المسام، وهو أيضاً ينافي الصمدية، فإن الصمد الذي لا يدخل فيه شي ولا يخرج منه شيء، فخروج الخارج ولو كان كرشح المسك ينافي الصمدية التي هي من لوازم البارئ، فيكون لزوم الحدث للآكل دالاً على نفي إلهيته من هذه الجهة أيضاً، والصمدية هي المنافية للأكل والشرب وسائر ما يدخل ويخرج"(٢).

وهكذا فإن لعيسى عليه السلام ووالدته الصديقة مترلة عظيمة في قلوب المسلمين حيث يذكرونهما دائماً بأجمل الصفات وأزكى العبارات، وفق العدل والإنصاف الموافق للأخبار الإلهية الصحيحة، دون أن يخرجهم ذلك إلى أي لون من ألوان الغلو كما فعل النصارى، أو النيل منهما باتهامهما بما يندى له الجبين كما فعل اليهود.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وعشيا: (٢١٨٠/٤ ح٢٨٣٤).

(٢) جامع المسائل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد عزيز شمس، إشراف: بكر أبو زيد — دار عالم الفوائد — الطبعة الأولى: (ص١١٦ — ١١٧).

الفصل التاسع

التناقض حول الأسرار الكنسية

وفيه تمهيد وسبعة مباحث:

المبحث الأول: المعمودية.

المبحث الثاني: التثبيت أو المسحة بالميرون المقدس.

المبحث الثالث: التوبة "الاعتراف".

المبحث الرابع: العشاء الرباني "الإفخارستيا".

المبحث الخامس: مسحة المرضى.

المبحث السادس: الزواج.

المبحث السابع: الكهنوت أو الرسامة.



الفصل التاسع
التناقض حول الأسرار الكنسية

تمهيد:

للنصرانية طقوس وشعائر مقدسة يجب القيام بها ولا يصح التخلي عنها، حيث إنها تشكل جوهراً محورياً في دينهم، يقولون عنها: "أسرار إلهية مقدسة، يجب الالتزام بها"[(١)]، وحيث إن الشعائر لا تسمو إلى مرتبة العقائد فإنه يكتفى هنا بالإشارة إلى مواطن الخلاف بين طوائف النصارى حول هذه الأسرار[(٢)] -دون التعرض لنقدها أو لبيان موقف الإسلام منها[(٣)]- حيث اختلفوا حول "تعريفها وأهميتها وفاعليتها وعددها وممارستها"[(٤)] على النحو التالي:

أولاً: تعريف السر الكنسي:

كلمة "سر" بالحبشية مستير وتعني خطة مخفية، أو تدبير مخفي[(٥)].

وكلمة "سر" عند النصارى لها عدة معانٍ منها: أنَّ السر يراد به "كل شيء مقدس، وغير منظور"[(٦)]، ويستدلون بالنصوص التالية: "لتعرفوا أسرار ملكوت السماوات"[(٧)] "ولهم سر

---

(١) انظر: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية: (ص٥٩٣)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٧٤)، حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص٢٤٩).

(٢) انظر: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية: (ص٥٩٣).

(٣) مما ينبغي الإشارة إليه أن موضوع الأسرار الكنسية قد تم التطرق إليه في العديد من الأبحاث والرسائل الجامعية في داخل المملكة وخارجها، ومن الرسائل المفيدة التي عرضت الأسرار بشكل مفصل، مع بيان نقدها وموقف الإسلام منها رسالة بعنوان: الكنيسة أسرارها وطقوسها، أ. د: عادل درويش، جامعة الأزهر؛ البروتستانتية وأثرها على العالم الإسلامي، أ. د: مريم الحربي؛ الأسرار الكنسية (عرض ونقد) أ. سمية الشهري، جامعة أم القرى، فليرجع إليها.

(٤) الفروق العقيدية: (ص٢٠–٢٣). وانظر: البروتستانتية وأثرها على العالم الإسلامي، أ.د: مريم الحربي: الفصل الخامس، المبحث الثاني.

(٥) معجم المصطلحات الطقسية والكنسية: نسخة إلكترونية.

(٦) أسرار الكنيسة: (ص٥).

(٧) (مت ١٣: ١١).

الإيمان"(١)، "سر الرب لخائفيه"(٢)، وتأتي كلمة سر أيضاً "بمعنى رمز أو إشارة أو علامة"(٣)، وتأتي بمعنى "ما خفي على الإنسان، وسر الأشياء: حقيقتها العميقة التي تخفى على الأنظار"(٤).

والسر الكنسي عند:

١) **الأرثوذكس:** "نعمة أو عطية إلهية غير منظورة، تمنح للمتقدم إليه بعمل الروح القدس وذلك بواسطة صلوات وممارسات طقسية تتم على يد كاهن شرعي"(٥).

ويعرفه الأب متى المسكين بقوله: "كلمة سر في المفهوم اللاهوتي: جمعها أسرار أو سرائر، تفيد حقيقة أو حقائق إلهية ثابتة ومستقرة كانت مخفية ومكتومة منذ الدهور، لأنها كانت فائقة على قدرة الإنسان العقلية أو أعلى من مستواه الروحي أو أكثر من حاجته، ثم أعلنها الله بروحه لأنبيائه ورسله وقديسيه، ثم للكنيسة، وذلك إما بوحي إلهي أو إلهام في رؤيا أو بسمع الأذن أو بانفتاح الذهن أو بتلقين الروح أو كأمر ووصية صريحة واضحة بتسليم محسوس، كما صنع المسيح مع تلاميذه في العشاء الرباني"(٦).

٢) **الكاثوليك:** "علامات حسية تحقق النعمة، وضعها المسيح ووكلها إلى الكنيسة وبها تعطى للمسيحيين الحياة الإلهية"(٧).

يقول اللاهوتي المعاصر إدوارد سخليبكس: "السر عطية خلاصية يمنحنا إياها الله بشكل خارجي يمكن إدراكه وتيقنه، وبه تصير تلك العطية واقعاً، وحقيقة السر: هو عطية خلاص تأتي إلينا بشكل منظور في قلب التاريخ"(٨).

---

(١) (١تي ٣: ٩).

(٢) (مز ٢٥: ١٤).

(٣) أسرار الكنيسة: (ص٥).

(٤) اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، المطران: كيرلس سليم، كنيسة الأقباط الكاثوليك: (٢/٣).

(٥) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٣١٥)، وانظر: الفروق العقيدية: (ص٢٠)، موسوعة علم اللاهوت: (٢٠٥/٢).

(٦) الإفخارستيا عشاء الرب، بحث في الأصول الأُولى لليتورجيا، ومدخل لشرح القداس وتطوره من القرون الأولى حتى عصرنا الحاضر، الأب متى المسكين، مطبعة دير القديس أنبار مقار، وادي النطرون، الطبعة الثانية: (ص٣٧).

(٧) مختصر كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص٧٥).

(٨) اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر: (٤/٣).

٣) **البروتستانت**: "السر: هو فريضة مقدسة مرسومة من المسيح، فيها تدل علامات حسية على المسيح وفوائد العهد الجديد، وبواسطتها يُعطى مدلولها للمؤمنين ويختم"(١).

ويتبين من هذه التعريفات أن السر عند النصارى يشتمل على وجهين:

١) **وجه منظور**: حيث تتكون الأسرار المقدسة من عنصر ظاهر مثل الماء أو الخبز أو الخمر.

٢) **وجه غير منظور**: وهو الفاعلية والفائدة المرجوة التي تعطى للمؤمن من ممارسة هذا السر(٢).

يقول الأب متى المسكين: "وهكذا يعتبر السر الكنسي عملاً مقدساً يتم بالصلاة واستخدام وسائط حسية منظورة، تنال من خلالها النفس البشرية نعمة الله ومواهبه غير المنظورة"(٣).

ثانياً: أهمية وفاعلية الأسرار.

وقد اختلف النصارى حول أهمية الأسرار وفاعليتها على النحو التالي:

فالأرثوذكس والكاثوليك: يعتقدون "أنها لازمة للخلاص ولنوال مواهب الروح القدس"(٤)، "وأنها تمنح فاعليها النعمة بذاتيتها وقوتها"(٥)، و"لا تتوقف على شخص الخادم واستعداده"(٦).

يقول حبيب جرجس: "وهذه الأسرار تمنح النعمة من ذاتها وبقوتها التي وضعها الله فيها، قلنا من ذاتها وبقوتها؛ لأن صدور النعمة معلق على مباشرة طقس السر الخارجي، أي على تطبيق مادة السر وصورته لا على إيمان خادم السر، وقلنا بالقوة التي وضعها الله فيها لأن الأسرار هي هبات للمؤمنين تحمل النعم والبركات، أما العلة الأصلية فهي الرب يسوع

---

(١) شرح أصول الإيمان: (ص٤٦٩).

(٢) انظر: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية: (ص٥٩٥)، حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص٢٤٩).

(٣) الإفخارستيا: (ص٣٨).

(٤) الفروق العقيدية: (ص٢٠).

(٥) تأثر المسيحية بالأديان الوضعية: (ص٥٩٥).

(٦) الفروق العقيدية: (ص٢٢)، وانظر: موسوعة علم اللاهوت: (٢٠٦/٢).

المسيح مانحها ومؤسسها الذي يؤتي السر قوته وفاعليته على منح هذه النعم، فكما أن الآلة تبرز المعلول رأساً بالقوة التي تتصل إليها من العلة الأصلية، هكذا الأسرار فإنها تصدر النعمة رأساً بذاتها وبقوتها التي وضعها الله فيها، وعلى ذلك لا يكون مفعول الأسرار إنماء الإيمان فقط، أو أنها ختوم على المواعيد الإلهية، ولكنها تمنح النعمة، فبها يتطهر الإنسان ويولد ثانية ويتجدد وتغفر خطاياه، وبها يقبل الروح القدس، وبها يتحد مع المسيح ويثبت فيه ويحيا للأبد"[(١)]، جاء في التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: "الأسرار فاعلة تلقائياً أي بمجرد القيام بها فالمسيح هو الذي يعمل فيها وينيل النعمة التي تعنيها بمعزل عن القداسة الشخصية للقيام بها"[(٢)].

أما البروتستانت: فيرون أنها "لا أهمية لها ويمكن الخلاص بدونها، ومن طوائفها من يمارس بعضها كالأسقفيين والمشيخيين"[(٣)]، وفاعليتها عندهم لا بذاتها ولا بخادمها، بل بمجرد بركة المسيح وفعل روحه القدس في الذين يقبلونها بالإيمان[(٤)].

جاء في شرح أصول الإيمان:

"س: ما دامت الفرائض المقدسة غير قادرة على أن تخلص بقوة في ذاتها فما الفائدة من استعمالها؟

ج: إن فائدتها تقوم بكونها من جملة الوسائط التي باستعمالها يخلصنا الله بالإيمان.

س: ما المراد بقوله: "إن الأسرار تصير وسائط فعالة للخلاص ليس بقوة في خادمها"؟

ج: يراد به أن الفرائض المقدسة ولو قام بخدمتها وممارستها الرسل ذواتهم أو أحسن كاهن في العالم فإنها على الرغم من ذلك لا تخلص الذين يقبلونها، ولا يمكن أن يستفيدوا شيئاً للخلاص من مجرد كون خادمها مرتسماً رسامة قانونية رسولية"[(٥)].

---

(١) أسرار الكنيسة: (ص١٢– ١٣).

(٢) مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص٧٦).

(٣) الفروق العقيدية: (ص٢١–٢٣)، وانظر: اللاهوت النظامي: (ص٥٢٨)، حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص٢٥٠).

(٤) اللاهوت النظامي: (ص٥٣٠)، وانظر: الفروق العقيدية: (ص٢٣)، شرح أصول الإيمان: (ص٤٦٤).

(٥) شرح أصول الإيمان: (ص٤٦٦)، وانظر: حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص٢٥٠).

ثالثاً: شروط إتمام السر.

عند الأرثوذكس والكاثوليك لإتمام كل سر من الأسرار ثلاثة شروط:

١. "مادة ملائمة للسر، كالماء للمعمودية، والخبز لسر الشركة، والزيت للمسحة وهكذا.

٢. كاهن مشرطن[١] قانونياً بوضع اليد.

٣. استدعاء الروح القدس من الكاهن بالعبارات المعينة لتقديس السر لحلول الروح القدس"[٢].

أما البروتستانت: فهم وإن كانوا يرون الشرط الأول والثالث؛ إلا أنهم لا يرون الشرط الثاني[٣].

كما جاء عن لوثر: "إن تتميم السر لا يقتضي كاهناً أو أسقفاً مشرطناً شرطونية قانونية، لأن كل مسيحي له الكفاءة والأهلية أن يتمم الأسرار سواء كان إكليروسياً[٤] أو علمانياً رجلاً أو امرأة ولا فرق في ذلك"[٥].

رابعاً: عدد الأسرار

ذهب الأرثوذكس والكاثوليك إلى أن عدد الأسرار سبعة[٦] وهي:

١. سر المعمودية.

٢. سر المسحة المقدسة أو الميرون.

٣. سر الشكر أو الإفخارستيا، العشاء الرباني.

٤. سر التوبة أو الاعتراف.

---

(١) كلمة شرطونية: كلمة يونانية بمعنى وضع اليد، وتقابلها في السريانية "سيامة"، وفي العربية "رسامة"، أي إعطاء ختم الروح القدس للشخص المكرس، أو قانونية العمل الكهنوتي أو قانونية الرسامة، معجم المصطلحات الطقسية والكنسية، نسخة إلكترونية.

(٢) أسرار الكنيسة: (ص١٤)، انظر: الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (١/٣٤٩–٣٥٣)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/ص٢٠٦).

(٣) انظر: الفروق العقيدية: (ص٢٣).

(٤) رجال الإكليروس: هم الأساقفة والكهنة والشمامسة، قاموس المصطلحات القبطية: (ص٩).

(٥) الأنوار في الأسرار: (ص١١).

(٦) أول من حدد عدد الأسرار بالرقم (٧) هي الكنيسة الكاثوليكية بواسطة أسقف باريس "بطرس لمبارد" مع غيره، وقد قبلها توما الأكويني وقننها بعد ذلك مجمع فلورنسا (١٤٣٩م)، وقد أخذت الكنيسة البيزنطية هذا التقليد عن الكنيسة الكاثوليكية، ثم دخل هذا التقليد إلى الكنيسة القبطية. انظر: الإفخارستيا عشاء الرب: (ص٣٧).

٥. سر مسحة المرضى.

٦. سر الكهنوت.

٧. سر الزيجة[١].

أما البروتستانت فإنهم يؤكدون على أنه لا يمكن أن يدعى سراً إلا ما أنشأه المسيح بشكل صريح[٢]، واستناداً إلى هذا المبدأ فإنهم لا يعترفون إلا بسرين فقط هما:

١) المعمودية.

٢) العشاء الرباني[٣].

ويرون أنه عند مجيء المسيح ثانية تنتهي أسرار الكنيسة، فتلغى المعمودية، ويلغى العشاء الرباني[٤]، ويستدلون على إلغاء المعمودية بقول المسيح لتلاميذه: "دفع إلي كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به، وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر"[٥].

ويستدلون على إلغاء العشاء الرباني وعدم ممارسته بعد المجيء الثاني بقول بولس: "فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء"[٦].

---

(١) انظر: أسرار الكنيسة: (ص١٨)، الفروق العقيدية: (ص٢٢)، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر: (٨/٣)، الأنوار في الأسرار: (ص٦)، مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية (ص٧٥)، كتز النفائس: (ص١٧٤)، المباحث في اعتقادات بعض الكنائس: (ص٨٩).

(٢) اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر: (١٠/٣).

(٣) انظر: الفروق العقيدية: (ص٢٣)، اللاهوت النظامي: (ص٥١١)، شرح أصول الإيمان: (ص٤٧٤)، حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص٢٤٩)، شرح موجز لأصول التعليم المسيحي: (ص١٤٧)، كتز النفائس: (ص١٧٥).

(٤) انظر: اللاهوت النظامي: (ص٥١١)، المباحث في اعتقادات بعض الكنائس: (ص٨٩).

(٥) (مت ٢٨: ١٨–٢٠).

(٦) (١كو ١١: ٢٦)

المبحث الأول: المعمودية.

يعتبر التعميد أول الأسرار عند النصارى وأهمها، وهو باب الأسرار الأخرى، فبه يحصل المعمد على نعمة الميلاد الجديد، وهو شرط أساسي يدخل منه المؤمن إلى الكنيسة وملكوت النعمة والمجد، ولهذا يمنح هذا السر قبل أي سر آخر، ومن لا يقبله فلا حق له في الاشتراك في بقية الأسرار(١) طبقاً لقول المسيح: "إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله"(٢).

وكلمة (عمد- معمودية) وسائر مشتقاتها لا تذكر في العهد القديم، وترد كثيراً في العهد الجديد نقلاً عن الكلمة اليونانية " بابتزو" (Paptizo) ومشتقاتها وهي تعني:

(١) يغمر أو يغمس أو يغطس.

(٢) يصبغ بالغمر.

(٣) يصبغ بدون تحديد الطريقة.

(٤) يطلى.

(٥) يبلل أو يرطب أو يغسل أو يغطى بالماء.

(٦) ينقع(٣).

ومادة المعمودية: هي الماء القراح فقط غير الممزوج بشيء من السوائل الأخرى(٤) كما اعتمد يسوع: "فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه"(٥).

---

(١) انظر: الفروق العقيدية: (ص٢٥)، أسرار الكنيسة: (ص٢١)، موسوعة علم اللاهوت: (٢٠٨/٢)، عقائدنا الأرثوذكسية: (ص٣١٦)، سلسلة تبسيط الإيمان، سر المعمودية: الأنبا بيشوي، مطران دمياط وكفر الشيخ: (٤/١-١٢)، الأنوار في الأسرار: (ص١٣).

(٢) (يو ٣: ٥).

(٣) دائرة المعارف الكتابية: (٣١٣/٥).

(٤) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٢٠٨/٢)، شرح أصول الإيمان: (ص٤٨٣)، مختصر التعليم المسيحي: (ص٨٣)، اللاهوت النظامي: (ص٥١٢)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٣١٦)، أسرار الكنيسة: (ص٣٢)، اللآلئ النفيسة: (٥١/٢).

(٥) (مت ٣: ١٦).

جاء في شأن سر المعمودية: "إذا قال أحد إن الماء الحقيقي والطبيعي ليس ضرورياً للمعمودية فحمل على المعنى المجازي كلام المسيح "ما لم يولد من الماء والروح"(١) "فليكن محروماً"(٢).

وجميع الكنائس تعتقد بضرورة التعميد للكبار والأطفال(٣)، مما جاء من قوانين في شأن سر المعمودية عن مسألة تعميد الأطفال: "إذا قال أحدٌ إن الأطفال لا يجوز أن يُعدُّوا من المؤمنين بعد نيلهم المعمودية لكونهم لم يفعلوا فعل إيمان ولهذا يجب إعادة معموديتهم عندما يبلغون سن التمييز، أو من الأفضل إرجاء معموديتهم وذلك خير من تعميدهم في إيمان الكنيسة وحده، هم الذين لا يؤمنون بفعل إيمان شخصي فليكن محروما"(٤).

إلا أن بعض الكنائس البروتستانتية علموا بعدم لزوم المعمودية للأطفال، إصراراً على لزوم الإيمان قبل المعمودية، واعتماداً على قول المسيح: "من آمن واعتمد خلص"(٥) وأيضاً اعتماداً على أن الطفل لا يدرك ماذا يحدث له في المعمودية(٦).

أما طريقة التعميد فتختلف من كنيسة لأخرى:

الكنيسة الأرثوذكسية: ترى أن التعميد يتم وجوباً بالتغطيس في الماء ثلاث مرات على اسم الأقانيم الثلاثة: الآب والابن والروح القدس، إشارة إلى موت المسيح ودفنه وقيامه(٧).

---

(١) (يو ٣: ٥).

(٢) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (٤٠٩/١).

(٣) انظر: اللآلئ النفيسة: (ص٣٥)، ، كتز النفائس: (ص٧٥)، شرح موجز لأصول التعليم المسيحي: (ص١٥٠)، أسرار الكنيسة: (ص٢٧)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٣١٩-٣٢٠)، اللاهوت النظامي: (ص٥١٣)، مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص٨٤) المجموع الصفوي، أبي الفضائل ابن العسال: شرح جرجس فيلوثاوس عوض: (١٤/١).

(٤) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (٤١٠/١).

(٥) (مر ١٦: ١٦).

(٦) انظر: الفروق العقيدية: (ص٢٣)، كتز النفائس: (ص١٧٥-١٧٦)، أسرار الكنيسة: (ص٢٧)، اللاهوت المقارن: البابا شنودة: (٣٣/١)، دائرة المعارف الكتابية: (٣١٤/٥).

(٧) انظر: أسرار الكنيسة: (ص٣٢)، الأنوار في الأسرار: (ص٢٢، ٢٦)، اللاهوت المقارن: البابا شنودة (٣٢/١)، موسوعة علم اللاهوت: (٢١٠/٢).

ووجوب التغطيس عندهم للأسباب التالية:

(١) لأن المسيح اعتمد على هذه الصورة.

(٢) لأن الرسل القديسين هكذا كانوا يعتمدون، ويعمدون الذين آمنوا.

(٣) لأن آباء الكنيسة الأولين هكذا مارسوا وعلموا.

(٤) لأن المعنى اللغوي لكلمة معمودية تعني صبغة، وصبغ الشيء لا يتم إلا بغمره بالكامل في السائل.

(٥) لأن رموز المعمودية في العهد القديم تدل على ذلك.

(٦) لأن المعاني الروحية للمعمودية تدل على ذلك، فالمعمودية هي دفن المسيح وفي الدفن يكون الإنسان كله داخل القبر، المعمودية هي غسل الخطايا، والغسل يتم بانغماس الشيء كله في الماء[١].

ولا يرون الرش إلا في ظروف ضرورية معينة وخصوصاً للمرضى مرضاً شديداً أو المشرفين على الموت والمقعدين الذين لا يمكن تعميدهم بالتغطيس[٢].

الكنيسة الكاثوليكية:

الطقس الأساسي لديهم: "هو تغطيس المعتمد في الماء أو صب الماء على رأسه مع الاستدعاء الثالوثي: "باسم الآب والابن والروح القدس"[٣]، وفي مطلع الاحتفال بالمعمودية يشار أولاً بالصليب إلى وسم المسيح، ويرمز إلى نعمة الفداء التي استحقها المسيح بصلبه –كمايزعمون– ومن ثم تُتلى بعض التقاسيم على المرشح للمعمودية ويمسح بزيت الموعوظين

---

(١) انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٣١٩)، أسرار الكنيسة: (ص٣٢–٣٣)، اللاهوت المقارن: البابا شنودة: (١/٣٢–٣٣)، الأنوار في الأسرار: (ص٢٦–٢٧).

(٢) انظر: الأنوار في الأسرار: (ص٢٨)، أسرار الكنيسة: (ص٣٣)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢١٢).

(٣) مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص٨٣)، ويتممونه أيضاً بالرش أو السكب. انظر: الصخرة الأرثوذكسية: (ص٣٩).

أو يضع المحتفل يده عليه، ويكفر صراحة بالشيطان، ويعترف بإيمان الكنيسة التي يوكل إليها بالمعمودية ومن ثم يأتي الطقس الأساسي في المعمودية أي التعميد نفسه الذي يعني ويحقق موت الإنسان دون الخطيئة، وتتم المعمودية بأعمق معانيها بالتغطيس ثلاثاً في ماء المعمودية أو بصب الماء ثلاثاً على رأس المعمَد، وعند الكاثوليك اللاتين يقول المعمد وهو يصب الماء ثلاثاً على المعمد: يا فلان أعمدك باسم الآب والابن والروح القدس، وفي الليترجيات الشرقية يوجه المعَمد جهة الشرق ويتلو الكاهن عبارة التعميد: "يعمد عبد الله فلان باسم الآب والابن والروح القدس"، وعند ذكر كل من الأقانيم الثلاثة يغطسه في الماء وينتشله، ثم يمسح المعَمد بالزيت المقدس وهو زيت معطر يقدسه الأسقف ويرمز إلى موهبة الروح القدس للمعمد الجديد والمسحة التي تلي المعمودية هي سر الميرون "التثبيت"، ومن ثم يرتدي المعمد الثوب الأبيض الذي يرمز إلى أنه قد لبس المسيح ونهض مع المسيح! ! والشمعة المسرجة أمامه من شمعة الفصح ترمز إلى أن المسيح قد أنار المعَمد جديداً، والمعمد الجديد قد أصبح الآن ابن الله -تعالى الله عن ذلك- في الابن الوحيد، وبإمكانه أن يتلو صلاة أبناء الله(١).

الكنيسة البروتستانتية:

تتم المعمودية برش الماء على المعمد أو بسكبه عليه، أو بتغطيسه فيه باسم الآب والابن والروح القدس، وليس من الضروري أن تتم المعمودية بإحدى هذه الطرق دون غيرها فقد اعتادت الكنيسة المشيخية على ممارسة المعمودية "بالرش" مع أن قسماً من الإنجيليين يفضل التغطيس، بل يحسبه ضرورياً للمعمودية الحقيقية(٢).

والمعمودية لازمة للخلاص والتجديد والميلاد الثاني والعضوية في جسد المسيح عند الأرثوذكس والكاثوليك(٣)، يقول القديس باسيليوس الكبير: "المعمودية هي فدية

---

(١) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (٢/٢٦٠)، وانظر: اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر: (٣/٤١-٤٥).

(٢) انظر: اللاهوت النظامي: (ص٥١٢)، شرح أصول الإيمان: (ص٤٨٨)، الفروق العقيدية: (ص٢٣)، أصول التعليم المسيحي: (ص١٤٨)، حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص٢٥٢).

(٣) انظر: اللاهوت المقارن: البابا شنودة: (١/٢٢)، مختصر التعليم المسيحي: (ص٨٤-٨٥)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٣١٨)، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر: (٣/٣٢-٣٣، ٣٨)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢١٥-٢١٦).

للمأسورين وصفح عن الخطايا وموت للخطيئة وإعادة ولادة النفس، وثوب للطهارة وختم لا يُمحى ومنحة للتبني ومركبة للسماء"(١)، مما جاء من قوانين في شأن سر المعمودية في المجمع التريدنتيني في جلسته السابعة: "إذا قال أحد أن المعمودية أمر حر، أي ليست ضرورية للخلاص فليكن محروماً"(٢).

أما البروتستانت فيرون "أن الواسطة الوحيدة التي تغفر بها الخطية الجدية هي الإيمان بيسوع المسيح(٣)، وليس للمعمودية فعل في ذاتها في أجزاء التجديد، لأن التجديد هو عمل الروح القدس داخل نفس الإنسان، لا عمل الماء المرشوش على جسده ولا ترتبط النعمة والخلاص بهذا السر ارتباطاً غير منفصل حتى لا يتجدد ولا يخلص أحد بدونه، ولا يقال: إن كل معمد لابد متجدد فلا يقدر على تطهير القلب إلا الله، وينكر الإنجيليون أن الروح القدس يجدد القلب عند إجراء المعمودية، فإن الإيمان يسبق المعمودية، كما ينكرون أن المعمودية واسطة فعالة في توصيل النعمة الإلهية إلى قلب المعمد، ويقولون: إن المعمودية علامة خارجية مستقلة تشير إلى النعمة الداخلية وفعلها في القلب، وهي رمز أو ختم لذلك وأنها مطلوبة عند دخول المعمد البالغ جهاراً في الكنيسة، على أنه لابد من الأدلة الكافية على دخوله روحياً بالتجديد والإيمان إلى شركة تلك الكنيسة قبل دخوله جهاراً بالمعمودية ومن الأدلة التي يرونها على بطلان التجديد بالمعمودية ما يأتي:

يعلم الكتاب في كل موضع أن الشرط الوحيد للخلاص هو الإيمان بالمسيح الذي يجدد القلب بفعل الروح القدس، وهذا برهان واضح على خطأ التعليم بلزوم المعمودية لأجل التجديد والخلاص"(٤)، حيث قال الرسل لكل خاطئ صادفوه: "آمن بالرب يسوع فتخلص"(٥)، فغفران الذنوب والخلاص -كما يعتقدون- قد أتمه المسيح بواسطة آلامه

---

(١) موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢١٦).

(٢) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (١/٤٠٩).

(٣) انظر: كنز النفائس: (ص١٧٦)، شرح أصول الإيمان: (ص٤٨٥)، اللاهوت النظامي: (ص٥١٤).

(٤) اللاهوت النظامي: (ص٥١٣).

(٥) (أع ١٦: ٣١).

وموته حصل على كل هذه البركات لأجلنا، ولكن المعمودية هي وسيلة تؤدي عن طريق عمل الروح القدس إلى جعل هذه البركات ملكاً لنا"(١).

وترى معظم الكنائس أن المعمودية تكون مرة واحدة، ولا يجوز إعادتها ما دامت قانونية، ولذلك يكررون في قانون إيمانهم "ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا"(٢)، ومما جاء من قوانين في شأن سر المعمودية في المجمع التريدنتيني في جلسته السابعة:

"إذا قال أحد أن المعمودية الحقيقية التي منحت حسب الطقوس يجب تكرارها للمؤمن الذي جحد إيمان المسيح إذا اهتدى وتاب فليكن محروماً"(٣) إلا أن الكنيسة الأرثوذكسية ترى إعادة تعميد من يدخل مذهبها من الطوائف الأخرى التي لا تؤمن بسر الكهنوت وسر المعمودية وفاعليته، وكذلك الوضع مع الطوائف التي تؤمن بسر المعمودية وفاعليته وسر الكهنوت ولكنها مغلقة بحروم الآباء(٤) كما أن بعض الطوائف المنبثقة عن البروتستانتية تدعو أتباعها إلى إعادة تعميد الراشدين(٥).

---

(١) شرح موجز لأصول التعليم المسيحي "الكتاخسيمس الصغير": (ص١٥٢).

(٢) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢١٢-٢١٣)، أسرار الكنيسة: (ص٣٨)، حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص٢٥٢)، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر: (٣/٢٢)، اللآلئ النفيسة: (٢/٤١-٤٣).

(٣) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (١/٤٠٩).

(٤) انظر: اللاهوت المقارن: البابا شنودة (١/٤٨).

(٥) الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٢١٢).

المبحث الثاني: التثبيت أو المسحة بالمَيرُون المقدس.

يعد التثبيت "المسحة بالميرون" سراً مقدساً عند الأرثوذكس والكاثوليك لأنه يمنحهم ختم موهبة الروح القدس بخلاف البروتستانت الذين لايعدونه سراً[١]، **والميرون** كلمة يونانية معناها: طيب أو زيت عطري[٢].

وفي اصطلاح الكنائس: تطلق على مزيج سائل، مركب من نحو (٣٠) صنفاً من أصناف الطيب وحسب التقليد البيزنطي من (٥٧) صنفاً، منها: المر والعود والسليخة وقصب الذريرة وعود اللبان والقرنفل وغيرها مع كل أنفس الأطياب مضافاً إليها زيت الزيتون الصافي[٣].

كيفية عمل الميرون:

يجهز الميرون بحسب ما جاء عن آباء الكنيسة: "بسحق الأطياب سحقاً جيداً، وقيل بنقعها في الماء لمدة (١٢) ساعة، ثم توضع في مرجل وتطبخ بتأن بواسطة الأساقفة، ومواد الإيقاد من أغصان الزيتون وخشب الصندل، ويعمل في يوم الجمعة من الجمعة السادسة من الصوم الكبير، ويطبخ في كل يوم مرة إلا يوم الثلاثاء فيطبخ فيه مرتين إلى يوم الأربعاء، ثم يصفى الزيت ويحفظ في أوعية، ثم يطبخ بعده الغاليلاون[٤] وهو زيت قسطنطيني تغلى فيه أثقال الأطياب المصفاة من الميرون من الأربع طبخات، ويتلى على الميرون أثناء طبخه أغلب أسفار الكتاب المقدس، ولا سيما سفر المزامير الذي يتلى كل يوم من الأيام الثلاثة.

---

(١) انظر: اللآلئ النفيسة: (٢/٩٥)، أسرار الكنيسة: (ص٥٥)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٢٢).

(٢) انظر: معجم المصطلحات الطقسية والكنسية، نسخة إلكترونية، قاموس المصطلحات القبطية: (ص٥٣)، أسرار الكنيسة: (ص٥٢)، اللآلئ النفيسة: (٢/٦٦)، عقائدنا الأرثوذكسية: (ص٣٢١)، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر: (٣/٥٠).

(٣) انظر: اللآلئ النفيسة: (٢/٦٦)، أسرار الكنيسة: (ص٥٢).

(٤) غاليلاون: هو زيت يغلى فيه بقايا زيت الميرون بعد تصفيته ويستخدم في العماد. قاموس المصطلحات الكنسية (ص٣٥).

وفي صبيحة نهار الخميس بعد صلاة البسخة يحتفل بتقديسه الأب البطريرك والأساقفة عقب عمل اللقان(١) وقبل تقديس القربان، وبعد انتهاء القداس يترك في الهيكل حتى يقدس عليه الأب البطريرك أيضاً يوم سبت الفرح وليلة عيد القيامة المجيد، ويحفظ في الهيكل إلى ثالث يوم العيد، حيث يقدس عليه مرة ثالثة، وبعد انتهاء تقديسه تضاف إليه الخميرة الأصلية وتمزج مزجاً جيداً ثم يوزع منه الأب البطريرك على الكنائس لاستعماله في سر المسحة المقدسة للمعتمدين.

ومن ثم يقام مذبحان من خشب في الهيكل، أحدهما في الجهة القبلية جنوب مذبح القربان، والآخر شمالاً في الجهة البحرية، ويوضع على الأول الميرون وعلى الثاني الغاليلاون، ثم يلبس الأب البطريرك ومن معه الملابس الكهنوتية ويبدأ بتقديس الميرون على الكيفية التالية: حيث تفتتح الصلاة بتمجيد الثالوث الأقدس والصلاة الربانية ثم صلاة الشكر ويُرفع البخور ومن ثم يتلو صلاة الاستعداد حيث يلتمس بها من الله أن يمنحه نعمة وقوة وبركة ليكمل هذه الخدمة المقدسة وأن تكون مقبولة لديه ومباركة منه تعالى"(٢).

وتقديس الميرون وإتمامه خاص بالأساقفة وحدهم، بحسب الكنيسة الكاثوليكية، وأما الكنيسة الأرثوذكسية فترى أن هذا السر يقدسه الأساقفة فقط، أما إتمامه فيقدر أن يتممه الأسقف أو القس على حد سواء(٣).

ويعد هذا السر مقدساً عند الأرثوذكس والكاثوليك على حد سواء فهو يمنحهم ختم موهبة الروح القدس التي تنميهم في حسن العبادة، كما يهدف إلى التثبيت على

---

(١) اللقان: اسم يوناني الأصل للإناء الذي يوضع فيه الماء للإغتسال منه. قاموس المصطلحات الطقسية والكنسية، نسخة إلكترونية.

(٢) اللآلئ النفيسة: (ص٧٢-٧٧).

(٣) انظر: كنز النفائس: (ص١٨٦)، اللآلئ النفيسة: (ص٧٦، ٨٧–٨٨)، الأنوار في الأسرار: (ص٨٦–٩١)، أسرار الكنيسة: (ص٥٦)، مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص٨٧)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٢٨)، (٤/٤٥٨).

الإيمان في اتحادهم بكيان المسيح ووظائفه(١)، "حيث تؤمن الكنيسة وتعلم أن المعتمد بهذه المسحة وبدعاء الكاهن ينال مواهب الروح القدس التي تنير عقله وتقربه في النعمة وتثبته في الإيمان وتعلمه كل شيء"(٢).

أما الكنيسة البروتستانتية فتعتقد أن المسحة -تدعى عندهم التثبيت- ليست سراً، بل تكملة بسيطة فيها يعترف المسيحي أمام الجمهور جهاراً بإيمانه بالمسيح فينال بركة الكنيسة، وتصير المسحة من القس أو راعي الكنيسة(٣).

وترى الكنيسة الأرثوذكسية وجوب دهن المَعَمد بالميرون بعد خروجه من المعمودية مباشرة، بخلاف الكنيسة الكاثوليكية التي تؤخر منحه للأطفال المعمدين حتى بلوغهم سن الإدراك للذكر (١٤) سنة وللأنثى (١٢) سنة، حتى يشتركوا فيه بعقل بالغ ومعرفة كافية(٤).

يقول الأب بطرس غوري "كاثوليكي": "الأصل في قبول سر التثبيت لكل من اعتمد ولم يُثَبَّتْ وإن لم يكن مميزاً، إذ من شأن هذا السر إكمال الحياة الروحية التي تنال بالمعمودية، ولكن بمقتضى الإصلاح الجاري في الكنيسة الكاثوليكية لا ينبغي تثبت الأطفال بالميرون مالم يبلغوا سن التمييز"(٥).

---

(١) انظر: الأنوار في الأسرار: (ص٨١-٨٣)، موسوعة علم اللاهوت: (٢٢٢/٢)، أسرار الكنيسة: (ص٥٥)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٣٢٤)، مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص٨٦)، الفروق العقيدية: (ص٢٢)، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر: (٣/ص٥٠).

(٢) اللآلئ النفيسة: (٩٥/٢).

(٣) كنز النفائس: (ص١٨٦)، وانظر: الفروق العقيدية: (ص٢٣-٢٥).

(٤) انظر الفروق العقيدية: (ص٢٤-٢٥)، الأنوار في الأسرار: (ص٦١)، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر: (٤٩/٣)، اللآلئ النفيسة: (٨٧/٢)، كنز النفائس: (ص١٨٦)، موسوعة علم اللاهوت: (٢٢٦/٢-٢٢٧)، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (٢٦٨/٢)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص٤١).

(٥) مختصر اللاهوت الأدبي، الأب بطرس غوري: (٢٣١/٢)، نقلاً عن موسوعة علم اللاهوت: (٢٢٧/٢).

وبحسب الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية يرشم[1] المعمد (٣٦) رشمة بالميرون على جميع مداخل جسمه، مخارجه ومفاصله للتقديس، أما البروتستانت فلا يتممونها بالزيت بل بوضع اليد فقط على رأس المعمد[2].

فيبدأ الكاهن بمسح المعمد بالميرون المقدس بشكل صليب على جبهته وعينيه ومنخريه وفمه وأذنيه وصدره ويديه ورجليه على النحو التالي[3]:

يبدأ الكاهن بمسح المعمَّد على الترتيب التالي: الرأس فالجبهة فالأنف فالأذن فالعين اليمنى ثم العين اليسرى فالأذن اليسرى على هيئة صليب وهو يصلي قائلاً: "مسحة نعمة الروح القدس آمين"، وتعد هذه الكلمات من الكلمات السرية المستعملة في تتميم سر المسحة، وهي تشير إلى أن المسحة التي تمسح بها في الخارج بالميرون المقدس هي دليل المسحة التي تُنال بالروح القدس في الداخل.

ثم يرشم ثانياً الصدر فالقلب، فالسرة فالظهر فالصلب، وهو يقول: "مسحة عربون لملكوت السماوات" إشارة إلى أنه بالمسحة يُنال الروح القدس الذي هو بمثابة عربون على الميراث السماوي.

ومسح المعمَّد في الصدر والقلب إشارة إلى النعمة والقوة وروح التأييد الذي يناله المعمَّد بسر المسحة، هو بمثابة سلاح يحارب به قوات الشر، ويثبت ضد مكايد الشيطان، ويطفي جميع سهامه الملتهبة.

---

(١) الرشومات أثناء القداس: يرشم الكاهن الحمل والكأس ثلاث رشومات على شكل صليب قبل حلول الروح القدس، ويطلق الرشم على ما يفعله الكاهن برشم علامة الصليب على نفسه وعلى الشمامسة وعلى الشعب، كذلك تطلق كلمة رشم عندما يقوم الكاهن بدهن شخص ما بالزيت مثل زيت الميرون في سر المعمودية ويطلق عليه سر المسحة المقدسة، واستخدام الزيت في سر مسحة المرضى. انظر: قاموس المصطلحات الكنسية: (ص٢٢)، معجم المصطلحات الطقسية والكنسية، نسخة إلكترونية.

(٢) الفروق العقيدية: (ص٢٤–٢٥).

(٣) اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر: (٣/٤٩).

ثم يرشم ثالثاً: الكتف الأيمن فوق الإبط ومفصل الكوع الأيمن ومتنيه ومفصل الكتف الأيمن وأعلاه، وهو يقول: "مسحة شركة الحياة الأبدية الغير مائتة آمين".

وذلك للدلالة على أن المعتمد بهذه المسحة صار شريكاً للروح القدس واهب الحياة الأبدية ومنعتقاً من الخطيئة المميتة.

ثم يرشم الكاهن رابعاً: الجهة اليسرى كالرشم السابق، وهو يقول: "مسحة مقدسة للمسيح إلهنا وختم غير منحل"، وهنا تكون المسحة ختماً للدلالة على انطباع موهبة الروح القدس فيهم.

ثم يرشم خامساً: الورك الأيمن ومفصل الركبة اليمنى وأعلاه ومفصل عرقوب الرجل اليمنى وأعلاه، ثم يقول: "كمال نعمة الروح القدس ودرع الإيمان والحق آمين".

ثم يرشم سادساً: كالرشم السابق في الجهة اليسرى، وهو يقول: "دهنتك يا فلان ويذكر اسمه" بدهن مقدس باسم الآب والابن والروح القدس، وهذه العبارة للدلالة على أن العلة الفاعلة في السر هي الثالوث الأقدس، وإشارة إلى عمل الثالوث المقدس في الممسوح.

وبهذا الرشم الأخير تنتهي الرشومات المعينة ويكمل مسح سائر الأعضاء الرئيسية في المعمَّد، ولذا يقول الكاهن ختاماً "قد كمل"، ومسح هذه الأعضاء الظاهرة إشارة إلى مسح قوى النفس وحواسها الروحية بالروح القدس، ثم يتلو الكاهن ختاماً الصلاة الموضوعة من الكنيسة، وعندما يقول: "ربنا يسوع المسيح" ينفخ في وجهه وهو يقول: "اقبل الروح القدس"(١).

يقول القديس امبروسيوس: "المعمودية يتلوها الختم الروحي وبدعاء الكاهن ينسكب الروح القدس روح حكمة وفهم، روح مشورة وقوة، روح معرفة وتقوى، روح مخافة الله التي تبني وتقوي إرادة الإنسان لعمل الصلاح"(٢).

---

(١) انظر: اللآلئ النفيسة: (٢/٩٠-٩٥).

(٢) المصدر السابق: (ص٩٥).

يقول البابا شنودة الثالث عن مفاعيل هذا السر: "بهذا الدهن المقدس يقدس أطراف المعمد ومفاصله وفتحات جسمه، ويبدأ الروح يعمل فيه بقوته ومواهبه وإرشاده"(١).

وترى الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية عدم إعادة سر الميرون، حيث اعتبر منذ القديم مثل سر المعمودية التي يكملها فلا يمنح إلا مرة واحدة(٢).

(١) مقال عن الميرون، مجلة الكرازة، عدد: ٢١ أغسطس ١٩٩٨م، نقلاً عن عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٣٢٤).

(٢) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٢٢٨/٢)، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (٢٧١/٢)، أسرار الكنيسة: (ص٥٥).

المبحث الثالث: التوبة "الاعتراف".

تعد التوبة "الاعتراف" سراً مقدساً عند الأرثوذكس والكاثوليك، حيث يرون أنه بعد تطهير الإنسان من نتائج الخطية الجدية بالمعمودية يظل يميل إلى الشر سواء باختياره أو رغماً عنه، تلبية لغرائزه، لذلك أقيم سر التوبة "الاعتراف"، الذي يُعد بحسب ما جاء عن الآباء معمودية ثانية، به يصفح راعي الكنيسة الروحية بقوة الروح القدس للتائب والمعترف عن جميع خطاياه التي فعلها بعد المعمودية واعترف بها شفهياً، فيجدد تبريره ويتقدس، كما كان في الساعة التي خرج فيها من المعمودية، أما الخطايا التي لم يعترف بها فإنها لا تغفر.

أما البروتستانت فلا ينظرون للتوبة كسر مقدس، بل هي عمل من أعمال النعمة إذ يكفي أن يندم الإنسان الخاطئ ويلقي نفسه تحت قدمي المسيح مؤمناً به فيخلص من خطاياه[1]، وقد سمى آباء الكنيسة ومعلموها الأقدمون سر التوبة: حلا الخطايا، واعترافاً، ومصالحةً، ومعمودية ثانيةً، وميناء ثانية بعد الغرق[2].

ويستدلون لهذا السر بما ورد في إنجيل يوحنا عندما ظهر المسيح -كما يزعمون- لرسله في مساء الفصح وقال لهم: "سلام لكم كما أرسلني الآب أرسلكم أنا، ولما قال هذا نفخ، وقال لهم: اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تُغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أُمسكت"[3].

---

(١) انظر: الأنوار في الأسرار: (ص١٩١–١٩٢)، أسرار الكنيسة: (ص٩٧)، اللآلئ النفيسة: (١٤١/٢)، كنز النفائس: (ص١٧٩–١٨٠)، موسوعة علم اللاهوت: (٢٥١/٢)، شرح أصول الإيمان: (ص٤٧٥)، اللاهوت النظامي: (ص٥٣٠–٥٣١)، اللاهوت المقارن: البابا شنودة: (١٣٢/١–١٣٤)، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص٢٩٢–٣٠١)، شرح موجز لأصول التعليم المسيحي "الكتاخيسمس الصغير": (ص١٥٨)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٣٢٤).

(٢) انظر: الأنوار في الأسرار: (ص١٩٢)، أسرار الكنيسة: (ص٩٧)، مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص٩٤)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٣٢٥).

(٣) (يو ٢٠: ٢١–٢٣).

شروط التوبة الحقيقية عن الأرثوذكس والكاثوليك:

(١) انسحاق القلب وندامته على الخطايا السالفة، وفي تعليم الكنيسة أن الندامة هي الخطوة الأولى التي تتصدر أفعال التائب، وهي شرط جوهري لازم للتوبة الحقيقية.

(٢) عزم ثابت على إصلاح السيرة، وهو نتيجة ضرورية للانسحاق على الخطيئة، ولا فائدة للتوبة ولا معنى لها بدون هذا الشرط.

(٣) إيمان وطيد بالمسيح يسوع وذلك:

أ- بالإيمان بدم المسيح الذي يغفر كل خطية.

ب- والرجاء في قبول المسيح للخاطئ مهما كانت خطاياه.

(٤) اعتراف شفوي بالخطايا أمام الآب الروحي، فتعتقد الكنيسة أن الإقرار بالذنب للكاهن هو جزء جوهري في سر التوبة[١].

أما البروتستانت فإنهم يكتفون بالندم على الخطايا والكراهة لها، والإيمان بيسوع كمخلص لهم[٢]، "والخطايا التي لا تغفر هي خطايا الخطاة غير التائبين، أي الذين لا يندمون على خطاياهم ولا يؤمنون بيسوع المسيح"[٣].

ويتم الاعتراف عند الأرثوذكس في الكنيسة[٤] "بمواجهة بين المعترف وأب اعترافه الذي قد يكون قساً أو أسقفاً"[٥]، فيعترف التائب بخطاياه اعترافاً شفهياً أمام الأب الروحي

---

(١) انظر: أسرار الكنيسة: (ص١٠١-١٠٢)، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (٢/٢٩٧-٢٩٨)، اللاهوت المقارن: البابا شنودة: (١/١٣٥)، اللآلئ النفيسة: (٢/١٧٨-١٨٤)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٣٢٧)، الأنوار في الأسرار: (ص٢٠٠-٢١٠).

(٢) انظر: "الكتاخسيمس الصغير": (ص١٥٨)، شرح أصول الإيمان: (ص٤٤١-٤٤٤).

(٣) شرح موجز لأصول التعليم المسيحي "الكتاخسيمس الصغير": (ص١٥٨).

(٤) سلسلة تبسيط الإيمان: (٨/سر التوبة والاعتراف)، الأنبا بيشوي مطران دمياط: (ص١٨).

(٥) الفروق العقيدية: (ص٢٤).

الذي يصفح بقوة الروح القدس للتائب والمعترف(١) قائلاً: "يا ولدي الروحي الذي أنت تعترف لحقارتي، لا أستطيع -أنا الحقير الخاطئ- أن أغفر خطيئةً على الأرض، لكن الله، بل لأجل ذلك الصوت الإلهي الصائر للتلاميذ بعد قيامة ربنا يسوع المسيح من الأموات والقائل: من تركتم خطاياه تُركت له، ومن أمسكتموها عليه فلتُمسك، وعلى هذا إذ نحن واثقون نقول: إنَّ كل ما اعترفت به لحقارتي الدنيئة، وكل ما لم تقله إما لجهل به أو لنسيان مهما كان، فليسامحك الله به في الدهر الحاضر والآتي"(٢).

أما عند الكاثوليك: فتتم "ممارسة هذا السر من وراء الستار وعلى كرسي خاص"(٣) في مكان خاص في الكنيسة يدعى قفص الاعتراف، وأحياناً في غرفة منفردة أو في غرفة المريض المحتضر على أن يكون ذلك في خلوة بين الكاهن والشخص المعترف(٤).

ويرى الكاثوليك ضرورة الإقرار المفصل بالخطايا أمام الكاهن، حيث يعد ذلك جزءاً جوهرياً في سر التوبة لكي يقدر الأب الروحي أن يفرض القصاصات الاستغفارية أو الوقائية على التائب فيقدر بها أن يوفي ويستعطف العدل الإلهي(٥).

جاء في تعليم الكنيسة الكاثوليكية: "على التائبين أن يعدوا في الاعتراف كل الخطايا المميتة التي يتذكرونها، بعد محاسبةٍ للنفس متقنةٍ حتى وإن كانت هذه الخطايا حميمة"(٦).

(١) انظر: كنز النفائس: (ص١٧٩)، الأنوار في الأسرار: (ص٢١١).
(٢) الأنوار في الأسرار: (ص٢١١).
(٣) الفروق العقيدية: (ص٢٥).
(٤) انظر: كنز النفائس: (ص١٧٩)، العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس، الفصل التاسع.
(٥) انظر: الفروق العقيدية: (ص٢٥)، كنز النفائس: (ص١٧٩-١٨١)، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (٢/٢٩٨)، الأنوار في الأسرار: (ص٢٢٠).
(٦) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (٢/٢٩٨).

وتعتقد الكنيسة الأرثوذكسية بفائدة الاعتراف التفصيلي للكاهن بصفته طبيباً روحياً للتائب، حيث يرشد المعترف لمعالجة أسقام نفسه، ويعين له بعض القصاصات التأديبية التي هي بمثابة أدوية وعقاقير تعطى للمريض بحسب ما يلائم حاله، وغايتها تأديب الخاطئ وتقويمه، وإصلاح حاله، وخلاص نفسه، وعلاج روحه، وحفظه من خطايا جديدة، وليست كما يعتقد الكاثوليك للتكفير عن الخطايا أو وفاء للعدل الإلهي؛ لأن المسيح قد قدم وفاء كاملاً للعدل الإلهي بموته على الصليب مرة واحدة، ولهذا فإن الكنيسة الأرثوذكسية تختصر أحياناً قانون التوبة أو تلغيه إذا تحققت من توبة الخاطئ، ورأت ثمار التوبة ظاهرة في أقواله وأفعاله وسائر تصرفاته(١).

أما الكنيسة البروتستانتية فلا ترى التوبة أو الاعتراف سراً مقدساً؛ بل هي "حزن وانسحاق القلب لأجل تعدي وصايا الله"(٢)، و"لا اعتراف إلا أمام من أخطأ المؤمن له أو أمام الكنيسة كلها"(٣)، وأن الاعتراف يمكن أن يكون مفيداً فقط من جهة كونه واسطة لنصح وإرشاد المعترف، لكنه ليس إجبارياً، فالمسيحي له مطلق الحرية بأن يعترف أو لا، كما أن الاعتراف التفصيلي ليس ضرورياً لديهم، لذلك ترفضه الكنيسة البروتستانتية وترفض كذلك كل نوع من أنواع القصاص أو الترضية، فلا يفرض على التائب شيء منها، وذلك لأن المسيح بموته قد استعطف وأوفى العدل الإلهي مرة واحدة إلى الأبد لجميع الذين يؤمنون به(٤).

---

(١) انظر: اللآلئ النفيسة: (١٨٥/٢)، كنز النفائس: (ص١٨٠-١٨١)، الفروق العقيدية: (ص٢٥)، الأنوار في الأسرار: (ص٢٢٠-٢٢١)، أسرار الكنيسة: (ص١١١-١١٧).

(٢) كنز النفائس: (ص١٨٠-١٨٢).

(٣) الفروق العقيدية: (ص٢٥).

(٤) انظر: كنز النفائس: (ص١٨٠-١٨٢)، شرح موجز لأصول التعليم المسيحي "الكتاخيسمس الصغير": (ص١٦٤)، اللاهوت المقارن: البابا شنودة: (١٣٢/١-١٣٦)، شرح أصول الإيمان: (ص٤٤١-٤٤٥).

وتجمع الكنائس الأرثوذكسية والبروتستانتية على أن مغفرة الخطايا والصفح عنها بيد الله وحده، ولا يمكن أن تكون بدون توبة وانسحاق قلب الخاطئ، ولا يمكن لأحد أن يبيعها أو يهبها، إنما الكاهن يقبل التائب ويمنحه الحل من الخطايا، ليس باسمه بل باسم الثالوث المقدس، وليس بسلطانه بل بسلطان الله نفسه المعطى له بحسب الكنيسة الأرثوذكسية(١).

بعكس الكنيسة الكاثوليكية التي تعتقد أن مغفرة الخطايا يمكن أن توهب؛ لأن الكنيسة لها الحق بأن تعطي الغفرانات لمن تشاء من ذخيرة(٢) استحقاقات المسيح والقديسين(٣).

---

(١) يدعى هذا "بالحل الكهنوتي": وهو صفح ومسامحة الكاهن للخاطئ التائب بعد أخذ اعترافه وحله من خطيئته، اللآلئ النفيسة: (٢/١٩٤)، وينكر البروتستانت هذا التعليم قولاً، بينما ورد في كتبهم الاعتراف به وقبولهم له، حيث جاء في شرح التعليم المسيحي للبروتستانت: كيف يجب أن ننظر إلى الحل أو غفران الخطايا المعلن من قبل الراعي؟ يجب أن ننظر إلى الحل كأنه معلن من الله نفسه دون أدنى شك، كما نؤمن إيماناً ثابتاً أنه بواسطة هذا الحل تغفر خطايانا أمام الله في السماء "الكتاخيسمس الصغير": (ص١٦٣)، جاء في الصلاة العامة للكنيسة الأسقفية ما نصه: "وهنا يحث القسُ المريضَ على الإقرار بخطاياه وبعد الإقرار يحله القس على هذا الوجه: "ربنا يسوع المسيح الذي ترك لكنيسته سلطاناً على أن يحلوا جميع التائبين المؤمنين به حقاً ليغفر لك خطاياك برحمته العظيمة، وأنا بسلطانه الذي فُوض إليَّ أحلك من جميع خطاياك باسم الآب والابن والروح القدس". انظر: اللآلئ النفيسة: (٢/١٩٤)، أسرار الكنيسة: (ص١٠٠).

(٢) ذخائر القديسين: عبارة عن بقايا رُفات القديسين، أو بقايا أمتعتهم، وقد منح البابوات غفرانات عديدة لمن يزور هذه البقايا. انظر: المصلح مارتن لوثر: (ص٥٠).

(٣) انظر: كنز النفائس: (ص٤٦، ١٨٢)، شرح موجز لأصول التعليم المسيحي "الكتاخيسمس الصغير": (ص١٥٨-١٦٤)، أسرار الكنيسة: (ص٩٨-١٠٠، ١١٨-١١٩، ١١٢-١٢١)، الفروق العقيدية: (ص٢٤-٢٥)، موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٤٤)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص٧٥)، اللاهوت النظامي: (ص٤٧٤)، شرح أصول الإيمان: (ص٤٧٦)، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص٣٠١-٣٠٢).

المبحث الرابع: العشاء الرباني "الإفخارستيا".

يعد العشاء الرباني أو الإفخارستيا من أهم الأسرار عند النصارى بعد المعمودية، ولذلك يُدعى عندهم "سر الأسرار"، ويطلق عليه أيضاً: "سر التناول، سر الشركة، سر الشكر، مائدة الرب، المائدة الربانية، الذبيحة المقدسة، خبز الحياة، الوليمة الإلهية، القداس المقدس، السر المجيد، العشاء السري، العشاء الإلهي، مائدة المسيح"، إلى غير ذلك من الأسماء التي تدل على سمو مكانته وعظم قداسته عندهم(١).

ومما جاء فيه أنَّ "سر الإفخارستيا: هو بمثابة روح الكنيسة، فإليه يرجع كمال النعمة الكهنوتية بمختلف درجات الرسامة، بل منه تستقي الكنيسة كل قوتها ومجدها وجميع كنوز النعم الإلهية وجميع الخيرات، لذلك تخصص أعظم الجهد بتهيئة قلوب المؤمنين وقيادتها إلى اتحاد صميم بالمسيح بفعل سر جسده ودمه"(٢).

وكلمة إفخارستيا: كلمة يونانية بمعنى الشكر، كما تستخدم أيضاً بمعنى تقدمة الشكر، أي الشكر المعبر عنه بتقدمةٍ ما، سواء كان ذلك بالتسبيح أو الصلوات أو الذبائح، وقد استخدمت كصلاة بنوع مخصوص في حالة شكر الله على خلقه العالم(٣).

---

(١) انظر: مختصر كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص٨٨)، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر: (٦٢/٣)، اللاهوت النظامي: (ص٥١٨–٥١٩)، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية: (ص٦١٠)، معجم المصطلحات الطقسية والكنسية، نسخة إلكترونية، الافخارستيا أو القول السديد عن السر المجيد، جرجس صموئيل عازر، مكتبة مارجرجس، الطبعة الثانية: (ص٢٦)، اللاهوت العقيدي: (٢٥٦/٣)، أسرار الكنيسة: (ص٥٧)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص١٠٢).

(٢) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (٧٢٣/٢).

(٣) انظر: قاموس المصطلحات القبطية: (ص٨)، معجم المصطلحات الطقسية والكنسية: نسخة إلكترونية، معجم اللاهوت الكتابي، نسخة إلكترونية، الصخرة الأرثوذكسية: (ص٩٥)، الإفخارستيا، متى المسكين: (ص٤٠).

وهذا السر يعرف بتعريفات مختلفة عند النصارى باختلافهم حول غاية العشـاء الرباني:

الأرثوذكس: "الإفخارستيا المقدسة هي جسد ودم مع نفس لاهوت ربنا يسوع المسيح تحت شكلي وعرضي الخبز والخمر، وذلك لأن هاتين المادتين تتغيران بحلول الروح القدس بعد كلمات التقديس من كاهن مشرطن إلى الجسد والدم الحقيقين للمسيح، أما الخبز فإلى جسد، وأما الخمر فإلى الدم، وينالهما المؤمن للاتحاد به والثبات فيه ونوال الحياة الأبدية"(١).

الكاثوليك: "الإفخارستيا هي ذبيحة جسد الرب يسوع ودمه بذاتها، التي أوجدها لكي تستمر بها ذبيحة الصليب على مر الأجيال إلى أن يجيء مودعاً هكذا كنيسته ذكرى موته وقيامته، والإفخارستيا هي علامة الوحدة، ورباط المحبة، والوليمة الفصيحة، فيها نتقبل المسيح، وفيها تمتلئ النفس بالنعمة، وفيها نعطى عربون الحياة الأدبية"(٢).

والإفخارستيا عند الأرثوذكس والكاثوليك يستحيل فيها الخبز والخمر بالروح القدس إلى جسد المسيح ودمه فتكون: "ذبيحة حقيقية تشخص بالفعل لا بالصورة، الذبيحة نفسها التي قدمها المسيح على الصليب"(٣) في معناها وفاعليتها فيؤمنون كما جاء عنهم: "إن ما يتناوله المشترك هو حمل واحد كامل مهما كانت جزئية الجواهر التي يتناولها أو مهما كان عددها، وأنه هو نفسه الجسد والدم اللذان ولدا من الدائمة البتولية السيدة العذراء مريم، وقدما كفارة عنا على عود الصليب، وأنه لا فرق بين ذبيحة القداس وذبيحة الصليب إلا في كيفية وظروف إتمامها، لأنهما ذبيحة واحدة أبدية مستديمة لكل العصور والأماكن تقدم عن الجميع الأحياء والراقدين ولا فرق بينهما، إلا كون جسد ربنا قبل قيامته من الأموات كان قابلاً للآلام والتقسيم والموت، أما بعدها للآن وإلى الأبد فهو غير مائت وغير

(١) الإفخارستيا أو القول السديد: (ص٢٦)، وانظر: الأنوار في الأسرار: (ص١٨٣–١٨٤)، أسرار الكنيسة: (ص٦٠).

(٢) مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص٨٧).

(٣) كنز النفائس: (ص١٧٩)، وانظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٣٣٠)، مختصر كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص٨٩–٩٠).

قابل للألم والتقسيم والموت، بغض النظر عما نراه بالعين الجسدية من تجزئة الخبز والخمر، ونؤمن أن المستحقين يقبلون جسد المسيح ودمه الحقيقيين لمغفرة الخطايا وللاتحاد به والثبات فيه، والجواب حسن مقبول أمام كرسيه، ولنوال الحياة الأبدية ولاتحاد أعضاء الكنيسة ببعضهم وللامتلاء بالأشواق المقدسة، ومن الروح القدس ولمشاركة الطبيعة الإلهية ولذكرى آلام السيد وموته ولتحضير عظيم محبته أمام الأذهان.

ونؤمن أنه ضروري للخلاص، أي لا خلاص بدونه، أما غير المستحقين فيقبلونهما أي جسد المسيح ودمه الحقيقيين ولكن للدينونة"(١).

وقد أكدت الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها المتعددة هذا المعنى ومن ذلك:

ما جاء في مجمع روما سنة (١٠٧٩م) تحت عنوان "حضور المسيح في الإفخارستيا" مما جاء فيه:

"إن الخبز والخمر اللذين على المذبح قد تحولا جوهرياً، بسر الصلاة المقدسة، وبأقوال فادينا إلى جسد سيدنا يسوع المسيح الحقيقي والذاتي والمحيي، وإلى دمه، وأنهما بعد التقديس جسد المسيح الحقيقي الذي ولد من العذراء والذي وهو المقدم لخلاص العالم رُفع على الصليب، والذي يجلس إلى يمين الآب، وكذلك دم المسيح الحقيقي الذي سال من جنبه لا بطريقة التصور المجازي وقوة السر بل بطبيعته الخاصة وفي حقيقة الجوهر"(٢).

والإفخارستيا بوصفها ذبيحة مقدمة لأجل جميع المؤمنين الأحياء منهم والأموات فهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمغفرة الخطايا لديهم، جاء في تعليم الكنيسة الكاثوليكية:

"كل مرة نتناوله، نخبر بموت الرب، فعندما نُبشر بموت الرب نُبشر بمغفرة الخطايا، وإذا كان كل مرة يراق دمه إنما يراق لمغفرة الخطايا، فعليَّ أن أتناوله دائماً لكي يصفح دائماً عن خطاياي، فأنا الذي يرتكب الخطيئة دائماً أحتاج دائماً إلى علاج"(٣).

---

(١) الإفخارستيا أو القول السديد عن السر المجيد: (ص٣٣-٣٤)، وانظر: اللاهوت العقيدي: (٢٥٦/٣)، الأنوار في الأسرار: (ص١٨٥-١٨٨)، أسرار الكنيسة: (ص٦٠)، أرثوذكسيتي تراث وعقيدة وحياة: (ص٧٩).

(٢) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (٢٤٣/١).

(٣) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (٢٨٨/٢).

فالكنيسة الكاثوليكية وتشاركها في نفس العقيدة الكنيسة الأرثوذكسية -مع اختلاف بسيط-[١] "تؤمن بأن الخبز والخمر يتحولان إلى جسد المسيح الحقيقي وإلى دمه الحقيقي بعد أن ينطق الكاهن بالعبارات الخاصة بالاستحالة. فإن الخبز والخمر اللذين كانا خبزاً وخمراً قبل الصلاة التي تُدعى الصلاة الجوهرية، تحولا بطريقة معجزية وسرية إلى جسد المسيح (دمه ولحمه)، وهذه العملية تسمى بعملية الاستحالة، وهذا الاصطلاح يعني: "استحالة الخبز والخمر إلى جسد ودم يسوع المسيح".

وبتحليل هذا الاصطلاح تحليلاً لغوياً يمكننا القول بأن مادة الخبز والخمر تحولت جزئياً وكلياً إلى جسد يسوع، فمع أن الخبز والخمر يظلان حسب الظاهر خبزاً وخمراً ولا يفقدان أي شيء من خواصهما الطبيعية لا في الطعم ولا في اللون، إلا أنهما استحالا بطريقة سرية معجزية إلى دم ولحم يسوع المسيح، فالاستحالة التي حدثت هنا هي استحالة كلية لا تعني أن يسوع حاضر بطريقة ما في هذا الخبز وهذا الخمر، ولا تعني أيضاً أن يسوع حاضر بطريقة حقيقية واضحة وفعلية فقط في الخبز والخمر، بل إن هذا الخبز وهذا الخمر تحولا فعلياً وحرفياً إلى جسد المسيح، فجسد المسيح كله حل محل هذا الخبز وهذا الخمر، فبعد أن ينطق الكاهن بالكلمات الجوهرية، لا يعد الخبز خبزاً ولا الخمر خمراً، بل إن هاتين المادتين أصبحتا فعلاً وعملاً جسد المسيح يسوع، فالشخص المشترك يتناول أو بالمعنى الأصح يأكل بطريقة فعلية وحقيقية جسد المسيح في شكل الخبز والخمر"[٢].

أما البروتستانت فقد اختلفوا في تعريف الإفخارستيا على النحو التالي:

تعرفه الكنيسة اللوثرية "بأنه جسد ودم ربنا يسوع المسيح الحقيقيان، يقدمان لنا نحن المسيحين عن طريق الخبز والخمر لنأكل ونشرب"[٣]، فالخبز والخمر في نظر الكنيسة اللوثرية لا

---

(١) انظر: الكنيسة أسرارها وطقوسها، أ. د عادل درويش، كلية الدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ: (ص٣٠٨)

(٢) تاريخ الفكر المسيحي، لحنا جرجس الخضري: (٣٢٦/١).

(٣) شرح موجز لأصول التعليم المسيحي "الكتاخيسمس الصغير": (ص١٦٥).

يستحيلان إلى جسد المسيح ودمه بالمفهوم الكاثوليكي، بل يقدم المسيح بواسطتهما حضوره الحقيقي والفعلي بطريقة حرفية وصحيحة في هذا الخبز وهذا الخمر(١)، ويرافقها على منوال سري.

ويستدلون بالنصوص التالية:

"فإنكم كلما أكلتم هذه الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء، إذاً أيُّ من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرماً في جسد الرب ودمه، ولكن ليمتحن الإنسان نفسه، وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس"(٢).

"كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح؟ الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح"(٣).

أما بالنسبة للكنيسة الكلوينية وسائر الكنائس البروتستانتية فيعرفونه بأنه: "سر يدل على موت المسيح بإعطاء خبز وخمر وقبولها حسبما رسم سيدنا له المجد، والقابلون باستحقاق يتناولون جسده ودمه مع جميع فوائده، لا تناولاً جسمياً أو جسدياً بل تناولاً روحياً بالإيمان، وذلك لقوتهم الروحي ونموهم في النعمة"(٤).

ويرى زونجلي "بأن العشاء الرباني مجرد تذكار لموت المسيح، من غير أن تكون فيه أدنى فاعلية في حد ذاته، ولا يحضر فيه المسيح على الإطلاق لا جسديا ولا روحياً، ولذلك

---

(١) انظر: كتر النفائس: (ص١٧٧)، تاريخ الفكر المسيحي: (٣٢٨/١)، اللاهوت النظامي: (ص٥٢٣)، حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص٢٥٧)، أسرار الكنيسة: (ص٦٠)، الافخارستيا أو القول السديد: (ص٤٨-٤٩).
(٢) (١كو ١١: ٢٦-٢٨).
(٣) (١كو ١٠: ١٦).
(٤) شرح أصول الإيمان: (ص٤٩٨)، وانظر: كتر النفائس: (١٧٧-١٧٨)، تاريخ الفكر المسيحي: (٣٢٩/١)، اللاهوت النظامي: (ص٥٢٤)، حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص٢٥٨)، الأنوار في الأسرار: (ص١٢٩).

لا يحسب عشاء الرب من وسائط النعمة، بل هو تذكار لموت المسيح وشهادة الإيمان المتناول". وتابعه على هذا الرأي الأرمينيون والسوسينيون[(١)].

وترفض الكنيسة البروتستانتية فكرة الاستحالة تماماً، لأنها تواجه عقبات كتابية، كما أنها مضادة للحس، إذ أن الحس يشهد ببقاء الخبز والخمر على ماهما عليه دون تغيير، ويعدون هذا التعليم تعليماً محدثاً وطارئاً في التاريخ الكنسي[(٢)].

أوجه الخلاف في ممارسة العشاء الرباني:

أولاً: ترى الكنيسة الأرثوذكسية بأن المادة المطلوبة لتتميم هذا السر هي: الخبز الذي ينبغي أن يكون من القمح النقي المختمر، والخمر الذي ينبغي أن يكون من كرم خالصة وممزوجة بالماء حين الخدمة تذكاراً للماء الذي خرج مع الدم من جنب الفادي على الصليب[(٣)].

واشتراطهم للقمح كما يقولون: "لأن خبز اليهود كان من قمح في عصر مخلصنا حينما سلم سرَّ الشكر، والكنيسة الأرثوذكسية هكذا تسلمت، واستعملت الخبز في هذا السر إلى الآن وينبغي أن يكون مختمراً لا فطيراً، لأن ربنا تمم مرة واحدة سر الشركة وسلمه بخبز مختمر لا بفطير"[(٤)]، تمييزاً لهذه الفريضة المسيحية عن الفصح اليهودي بخلاف الكنيسة الكاثوليكية التي تعد "خبز الحنطة" الفطير، وخمر الكرمة هما الشكلان الجوهريان في سر الإفخارستيا[(٥)].

"وقد نشأت منازعة شديدة على هذا الموضوع في القرن الحادي عشر بين الكنيستين الشرقية والغربية، فرفضت الشرقية استعمال الفطير باعتباره عادة يهودية لا يلتزمون بها، وحكمت

---

(١) شرح أصول الإيمان: (ص٥٠٦)، وانظر: كنز النفائس: (ص١٧٨)، اللاهوت النظامي: (ص٥٢٣)، تاريخ الفكر المسيحي: (١/٣٣٠-٣٣١)، حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص٢٥٧)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٤٢)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٢٣٤)، المباحث في اعتقادات بعض الكنائس: (ص٦٤).

(٢) انظر: الكنيسة أسرارها وطقوسها: (ص٣٠٦-٣٠٧).

(٣) انظر: أسرار الكنيسة: (ص٨٧)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٢٨، ٢٤٧)، اللاهوت العقيدي: (٣/٢٦٠)، الأنوار في الأسرار: (ص١٠٣)، الفروق العقيدية: (ص٢٤)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص٤٣).

(٤) الأنوار في الأسرار: (ص١٠٤)، وانظر: شرح أصول الإيمان: (ص٥٠٠).

(٥) انظر: مختصر التعليم للكنيسة الكاثوليكية: (ص٨٩)، اللاهوت النظامي: (ص٥١٩)، أسرار الكنيسة: (ص٨٧)، شرح أصول الإيمان: (ص٥٠٠)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص٤٣-٤٤)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٧٥).

الغربية بأنه النوع الوحيد الجائز استعماله، ولو أن استعمال الخبز المختمر جائز أيضاً لأنه لا يفسد السر"(١).

أما البروتستانت: فالكنيسة اللوثرية تشدد على استعمال الخبز غير المختمر "اقتداء بما عمله المسيح والتلاميذ عند رسم الفريضة، بينما الكنائس المصلحة لا تعلق أهمية خاصة على نوع الخبز مختمراً كان أم لا، لاعتقادها بأن المسيح إنما استعمل الخبز غير المختمر لا لكونه غير مختمر بل لأنه كان النوع الوحيد الموجود أمامه، فالعبرة عندها بالوجود لا بالنوع، وأما الخمر المستخدم عندهم فهو نتاج الكرم المختمر، ومنهم من يستعمل عصير العنب غير المختمر"(٢).

ثانياً: ترى الكنيسة الأرثوذكسية وجوب تناول الأطفال من السر الأقدس بمجرد معموديتهم ورشمهم بزيت الميرون المقدس، بخلاف الكنيسة الكاثوليكية التي تؤجل تناول الأطفال حتى بلوغهم سن التمييز، جاء في المجمع التريدنتيني: "إن قال أحد أن قبول الإفخارستيا ضروري للأطفال قبل أن يبلغوا سن التمييز فليكن محروماً"(٣).

ثالثاً: ترى جميع كنائس النصارى أن جميع المؤمنين بلا استثناء سواء كانوا إكليروسيين أو من الشعب محتاجون، ولهم الحق أن يشتركوا بالأسرار الظاهرة تحت الشكلين "الخبز والخمر"، بخلاف الكنيسة الكاثوليكية التي تعتقد أن الإكليروسيين وحدهم يجب أن يتناولوا من الخبز والخمر، وأما الشعب فلا يحق لهم أن يتناولوا إلا من الخبز فقط، وذلك لتخوفهم من أن تنسكب بعض قطرات الكأس على الأرض وبذلك يهان دم المسيح، وكذلك لاعتقادهم بأن في الخبز وحده الكفاية لتناول جسد المسيح ودمه(٤).

---

(١) اللاهوت النظامي: (ص٥١٩)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص٤٤)، الإيمان الأرثوذكسي: (ص٢٤-٢٥).

(٢) انظر: اللاهوت النظامي: (ص٥١٩-٥٢٠)، شرح أصول الإيمان: (ص٥٠٠-٥٠١)، أصول التعليم المسيحي، "الكتاخسيمس الصغير": (ص١٦٦).

(٣) انظر: الفروق العقيدية: (ص٢٤-٢٧)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٥٠-٢٥١)، الأنوار في الأسرار: (ص١٦٠-١٦١)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص٤٧)، الإيمان الأرثوذكسي: (ص٢٥).

(٤) انظر: الأنوار في الأسرار: (ص١٦٤)، كنز النفائس: (ص١٧٨)، شرح أصول الإيمان: (ص٥٠١-٥٠٢)، اللاهوت النظامي: (ص٥٢٠)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٤٩)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص٤٥-٤٦)، الإيمان الأرثوذكسي: (ص٢٥)، الافخارستيا أو القول السديد: (ص٤٧)، المباحث في اعتقادات بعض الكنائس: (ص٧١-٧٢).

رابعاً: ترى الكنيسة الأرثوذكسية بأنه لا يجوز إقامة أكثر من قداس على مذبح واحد، وبأوانٍ مقدسة واحدة إلا بعد مرور تسع ساعات على الأقل على القداس الأول، كما يشترط الصوم الانقطاعي لنفس المدة قبل التناول، بخلاف الكنيسة الكاثوليكية التي ترى إقامة أكثر من قداس واحد بنفس الكاهن وعلى نفس المذبح والأواني في اليوم الواحد(١)، وعلى المؤمنين مراعاة الصوم الذي تفرضه الكنيسة إلا في حالة المرض، كما ينبغي مراعاة المظاهر الجسدية اللائقة (من حركات، وثياب) كعلامات احترام للمسيح(٢).

خامساً: أما بالنسبة لوقت ممارسة الإفخارستيا: فالميعاد الذي كانت تجتمع فيه الكنيسة للاحتفال بالإفخارستيا في بداية تاريخ الكنيسة كان يوم الأحد قبل بزوغ النور، ونظراً لما كان يصاحب ذلك من الضجة التي تحدثها هذه الاجتماعات الكثيرة أثناء الليل، وما يلازمها من صلوات وتسابيح علنية فقد صدر أمر في زمن الإمبراطور ترجان سنة (١١٢م) بإبطال هذه الاجتماعات الليلية، ومن ثم تُركت(٣) المسألة لاستحسان الكنائس، و قد جرت العادة في الكنيسة أن تمارسه مرة كل شهر أو شهرين أو ثلاثة(٤).

وتلزم الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية أتباعهما بممارسة هذا السر مرة في السنة على الأقل في موسم عيد الفصح(٥).

سادساً: ترى الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية أن العبادة الواجبة لسر الإفخارستيا هي عبادة السجود التي تؤدى لله وحده؛ لاعتقادهم بأن الرب يحضر حضوراً حقيقياً أثناء إقامة هذا السر، بخلاف الكنيسة البروتستانتية التي لا تحدد طريقةً للتناول جلوساً أو ركوعاً(٦).

---

(١) الفروق العقيدية: (ص٢٦–٢٧)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٤٧).

(٢) مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص٩٢)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٧٥).

(٣) الإفخارستيا، متى المسكين: (ص٤١٧)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٣٧).

(٤) انظر: اللاهوت النظامي: (ص٥٢٠)، أصول التعليم المسيحي "الكتاخسيمس الصغير": (ص١٦٩)، شرح أصول الإيمان: (ص٥٢١).

(٥) مختصر التعليم للكنيسة الكاثوليكية: (ص٩١–٩٢)، الإفخارستيا، متى المسكين: (ص٤١٧)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٤٦).

(٦) مختصر التعليم للكنيسة الكاثوليكية: (ص٩١)، أسرار الكنيسة السبعة: (ص٧٠)، علم اللاهوت النظامي: (ص٥٢٠)، المباحث في اعتقادات بعض الكنائس: (ص٦٩).

جاء في تعليم الكنيسة الكاثوليكية:

"س: ما هو نوع العبادة الواجب لسر الإفخارستيا؟

ج: إنه عبادة السجود، أي العبادة التي تؤدى لله وحده وقت الاحتفال بالإفخارستيا وخارجه، فالكنيسة تحفظ بأعظم العناية الأجزاء المكرسة، وتنقلها إلى المرضى وإلى من تستحيل عليهم المشاركة في القداس، وهي تعرضها على المؤمنين للسجود لها باحتفاء، وتطوف بها وتدعوا إلى الزيارة المتواترة وإلى السجود للسر المقدس المحفوظ في بيت القربان"(١).

قال القديس يوحنا فم الذهب: "هذا الجسد لما كان بعد في هذا المذود وخجل منه المجوس، ورجال كفرة وبرابرة تركوا أوطانهم وبيوتهم وقطعوا طريقاً طويلة، وأتوا بخوف وارتجاف كثير وسجدوا له، **فلنقتدِ إذاً بالبرابرة على الأقل نحن أبناء السماوات**"(٢).

---

(١) مختصر التعليم للكنيسة الكاثوليكية: (ص٩١)، وانظر: الإفخارستيا، متى المسكين: (ص٤٢٣).

(٢) أسرار الكنيسة: (ص٧٠). يظهر هنا مدى تأثر فم الذهب بالبيئة الوثنية التي أحاطت بالنصرانية .

المبحث الخامس: مسحة المرضى.

مسحة المرضى هي سر إلهي مقدس عند الأرثوذكس والكاثوليك على حد سواء، به ينال المريض المؤمن شفاء أمراضه النفسية والروحية والجسدية، إذ يمسحه الكاهن بزيت مقدس، ويستمد له النعمة الإلهية(١).

ومادة مسحة المرضى: هي زيت الزيتون الذي شاع استعماله منذ العهد القديم لمعالجة الجروح والأمراض الجلدية، فهو من طبيعته يرمز إلى مفعول السر، أي شفاء النفس والجسد(٢)، ويستدلون لذلك بما ورد في مرقس أن رسل المسيح عندما خرجوا للكرازة قد "دهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم "(٣) وبما جاء عن القديس يعقوب الرسول حين تكلم صراحة في الكتاب المقدس: "أمريض أحدٌ بينكم فليدع شيوخ الكنيسة فليصلوا عليه ويدهنوه بزيتٍ باسم الرب، وصلاة الإيمان تشفي المريض، والرب يقيمه، وإن كان قد فعل خطيئة تغفر له"(٤).

ويتمم هذا السر في الكنيسة الأرثوذكسية للمرضى عموماً سواء كان المرض خفيفاً أو ثقيلاً، ويطلق عليه الأسماء التالية: "زيت مقدس، صلاة الزيت، التقديس بالزيت، مسحة بالزيت المبارك"(٥).

و"صلاة القنديل" حيث كان القدماء يضعون الزيت في قنديل ولا يزال ذلك جارياً إلى الآن(٦).

---

(١) انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية (ص٣٣٤)، اللآلئ النفيسة (١٩٥/٢)، الأنوار في الأسرار (ص٢٥٦)، الفروق العقيدية (ص٢٦)، موسوعة علم اللاهوت (٢٦٤/٢)، المجموع الصفوي (٢٠٤/١)، أسرار الكنيسة: (ص١٢٢)، كنز النفائس (ص١٨٨).

(٢) انظر: اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر (٩٩/٣).

(٣) (مر ٦: ١٣).

(٤) (يع ٥: ١٤ — ١٥).

(٥) الأنوار في الأسرار (ص٢٠٦—٢٠٧، ٢٦٦).

(٦) اللآلئ النفيسة (٢١٥/٢).

وفي الكنيسة الكاثوليكية يسمى بالمسحة الأخيرة، وسر المنازعين، وذلك لأن الكنيسة الكاثوليكية أخذت تقصر مسحة المرضى أكثر فأكثر على المشرفين على الموت، لكي يقويهم في نزاع الموت(١).

جاء في وثيقة من وثائق المرضى في المجمع التريدنتيني في جلسته (١٤) في ٢٥ تشرين الثاني (١٥٥١م) تحت مسمى "تعليم في سر مسحة المرضى": "ومن المقرر أيضاً أن تعطى هذه المسحة للمرضى، ولا سيما أولئك الذين هم في خطر شديد ينذر بنهاية الحياة"(٢)، كما أن هذا السر لا يمنح في الكنيسة الكاثوليكية لعديمي العقل والتمييز أو الأطفال الصغار(٣)، يقول الأب بطرس غوري "الكاثوليكي": هذا السر لا ينبغي إعطاؤه إلا لمريض يخشى موته، ولا يعطى لمن لا يكون قد بلغ سن التمييز، ولا لمن كان معتوهاً كل عمره؛ لانتفاء اقترافهما خطية فعلية"(٤).

ويتمم هذا السر في الكنيسة الأرثوذكسية:

فيتم مسح المريض وفق طقوس معينة على النحو التالي:

"توضع منضدة في وسط الكنيسة، أو في غرفة المريض، يوضع عليها الإنجيل المقدس والصليب الكريم ووعاء فيه قمح يابس، ووعاء مملوء زيتاً وخمراً أو قنديلاً، ويغرسون في القمح سبعة عيدان صغيرة بحسب عدد الكهنة"، "ملفوفة رؤوسها بقليل من القطن لأجل دهن المريض بها، وكذلك جرت العادة أن تغرس في القمح سبع شمعات مضاءة، وتتلى في هذا السر سبع رسائل وسبعة أناجيل وسبعة أفاشين، ويدهن المريض الذي لأجله تقام الصلاة

---

(١) انظر: اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر (٩٨/٣)، موسوعة علم اللاهوت (٢٦٧/٢)، الفروق العقيدية (ص٢٧)، كنز النفائس (ص١٨٨)، الأنوار في الأسرار (ص٢٠٧، ٢٦٦، ٢٧١).

(٢) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (٤٣١/١).

(٣) انظر: اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر: (٩٨/٣)، موسوعة علم اللاهوت: (٢٦٧/٢).

(٤) علم اللاهوت، الأب بطرس غوري: (٦٦٢/٢)، نقلاً عن موسوعة علم اللاهوت: (٢٦٨/٢).

سبع مرات"[١] بالزيت الذي سبق تقديسه وتبريكه من قبل الكهنة على شكل صليب في سبع محلات من جسده: في جبهته وأنفه وقدميه وصدره ويديه داخلاً وخارجاً، وقد جرت العادة أن يقوم بهذه الخدمة سبعة كهنة، وفي وقت الضرورة أقل من ذلك أو كاهن واحد، ثم يتلو الكاهن صلاة الإيمان حيث يدهن المريض قائلاً: "يا أبتاه القدوس يا طبيب النفوس والأجساد يا من أرسلت ابنك الوحيد ربنا يسوع المسيح شافياً لكل مرض ومنقذاً من الموت أشف عبدك هذا" فلان "من الأمراض المستحوذة عليه النفسية والجسدية، وأحيِه بنعمة مسيحك بشفاعات الفائق قدسها سيدتنا والدة الإله"[٢].

أما في الكنيسة الكاثوليكية: فيتضمن الاحتفال بهذا السر بصورة رئيسية المسحة بالزيت الذي يباركه الأسقف إذا أمكن، فيدهن جبين المريض وتدهن يداه. . . ، وترافق المسحة صلاة الكاهن الذي يلتمس فيها النعمة الخاصة بالسر"[٣].

وهناك نزعة في الكنيسة الكاثوليكية للاحتفال بهذا السر بطريقة جماعية في الكنيسة لمساعدة المرضى على الشعور بأنهم وبالرغم من مرضهم لا يزالون أعضاء أحياء في جسد الكنيسة، ويحمل الأصحاء على إدراك مسؤوليتهم تجاه المرضى، وهكذا يتأمل الجميع في سر المرض والعذاب ويجددون إيمانهم بأن المحبة أقوى من الخطيئة، والحياة أقوى من الموت[٤].

وبممارسة هذا السر ينال المريض شفاء أمراضه الروحية، وإن كان قد فعل خطيئة تغفر له؛ لأن المتقدم للسر يجب أن يعترف بخطاياه أولاً، ويتوب عنها، كما ينال شفاء أمراضه الجسدية حسب مشيئة الله وإيمان المريض، أما الذين لا يحصلون على الشفاء فهذا

---

(١) كراس خدمة سر مسحة المرضى "سر الزيت المقدس" اعتنى بجمعه وترتيبه: قدس الأرشمندريت د. ميليتيوس بصل، رئيس دير تجلي الرب والرئيس الروحي لمدينة رام الله: (ص١)، وانظر: اللآلئ النفيسة: (٢/٢١٨-٢٢٧).

(٢) الأنوار في الأسرار: (ص٢٦٧-٢٦٨).

(٣) مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص٩٩).

(٤) انظر: اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر: (٣/١٠٠).

بسبب عدم إيمانهم، أو أن تكون هذه إرادة الرب أن يستمر الإنسان في مرضه لفائدته الروحية، وبعد إتمام هذا السر ينبغي أن يتناول من الإفخارستيا[١].

أما الكنيسة البروتستانتية فلا تعتبره سراً مقدساً، ولا مغفرة للخطايا بواسطته؛ لأنه لا يستند على أساس كتابي صحيح، بل هو من جملة العوائد اليهودية التي يجب رفضها[٢].

(١) انظر: مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص٩٩-١٠٠)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٢٣٥).

(٢) انظر: كنز النفائس: (ص١٨٨)، الفروق العقيدية: (ص٢٧)، شرح أصول الإيمان: (ص٤٨١-٤٨٢)، المباحث في اعتقادات بعض الكنائس: (ص٩١-٩٤).

المبحث السادس: الزواج.

الزواج هو عهد وسر مقدس عند الأرثوذكس والكاثوليك، فيه يتحد ويرتبط الزوجان اتحاداً وارتباطاً مقدساً بفعل الروح القدس، ويرمز إلى الاتحاد السري بين الكنيسة ورأسها الإلهي، ويتم بين ذكر وأنثى برضاهما التام، ويباركه وفقاً للطقوس الكنسية الأساقفة والقسوس، وغايته إنجاب الأولاد وتربيتهم والعيشة المشتركة بين الزوجين معاً مدى الحياة، والتعاون في السراء والضراء، والمشاركة في الحقوق والواجبات(١) "وبواسطة سر الزيجة ينال الزوجان النعمة الإلهية التي هي ضرورية بلا بد لقيام الزيجة وتقديسها"(٢).

ويستدلون لذلك بما نُسب للمسيح من تأكيد بأن "الذي جمعه الله لا يفرقه إنسان"(٣).

أما البروتستانت فلا يعتبرون الزواج سراً مقدساً(٤) بل "تكملة بسيطة ينال بها الشخصان المزمعان أن يتحدا بشركة الزواج البركة الكنائسية التي هي مفيدة، ولكنها ليست ضرورية بلا بد لأجل قيام رباط الزيجة"(٥).

جاء في شرح أصول الإيمان: "إن الزواج قد جعل للمؤمنين والأشرار سواء بسواء، فكيف يكون إذ ذاك سراً كنسياً؟! ! "(٦).

---

(١) انظر: دليل الزواج للطوائف المسيحية، إعداد المجلس الوطني لشؤون الأسرة: (ص١٢)، الفروق العقيدية: (ص٢٦ – ٢٧)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٣٣٦، ٣٣٧)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٦٨–٢٧٠)، مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص١٠٤–١٠٦)، شرح أصول الإيمان: (ص٤٨٠)، اللاهوت النظامي: (ص٥٣١)، الأنوار في الأسرار: (ص٢٦٨)، اللآلئ النفيسة: (٢/١٠٢–١٠٦، ١٣٦– ١٣٧).

(٢) كنز النفائس: (ص١٨٧).

(٣) (مر ١٠: ٩).

(٤) انظر: الفروق العقيدية: (ص٢٧–٢٨)، شرح أصول الإيمان: (ص٤٨٠)، اللاهوت المقارن: البابا شنودة: (١٢/١)، المباحث في اعتقادات بعض الكنائس: (ص٩٠).

(٥) كنز النفائس: (ص١٧٨).

(٦) شرح أصول الإيمان: (ص٤٨٠).

وللزواج عند النصارى صفتان جوهريتان:

الصفة الأولى الوحدانية: "وحدة الشريك"، "وحدة الزيجة"، يعني ذلك أن يكون للرجل امرأة واحدة، وللمرأة رجل واحد، وهذا رجوع للأصل؛ لأن الله منذ البدء خلقهما ذكراً وأنثى، فلا يجوز زواج رجل مرتبط بامرأة، ولا زواج امرأة مرتبطة برجل، أي منع تعدد الأزواج والزوجات خلافاً لما كان سائداً لدى بعض الأمم من اقتران المرأة الواحدة برجال كثيرين في وقت واحد(١)، ويستدلون على ذلك بقول بولس: "ليكن لكل واحد امرأته، وليكن لكل واحدة رجلها"(٢).

ويعد تعدد الزوجات من الأمور المحرمة عند النصارى(٣) حيث يعد من الخطايا الثقيلة عند الكاثوليك(٤)، ومن الأمور المغايرة لروح العفة عند البروتستانت(٥).

الصفة الثانية الديمومة: "الاستمرارية" فالزواج لدى النصارى غير قابل للانفصال والانحلال ما دام كلا الزوجين على قيد الحياة، "فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان"(٦)، إلا لعلة "الخيانة الزوجية أو لأسباب أخرى في غاية الأهمية"(٧).

---

(١) انظر: دليل الزواج للطوائف المسيحية: (ص١٢)، أسرار الكنيسة: (ص١٣٧)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٣٣٧)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٧١– ٢٧٣)، شرح أصول الإيمان: (ص٣٩٣)، مختصر التعليم للكنيسة الكاثوليكية: (ص١٠٥)، اللآلئ النفيسة: (٢/١١٦–١١٧)، الأنوار في الأسرار: (ص٢٨٨–٢٨٩)، شرح موجز لأصول التعليم المسيحي "الكتاخيسمس الصغير": (ص٣١).

(٢) (١كو ٧: ٢).

(٣) انظر: اللآلئ لنفيسة: (٢/١١٧)، أسرار الكنيسة: (ص١٣٨)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٧١).

(٤) مختصر التعليم للكنيسة الكاثوليكية: (ص١٠٧).

(٥) شرح أصول الإيمان: (ص٣٩٣).

(٦) (مت ١٩: ٦).

(٧) كتر النفائس: (ص١٨٧)، وانظر: الفروق العقيدية: (ص٢٦–٢٧)، اللآلئ النفيسة: (٢/١١٧)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٧٤)، الأنوار في الأسرار: (ص٢٩٠–٢٩٣)، " الكتاخسيمس الصغير": (ص٦٩)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص٦٢).

ويستدلون على ذلك بما نسب للمسيح: "من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق، وأما أنا فأقول لكم: إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنى يجعلها تزني، ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني"(١).

ولذلك يرى الأرثوذكس بأنه "لا طلاق إلا لعلة الزنا، ولا زواج بمطلقات أو بمختلفي الديانة أو المذاهب أو الطائفة أو عن طريق غير الكاهن الأرثوذكسي، ويجوز التفريق بين الزوجين إذا خرج أحدهما عن الإيمان الأرثوذكسي"(٢)، كما لا يجوز لشخص رجلاً كان أو امرأة أن يتزوج لأكثر من ثلاث مرات أياً كان السبب.

بخلاف الكاثوليك والبروتستانت الذين يجيزون ذلك بشرط موت الطرف الآخر، ولا يجوز للوصي أو أولاده أو أحفاده حتى بعد وفاته أن يتزوج من هي تحت وصايته، ويمنع الزواج من القرابة المثلثة بين ثلاثة أصناف من القرابة، ويمنع الزواج حتى الدرجة الثالثة فمثلاً: لا يتزوج زوج الأم زوجة ابن زوجته، ولا ابنة ابنة زوجته وما إلى ذلك(٣).

أما الكاثوليك "فلا يسمحون بالطلاق حتى لعلة الزنا، ويكتفون بالتفريق الجسماني بين الزوجين، ويجوز الزواج بين المسيحي وغير المسيحي، وبين الكاثوليكي وغيره من المسيحيين"(٤) بترخيص من السلطة الكنسية.

جاء في تعليم الكنيسة الكاثوليكية ما نصه: "لكي تكون الزواجات المختلطة -بين كاثوليكي ومعمد غير كاثوليكي- جائزة لا بد من ترخيص من السلطة الكنسية، أما الزواجات في حالة اختلاف الدين -بين كاثوليكي وغير معمد- فلا بد من تفسيح لكي تكون صحيحة، وفي كل حال يجب ألا يستبعد الزوجان الاعتراف بغايات الزواج وخصائصه الجوهرية، وأن يقبل

---

(١) (مت ٥: ٣١-٣٢).

(٢) الفروق العقيدية: (ص٢٧-٢٨)، وانظر: موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٧٤-٢٧٥)، أسرار الكنيسة: (ص١٤٠-١٤٣)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٣٣٨)، اللآلئ النفيسة: (٢/١١٣-١١٧، ١٢٥)، الأنوار في الأسرار: (ص٢٨٧-٢٨٨)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص٦٢-٦٣).

(٣) دليل الزواج للطوائف المسيحية: (ص١٤-١٥)، وانظر: كتر النفائس: (ص١٨٧)، اللآلئ النفيسة: (٢/١٢٥)، الأنوار في الأسرار: (ص٢٨٧-٢٨٨).

(٤) الفروق العقيدية: (ص٢٧-٢٩)، وانظر: كتر النفائس: (ص١٨٧)، مختصر التعليم للكنيسة الكاثوليكية: (ص١٠٧)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص٦٢-٦٣).

الزوج الكاثوليكي بمعرفة الطرف الآخر بما عليه من التزامات، بالمحافظة على إيمانه، وتعميد الأولاد، وتربيتهم في الكنيسة الكاثوليكية"(١).

"ولا يرخص الكاثوليك بزواج أحد الزوجين إلا بعد موت الآخر"(٢)، كما يمنع زواج من ارتكب جريمة قتل زوج امرأة ليتزوجها، أو من قتلت امرأة رجل لتتزوجه، ويمنع أيضاً زواج من اشتركا معاً في قتل زوج أو زوجة أحدهما بقصد الزواج، ومعاشرة الرجل لامرأة بزواج باطل أو بزواج مدني أو بدون زواج يمنع زواج أحدهما بأحد أقارب الشخص الآخر من الدرجة الأولى بقرابة دموية"(٣).

أما البروتستانت فلا يجيزون الطلاق إلا لعلة الزنا(٤) أو الهجر المتعمد(٥).

جاء في أصول التعليم المسيحي ما نصه: "ينهى الله عن فسخ عهد الزواج عن طريق عدم الأمانة أو الهجر، ولكنه يسمح للطرف البريء بالحصول على الطلاق عندما تثبت إدانة الطرف الآخر بالزنا"(٦)، ولا يجوز زواج المطلق أو المطلقة، حيث يعد الزواج ثانية من أشخاص مطلقين (رجالاً، ونساءً) علاقة زنا، كما لا يجوز زواج من يحمل مرضاً تناسلياً أو معدياً أو من كان مريضاً عقلياً(٧).

ويلخص إقرار إيمان ويستمنستر الموضوع على النحو التالي:

"في حالة الزنا بعد الزواج، فإنه من المشروع للطرف البريء أن يرفع قضية طلاق، وبعد الطلاق مسموح له أن يتزوج من آخر، كما لو أن الطرف المسيء قد مات. . . .

---

(١) مختصر التعليم للكنيسة الكاثوليكية: (ص١٠٦-١٠٧).

(٢) كنز النفائس: (ص١٨٧).

(٣) دليل الزواج للطوائف المسيحية: (ص١٥).

(٤) انظر: شرح أصول الإيمان: (ص٣٩٤)، أصول التعليم المسيحي "الكتاخسيمس الصغير": (ص٦٩)، حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص٢٩٩-٣٠٠).

(٥) حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص٣٠٠).

(٦) شرح موجز لأصول التعليم المسيحي "الكتاخسيمس الصغير": (ص٦٩).

(٧) انظر: دليل الزواج للطوائف المسيحية: (ص١٥)، حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص٣٠٠).

على الرغم من أن فساد الإنسان يدفعه إلى دراسة الحجج بإفراط ليباعد بين أولئك الـــذين ربطهم الله معاً في الزواج، ومع ذلك فلا شيء سوى الزنا أو الهجر المتعمد الذي لا تستطيع الكنيسة أو القاضي المدني إصلاحه، يعد سبباً كافياً لفسخ رابطة الزواج، وفي حين أنه سيتم مراعاة بعض الإجراءات العامة والمنظمة، ولا يترك الأشخاص الذين يتعلق بهم الأمر ليتصرفوا بحسب إرادهم أو على هواهم بالنسبة لقضيتهم"(١).

(١) حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص٣٠٠).

المبحث السابع: الكهنوت أو الرسامة.

تختلف كنائس النصارى حول سر الكهنوت فهو سر مقدس عند الأرثوذكس والكاثوليك فيه يضع الأسقف يده على رأس الشخص المختار للخدمة، ويصلي من أجله فينسكب عليه الروح القدس، ويمنحه الدرجة الكهنوتية المتقدم لها، ويصبح له سلطان مباشرة الخدمة الكنسية بحسب رتبته[١].

كما يدعى هذا السر أيضاً "بالشرطونية"، وذلك لأن رسل المسيح -كما يعتقد النصارى- كانوا يتممون هذا السر، ويرقون الكثيرين إلى درجات الكهنوت المتنوعة بوضع الأيدي[٢]، ويحتفل بسر الكهنوت على النحو التالي:

"يمنح سر الكهنوت في درجاته الثلاث، بوضع يد الأسقف على رأس المرتسم وهو يتلو صلاة التكريس الاحتفالية، ويطلب الأسقف فيها إلى الله أن يفيض على المرتسم الروح القدس، بفيض خاص مع مواهبه لأجل الخدمة"[٣].

أما البروتستانت فلا يرون الكهنوت سراً[٤]، بل "تكملة بسيطة تستمد فيها الكنيسة البركة الإلهية للمنتخب لخدمتها وتخوله بواسطة قسوسها- وفي الكنيسة الإنكليكانية بواسطة أساقفتها -سلطان الكرازة بكلمة الله وتتميم الأسرار"[٥]، ومنهم من يعتقد بالكهنوت العام لجميع المؤمنين[٦].

---

(١) انظر: الفروق العقيدية: (ص٢٨-٢٩)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٣٣٩)، كتر النفائس: (ص١٨٩)، الأنوار في الأسرار: (ص٣٢٢)، اللآلئ لنفيسة: (٢/٢٢٨-٢٢٩)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٧٨)، أسرار الكنيسة: (ص١٥٠)، شرح أصول الإيمان: (ص٤٧٧)، اللاهوت المسيحي: (٣/١١٧-١١٨).

(٢) انظر: أسرار الكنيسة: (ص١٥٠)، الأنوار في الأسرار: (ص٣٢٣)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٨٢).

(٣) مختصر كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص١٠٣).

(٤) انظر: كتر النفائس: (ص١٨٩)، وانظر: الفروق العقيدية: (ص٢٩)، اللاهوت المقارن: البابا شنودة (١/١٢)، شرح أصول الإيمان: (ص٤٧٧).

(٥) كتر النفائس: (ص١٨٩).

(٦) الفروق العقيدية: (ص٢٩)، وانظر: اللآلئ النفيسة: (٢/٢٢٩)، المباحث في اعتقادات بعض الكنائس: (ص٨١).

درجات الكهنوت.

الرتب العليا عند الأرثوذكس والكاثوليك منذ العصر الرسولي ثلاث، وقد أقيمت بحق إلهي لا بحق كنائسي -كما يزعمون- وهي على النحو التالي:

الأسقفية: هي العليا، والثانية: القسيسية وتخضع للأولى، والثالثة: الشماسية وهي الأخيرة.

بخلاف الكنيسة البروتستانتية التي تعتقد أن لخدام الكنيسة درجتين فقط هما: درجة القس ودرجة الشماس، وأن درجة الأسقف هي درجة القس نفسها(١).

ويقسمها الأرثوذكس بمزيد من التفصيل على النحو التالي:

الرتبة الأولى: الأسقفية: بدرجاتها الثلاث: البطاركة، المطارنة، والأساقفة، وهؤلاء على اختلاف أسمائهم يدعون رؤساء، لأنهم يرأسون الكهنة والشمامسة والرعية.

الرتبة الثانية: القسيسية: وهي الرتبة الوسطى، تخص الكهنوت وينطوي تحتها خوربيسكوبوس، وأبروطس، وقس، فالخوربيسكوبوس كان يقام كخليفة لأسقف المدينة على القرى والمزراع كما يدل عليه اسمه اليوناني الأصل: معناه أسقف المسارح، وقد أعطيت له سلطة أن يقسم الأبودياكن والأغنطُس والأبصليتس، وأن يدير الكنائس تحت رعايته، وقد ألغيت هذه الوظيفة واستعيض عنها بوظيفة (القمص)، وهو المدعو "أبروطس"، وهي كلمة يونانية معناها نائب الأسقف، والايغومانوس "القمص" كلمة يونانية الأصل، معناه كبير القسوس أو مدبر، ولا فرق بينه وبين الخوربيسكوبوس إلا من حيث الشرطونية، ولذا تعتبر وظيفته دون أسقف المسارح، وإنما له أن يقضي في بعض الأحكام والقضايا، وما أشكل

---

(١) انظر: أسرار الكنيسة: (ص١٧٧)، مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص١٠١)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٨٠)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٣٣٩–٣٤٠)، كنز النفائس: (ص١٩١)، اللآلئ النفيسة: (٢/٢٣٣)، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر: (٣/١١٩)، الأنوار في الأسرار: (ص٣١٥)، الفروق العقيدية: (ص٢٨).

عليه يرفعه إلى أسقفه ليحكم فيه، وله أيضاً أن ينوب عن الأسقف في غيابه، ويكرس المذبح والمعمودية ولكن بإذن أسقفه.

أما قس فهي لفظة سريانية معناها الشيخ الكبير.

الرتبة الثالثة: الشماسية[١]: وهذه الرتبة تنطوي تحتها ثلاث درجات: "أبودياكن، أغنطُس، ابصليتس" وهي أحط الرتبتين السابقتين.

وعلى الشمامسة بدرجاتهم الثلاث واجبات منها:

أن يعلموا الشعب، ويعظوا بالإنجيل في الكنيسة بإذن الأسقف، وأن يوزعوا الصدقات على الأرامل، وأن يحملوا الكأس، ويقربوا الشعب، ليس لأنهم كهنة بل لأنهم خدام الكهنة، وأن يتفقدوا المرضى والمتضايقين لإطلاع الأسقف على أحوالهم ليتفقدهم، وإذا لم يحضر القس في الولائم لهم أن يصلوا عوضه، ويكسروا الخبز للبركة ويوزعوه، ولكن لا حق لهم في إقامة الأسرار والخدم الكنسية لأن وظيفتهم المساعدة لا التتميم.

أما الأبودياكن: "تابع للشماس أو المعين"، والأغنطُس "القارئ" والأبصليتس "المرتل" فليس لهم أن يعملوا سوى ما تدل عليه أسماؤهم لفظاً ومعنى.

فللأبودياكن أن يخدم الشماس، ويحمل الكتب، ويصلح المصابيح في القداس، وللقارئ أن يقرأ الكتب، وللمرتل أن يرتل فقط[٢].

---

(١) الشماس: كلمة يونانية معناها خادم. ولفظ الكلمة اليوناني (دياكونس) وتستخدم لخدمة الدين، معجم المصطلحات الطقسية والكنسية، نسخة إلكترونية، قاموس الكتاب المقدس: (ص١٠٤٠)، قاموس المصطلحات القبطية: (ص٢٧).

(٢) انظر: اللآلئ النفيسة: (٢/٢٤٠–٢٤٩)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٨٠)، الأنوار في الأسرار: (ص٣١٥–٣٢١، ٣٣٠)، أسرار الكنيسة: (١٧٧–١٧٩، ١٨٢)، المجموع الصفوي: (ص١٩–٧٨)، المعمودية والإفخارستيا والكهنوت، تعريب ميشال نجم، منشورات النور بالاشتراك مع مجلس كنائس الشرق الأوسط ١٩٨٤م: (ص٨٠–٨١).

ويشكل البابا البطريرك في الكنيسة الأرثوذكسية مع المطارنة والأساقفة المجمع المقدس الذي يعد الهيئة العليا في الكنيسة، ومتى اجتمع الأساقفة في المجامع المسكونية تحت رئاسة البطاركة أو المطارنة وحكموا في مسألة دينية فإن أحكامهم تكون معصومة عن الخطأ "بقدر ما تكون مطابقة للحق الإلهي المعلن في الإنجيل المقدس والتقليد وقوانين الكنيسة وتعليم الآباء"(١).

أما الكنيسة الكاثوليكية: فتعتقد أن "مجمع الكرادلة برئاسة البابا هو الهيئة العليا في الكنيسة، وتحت رئاسة البابا بطاركة، وهؤلاء الذين يرأسون المطارنة والأساقفة والقسوس"(٢)، وأعلى رتبة في الكنيسة للبابا وحده؛ لأنه هو -بزعمها- رأس الكنيسة وخليفة بطرس وهو يسوس الكنيسة بصفة كونه رئاسة عليا مطلقة وغير محصورة، وأنه معصوم عن الخطأ في أحكامه، وأن الأساقفة الآخرين جميعهم منه يأخذون السلطان ويكونون نواباً عنه، وأن البابا هو أعلى من المجامع المسكونية"(٣).

جاء في المجمع الفاتيكاني الثاني في جلسته الخامسة (١٩٦٤م) عن نظام السلطة الكنسية ولا سيما الأسقفية تحت عنوان: "الهيئة الأسقفية ورأسها" ما يلي:

"بيد أن الهيئة الأسقفية أو الجسم الأسقفي لا سلطان لها ما لم نتصورها متحدة بالحبر الروماني خليفة بطرس اتحادها برأسها محتفظاً بسلطانه الرئاسي الأعلى كاملاً على الجميع سواء كانوا رعاة أم مؤمنين، وذلك الحبر الروماني بحكم مهمته كنائب للمسيح وراع للكنيسة كلها، يملك في الكنيسة السلطان الكامل الأعلى الجامع، وله أن يمارسه على الدوام وبدون ما قيد، وأما الهيئة الأسقفية التي تخلف الهيئة الرسولية في سلطان التعليم والتدبير الرعوي، - بل فيها يستمر الجسم الرسولي على الدوام هي أيضاً بالاتحاد مع الحبر الروماني رئيسها وليس أبداً بمعزل عن هذا الرئيس - تملك السلطان الأعلى والكامل على الكنيسة كلها، وإنما لا يمكن أن تزاوله إلا بموافقة الحبر الروماني، فالرب قد جعل من سمعان وحده

---

(١) الفروق العقيدية: (ص٢٨-٣٠)، وانظر: كتر النفائس: (ص١٩١).

(٢) الفروق العقيدية: (ص٢٩-٣١).

(٣) كتر النفائس: (ص١٩١).

صخرة لكنيسته، وله وحده سلمَّ مفاتيحها (مت ١٦: ١٨ -١٩) وأقامه راعياً لقطيعه كله: (يو ٢١: ١٥) بيد أن مهمة الحل والربط التي أعطيت لبطرس: (مت ١٦: ١٩) قد أعطيت أيضاً ولا شك لهيئة الرسل متحدين برئيسهم، وهذه الهيئة المؤلفة من عديدين تعبر عن التنوع والشمول في شعب الله، وبتجمعها تحت رأس واحد تعبر عن الوحدة في قطيع المسيح"(١).

كما جاء في الجلسة نفسها تحت عنوان: "وظيفة الأساقفة التعليمية" ما يلي:

"ولئن كان الأساقفة لا يتمتعون منفردين بامتياز العصمة فإنهم على غير ذلك -وإن كانوا منتشرين في العالم ولكن متحدين فيما بينهم ومع خليفة بطرس برباط الشركة- إذا اتفقوا على التعليم بوجه صحيح، بأن عقيدة تتعلق بالإيمان والآداب تلزم بوجه مطلق فتعليمهم إذ ذاك تعليم المسيح يعبرون عنه بعصمة، إن هذه العصمة التي شاء الفادي الإلهي أن يمد بها كنيسته لكي تحدد التعليم المتعلق بشؤون الإيمان والآداب، وإنما تتسع اتساع مستودع الوحي الإلهي بالذات الذي يجب الحفاظ عليه بقداسة وعرضه بأمانة، وهذه العصمة التي يتمتع بها الحبر الروماني ورئيس هيئة الأساقفة. . . . لذلك يقال في التحديدات التي يلفظها أنها بقوة ذاتها لا بقوة قبول الكنيسة لها لا تقبل التعديل، لأنها صدرت بمعونة الروح القدس التي وعد بها في شخص القديس بطرس ولا يعوزها من ثم موافقة الغير، ولا يمكن أن تكون موضع استئناف إلى محكمة أخرى، وذلك الحبر الروماني لا يصدر الحكم بصفة كونه شخصاً منفرداً وإنما يعرض عقيدة الإيمان الكاثوليكي ويذود عنها بصفة كونه للكنيسة الجامعة هو المعلم الأعلى الذي يستقر فيه، بصفة فريدة، امتياز العصمة الذي هو امتياز الكنيسة بالذات والعصمة التي وعدت بها الكنيسة مستقرة أيضاً في هيئة الأساقفة عندما تمارس سلطانها التعليمي الأعلى بالاتحاد مع خليفة بطرس"(٢).

بخلاف الكنيسة البروتستانتية: التي تقول بأن أحكام المجامع المسكونية غير معصومة عن الخطأ(٣).

---

(١) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (٢/٩٤٥).

(٢) المصدر السابق: (٢/٩٤٩).

(٣) كنز النفائس: (ص١٩٢).

وترى الكنيسة الأرثوذكسية أن الإكليروسيين يجب أن ينتخبوا من قبل الأساقفة والشعب، وأن يأخذوا الوظيفة من الأساقفة بواسطة سر الكهنوت الذي به تعطى لهم نعمة الروح القدس.

أما الكنيسة الكاثوليكية: فترى أن الإكليروسيين يجب أن ينتخبهم الأساقفة، وبعد أن يصدق البابا على انتخابهم ويثبته يأخذون الوظيفة من أيدي الأساقفة، بواسطة سر الكهنوت الذي به يعطون نعمة الروح القدس.

أما الكنيسة البروتستانتية: فتعتقد أن الشعب له أن ينتخب خدام الكنيسة، ومنه يعطى لهم السلطان، وأنه حين وضع الأيدي "الشرطونية" تستمد الكنيسة بركة الله للشخص المنتخب للخدمة، وأن كل واحد من خدام الكنيسة يقدر أن يتمم عمل الشرطونية.

وترى الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية أن جميع الإكليروسيين قد نالوا من المسيح سلطان المفاتيح، أي الحق بأن يغفروا الخطايا وبأن يحرموا أي يبعدوا من الكنيسة الكفرة والأشرار الذين لا يرجى إصلاحهم، ويعد هذا بمثابة نفي وحرمان من الخلاص الأبدي.

بينما ترى الكنيسة البروتستانتية أن الإكليروسيين يأخذون من الكنيسة نفسها أي من المؤمنين سلطان المفاتيح، أي الحق بأن يحرموا ويبعدوا من الكنيسة باسم ملتهم نفسها الخطاة الذين لا يرجى إصلاحهم، "ولكن هذا الحرم لا يسبب فقدان الخلاص الأبدي، وأن يبلغوا باسم يسوع المسيح مغفرة الخطايا للتائبين"(١).

جاء في شرح أصول التعليم المسيحي للكنيسة البروتستانتية ما يلي:

"تختار الكنيسة المسيحية المحلية رجالاً حسب مشيئة الله وتدعوهم خداماً، يقوم هؤلاء الخدام علانية باسم المسيح وباسم جماعة المؤمنين بتنفيذ عمل سلطة مفاتيح الملكوت. . . . إن خدام المسيح المدعوين يكرزون بكلمة الله ويمارسون خدمة الأسرار المقدسة، ومن خلال وسائل النعمة هذه يمنحون مغفرة الخطايا إن هذا مقبول في السماء أيضاً كما لو أن المسيح نفسه إلهنا الحبيب تعامل معنا. . . . وعلى خادم المسيح المدعو أن ينفذ قرار الكنيسة، أي عليه أن يفصل الخاطئ المحروم عن الكنيسة ويحرمه من الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها المسيحي المؤمن. . . .

---

(١) كنز النفائس: (ص١٩٢).

ليست الغاية من الحرم هدم حياة الشخص المحروم إلى الأبد، بل لأجل خلاص نفسه عليه أن يرى عظم خطيته ويتوب. . . . إذا اعترف بخطيته إلى الكنيسة ووعد بإصلاح نفسه فعلى الكنيسة أن تقبله ثانية بمثابة أخ"(١).

أما بالنسبة للزواج فإن الكنيسة الأرثوذكسية تعتقد أن الأساقفة يجب أن يكونوا أحراراً من الزواج، وأن يساموا وهم في سن الخمسين، وأما القسوس فيجب أن يشرطنوا في سن الثلاثين، والشمامسة الذين يجب أن يشرطنوا في سن (٢٥) فمباح لهم أن يتزوجوا مرة واحدة فقط، وذلك قبل شرطونيتهم.

بينما تعتقد الكنيسة الكاثوليكية أن جميع الإكليروسيين من بابوات وكرادلة وأساقفة وقسوس وشمامسة، وما دونهم من الإكليروس هم مكلفون بأن ينذروا البتولية، ومن ثم لا يسمح لهم بالزواج مطلقاً.

بخلاف الكنيسة البروتستانتية التي تعتقد أن خدام الكنيسة والبطاركة والأساقفة ليسوا مكلفين بأن يعيشوا حياة البتولية، بل يباح لهم الزواج الأول والثاني والثالث والرابع أسوة بجميع المسيحيين(٢).

جاء في كنز النفائس: "اعلم أن زواج الإكليروسيين على اختلاف طبقاتهم كان مباحاً في الكنيسة الشرقية حتى سنة (٦٩١م)، حينما انعقد المجمع المعروف بالخامس والسادس في طرولو، وفيه صار منع الأساقفة فقط عن الزواج ليقدروا أن يتفرغوا لسياسة الكنيسة، أما الكنيسة الغربية فقبل ذلك المجمع بمدة طويلة كان الزواج محظوراً على عموم الإكليروس من أساقفة وشمامسة"(٣).

ولا إعادة لسر الكهنوت عند الأرثوذكس والكاثوليك.

---

(١) شرح موجز لأصول التعليم المسيحي "الكتاخيسمس الصغير": (ص١٥٩–١٦١).

(٢) كنز النفائس: (ص١٩٣)، وانظر: الفروق العقيدية: (ص٢٨–٢٩)، الأنوار في الأسرار: (٣٣٥–٣٤٠)، مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص١٠٤)، دليل الزواج للطوائف المسيحية: (ص١٤)، اللاهوت المقارن: شنودة: (١/١٦)، المجموع الصفوي: (١/٩٨)، شرح موجز لأصول التعليم المسيحي: (ص٣١)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص٦٣ – ٦٤)، المباحث في اعتقادات بعض الكنائس: (ص٨٤ – ٨٨).

(٣) كنز النفائس: (ص٤٦).

لأن المختار ينال رسماً من النعمة الإلهية لا يُمحى أثره كالمعمودية والميرون، لذلك لا يمكن أن يتكرر ولا أن يمنح بطريقة وقتية، وكل أسقف أو قس أو شماس ينال الشرطونية ثانية من أحد يُحرم هو والذي شرطنه(١).

وفي نهاية هذا الفصل لا بد من الإشارة إلى أنَّ "استخدام كلمة "سـر" فيما يتعلق بالفرائض مفهوم لا يوجد في الكتاب المقدس، ولكنه ظهر في عصور متأخرة"(٢).

يقول الأستاذ شارل جنيبير(٣) في كتابه "المسيحية نشأتها وتطورها": "ونمت الشعائر في المسيحية بالتوازي مع العقيدة وبنفس الأساليب، فبدأت بتلك العادات الأولى المبسطة الوافدة من اليهودية: التعميد، كسرة الخبز، وضع الأيدي على الرأس، الصلاة، الصيام، وحملت هذه العادات معاني لم تنفك تزداد عمقاً و"سرية"، ونميت وأضيفت إليها حركات شائعة لدى الوثنيين، ثم قُرنت بالمفاهيم المتسعة الأبعاد التي كانت تدخل مثلاً في طقوس "الأسرار" اليونانية والشرقية، ونفخ فيها بتلك القوة الرهيبة التي كانت للسحر قديماً. . . ؛ إلا أنه لا مجال للشك في أنَّ الروح الوثنية، فيما يختص بمظاهر العبادة العملية قد فرضت على المسيحية شيئاً فشيئاً، حتى أصبحنا نجدها كاملةً في احتفالاتها، وزاد التقارب بشكل ملحوظ منذ القرن الرابع، عندما دعت الضرورة إلى القضاء على بعض التقاليد القديمة الصلبة، وكانت سلطة رجال الكنيسة من ناحية أخرى، تعمل على دعم ذلك الحق الذي اكتسبته منذ فترة طويلة والذي انتهت إلى التفرد به رغم بعض التردد، ألا وهو: التصرف في القوة السحرية للطقوس التي سميت بالأسرار القدسية"(٤).

---

(١) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٢٨٢/٢)، مختصر التعليم للكنيسة الكاثوليكية: (ص١٠٤)، أسرار الكنيسة: (ص١٨٢)، الأنوار في الأسرار: (ص٣٣٠).

(٢) دائرة المعارف الكتابية، (٣٧٤/٤).

(٣) شارل جنيبير: مؤرخ فرنسي، نشأ في بيئة كاثوليكية متعصبة، ترقى في العديد من المناصب الجامعية، وشغل منصب أستاذ تاريخ المسيحية في جامعة باريس أكبر جامعة في فرنسا، ثم عين رئيساً لقسم تاريخ الأديان فيها، تميز بالتجرد في دراسته للتاريخ فلم يتأثر في أحكامه بعقيدته، بل عرف بنقده الصريح للمسيحية وتاريخها ونصوصها، مات بعد الحرب العالمية الثانية، له العديد من المؤلفات منها: المسيحية في العصور الوسطى، المسيحية في العصور الحديثة، المسيحية نشأتها وتطورها. انظر: المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جنيبير، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت: (ص٦-٧).

(٤) المسيحية نشأتها وتطورها: (ص ١٢٦).

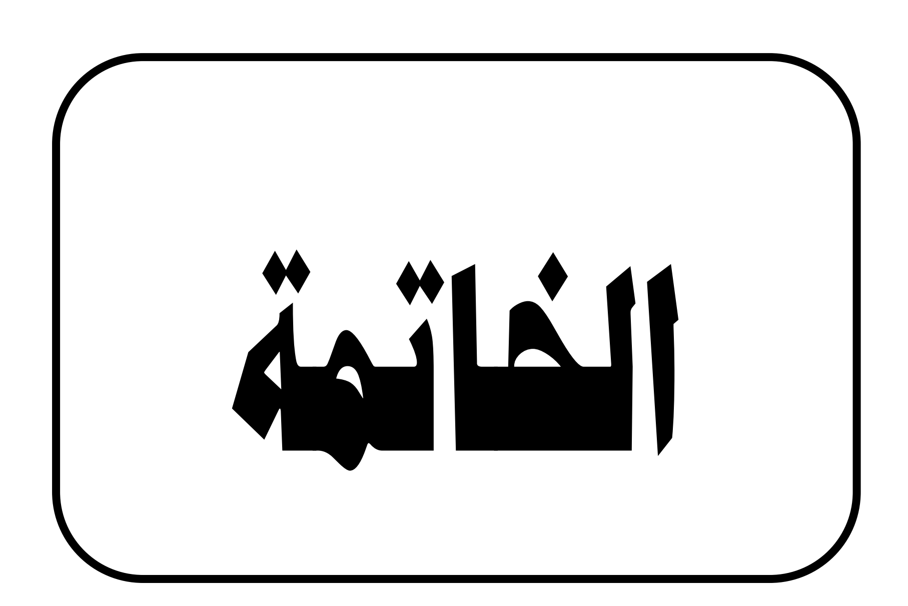
وقال في موضع آخر عن تصور النصارى لسر الشركة: "إن هذا التصوير للقربان إنما يعني إدخال "قطعة من الوثنية" في الدين المسيحي، وعلينا أنْ نفهم من ذلك بطبيعة الحال: أنها قطعة من وثنية الأسرار"(١).

ثم سطر شهادته للتاريخ قائلاً: "إننا عندما نتأمل مسيحية القرون الوسطى هـذه في الكنائس الفاخرة التي اتخذتها مقراً، والتي تعددت وتكـاثرت بصـورة هائلـة، وفي الاحتفالات الفخمة التي تقام لها، والتي نمت وتضخمت بطقوسها ورموزها المحركة. . . المسيحية في القرون الوسطى عندما نتأملها، ثم نقارن حالها بدين نبي إقليم الجليل، ذلـك النبي المتواضع الرقيق الخلق، الذي زعم أنَّ رسالته هي فقط تبشير إخوتـه في الله بالنبـأ الطيب، نبأ حلول مملكة الله، وحثهم على إعداد العدة لها بمكارم الأخلاق، دين عيسـى الذي تسامت تقواه إلى إله أجداده في تطلع بنوي مطمئن، لا نجد رابطة بين هـذا وذاك، فباسم المسيح يبدو أن حياة الوثنية كلها سواء في ميدان الفلسفة أو الدين، وبكـل مـا انطوت عليه من تناقضات وفوضى، قد دبت فيها الحياة من جديد فنشطت وانتصـرت على دين الروح والحق الذي بشر به وعاشه"(٢).

وبالنظر إلى عقائد القوم وطقوسهم يتضح جلياً قيامها على مخالفةٍ صريحة للعقول الصحيحة، والفِطَر السليمة، فضلاً عن معارضةٍ صارخة للوحي الإلهي بشهادة المنصفين من النصارى أنفسهم، وأما النصرانية التي جاء بها المسيح عليه السلام فقد تُودِعَ منها، وكَبِّر عليها أربعاً.

(١) المسيحية نشأتها وتطورها: (ص١٦١).

(٢) المصدر السابق: (ص١٨٩-١٩٠).


الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والشكر له ﷻ على تيسير الصعاب وتذليل العقبات، حتى تم بواسع فضله إنجاز هذا البحث المعنون بـ **"التناقضات العقدية بين الطوائف النصرانية وآثارها"** وقد توصلت من خلاله إلى عدة نتائج أُجملها في النقاط التالية:

١. إن دين الله الذي بُعث به جميع الأنبياء والرسل من لدن آدم عليه السلام إلى خاتمهم محمد عليه الصلاة والسلام دينٌ واحد قائمٌ على توحيد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ومنه ما جاء به المسيح عيسى عليه السلام.

٢. إن تحريف الإنجيل الذي أُنزل على المسيح عليه السلام يُعد أهم عاملٍ مؤثرٍ في انحراف النصرانية.

٣. إن كفر النصارى ناشئ عن جهلهم بالحق وضلالهم فيه كما اتضح من تراجم آباء الكنيسة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولايوجد قط من هو نصراني باطناً وظاهراً، إلا وهو ضال جاهل بمعبوده وبأصل دينه، لايعرف من يعبد، ولا بماذا يعبد، مع اجتهاد من يجتهد منهم في العبادة والزهد ومكارم الأخلاق".

٤. إن تناقض دين النصارى اليوم بجميع طوائفهم يعود إلى سببين:

- تحريف كتابهم المقدس المنقطع السند، والذي يعج بالأغلاط والاختلافات والتناقضات ليست بين سفر وآخر، ولا بين إصحاح وآخر فحسب، بل داخل الإصحاح الواحد أحياناً! ! مما يستحيل معها الاعتقاد بأن ذلك الكتاب هو الإنجيل المترل على عيسى عليه السلام.
- تحريف علماء النصارى لدينهم عمداً إذا رأوا في التحريف مصلحة لهم، أو انتصاراً لطائفتهم، وقد اتضح ذلك في قرارات مجامعهم المتعددة، وكان لهذه المجامع الأثر الكبير في انقسام النصارى إلى طوائف وأحزاب، كل حزب بما لديهم فرحون.

٥. إن البيئة الوثنية التي أحاطت بالنصرانية في قرونها الأولى ساهمت بصورة واضحة في تحريف ذلك الدين، وقد تبينت الجذور الوثنية في عقائد القوم بشهادة النصارى أنفسهم حتى ارتدت الوثنية القديمة ثوب النصرانية الجديد.

٦. كان للفلسفات المحيطة بالنصارى أثر كبير في انحراف النصرانية، حيث تجلى بوضوح تأثر آباء الكنيسة بالفلسفة الأفلاطونية والغنوصية وغيرها، مما أخرج دين النصارى من التوحيد إلى التثليث، ومن البساطة إلى التعقيد، ومن الوضوح إلى اللبس والغموض.

٧. إن الخلافات بين طوائف النصارى في تصور المعتقد خلاف جوهري يمس قواعد دينهم، حيث اختلفوا حول: طبيعة المسيح عليه السلام ومشيئته، والأقنوم الذي انبثق منه الروح القدس، والملك الألفي، والمطْهَر، وصكوك الغفران، ورئاسة البابا الروماني وعصمته عن الخطأ، والخلاص، والعقائد المريمية، والأسرار الكنسية، ولهم خلافات أخرى يصعب حصرها.

٨. تفنن علماء النصارى بجميع طوائفهم منذ القرون الأولى للنصرانية وحتى اليوم في الدفاع عن عقائدهم المليئة بالتناقض والاضطراب، والتي لا يمكن للعقل السليم أن يقبلها أو يتصورها فضلاً عن أن يؤمن بها، وتعليمهم السائد لأتباعهم التسليم المطلق لتلك العقائد بصفتها سراً يفوق كل المدارك البشرية.

٩. اشتهرت طوائف النصارى بالتعصب ضد المخالفين، ولو كانوا من بني جلدتهم المشتركين معهم في أصل دينهم، وقد نتج عن ذلك تكفير بعضهم بعضاً، ومعارك طاحنة راح ضحيتها ملايين البشر من النصارى، وانشقاقات شطرت جسد الكنيسة عبر القرون، أُشير إلى أبرزها إشارات يسيرة، فقد أدى الخلاف حول:

- ❖ طبيعة المسيح عليه السلام ومشيئته إلى انقسام الكنيسة في منتصف القرن الخامس سنة (٤٥١م).
- ❖ الأقنوم الذي انبثق منه الروح القدس إلى الإنشقاق النهائي في منتصف القرن التاسع سنة (١٠٥٤م).
- ❖ صكوك الغفران إلى ظهور حركة البروتستانت، وانقسام أوربا الغربية بين الكاثوليك والبروتستانت في نهاية القرن السادس عشر.
- ❖ رئاسة البابا الروماني وعصمته إلى انشقاق بعض أبناء الطائفة الكاثوليكية في أعقاب المجمع الفاتيكاني الأول سنة (١٨٧٠م).

١٠. التأكيد على أنَّ النصرانية قائمة في جميع عقائدها وطقوسها وشعائرها على مخالفة صريحة للعقول الصحيحة، والفِطَر السليمة، فضلاً عن معارضتها الصارخة للوحي الإلهي، وأما النصرانية التي جاء بها المسيح عليه السلام فقد تُودِعَ منها، وكَبِّر عليها أربعاً.

وفي ضوء ما تقدم فإني أوصي بالتالي:

١. الحث على إجراء المزيد من الأبحاث والدراسات المتخصصة في مجال مقارنة الأديان، والقيام على ترجمتها ونشرها عبر وسائل الإعلام المختلفة، وتيسير سُبل الوصول إليها.

٢. توفير المصادر والمراجع المهمة التي تتعلق بالأديان على مستوى الجامعات السعودية لطلاب العلم والباحثين لإتمام أبحاثهم العلمية.

٣. إقامة المؤتمرات والمناظرات العالمية من المؤهلين لخوض هذا الغمار، وتقديم مطلق الدعم لهم لبيان وكشف حقيقة عقائد النصارى القائمة على أصول وثنية، متبعين منهج المجادلة بالتي هي أحسن، ونشر وقائع تلك المناظرات والمؤتمرات بعد ترجمتها إلى أكثر من لغة عبر وسائل الإعلام المختلفة.

٤. إنشاء مراكز إسلامية متخصصة في بلاد العالم المختلفة تهدف إلى:

أ- نشر الإسلام بالدعوة إليه عن طريق تأهيل الدعاة الذين يملكون حظاً وافراً من العلم الشرعي يمكنهم من الدعوة إلى الله على بصيرة، متبعين المنهج الرباني وجادلهم بالتي هي أحسن.

ب- توعية وتثقيف المسلمين الجدد، وتعليمهم أمور دينهم، والصبر على ذلك مع بذل المال لهم ترغيباً لهم في الثبات على الإسلام متبعين منهج النبي عليه الصلاة والسلام مع المؤلفة قلوبهم.

ت- تَعَقُبْ الكتب التي تثير الشبهات حول الإسلام من كتب النصارى وغيرهم والرد عليها.

ث- إنشاء قنوات إعلامية خاصة لنشر الإسلام بلغات مختلفة.

ج- استغلال المواقع على الشبكة العنكبوتية في الدعوة إلى دين الله، وكشف زيغ

وضلال أهل الديانات الأخرى، وانحرافهم عن المنهج الرباني من واقع كتبهم المحرفة، وبألسنة سادهم وكبرائهم.

هذه أهم النتائج وأبرز التوصيات التي توصلت إليها في هذا البحث، ومما ينبغي الاعتراف به أن البحث في مثل هذه الموضوعات عسير وصعب، ولا يخلو من القصور؛ لأن الكمال المطلق لله وحده والنقص من صفات خلقه، وحسبي أني بذلت جهدي، وقد كتب القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني إلى العماد الأصفهاني معتذراً: "إِنِّي رَأَيتُ أَنَّهُ لاَ يَكْتُب أَحَدٌ كِتَاباً فِي يَومِهِ إلاّ قَالَ فِي غَدِهِ، لَو غُيِّرَ هَذَا لَكَانَ أَحْسَن، وَلَو زِيدَ هَذَا لَكَانَ يُسْتَحسَن، وَلَو قُدِّمَ هَذَا لَكَان أَفْضَل، وَلَو تُرِكَ هَذَا لَكَانَ أَجْمَل، وَهَذَا مِن أَعْظَمِ العِبَرِ، وهُوَ دَلِيلٌ عَلَى اِستِيلاَء النقصِ عَلَى جُملَةِ البَشَرِ".

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الفهارس العامة

وتشمل الفهارس التالية:

فهرس آيات القرآن الكريم

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الآثار

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس الفرق والمذاهب

فهرس المصطلحات

فهرس المراجع والمصادر

فهرس الموضوعات

فهرس آيات القرآن الكريم

الآية أو جزء من الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ	٣٠	٩٣
وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا	٣٥	٢٣٧،٢٦١
فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ	٧٩	١٢١
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ	٨٧	١٢٢
وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ	١١١	٢٤
وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ	١١٦	٨٤
هلل يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ	٢٢٢	٢٢٨
سورة آل عمران		
وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ	٣٦	٢٧٢
وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ	٤٢	٢٨٨
يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ	٤٣	٢٩١
وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ	٤٦	١٤٦
إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ	٥٩	٢٨٩،٨٥
وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ	١٣٥	٢٠٢،١٩٨
سورة النساء		
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا	٤٨	١٩٩،٢٠٠
وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ	٤٨	٢٠١
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ	٥٩	٢٢٩
وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا	١١٠	،٢٦٠،١٩٨ ٢٦٢ ،٢٦١
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ	١١٦	٢٦٠
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ	١٣٧	٢٦٠
وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ	١٥٧	١٤٥

وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ	١٥٩	١٤٧
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا	١٦٧	٢٦٠
يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ	١٧١	٨٦،٢٥
المائدة		
وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ	١٤	٩
وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ	٤٧	٢٥
لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ	٧٢	٨٨ ،٨٧ ،٢٣
لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ	٧٣	١٢٤ ،٨٨
أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ	٧٤	٨٨ ،٨٦
مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ	٧٥	٢٩٣ ،٢٨٧
قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ	٧٧	٢٣
إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ	١١٠	١٤٦
وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ	١١٦	٢٩٢ ،٢٥ ،٢٢
الأعراف		
فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ	٢٢	٢٠١
يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ	٥٩	٢٢
وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ	١٥٣	٢٦١
سورة التوبة		
وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ	٣٠	٨٤
ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا	٣١	٢٢٧
ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ	٨٠	٢٦٠ ،١٩٩
وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ	٨٤	١٩٩
أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ	١٠٤	٢٦٢

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى	١١٣	١٩٩، ٢٠٠، ٢٦٠
سورة هود		
قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ	٤٣	٢٠٥
وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ	١١٤	٢٦١، ٢٦٢
سورة يوسف		
قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ	٣٢	٢٠٥
سورة إبراهيم		
رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ	٤١	٢٠٠
سورة النحل		
وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ	٣٦	٢٢
قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ	١٠٢	١٢٢، ١٢٣
سورة الإسراء		
مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا	١٥	٢٦١
سورة الكهف		
قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا	١٠٣	١٠٧
سورة مريم		
وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا	١٦	٢٨٩
فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا	٢٧	٨٧، ٢٨٩
ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ	٣٤	٨٤، ٨٧
وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا	٨٨	٨٤، ٨٥
سورة طه		
وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى	٨٢	٢٦٠، ٢٦١
وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا	١١٥	٢٦١، ٢٣٧

سورة الأنبياء		
بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ	١٨	١٣
وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ	٨٨	٢٠٢
وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا	٩١	٢٨٩
سورة المؤمنون		
وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ	١٠٠	١٧٣
سورة النور		
وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ	٣١	١٩٨
سورة الفرقان		
وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ	٧٠	٢٠٠
إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ	٧٠	٢٦٠
سورة الشعراء		
وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ	١٩٢	١٢٣
سورة القصص		
قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ	١٦	٢٠١
كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ	٨٨	١٢٤
سورة الزمر		
قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ	٥٣	١٩٨، ٢٠١، ٢٦٠،٢٦١
وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ	٦٨	١٢٤
سورة غافر		
لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ	١٦	١٢٤
ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ		١٧٧
سورة فصلت		
مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ	٤٦	٢٦١

سورة الشورى		
شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ	١٣	٢٢٧
وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ	٢٥	٢٦٢
وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا	٥٢	١٢٢
سورة الزخرف		
وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ	٥٧	١٤٥
سورة محمد		
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ	٣٤	١٩٩
قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ	٣٤	٢٠٠
سورة الفتح		
وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا	٢٩	٢٦١
سورة النجم		
إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ	٣٢	٢٦٠
سورة الحشر		
لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ	١٤	١٠
سورة المنافقون		
سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ	٦	١٩٩، ٢٦٠
سورة التحريم		
وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا	١٢	٢٨٩، ٢٩١
وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ	١٢	٢٨٨
سورة الجن		
وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا	٣	٨٤، ٢٩٢
سورة المزّمل		
وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ	٢٠	١٩٨

سورة المدثر		
﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾	٣٨	٢٦١
سورة الإخلاص		
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾	١	٨٤

فهرس الأحاديث النبوية	
طرف الحديث	الصفحة
اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن	٢٦٢، ٢٦٣
أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي	٢٦٢
إِنَّ رُوحَ الْقُدُسُ نَفَثَ فِي رُوعِي	٩٣
الأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد	١٤٧
بعثنا رسول الله إلى النجاشي ونحن نحو ثمانين رجلا	٢٩٠
جاءت يهودية فاستطعمت على بابي، فقالت أطعموني أعاذكم الله من فتنة الدجال	١٧٤
الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وفاطمة سيدة نسائهم	٢٩٢
خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم	١٢٤
الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء	١٧٥
قال الله كَذَّبَنِي ابن آدم و لم يَكُنْ له ذلك وشتمني و لم يَكُنْ له ذلك	٨٥
قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت	١٩٨
كلَّا وَالَّذِي نفسي بيده إِنَّ الشَّمْلَةَ التي	١٧٥
كمل من الرجال كثير و لم يكمل من النساء إلا	٢٨٧، ٢٩١
كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم	١٤٩
كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمَّكُم منكم	١٥٠
لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم	٦، ١٠
لجميع أمتي كلهم	٢٦٢
ما تذاكرون قالوا نذكر الساعة قال إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات	١٤٦
ما شأنكم قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل	١٤٨
ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً	٢٦٣
ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً	٢٧٢
ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم	٢٦٣

ههنا أحد من بني فلان	١٧٥
والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم	٢٦٢
والذي نفسي بيده ليوشكن أن يترل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً	١٤٧
يا عدي اطرح عنك هذا الوثن	٢٢٧
يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين فيبعث الله عيسى ابن مريم	١٤٧

فهرس الآثـــــار	
طرف الأثر	الصفحة
أصابت امرأة وأخطأ عمر	٢٢٩
أيها الناس إني وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أخطأت فقوموني	٢٢٩
فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه	٢٣٢
كان داود بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة	٢٢٨
كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه	٢٢٩



فهرس الأعلام المترجم لهم	
اسم العلم	الصفحة
أبوليناريوس	٤٦
أبيفانيوس	١٠٦
أثناسيوس الرسولي	٦٧
آريوس	٤٢
اغناطيوس الثيؤفورس الأنطاكي	٢٦
اكليمنضس الإسكندري	١٣٥
أوريجانوس	٢٧٧
أوغسطنيوس	١١٨
إيرونيموس	١١٨
بابياس الهيرابولي	١٣٠
باسيليوس الكبير	١٠٥
ثيودوروس الصغير	٥٠
ثيودوريوس أسقف موبسويستيه	٢٨٢
ثيودوسيوس أسقف أنقرة	٢٧١
جون تيتزل	١٧٩
جيروم	١٣٥
سعيد بن البطريق	٩٠
شارل جنيبير	٣٤٤
غريغوريوس العجايبي أو الصانع للعجائب	٦٨
غريغوريوس التريتزي	١٠٥
غريغوريوس النيصي	١١٧
قورلس بهنام	٢٥٥
كيرلس الأورشليمي	١٥٩
كيرلس الكبير الإسكندري	٥٠
مارتن لوثر	١٨٤

مكسيمليان كولب	٢٦٩
ملاتيوس أسقف أنطاكية	٤٦
نسطور، نسطوريوس	٤٩
هيبوليتس الروماني	١٣٠
يعقوب السروجي	٢٨٤
يوحنا الأنطاكي	٥٠
يوحنا الدمشقي	١٠٧
يوحنا فم الذهب	٦٨
يوستينوس	١٣٠

فهرس الفرق والمذاهب

اسم المذهب أو الفرقة	الصفحة
الأبيونية	١٢٩
الإخوان بلايموث	١٣١
الأرثوذكس	٢٨
البروتستانت	٣٠
الجزويت	٢١٦
شهود يَهْوَه	١٢
الغنوصية	١٢٩
الكاثوليك	٢٦
الكاثوليك القدماء	٢١٧
المورمون	١٣١
المونتانية	١٢٩
النصرانية	٢٤

فهرس المصطلحات

المصطلح	الصفحة
الأبرشيه	٣٨
أبروطس	٣٣٨
أبو كريفا	٣٤
الاستحالة	٣٢٢
الأعمال الصالحة	٢٥٥
الإفخارستيا	٣١٩
الأقنوم	٤٦
الايغومانوس	٣٣٨
البابا	٢٠٦
البارقليط	١٠١
البطريرك	٩٨
التبرير	٢٤٦
التبكيت	٧٠
التجديد	٢٣٨
التجديف	٢١٧
التَقْدِيس	٩٣
التقليد الرسولي المقدس	٣١
التمجيد	٢٤٢
ثيؤطوكس	٢٨١
الحل الكهنوتي	٣١٨
الخطية	٢٣٦
الخلاص	٢٣٢

الخوربيسكوبوس	٣٣٨
الخولاجي	١١٨
رجال الاكليروس	٣٠٠
الرشم	٣١١
الروح	٩٢
الزواج	٣٣٢
السر الكنسي	٢٩٧
شرطونية	٣٠٠
الشماس	٣٣٩
الصديقية	٢٨٨
الصك	١٨٠
صكوك الغفران	١٧٩
الطَّبِيعَة	٥٧
العصمة	٢٠٥
العهد	٣٣
غاليلاون	٣٠٨
الغفران	١٨٠
قانونية	٣٦
القدس	٩٣
قدس الأقداس	٩٣
قس	٣٣٩
القمص	٣٣٨
الكاتدرائية	٢٠٤
الكتاب المقدس	٣٢
الكرازة	٢٧

اللقان	٣٠٩
الليتورجيا	١٠٥
المتنيح	١٦٠
المجامع	٣٨
المذبح	١٥٥
المطران	٣٨
المطْهَر	١٥٣
المعمودية	٣٠٢
الملك الألفي	١٢٦
المونوفيزية	٦٠
الميرون	٣٠٨
ميمرة	١١٧
الناموس	١١٠
الهرطقة	٢٨
يوم الخمسين	١٠٩

فهرس المراجع والمصادر

القرآن الكريم، تنزيل من عزيز حكيم.

-﴿أ﴾-

أبو كريفا العهد الجديد، تجميع لكتابات الأبو كريفا المسيحية، د. إبراهيم سالم الطرزي، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى: ١٩٨٧م - ١٤٠٧هـ.

أديان العالم: حبيب سعيد، صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة، بدون رقم للطبعة.

أرثوذكسيتي "تراث وعقيدة وحياة" القمص متى مرجان، مراجعة وتقديم الأنبا متاؤس رئيس دير السريان العامر، الأنبا موسى أسقف الشباب، مكتبة كنيسة السيدة العذراء، بدون رقم للطبعة.

أساسيات مسيحية: د. زكريا استاورو، الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل، منشورات بيت عنيا، ٢٠٠١م.

الأسرار الكنسية (عرض ونقد): أ. سمية الشهري، جامعة أم القرى.

أسرار الكنيسة السبعة، الأرشيدياكون حبيب جرجس، مكتبة المحبة، القاهرة، الطبعة الرابعة.

الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام: د. علي عبد الواحد وافي، مطبعة مجلة البيان العربي، الطبعة الأولى.

الإسلام والمسيحية في الميزان، شريف محمد هاشم، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، بدون رقم للطبعة.

الأشعة اللاهوتية في مبادئ التعاليم المسيحية، نيافة الدكتور: مول مطران، تُرجم بواسطة جمعية المرسلين الأسقفيين بالقاهرة، المطبعة الإنجليزية الأمريكية، الطبعة الثانية ١٩١٨م.

الأصول الوثنية للمسيحية، اندريه نايتون، إدغار ويند، كارل غوستاف يونغ، ترجمة سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية.

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان. ١٩٩٥م –١٤١٥هـ

أضواء على الإصلاح الإنجيلي: القس فايز فارس، صدر عن دار الثقافة المسيحية وطبع بمطبعة القاهرة الحديثة، بدون رقم للطبعة.

إظهار الحق قساوسة وعلماء ومستشرقون أشهروا إسلامهم لماذا وكيف؟ ، محمد عبد الحليم عبد الفتاح ٢٠٠٥م.

إظهار الحق للشيخ رحمت الله الهندي، دراسة وتحقيق وتعليق: محمد أحمد ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض –المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٩٨٩م — ١٤١٠ هـ.

اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث، تحقيق: محمد الخميس، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى.

إعلام مسمى صدق حقيقة الإنبثاق ودحض المصر على الإنشقاق، السيد مكسيموس مظلوم البطريرك الأنطاكي، طبع في دير الرهبان الفرنسيسكانيين في مدينة أورشليم ١٨٤٨م.

الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢ م.

إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، شمس الدين أبي عبد الله بن القيم الجوزية، تحقيق محمد عزيز شمس، مصطفى بن سعيد أيتيم، وفق المنهج المعتمد من الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد – دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى.

الإفخارستيا أو القول السديد عن السر المجيد، تأليف الشماس: جرجس صموئيل عازر، مكتبة مار جرجس، مطبعة قاصد خير بالفجالة – الطبعة الثانية.

الإفخارستيا عشاء الرب، بحث في الأصول الأولى لليتورجيا، ومدخل لشرح القداس وتطوره من القرون الأولى حتى عصرنا الحاضر، للأب متى المسكين، مطبعة دير القديس أنبار مقار، وادي النطرون، الطبعة الثانية.

الأم الإله لا تزال تعبد، برج المراقبة تعلن ملكوت يهوة (١) تموز "يوليو"، ١٩٩١م- المجلد ١١٢، العدد١٣.

انبثاق الروح القدس في فكر الآباء الأولين: القمص تادرس ملطي. word

الأنوار في الأسرار، جراسيموس مسرة، طبعة حجرية.

الإيمان الأرثوذكسي، إعداد: بقطر أخنوخ بولس، مطرانية الأقباط الأرثوذكس بسوهاج، الناشر: www. fadena. org



البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.

بدعة الخلاص في لحظة، البابا شنودة الثالث، الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، مطبعة الأنبا رويس الأوفست بالعباسية، القاهرة، الطبعة الثانية.

البراهين الإنجيلية ضد الأباطيل البابوية، تأليف المعلم ميخائيل مشاقة، طبع في بيروت سنة ١٨٦٤م.

البروتستانت والإنجيليون في العراق، حارث يوسف غنيمة، مطبعة الناشر المكتبي، بغداد ١٩٩٨م.

البروتستانتية وأثرها على العالم الإسلامي، أ. د: مريم الحربي؛ جامعة أم القرى



تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، د. أحمد عجيبة دارالأفاق العربية، مدينة نصر، القاهرة، الطبعة الأولى.

تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون رقم للطبعة.

تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية: ميرسيا إلياد، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق، الطبعة الأولى.

تاريخ الأقباط المعروف بالقول الإبريزي للعلامة المقريزي، تقي الدين المقريزي، دراسة و تحقيق: عبد المجيد دياب، دار الفضيلة، الطبعة الأولى ١٩٩٥م-١٤١٦هـ.

تاريخ الأقباط: زكي شنودة، جمعية التوفيق القبطي لجنة التاريخ والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى.

تاريخ الحروب الصليبية، هانس ابرهارد ماير، ترجمة د. عماد الدين غانم، اللاذقية ٢٠٠٨ م.

تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، وضعه المطران: كيرلس سليم بسترس، الأب: يوحنا الفاخوري، الأب: جوزيف العبسي البوليسي، منشورات المكتبة البوليسية الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

تاريخ الفكر المسيحي، الدكتور القس: حنا جرجس الخضري، صدر عن دار الثقافة المسيحية- القاهرة، طبع بمطبعة دار الطباعة القومية بالفجالة، الطبعة الثالثة.

تاريخ الكنيسة القبطية: الشماس منسي القمص، مطبعة اليقظة بشارع الفجالة- مصر الطبعة الأولى ١٩٣٤م.

تاريخ انشقاق الكنائس، القمص زكريا بطرس الناشر: www. fatherZakaaria. com.

تاريخ انشقاق الكنائس، جراسيموس مسرة، طبع بالمطبعة الإبراهيمية بالإسكندرية سنة: ١٨٩١م.

تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفاتح عاشور، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت. ١٩٧٦م.

تأملات في عيد حلول الروح القدس: نيافة الأب يوآنس، مطبعة الأنبا رويس الأوفست، العباسية، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٩٩٨م.

التثليث بين الوثنية والمسيحية، د. محمود علي حماية، مكتبة النافذة، الطبعة الثانية.

التجسد الإلهي ودوام بتولية العذراء، القس عبد المسيح أبو الخير، مطبعة المصريين، الطبعة الثانية.

التحفة المقدسية في تاريخ النصرانية بدايتها ومنتهاها لأبي محمد عاصم المقدسي، منبر التوحيد والجهاد.

تخجيل من حرف التوراة والإنجيل تأليف: صالح بن الحسين الجعفري الهاشمي، تحقيق: د. محمود عبد الرحمن قدح، المملكة العربية السعودية، الرياض، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ.

التعريفات: علي بن محمد الجرجاني، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية المقدسة، عربه عن الطبعة اللاتينية الأصلية: المتروبوليت: حبيب باشا، المطران: يوحنا منصور، المطران: كيرلس سليم بسترس، الأب حنا الفاخوري، الناشر: latinseminary. org.

التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، التعريب والجمع التصويري والمونتاج والأعمال الفنية شركة ماستر ميديا، دون رقم الطبعة، القاهرة، مصر.

تفسير الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى.

تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

تفسير الكتاب المقدس النسخة الكاثوليكية من الألف للياء، دار المشرق، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة.

تفسير النكت والعيون، علي بن محمد البغدادي الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

التفسير الوسيط، د. وهبة مصطفى الزحيلي – دار الفكر- دمشق – الطبعة الأولى.

تفسير وتأملات الآباء الأولين، رؤيا يوحنا اللاهوتي – القمص تادرس يعقوب ملطي، كنيسة مارجرجس باسبورتنج الناشر: www. bdfactory. com.

تكريم القرآن الكريم لمريم عليها السلام، محاضرة للشيخ أحمد ديدات https: //www. youtube. com/watch?v=MxOGvHEv04Y

تنوير الأذهان بالبرهان إلى ما في الكنيسة الغربية من الزيغان، الأنبا ايسوذوروس، طبع سنة ١٩٣٥م، مطبعة التوفيق بالقاهرة.

التوبة والاستغفار: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد عمر الحاجي، عبد الله بدران، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى.

توحيد العبادة، للعلامة: شريعت سنگلجي، تحقيق: خالد البديوي، أشرف على الترجمة: عبد الله البلوشي.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.



جامع المسائل تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني – تحقيق محمد عزيز شمس إشراف بكر أبو زيد – دار عالم الفوائد – الطبعة الأولى.

الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور النبي ﷺ وسننه وأيامه: محمد بن اسماعيل البخاري، تحقيق محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة الطبعة الأولى.

الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، صححه أبو إسحاق وإبراهيم اطفيش، الطبعة الثانية.

الجانب المظلم في التاريخ المسيحي: هيلين ايليربي، ترجمة: أ. د سهيل زكار، دار قتيبة، ٢٠٠٥م.

الجموع البهية للعقيدة السلفية التي ذكرها العلامة الشِّنقيطي في تفسيره أضواء البيان، جمع: أبو المنذر محمود المنياوي، مكتبة ابن عباس، مصر، الطبعة الأولى.

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق وتعليق: د. علي الألمعي، د. عبدالعزيز العسكر، د. حمدان الحمدان، دار الفضيلة. المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى.

-﴿ح﴾-

حبي العظيم للمسيح قادني إلى الإسلام، سايمون الفريدو كارابللو، ترجمة أحمد عبد الفتاح الليثي، الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ.

الحجة الأرثوذكسية ضد اللهجة الرومانية، تأليف الايغومانس فيلوثاؤس، مطبعة التوفيق بمصر، الطبعة الأولى. ١٨٩٥م.

حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: ر. ك. سبرول، ترجمة: نكلس سلامة، دار نوبار، القاهرة، بدون رقم للطبعة.

حقيقة المثل الأعلى وآثاره، د. عيسى بن عبد الله السعدي أستاذ العقيدة المشارك بجامعة الطائف، دار ابن الجوزي - بدون رقم للطبعة.

الحوارات اللاهوتية مع الكنائس الأخرى، نيافة الأنبا بيشوي word.

-﴿خ﴾-

الخطيئة والتوبة بين اليهودية والمسيحية، د. محمد أحمد الخطيب، الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والدعوة والثقافة الإسلامية — كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر.

الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه، د. أحمد علي عجيبة، دار الأفاق العربية، الطبعة الأولى.

الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي، البابا شنودة الثالث، الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، مطبعة الأنبا رويس الأوفست، القاهرة، الطبعة السادسة.

خلاصة اللاهوت المريمي، الأب أوغسطين دوبره لاتور، نقله إلى العربية الأب يوسف قوشاقجي، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثالثة.

الخليقة الجديدة في المسيح يسوع حسب لاهوت وطقوس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، د. جورج حبيب بباوي، رسالة دكتوراه مقدمة إلى جامعة كامبريدج، انجلترا.

-(د)-

دائرة المعارف الكتابية: مجلس التحرير: د. القس صموئيل حبيب، د. فايز فارس، القس منيس عبد النور، جوزيف صابر، المحرر: وليم وهبة بباوي، دار الثقافة، مطبعة سيويرس، القاهرة — الطبعة الثانية.

دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود الخلف، أضواء السلف، الطبعة الخامسة.

دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية.

دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي: دانة للطباعة والنشر -دمشق، بيروت - الطبعة الأولى.

الدرة النفيسة في بيان حقيقة الكنيسة، السيد قورلس بهنام بني، طبع في الموصل في دير الآباء الدومينكان سنة ١٨٦٧م.

دستور الإيمان الأرثوذكسي المسمى الطريق القويم في التعليم المسيحي المستقيم توفيق الحداد، كنيسة النبي إلياس الغيور للروم الأرثوذكس في مدينة قطنا، سوريا.

دليل الزواج للطوائف المسيحية، إعداد المجلس الوطني لشؤون الأسرة، مطبعة الجامعة الأردنية.

دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة: الأب جان كمبي، دار المشرق، بيروت، الطبعة الأولى.

-(ر)-

الرد على دعاوى بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر التي وردت في محاضرته الشهيرة، كتبه: د. فهد بن محمد القرشي، بحث مقدم في السنة المنهجية للدكتوراه لسعادة الدكتور عبدالله القرني: (١٤٢٧-١٤٢٨هـ)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

رسالة التثليث والتوحيد: يس منصور، مطبعة الإسكندرية، الطبعة الثانية.

الرسالة الموسمة بالدليل إلى طاعة الإنجيل، ميخائيل مشاقة، طبع في بيروت سنة: ١٨٤٩م.

الرسل والرسالات: عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، مكتبة الفلاح، الكويت للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة.

الروح، ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

الروح القدس الرب المحيي: الأب متى المسكين مطبعة دير القديس أنبا مقار- وادي النطرون، الطبعة الأولى.

الروح القدس في اليهودية والنصرانية والإسلام: د. عمر وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى.

الروح القدس وعمله فينا: البابا شنودة الثالث القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩١م.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود الحسيني الألوسي، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

-﴿س﴾-

سد الذرائع في مسائل العقيدة على ضوء الكتاب والسنة الصحيحة، عبدالله الجنيدي، الجامعة الاسلامية، المدينة المنورة: العدد١١٤ – ١٤٢٢هـ.

السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، المملكة العربية السعودية، الرياض.

سلسلة محاضرات تبسيط الإيمان: سر التوبة والاعتراف، الأنبا بيشوي مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري ورئيس دير القديسة دميانة.

سلسلة محاضرات تبسيط الإيمان، سر المعمودية: الأنبا بيشوي، مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري ورئيس دير القديسة دميانة.

سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون.

السيدة العذراء، البابا شنودة الثالث، الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، مطبعة الأنبا رويس الأوفست بالعباسية، الطبعة الثالثة.

السيرة النبوية "من البداية والنهاية لابن كثير" تحقيق: مصطفى عبدالواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

سير القديسيين والشهداء في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية: نسخة إلكترونية. كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي القس - الإسكندرية - مصر، الناشر: http: //St-Takla. org

سيرة نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام وبيان فساد دين النصارى، د. محمد سعد عبد الدايم word

-﴿ش﴾-

شرح أصول الإيمان، د. القس: اندراوس واطسون، د. القس: إبراهيم سعيد، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، الطبعة الرابعة.

شرح العقيدة الطحاوية، للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي والمسمى بـــ (إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل)، شرحها الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، المكتبة الشاملة

شرح العقيدة الواسطية، للشيخ صالح الفوزان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، الشيخ عبد العزيز الراجحي. مكتبة صيد الفوائد، saaid. net/book/open. php?cat127&book=1003:

شرح موجز لأصول التعليم المسيحي الكتاخسميس الصغير، الذي وضعه المصلح الإنجيلي: مارتن لوثر، ترجمة ونشر المركز اللوثري للخدمات الدينية في الشرق الأوسط، بيروت – لبنان.

شرح وتفسير قانون الإيمان: المتنيح عبد المسيح ثاوفيلس النخيلي، تقديم ومراجعة نيافة الحبرالأنبا بيشوي ونيافة الحبر الأنبا موسى، مطبعة دير الشهيد مارمينا العجائبي بمريوط٢٠٠٧م.

الشرقيون في المجمع الفاتيكاني الأول وردة فعل الأرثوذكسية والبروتستانتية، الأستاذ الأسقف: باسيليوس تقديم كمال اسطفان، الشبكة الأرثوذكسية العربية الأنطاكية.

-﴿ص﴾-

صحيح السيرة النبوية، محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، الطبعة الأولى.

صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

الصخرة الأرثوذكسية، حبيب جرجس مدير الكلية الإكليريكية وعميد مدارس الأحد سابقاً، تقديم القمص: بولس باسيلي، الطبعة الخامسة ١٩٨٥م.

الصهيونية تحرف الإنجيل: سهيل التغلبي، دير الشرفة، لبنان ١٩٩٨.

الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي "ابن القيم الجوزية "، تحقيق: د. علي بن محمد دخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثالثة.

-﴿ط﴾-

الطائفة الكاثوليكية فرقها وعقائدها وأثرها على العالم الإسلامي: أ. محمود بن علي آل عمر، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

طبيعة المسيح، البابا شنودة الثالث، الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، مطبعة الأنبا رويس الأوفست، العباسية، القاهرة، الطبعة الثالثة عشر٢٠٠٩ م.

طريقة علم لأجل البروتستانتيين، استخرجه من اللغة الايطالية الى اللغة العربية الخوري: مرتينوس معلوف، راهب دير القديس يوحنا الصايغ، مطبعة ديرالقديس يوحنا الصايغ، لبنان، ١٨٤٣م.

الطوائف المسيحية في مصر والعالم: إعداد: ماهر يونان، مراجعة: القس جرجس صبحي، الناشر: ماهر يونان، جمع شركة سبكترام ٢٠٠١ م.

-﴿ع﴾-

عالم الملائكة الأبرار: عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الثالثة.

عبادة مريم في المسيحية والظهورات المريمية، معاذ عليان، تقديم: د. عبد الله سمك مكتبة النافذة. بدون رقم للطبعة.

العذراء القديسة مريم: الأب متى المسكين، مطبعة دير القديس أنبا مقار–برية شيهيت – وادي النطرون، الطبعة الثانية.

العذراء مريم المنزهة عن الخطيئة الأصلية، القمص: باسيلي فانوس، بطريركية الأقباط الكاثوليك، كوبري القبة ١٩٩٠م.

عصر المجامع، القمص: كيرلس الأنطوني، تنسيق وتعليق: دياكون د. ميخائيل مكسي إسكندر، مكتبة المحبة، الطبعة الأولى.

العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس: صموئيل بندكت، ترجمة: القس يعقوب قاقيش.

العقائد النصرانية في القرآن الكريم، إعداد: أشرف إبراهيم سلامة، إشراف: أحمد جابر العمصي، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة– فلسطين ١٤٢٩هـ.

العقائد الوثنية في الديانة النصرانية: محمد طاهر البيروتي، تحقيق: محمد عبدالله الشرقاوي، دار الصحوة للنشر القاهرة بدون رقم للطبعة.

عقائد أهل الكتاب، أحمد مختار رمزي، دار الفتح للدراسات والنشر، الطبعة الأولى.

عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: إعداد: القس بيشوي حلمي كاهن كنيسة الأنبا أنطونيوس، مراجعة وتقديم: نيافة الأنبا بيشوى، نيافة الأنبا موسى، نيافة الأنبا متاؤس – دار نوبار للطباعة، الطبعة الأولى.

عقيدة المطْهَر الكاثوليكية: وليد عبد الحميد خلف فرج الله، عميد كلية الدراسات الانسانية، جامعة النجف. العراق.

عقيدة المطْهَر للأب يوآنس لحظي word

العلاقة الجدلية بين التاريخ والطقوس المسيحية، حوار يدور في فضاء اللاهوت المسيحي، تأليف: الأستاذ أحمد عمران، منشورات دار الوعي، بيروت — لبنان. بدون رقم للطبعة.

علم اللاهوت النظامي: جيمس أنس، مراجعة: القس منيس عبدالنور، الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة، القاهرة. بدون رقم للطبعة.

عودة المسيح ثانية ودينونة العالم: نصر الله زكريا، مطبوعات نظرة للمستقبل ٢٠١٠م.

عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، محمد بن محمد الربعي، تعليق: إبراهيم رمضان، دار القلم، بيروت: ١٩٣٣هـ

﴿ف﴾

فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر – ١٤٠٣ هـ.

فرح الإيمان بهجة الحياة، محاضرات في أهم قضايا الإيمان المسيحي، الأب فرنسوا فاريون اليسوعي، جمعها الأب برنار هوسة، نقلها إلى العربية الأب: صبحي اليسوعي، دار المشرق، بيروت، الطبعة التاسعة.

الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الاسلام، نهاد خياطة، دار الأوائل، بدون رقم للطبعة.

الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، سعد رستم، دار الأوائل للنشر والتوزيع سوريا – دمشق الطبعة الثانية ٢٠٠٥م.

الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية، القس: إبراهيم عبد السيد ميخائيل، راعي كنيسة مارجرجس بحدائق المعادي مطبعة المحبة، بعزبة البكري، مسطرد، الطبعة الثالثة عشر١٩٩٦ م.

﴿ق﴾

قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني: تحقيق عبد القادر الأرناؤوط دار البحوث العلمية والافتاء الإدارة العامة للطبع، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى.

قاموس آباء الكنيسة: نسخة إلكترونية.

قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين، هيئة التحرير: د. بطرس عبدالملك، د. جون الكسندر طمسن، أ. إبراهيم مطر، الناشر: شركة compubraill.

قاموس الكتاب المقدس، معاني الكلمات الصعبة في الكتاب المقدس، إعداد: القس ميلاد ديب يعقوب، الخدمة العربية للكرازة بالانجيل.

القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة.

قاموس المصطلحات الطقسية والكنسية: نسخة إلكترونية.

قاموس المصطلحات الكنسية: القمص تادرس يعقوب ملطي، نقله للقبطية د. شاكر باسيليوس ميخائيل، مطبعة الإخوة المصريين، القاهرة ١٩٩١.

قانون الايمان، البابا شنودة الثالث الكلية الإكليريكية بالقاهرة – مطبعة الأنبا رويس الأوفست – العباسية، الطبعة الأولى. ١٩٩٧م.

القديس كيرلس الأورشليمي، القمص تادرس يعقوب ملطي، كنيسة الشهيد مارجرجس باسبورتنج، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م.

القديس كيرلس الكبير: الأنبا غريغوريوس، مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس، شركة الطباعة المصرية.

القديسة العذراء مريم في المفهوم الأرثوذكسي، القمص تادرس ملطي الناشر: servant4jesus. co. nr. www

القديسة مريم العذراء، القس عماد عبد المسيح word.

قصة الحضارة: ويل جيمس ديورانت، تقديم محيي الدين صابر، ترجمة: د. زكي نجيب محمود وآخرون، دار الجيل – بيروت – لبنان ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

قصة الديانات: سليمان مظهر، مكتبة مدبولي، ميدان طلعت حرب – القاهرة –١٩٩٥م.

قوانين المجامع المسكونية وخلاصة قوانين المجامع المكانية، القس اثناسيوس المقاري، مطابع النوبار– العبور – الطبعة الأولى.

-﴿ك﴾-

الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس بمصر، الاصدار السادس، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

الكتاب المقدس، دار المشرق. بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٨٩م.

الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف، د. يحيى محمد علي ربيع، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة، الطبعة الأولى.

كراس خدمة سر مسحة المرضى "سر الزيت المقدس" اعتنى بجمعه وترتيبه: قدس الأرشمندريت د. ميليتيوس بصل، رئيس دير تجلي الرب والرئيس الروحي لمدينة رام الله واللواء.

الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق د. عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

كتر النفائس في اتحاد الكنائس: نقولا اميزي، دار الشيخ عرب لدراسة الكتب السماوية بدون رقم طبعة.

الكنيسة الجامعة، ألفه أحد أبناء الكنيسة الكاثوليكية: الخوري جرجس فرج صغير، رداً على كتاب صخرة الشك وجواب الكنيسة الأرثوذكسية، طبع بأورشليم في دير الآباء الفرنسيسكانيين ١٨٨٨م.

الكنيسة أسرارها وطقوسها، أ. د عادل درويش، كلية الدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ.

الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: دنتسنغر، بيتر هونرمان، ترجمة المطران: يوحنا منصور، الأب: حنا الفاخوري، تحقيق الترجمة: عادل تيودور، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

-﴿ل﴾-

اللالئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة، القمص يوحنا سلامة، وكيل بطريركية الأقباط الأرثوذكس بالخرطوم سابقاً، مكتبة مارجرجس بشيكولاني، شبرا – مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٦٦م.

اللاهوت العقيدي، المتنيح الأنبا غريغوريوس، أسقف عام للدراسات اللاهوتية والثقافة القبطية والبحث العلمي، إعداد الإكليريكي: منير عطية، مكتبة المتنيح: الأنبا غريغوريوس، دير الأنبا رويس بالعباسية، مطبعة شركة الطباعة المصرية ٢٠٠٤م.

اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، المطران: كيرلس سليم، كنيسة الأقباط الكاثوليك، مصر.

اللاهوت المقارن: الأنباغريغوريوس أسقف عام للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية والبحث العلمي، إعداد الإكليريكي: منير عطية، مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس: دير الأنبا رويس بالعباسية. مصر، ٢٠٠٣م.

اللاهوت المقارن، البابا شنودة الثالث، الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس مطبعة الأنبا رويس الأوفست بالعباسية. الطبعة الثانية.

لسان العرب: محمد مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

لماذا نرفض المطهر: البابا شنودة الثالث، القاهرة الطبعة الأولى. ١٩٨٨م.

الله ﷻ واحد أم ثلاثة، د. منقذ بن محمد السقار، دار السلام. الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م.

لواقح الأنوار القدسية في العهود المحمدية: عبد الوهاب الشعراني الشافعي، مطبعة الميمنة، مصر، بدون رقم للطبعة.

لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية: شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد السفاريني، مؤسسة الخافقين دمشق الطبعة الثانية.



المباحث في اعتقادات بعض الكنائس، كاتب إنجيلي، طبع في بيروت ١٨٦٦م.

المباحثة من الأسفار المقدسة، الطبعة الأولى بالإنجليزية ١٩٨٥م، الناشرون:
WATCH TOWER BIBLE AND TRACT SOCIETY OF PENNSYL. VANIA

المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية: سلطان عبد الحميد، مطبعة الأمانة، الطبعة الأولى.

مجلة الراصد، العدد: (٥١).

مجلة كنيستك، صادرة عن الكنيسة الإنجيلية اللوثرية كانون الأول ٢٠٠٤ م، عدد خاص بعيد الميلاد المجيد، رئيس التحرير المطران: د. منيب يونان.

مجموع الشرع الكنسي: حنانينا إلياس كساب، مع توطئة البطريرك الياس الرابع، مطبعة النور، الطبعة الثانية.

المجموع الصفوي، يتضمن القوانين التي جمعها الشيخ الصفي أبي الفضائل ابن العسال: اعتنى بنشره وشرح مواده واضافة تذييلات عليه: جرجس فيلوثاوس عوض. ، طبعة خاصة لدارسي القانون الكنسي.

مجموع الفتاوى: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق أنور الباز، عامر الجزار، دار الوفاء، الطبعة الثالثة.

المجيء الثاني للمسيح متى يكون وما هي علاماته: القس عبد المسيح بسيط، مطبعة مدارس الأحد، الطبعة الثالثة.

المجيء الثاني للمسيح وعلاقته بالعقائد الكتابية: القس وديع ميخائيل. word

مجيء المسيح ثانية وسوابقه التاريخية: القس منيس عبد النور، الطبعة الأولى٢٠١٠ م.

محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

محاضرات في التاريخ الكنسي "المجامع الكنسية" نيافة الأنبا يوآنس أسقف الغربية، مطبعة الأنبا رويس الأوفست، العباسية، القاهرة، الطبعة الأولى.

محاضرات في النصرانية: محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة.

مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

مختصر في علم اللاهوت العقائدي، لودويغ أوت، ترجمة: جرجس المارديني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٥م.

مختصر كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، نقله الى العربية المطران: يوحنا منصور ٢٠٠٥-٢٠٠٦م.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي "ابن قيم الجوزية"، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية.

المدخل إلى العهد الجديد، القس: فهيم عزيز، دار الجيل للطباعة. بدون رقم للطبعة

المدخل لشرح انجيل القديس يوحنا – دراسة وتحليل- الأب متى المسكين – دير القديس أنبا مقار – دون رقم للطبعة.

مريم ابنة عمران بين اليهودية والمسيحية والإسلام، أبو عبد الرحمن غنيم عبد العظيم.

مريم العذراء المتزهة عن الخطيئة الأصلية، القمص: باسيلي فانوس، بطريركية الأقباط الكاثوليك. دون رقم للطبعة.

مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: مؤسسة قرطبة، القاهرة، الأحاديث مذيلة بتعليق شعيب الأرنؤوط. دون رقم للطبعة.

المسيح الإله والإنسان: لويس برسوم المعهد الإكليركي القبطي ١٩٨٥م القاهرة.

المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية.

المسيحية في جوهرها: جون ستوت، تعريب: نجيب غالي، دار يوسف كمال للطباعة ١٩٧٨ م.

المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جنيبير، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

مصادر النصرانية، د. عبد الرزاق عبد المجيد الأرو، دار التوحيد، الرياض، الطبعة الأولى.

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العالمية، بيروت.

المصلح مارتن لوثر حياته وتعاليمه، القس: حنا جرجس الخضري، دار الثقافة المسيحية.

مصنف عبد الرزاق: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي- الهند، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

مع الجاحظ في رسالة الرد على النصارى، د. إبراهيم عوض، مكتبة، زهراء الشرق، ١٤١٩هـ.

معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، تحقيق محمد عبد الله النمر، دار طيبة، الطبعة الرابعة.

معجم اللاهوت الكتابي، نسخة إلكترونية.

معجم المصطلحات الطقسية والكنسية، نسخة إلكترونية.

المعجم الوسيط، مكتبة دار الشروق الدولية، الطبعة الرابعة.

معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩م.

المعمودية والإفخارستيا والكهنوت، بيان ليما، تعريب: ميشال نجم، منشورات النور بالاشتراك مع مجلس كنائس الشرق الأوسط ١٩٨٤م.

مقال انبثاق الروح القدس من الآب والابن: الأب يوسف رمزي، موقع سلطانة الحبل بلا دنس، تاريخ المقال: ١١/٧/٢٠١٠م.

الملك الألفي في تعاليم الكنيسة الأرثوذكسية: الأب متى المسكين، دون بيانات للناشر، بدون رقم للطبعة.

المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الانجيل، لأبي الفضل المالكي المسعودي، تحقيق وتقديم وتعليق: د. رمضان الصفناوي البدري، د. مصطفى الذهبي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الاولى ١٤١٨هـ.

منهاج السنة النبوية: تقي الدين أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق، محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى.

منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين، إعداد: أحمد عسيري، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

موسوعة آباء الكنيسة، عادل فرج عبد المسيح، اللجنة الاستشارية: المطران يوحنا إبراهيم، د. القس مكرم نجيب، القس أندريه زكي، الأب منصور مستريح، دار الثقافة، بدون رقم للطبعة.

موسوعة الملل والأديان، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي السقاف، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت: www.dorar. net.

الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة – الندوة العالمية للشباب الاسلامي، مراجعة د. مانع بن حماد الجهني، الطبعة الرابعة.

موسوعة علم اللاهوت: القمص: ميخائيل مينا، تعليق وتبسيط وتنسيق: دياكون ميخائيل مكسي اسكندر، مكتبة المحبة الطبعة الأولى.

موقف اليمين المسيحي والكنائس الأمريكية من قضايا الشرق الأوسط ضمن كراسات استراتيجية، الصادرة عن مركز الأهرام للدراسات السياسية، السنة الثالثة عشرة، ٢٠٠٣م العدد رقم: (١٢٢).

-﴿ن﴾-

نبوءات الكتاب المقدس هرمجدون ونهاية أمريكا وإسرائيل: منصور عبد الحكيم، مكتبة رياض الحلبي ٢٠٠٧م، الطبعة الأولى.

نبوءات سفر الرؤية: القمص اثناسيوس اسكندر-كنيسة العذراء مريم القبطية الأرثوذكسية، كتشنر أونتاريو – كندا.

النبوءة والسياسة غريس هالسل، ترجمة: محمد السماك، دار الشروق الطبعة الثالثة.

النبوات: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: عبد العزيز الطويان، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى.

نصرانية عيسى ومسيحية بولس، صلاح العجماوي، لواء الحمد للنشر والإعلان، الطبعة الأولى.

النصرانية والإسلام، المستشار: محمد عزت الطهطاوي، القاهرة م، الطبعة الثانية.

نظرة شاملة لعلم الباترولوجي في الستة قرون الأولى: القمص: تادرس ملطي، مطبعة دير الشهيد مارمينا العجائبي بمريوط، الطبعة الأولى.

النهاية في الفتن والملاحم، أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي -دار المعرفة- الطبعة الرابعة.

النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، المكتبة العلمية ببيروت.

(هـ)

هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، شمس الدين أبي عبدالله ابن قيم الجوزية، تحقيق: أحمد الرفاعي، دار قتيبة، الطبعة الأولى.

هذه عقائدنا، ج. كلايدتارنر، الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل.

هل افتدانا المسيح على الصليب، د. منقذ السقار، دار السلام. الطبعة الأولى.

(و)

الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، أحمد محمد صيرة، أحمد عبد الغني الجمل، عبد الرحمن عويس، تقديم: عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، ببيروت، لبنان، الطبعة الأولى.

(ي)

يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، د. رؤوف شلبي، مكتبة الأزهر، الطبعة الأولى.

يسوع المسيح شخصيته وتعاليمه: إلياس اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٦م، الطبعة الثانية.

يقين الخلاص، القس: لبيب ميخائيل –راعي الكنيسة المعمدانية الكتابية الأولى بشبرا– مصر، لجنة مطبوعات الكنيسة المعمدانية الكتابية الأولى، الطبعة الأولى.



فهرس الموضوعات

ملخص البحث ٤

RESEARCH SUMMARY ٥

الإهداء ٦

كلمة الشكر ٧

المقدمة ٨

اختصارات أسفار الكتاب المقدس ١٤

اختصارات أسفار الكتاب المقدس ١٥

المبحث الأول: التعريف بالنصرانية ٢٤

المبحث الثاني: مصادر العقيدة النصرانية ٣٢

المطلب الأول: الكتاب المقدس ٣٢

المطلب الثاني: المجامع النصرانية ٣٨

الفصل الأول: تناقض النصارى حول طبيعة المسيح ﷺ ومشيئته. ٥٦

المبحث الأول: موقف الكنيسة الأرثوذكسية "اللاخلقيدونية" من طبيعة المسيح ﷺ ومشيئته. ٥٧

المطلب الأول: طبيعة المسيح ﷺ عند الأرثوذكس "اللاخلقيدونيين" ٥٧

المطلب الثاني: طبيعة الاتحاد وكيفيته عند الأرثوذكس. ٦٠

المطلب الثالث: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الأرثوذكسية في اعتقادها بطبيعة المسيح المتحدة. ٦٥

المطلب الرابع: مشيئة المسيح ﷺ وفعله ٦٩

المبحث الثاني: موقف الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية من طبيعة المسيح ﷺ ومشيئته. ٧٢

المطلب الأول: موقف الكنيسة الكاثوليكية ومن وافقها من القول بالطبيعة الواحدة للمسيح. ٧٢

المطلب الثاني: طبيعة المسيح ﷺ وكيفية الاتحاد عند الكاثوليك ومن وافقهم ٧٤

المطلب الثالث: البراهين التي يستند إليها الكاثوليك ومن وافقهم في اعتقادهم بالطبيعتين المتحدتين لشخص المسيح ﷺ ٧٦

المطلب الرابع: مشيئة المسيح ﷺ وفعله ٧٩

المبحث الثالث: المسيح عليه السلام في الإسلام. ٨٤

الفصل الثاني: التناقض حول انبثاق الروح القدس ٩٠

المبحث الأول: التعريف بـ"انبثاق الروح القدس" ٩٢

المبحث الثاني: حقيقة الروح القدس في اصطلاح النصارى ٩٥

المبحث الثالث: تاريخ إضافة لفظ "والابن" إلى قانون الإيمان. ٩٨

المبحث الرابع: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الكاثوليكية ومن وافقها في قضية الإيمان بانبثاق الروح القدس ١٠١

المطلب الأول: البراهين الكتابية: ١٠١

المطلب الثاني: شهادة الآباء: ١٠٤

المبحث الخامس: موقف الكنيسة الأرثوذكسية من انبثاق الروح القدس ١٠٨

المطلب الأول: انبثاق الروح القدس من الآب وحده عند الأرثوذكس. ١٠٨

المطلب الثاني: علاقة الروح القدس بالآب والابن عند الأرثوذكس. ١١٠

المطلب الثالث: نتائج عقيدة الانبثاق من الآب والابن. ١١٢

المبحث السادس: الروح القدس في الإسلام. ١٢٢

الفصل الثالث: التناقض حول الملك الألفي ١٢٦

المبحث الأول: القائلون بالتفسير الحرفي للملك الألفي. ١٢٨

المبحث الثاني: القائلون بالتفسير الروحي للملك الألفي ١٣٤

المطلب الأول: بيان عقيدتهم. ١٣٤

المطلب الثاني: موقفهم من القائلين بالتفسير الحرفي للملك الألفي. ١٣٧

المطلب الثالث: الاعتراضات على التفسير الحرفي للملك الألفي. ١٣٨

المبحث الثالث: نزول المسيح ' ومدة مكثه في آخر الزمان في الإسلام. ١٤٥

الفصل الرابع: التناقض حول المطْهَر ١٥٢

المبحث الأول: موقف الكنيسة الكاثوليكية من عقيدة المطْهَر ١٥٣

المطلب الأول: تعريف المطْهَر(**PURGATORY**) ١٥٣

المطلب الثاني: نص العقيدة. ١٥٤

المطلب الثالث: المجامع الكاثوليكية التي أعلنت وحددت عقيدة (المطْهَر). ١٥٤

المطلب الرابع: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الكاثوليكية ١٥٥

المطلب الخامس: العذاب في المطْهَر. ١٦١
المطلب السادس: حول المطهر عند الكاثوليك. ١٦٣
المبحث الثاني: موقف الكنيسة الأرثوذكسية والبروتستانية من عقيدة المطْهَر. ١٧٠

الفصل الخامس: التناقض حول صكوك الغفران ١٧٩

المبحث الأول: موقف الكنيسة الكاثوليكية من صكوك الغفران........................ ١٨٠
المطلب الأول: التعريف بصكوك الغفران.. ١٨٠
المطلب الثاني: نشأة صكوك الغفران. ١٨٢
المطلب الثالث: فلسفة منح الغفرانات في الكنيسة الكاثوليكية. ١٨٩
المطلب الرابع: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الكاثوليكية........................ ١٩٠
المبحث الثاني: موقف الكنيسة الأرثوذكسية والبروتستانتية من صكوك الغفران................ ١٩٣
المبحث الثالث: منح المغفرة في الإسلام. ١٩٨

الفصل السادس: التناقض حول عصمة البابا عن الخطأ ٢٠٤

المبحث الأول: موقف الكنيسة الكاثوليكية من عصمة البابا عن الخطأ ٢٠٥
المطلب الأول: التعريف بالعصمة البابوية.. ٢٠٥
المطلب الثاني: إقرار العقيدة.. ٢٠٧
المطلب الثالث: عصمة البابا في عقيدة الكاثوليك. ٢٠٨
المطلب الرابع: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الكاثوليكية في قضية الإيمان بعصمة البابا عن الخطأ. ٢١٣
المبحث الثاني: موقف الكنيسة الأرثوذكسية والبروتستانتية من عصمة البابا الروماني عن الخطأ. ٢١٦
المبحث الثالث: العصمة في الإسلام.. ٢٢٧

الفصل السابع: التناقض حول الخلاص ٢٣١

المبحث الأول: تعريف الخلاص. ٢٣٢
المطلب الأول: الخلاص لغة. ٢٣٢
المطلب الثاني: الخلاص اصطلاحاً. ٢٣٦
المبحث الثاني: شرط الخلاص عند البروتستانت. ٢٤٤
المطلب الأول: الإيمان الخلاصي عند البروتستانت. ٢٤٤
المطلب الثاني: البراهين التي يستند إليها البروتستانت. ٢٤٦

المطلب الثالث: نتائج الإيمان الخلاصي عند البروتستانت ٢٤٩
المبحث الثالث: شرط الخلاص عند الأرثوذكس والكاثوليك. ٢٥٢
المطلب الأول: طرق نيل الخلاص عند الأرثوذكس والكاثوليك........................ ٢٥٢
المطلب الثاني: الاعتراضات على فكرة الخلاص بالإيمان فقط. ٢٥٧
المبحث الرابع: غفران الخطايا في الإسلام.. ٢٦٠

الفصل الثامن: التناقض حول العذراء مريم عليها السلام........................ ٢٦٥
المبحث الأول: الحبل بلا دنس. ٢٦٦
المطلب الأول: الحبل بلا دنس عند الكاثوليك. ٢٦٦
المطلب الثاني: الاعتراضات على هذه العقيدة. ٢٧٢
المبحث الثاني: بتولية العذراء الدائمة. ٢٧٥
المطلب الأول: البراهين التي يستند إليها المؤمنون بهذه العقيدة. ٢٧٦
المطلب الثاني: الاعتراضات على هذه العقيدة. ٢٧٨
المبحث الثالث: تلقيب العذراء مريم بوالدة الإله.. ٢٨١
المطلب الأول: البراهين التي يستند إليها المؤمنون بهذه العقيدة. ٢٨٣
المطلب الثاني: الاعتراضات على هذه العقيدة. ٢٨٥
المبحث الرابع: مريم عليها السلام في الإسلام. ٢٨٧

الفصل التاسع: التناقض حول الأسرار الكنسية ٢٩٦
المبحث الأول: المعمودية. ٣٠٢
المبحث الثاني: التثبيت أو المسحة بالمَيرُون المقدس. ٣٠٨
المبحث الثالث: التوبة "الاعتراف".. ٣١٤
المبحث الرابع: العشاء الرباني "الإفخارستيا". ٣١٩
المبحث الخامس: مسحة المرضى. ٣٢٨
المبحث السادس: الزواج. ٣٣٢
المبحث السابع: الكهنوت أو الرسامة.. ٣٣٧

الخاتمة.. ٣٤٧
فهرس آيات القرآن الكريم.. ٣٥٢
فهرس الأحاديث النبوية ٣٥٨

فهرس الآثـــــار ٣٦٠
فهرس الأعلام المترجم لهم ٣٦١
فهرس الفرق والمذاهب ٣٦٣
فهرس المصطلحات ٣٦٤
فهرس المراجع والمصادر ٣٦٧



